NURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı: N.O.
Yeni Kayıt No: 2893
Eski Kayıt No: 3396
Tasnif No.

٤٤٩٦

وقف اكرم السلاطين من طبقات الملوك وابهى الخواقين بحسن السيرة والسلوك
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المواهب عثمان خان ابن السلطان
مصطفى خان ادام الله ايام دولته وادام نصفته في لوامع
حشمته وانا الداعي الفقير الحاج ابراهيم حنيف
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم يا لطيف

قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي حدثنا ابو بكر بن احمد
بن الحسين بن سفيان النحوي حدثنا احمد بن عبيد قال حدثنا
احمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي ونوفل بن محمد بن
ابراهيم بن الحارث التميمي ومحمد بن ميسرة بن رويم العامري وربيعة
بن عثمان ويونس بن محمد المظفري وعايذ بن يحيى بن عبد الله المرافقي
ومعاذ بن محمد الانصاري وعبد الرحمن بن هبة الله بن عثمان بن حنيق
الحارثي ومالك بن سعيد بن ابراهيم بن عتبة مولى ال الزبير ويعقوب
المازني كل منهم حدث عن فتوح عمر بما كان قالوا جميعا ومن قال
منهم من الثقات ان محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر
الصديق رضي الله عنه فقتل مسيلمة بن قيس الكذاب الذي ادعا النبوة
وقتل سجاح والاسود العنسي وهرب طليحة الى الشام وقتل بني حنيفة
واطاعة العرب لابي بكر رضي الله عنه عول ان يبعث جيشا الى الشام ٥
الى قتال الروم فجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
المسجد وقام فيهم خطيبا فذكر الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ايها الناس رحمكم الله اعلموا ان الله تعالى فضلكم بمحمد
عليه السلام وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصرا مبينا فقال تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا واعلموا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد عول الى المسلمين الى الشام فقبضه
الله تعالى اليه واختار له ما لديه الا واني عازم ان اوجه للشام رجالا بابنائهم
واموالهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انبأني بذلك قبل موته فقال
زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
فما قولكم رحمكم الله فقالوا يا خليفة رسول الله امرنا بامرك ووجهنا حيث
شئت فان الله تعالى فرض طاعتك علينا فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ففرح ابو بكر بقولهم
ونزل من على المنبر وكتب الكتب الى ملوك اليمن وامراء العرب واهل
مكة وكانت الكتب كلها نسخة واحدة وهي بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله بن ابي قحافة ابي بكر الى سائر المسلمين سلام عليكم فاني احمد الله

الذي

الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم وقد عولت ان اوجهكم الى الشام
لتاخذوها من يد الكفر فمن عول منكم الى الجهاد فليبادر الى طاعة الله
تعالى ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله ثم بعث الكتب اليهم واقام ينتظر جوابهم وقدومهم وكان الذي
بعث بكتب اليمن انس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال جابر بن عبد الله فما مرت اياما حتى قدم انس بن مالك
مبشرا بقدوم اهل اليمن وقال يا امير المؤمنين ما قرأت كتابك على احد من
المسلمين الا وبادر الى طاعة الله تعالى واجاب دعوتك وقد تجهزوا
بالعدد والعديد والزرد النضيد وقد اقبلت اليك يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم مبشرا برجال واي رجال وقد اتوك شعثا غبرا وهم ابطال اليمن
وشجعانها وفرسانها وقد ساروا اليك بالذراري والاموال والنساء والاطفال
وكانك بهم قد اشرفوا عليك ووصلوا اليك فتاهب للقائهم فسر بذلك
سرورا عظيما واقام يومه ذلك حتى اذا كان غداة غد لاحت غبرة القوم
لاهل المدينة فاقبلوا الى ابي بكر واخبروه بذلك فركب وامر الناس بالركوب
فركب المسلمون من اهل المدينة وغيرهم لاستقبالهم واظهروا زينتهم
وعددهم ونشروا الاعلام فما كان الا قليلا حتى اقبلت الكتايب يتلو
بعضها بعضا قوما في اثر قوم وقبيلة في اثر قبيلة فكانت اول قبيلة من
قبايل اليمن حمير وهم في الدروع السابرية والبيض العادية وامامهم
ذو الكلاع الحميري وهو متعمم بعمامته فلما قرب من ابي بكر رضي
الله عنه احب ان يخبر بمكانة قومه فاشار بالسلام اليه وقال شعر

اتيتك حمير في من قد تراه معي ● اهل السوابق والعالون في الحسب
اسد غطارفة شوس ضراغمة ● تردي الكماة غداة الحرب بالقضب
قدم كتايبنا فالروم بغيتنا ● والشام مسكننا بالرغم للصلب
دمشق لي دون كل الناس اجمعهم ● وساكنيها فاهويهم الى العطب

قال فتبسم الصديق من قوله وقال لعلي يا ابا الحسن اما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل
اولادها فابشر وانصر المسلمين على اهل الشرك اجمعين قال علي
صدقت وانا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سمعت انت
قال انس وسارت حمير بكتايبها ومواكبها واقبلن النساء من

ورايتهن مع الاطفال والاولاد واقبلت من بعده حمير كتايب مدجج
اهل الخيل العتاق بالرماح الدقاق وامامهم سيدهم قيس بن هبيرة
المرادي فلما وصل الى ابي بكر اسفر لثامه وعرف مكانه واشار الى الصديق
وقال اتتك كتايب سراعا ذوي التيجان اعني من مرادي
فقدمنا امامك كي ترانا نبيد الروم بالقضب الحدادي
قال فجزاه ابو بكر خيرا وتقدم بكتايبه ومواكبه واقبلت من ورايه
قبايل طي يقدمها جابر بن سعيد الطايي فلما ان وصل هم ان يترجل فاقسم
عليه ابو بكر ان لا يفعل فدنا منه وصافحه وسلم عليه وشكره واقبلت من
بعدهم الازد في جموع كثيرة وقايدهم جندب بن عمر الدوسي وفيهم ابو
هريرة وهو متوشح بقوسه فتبسم ابو بكر وقال يا ابا هريرة ما الذي
اقدمك وانت قليل التجارب للحرب قال ابو هريرة يا صديق رغبة
في ثواب الله عز وجل وانا ايضا اريد ان اكل من فواكه الشام فتبسم
من قوله ابو بكر واقبلت من بعدهم بنو عبس يقدمهم اميرهم ميسرة بن
مسروق العبسي واقبلت على اثارهم كنانة يقدمهم قثم بن اشيم الكناني
وتتابعت قبايل اليمن يتلوا بعضها بعضا ومعهم نساهم واولادهم وجميع
مواشيهم فلما نظر ابو بكر الى كتايبهم سر بذلك وشكر الله ونزل القوم
حول المدينة وكل قبيلة متفرقة عن صاحبتها وتزايد القوم واضر بهم
المقام من قلة الزاد وعليق الخيل وجدوبة الارض فاجتمع اكابر القوم
وتشاوروا فيما بينهم وقالوا انطلقوا بنا الى ابي بكر نسأله ان يوجهنا وياذن
لنا بالرحيل الى الشام فاقبلوا بجمعهم اليه فسلموا عليه ثم جلسوا ونظر
بعضهم الى بعض لينظروا ايهم يخاطبه فكان اول من بدا بالكلام
قيس بن هبيرة بن مكشوح المرادي وقال يا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم انك امرتنا بامر فاسرعنا طاعة لله ولك ورغبة في
الجهاد ومناضلة الاعداء وقد تكامل جيشنا وفرغنا من اهبتنا
والمقام قد اضر بنا لان بلدك ليس ببلد خف ولا حافر ولا عيش لعسكرنا
فان يكن قد بدا لك فيما كنت قد عزمت عليه فامرنا بالرجوع الى بلادنا
واقبل كل يخاطبه بذلك ونحوه فلما فرغوا من كلامهم قال
ابو بكر رضي الله عنه يا اهل اليمن ومن حضر من غيرهم اما والله
ما اريد بكم الاضرار وانما اردت انكم تتكاملوا قالوا فانه لم يبق

من

من ورائنا احد فاعزم على بركة الله وعونه قال الواقدي رحمه الله تعالى
لقد بلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قام من ساعته يمشي على قدميه
وحوله جماعة من المومنين منهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
وسعيد بن زيد وامثالهم من الاوس والخزرج وخرجوا الى ظاهر المدينة
ووقع الندى في الناس وكبروا باجمعهم فرجحت رجهم واجابتهم
الجبال لدوي اصواتهم وكثرتهم وعلا ابو بكر على رابية عالية حتى اشرف
على الناس فنظر اليهم ملوا الارض فتهلل وجهه فرحا وقال اللهم
انزل علينا الصبر وايدهم بالنصر ولا تسلمهم الى عدوهم فكان اول من
دعا به ابو بكر الصديق رضي الله عنه وعقد له راية يزيد بن ابي سفيان
وامره على الف فارس ودعا من بعده برجل من بني عامر بن لوي يقال له ربيعة
بن عامر وكان فارسا مشهورا في الحجاز فعقد له راية وامره على الف فارس
من المسلمين ثم اقبل ابو بكر على يزيد بن ابي سفيان وقال له هذا ربيعة بن
عامر من ذوي العلا والماثر والشرف والمفاخر وقد علمت شجاعته وقد ضممته
اليك وامرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في امرك ولا تخالفه
قال يزيد حبا وكرامة واسرعت الالفان الى لبس السلاح واجتمع الجند
واقبلت الكتيبتان وركب يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر واقبلا
بقومهما واصحابهما الى ابي بكر رضي الله عنه فاقبل ابو بكر يمشي مع القوم
فقال يزيد يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نستحي من
غضب الله نحن نركب وانت تمشي فاما ان تركب واما ان ننزل
فقال ابو بكر ما انا براكب وما انتم بنازلين واني احتسب خطاي
هذه عند الله تعالى وسار الى ان وصل الى ثنية الوداع فوقف هنالك وتقدم
اليه يزيد بن ابي سفيان وقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصنا فقال ابو بكر اذا سرت فلا تعنف على اصحابك في السير ولا تغضب
قومك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور ما استطعت
فانه ما افلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم العدو فلا تولوهم
الادبار ومن يولهم يوميذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فية فقد باء بغضب
من الله واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا كبيرا ولا امراة
ولا طفلا ولا تقطعوا نخلا ولا تحرقوا زرعا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول
ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على اقوام في الصوامع

رهبان يزعمون انهم ترهبوا لله وحبسوا انفسهم طلبا لمرضات الله فدعوهم وما
انفردوا له وارتضوه لانفسهم ولا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم وستجدون
قوما اخرين حزب الشيطان وعبدة الاصنام قد حلقوا اوساط رؤسهم حتى
كانها افاحيص القطا فاعلوا اوساط رؤسهم حتى يرجعوا الى الاسلام
او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتكم الله ثم صافحه وعانقه
وصافح ربيعة بن عامر وقال يا ربيعة اظهر شجاعتك وبراعتك على بني
الاصفر بلغكم الله امالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم
ورجع ابو بكر ومن معه الى المدينة ولما بعد يزيد بمن معه عن المدينة
اغذوا في السير الشديد فقال له ربيعة بن عامر ما هذا السير وقد
امرك ابو بكر ان ترفق في مسيرك فقال يزيد يا ابن عامر ان ابو بكر سيعقد
العقود ويؤمر امرا الجيوش ويرسلهم في اثارنا فاردت ان اسبق الناس
الى الشام فلعلنا ان نفتح فتحا قبل تلاحق الناس فنجمع بذلك ثلاث خصال
رضا الله ورضا خليفة رسول الله وغنيمة ناخذونها فقال ربيعة
سر اذا ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فجد القوم في المسير واخذ
على وادي القرى على الاقرع ليخرجوا على تبوك ثم على الجابية الى دمشق
قال الواقدي واتصل الخبر بالملك هرقل من عرب متنصرة كانوا
في المدينة فلما صح هرقل ذلك جمع بطارقته وحجابه وقال لهم
يا بني الاصفر اعلموا ان دولتكم عولت على الانصرام وايامكم على الانهزام
ولقد كنتم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون حدود الله
كما امركم في الانجيل لاجرم انكم ما قصدكم ملك من ملوك الدنيا ينازعكم
على الشام الا قهرتموه وغلبتموه ولقد قصدكم كسرى بن هرمز بجنود
فارس فانتكسوا على اعقابهم وقصدكم الترك فولوا منهزمين وكذلك
الجرامقة والان قد بدلتم وغيرتم وظلمتم وجرتم فقد بعث اليكم
قوما لم يكن في الامم اصغر منهم عندنا ولم تكن انفسنا تحدثنا
بانهم ينازعونا على ملكنا وقد رمى بهم كلب الجوع والقحط الى بلادنا
ثم حدثهم بما سمع من جواسيسه فقالوا ايها الملك ابعثنا لنصدهم
عن مرادهم ونصل الى مدينة نبيهم ونهدم كعبتهم ولا ندع منهم
احدا قال الواقدي فلما راى نشاطهم وتبين اختباطهم
جرد منهم ثمانية الاف فارس من اشجع فرسانهم وامر عليهم

عدد البطاريق ... والراس ... والامير جاويش جمع بطارقة ... امير

اربعة

اربعة من بطارقته وهم البطاليق واخوه جرجس وصاحب شرطته لوقا
بن سمعان والرابع صاحب غزة وعسقلان واسمه صليبا وكانوا هولاء الاربعة
تضرب بهم الامثال في الشجاعة ثم تدرعوا واظهروا زينتهم وعددهم وصلت
عليهم الاقسة صلاة النصر وقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم ببخور
الكنايس ورشوا عليهم وودعوا الملك وسار والعرب المتنصرة امامهم ليدلوهم
حدثنا جماعة عن معمر عن جده ياسر بن الحصين قال بلغنا
انه اول من وصل الى تبوك كان يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر
ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة ايام فلما كان في
اليوم الرابع وقد هم الصحابة بالرحيل الى الشام اذا اقبل جيش العدو فلما
راى المسلمون غبرة القوم اخذوا على انفسهم وكمن يزيد اصحابه الالف
ووعظهم وذكرهم الا الله ونعمه عليهم وقال اعلموا ان الله قد
وعدكم النصر وايدكم بالملائكة في مواطن كثيرة وقال لكم في
كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف
وانتم اول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الاصفر وكانكم بجنود
المسلمين وقد لحقت بكم فتكونوا عند ظن المسلمين فيكم واياكم
ان تطمعوا العدو فيكم والنصر والله ينصركم قال فبينما يزيد يعظ
الناس واذا بطلايع الروم قد اقبلت وجيوشها قد اتت فلما راوا قلة
العرب طمعوا فيهم وظنوا ان ليس وراهم احد فبين بعضهم
على بعض بالرومية وقالوا دونكم ومن يريد بلادكم وهتك حريمكم
وقتل ملوككم واستنصروا بالصليب فهو ينصركم ثم حملوا
والتقتهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب
غير وانية ودام القتال بينهم وتكاملت ثرت الروم عليهم وظنوا
انهم في قبضتهم اذ خرج عليهم ربيعة بن عامر وقد اعلن اصحابه
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فانكسرت هممهم
والقى الله تعالى الرعب في قلوبهم فرجعوا الى ورايهم ونظر ربيعة بن
عامر الى البطليق وهو يردد قومه ويحرضهم على القتال فعلم انه طاغية
الكفر كبير القوم فحمل عليه بقلب قوي وجنان جري وطعنه طعنة صادقة
فوقعت في خاصرته فطلعت من الناحية الاخرى فانجدل صريعا الى النار

فلما نظرت الروم الى ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على
اصحاب محمد المختار قال الواقدي حدثنا عمر بن عثمان عن جد سعيد
بن يربوع عن ابيه مومل بن محمد عن جد ابراهيم بن الحارث عن ابيه
عبد الله بن مسلم عن جده شداد بن اوس قال كنت في الخيل التي نفذها
ابو بكر مع يزيد بن ابي سفيان وربيعة بن عامر قال ولقينا الروم في اطراف
ارض تبوك مع البطاليق وهزمهم الله على ايدينا وكان جملة من قتل منهم
الف ومايتان وقتل منا ماية وعشرون رجلا اكثرهم من السكاسك قال
وان الروم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو اخو البطليق بالحكم
باي وجه نرجع للملك وما لقينا الا طليعة القوم وقد فتكوا فينا وقتلوا
كبرانا وملوا الارض من قتلانا وما كنت بالذي ارجع الان اخذ بثار اخي
او الحق به قال فسمع القوم منه ورجع بعضهم على بعض بالملامة وعادوا الى
القتال وضربوا خيامهم واظهروا زينتهم وعولوا على القتال والحرب
والجدال فلما استقروا في خيامهم بعثوا رجلا من المتنصرة اسمه القداح
بن وايلة التنوخي وقالوا له امضي الى بني عمك وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبرائهم
وعقلائهم حتى ننظر ماذا يريدون منا قال الواقدي فركب القداح بن وايلة
جواده واقبل الى جيش المسلمين فلما راوه مقبلا اليهم استقبله رجال
من الاوس وقالوا له ما الذي تريد فقال ان بطارقة الملك يريدوا رجلا
من عقلائكم ليخاطبوه فيما يعود به صلاح الجمعين قال فاخبروا يزيد
وربيعة بما قال المتنصر فقال ربيعة انا اخرج فقال يزيد اني خايف
عليك من القوم لانك قد قتلت كبيرهم بالامس فقال ربيعة قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا واني اوصيك والمسلمون ان تكون هممكم
عندي فان رايتم القوم قد غدروا بي وانا قد حملت فيهم فاحملوا ثم ركب
جواده وسلم عليهم وسار حتى اتى جيش الروم وقرب من سرادقتهم
فقال له القداح بن وايلة عظم جيش الملك وانزل عن جوادك
فقال ربيعة ما كنت بالذي انزل من العز الى الذل ولست اسلم جوا دي
لغيري وما انا نازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جيت
لانا لم نبعث اليكم بل انتم بعثتم الينا قال الواقدي فاعلم القداح الروم
بما تكلم به ربيعة فقال بعضهم لبعض لقد صدق العربي في قوله دعوه
ينزل حيث اراد فنزل ربيعة على باب السرادق وجثا على ركبتيه

ومسك عنان فرسه بيده فقال جرجيس يا اخا العرب لم يكن امة اضعف
منكم عندنا وما كنا نحدث انكم تغزونا فما الذي تريدون منا
فقال ربيعة نريد منكم ان تدخلوا في ديننا وتقولون بقولنا فان
ابيتم تودوا الجزية فان ابيتم فالسيف قال جرجيس فما منعكم ان تقصد وا
الفرس وتدعوا الصداقة بيننا وبينكم قال ربيعة انا بدانا بكم لانكم
اقرب الينا من اهل فارس وايضا ان الله تعالى امرنا في كتابنا بذلك
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة فقال جرجيس الكم كتاب انزل عليكم
قال نعم كما انزل الانجيل على عيسى بن مريم قال جرجيس
هل لك ان تعقد الصلح بيننا وبينكم ونعطي كل واحد منكم دينارا
ووسقا من بر ونعطي لاميركم ماية دينار وعشرة اوسق من طعام
ولخليفتكم الف دينار ومائة وسق من طعام ونكتبوا بيننا وبينكم
كتاب الصلح الا تغزوا الينا ولا نغزوا اليكم فقال ربيعة لا سبيل
الى ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف او اداء الجزية او الاسلام
فقال جرجيس اما ما ذكرت من دخولنا في دينكم فلا سبيل الى
ذلك او نهلك عن اخرنا لانا لا نرى بديننا بدلا واما ان نودي
الجزية فالقتل اهون من ذلك وما انت اشهامنا الى القتال والحرب
والنزال لان فينا البطارقة وابنا العمالقة رجال الحرب وارباب
الضرب ثم قال جرجيس لحاجبه علي بصقبلة القس حتى يناظر صقلبه
هذا البدوي قال الواقدي وكان بهرقل قد بعث قسا عظيما
عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فاتا الحاجب به فلما استقر به
الجلوس قال له جرجيس يا ابانا استخبر هذا الرجل عن دينهم
وعن شرعهم ودينهم وعلمهم فقال صقبلة القس يا اخا العرب
انا نجد في علمنا وكتبنا ان الله يبعث نبيا عربيا هاشميا قرشيا
وعلامته ان الله يسري به الى السماء كان ذلك ام لا قال نعم
قد اسري به اليه وقد ذكر ذلك في كتابه فقال تعالى سبحان الذي
اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قال القس
فانا نجد في كتابنا ان الله يفرض عليه وعلى امته شهرا يقال له رمضان
قال ربيعة قد افرضه علينا وقد ذكر ذلك في كتابنا ان الله

يفرض عليه وعلى امته رمضان فقال تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون فقال القس
انا نجد في علمنا ان الرجل من امته اذا عمل حسنة كتبت له عشرة
فقال ربيعة قد ذكر ذلك ربنا في كتابنا فقال تعالى من جا بالحسنة
فله عشر امثالها ومن جا بالسية فلا يجزى الا مثلها قال القس فانا
نجد في علمنا ان الله يامر امته بالصلاة عليه فقال ربيعة قد ذكر ربنا
ذلك في كتابنا فقال تعالى ان الله وملايكته يصلون على
النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال فتعجب
صقبلة من كلامه فقال للبطارقة ان الحق مع هولاء القوم فقال
بعض الحجاب لجرجس ان هذا البدوي الذي قتل اخاك فلما سمع بذ
ازورت عيناه غضبا وهم ان يثب الى ربيعة بن عامر ففهم ربيعة
ذلك فوثب من مكانه اسرع من البرق وضرب بيده الى سيفه
وعاجل جرجس بضربة فغادره قتيلا واسرعت البطارقة الى ربيعة
فما وصلوا اليه حتى ركب جواده فحمل فيهم ونظر الى ذلك
يزيد بن ابي سفيان فقال لرجاله ان اعدا الله قد غدروا بصاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم فحمل المسلمون
على المشركين واختلط الجيش بالجيش وصبرت الروم لقتال
العرب فبينما هم في القتال اذا اشرفت جيوش المسلمون
مع شرحبيل بن حسنه كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
نظر المسلمون الى اخوانهم في القتال مع الروم حملوا عليهم ودارا بهم
وحكمت اسيافهم فيهم قال الواقدي ولقد بلغني ان
الثمانية الاف من الروم لم ينج منهم احد لان العرب التقطوهم
بسوابق خيلهم وبعد الشام من تبوك ثم ان المسلمون احتووا على
اموالهم وخيامهم وسرادقاتهم ثم سلموا على شرحبيل كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من معه من المسلمين ثم نزلوا
وجمع شرحبيل المال واستشار ربيعة ويزيد في مال النهب
فقالا نبعث بجميع ما اخذنا من الروم الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه حتى يرى المسلمون قلايع الروم واموالهم فيبادروا
الى الجهاد فاستصوب رايه وبعث المال الى ابي بكر الا

العدة

العدة من السلاح فان المسلمون تقووا بها ونفذوا المال مع شداد
بن اوس مع خمسماية فارس واقاموا في ارض تبوك حتى تلاحق بهم الجيش
قال الواقدي وان شداد بن اوس وصل بالمال الى المدينة فلما عاين
المسلمون اموال الروم وقلايعهم رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير
حتى سمع ابو بكر ضجة القوم فسال عن الخبر فاعلم بقدومه
شداد بن اوس ومعه قلايع الروم فبينما هو يسال اقبل شداد بن
اوس ومن معه فترجلوا على باب المسجد وصلوا تحية المسجد ركعتين
وسلموا على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبلوا على
ابي بكر وسلموا وهنوه بالفتح والنصر واعلموه بقصة الروم وما كان
منهم فسجد ابو بكر شكرا لله تعالى وتفاءل بالنصر ثم جهز المسلمين
بما وصل اليه من مال الروم ثم كتب كتابا الى اهل مكة يستدعيهم
الى الجهاد وكان كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر
عتيق بن ابي قحافة الى المسلمين من اهل مكة وما حولها سلام عليكم
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه اما بعد فاني قد
استنفرت من قبلي من المسلمين الى جهاد عدوهم وفتوح بلاد الشام
وقد كتبت اليكم لتسرعوا الى ما امر ربكم سبحانه وتعالى اذ يقول
انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الاية نزلت فيكم
وانتم احق بها واول من صدق بقولها واقام بحكمها فمن نصر
دين الله فالله ناصره ومن بخل بذلك استغنى الله عنه والله غني حميد
فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية اعدها الله للمهاجرين والانصار
ومن اتبع سبيلهم وحسبنا الله ونعم الوكيل وطوى ابو بكر
الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى
عبد الله بن حذافة فاخذه وسار حتى وصل مكة فصرخ في اهلها
فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب فقروه فلما سمعوا كتاب ابي بكر
قام سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن ابي جهل وقالوا
اجبنا داعي الله وصدقنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
الحارث بن هشام فانه قال والله لا نتخلف عن نصرة دين الله واما عكرمة
فانه قال الى متى نتشبط بانفسنا وقد سبقنا في المواطن فارمن

فاز بالسبق وان كنا قد تاخرنا عن السباق فلعلنا نكتب في اللحاق
ثم خرج عكرمة في اربعة عشر رجلا من قومه من بني مخزوم وخرج سهيل
بن عمرو في اربعين رجلا من بني عامر وخرج الحارث بن هشام
معهم وتلاحق القوم بهم من اهل مكة وكان جميع من سار من
مكة خمسماية رجل وكتب الصديق رضي الله عنه كتابا الى
هوازن والطايف فخرجوا في اربعماية رجل قال الواقدي حدثنا
عبد الله بن سعيد اللخمي عن ابي عامر الهوازني قال كنا بالطا
اذ قدم علينا كتاب ابي بكر رضي الله عنه فقرئ علينا فاجاب
منا اربعماية رجل من هوازن وثقيف فسرنا حتى لحقنا وفد مكة
وكان جملتنا تسعماية رجل خيالة وما منا الا من يقول انه يلقا تسعماية
فارس من الروم فسرنا حتى اتينا المدينة ونزلنا بالبقيع واخبر
ابو بكر بقدومنا فبعث الينا رسوله يقول لنا انتقلوا الى مواضع اخوانكم
يعني شرحبيل ويزيد وربيعة وكان منزلهم بالجرف فتحولنا
اليه واقمنا هنالك عشرين ليلة والوفد يقدم الينا قال
شداد بن اوس ثم خرج ابو بكر رضي الله عنه في جمع من المهاجرين
والانصار وهو يمشي بين القبايل ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله واثنا
عليه بما هو اهله ثم قال يا ايها الناس ان الله كتب على المومنين
الجهاد فريضة من فرايض الله والثواب عند الله عظيم فاخشنوا
نياتكم لتعظم حسناتكم وسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم
وسنة نبيكم فانها احدى الحسنيين اما الشهادة فتلحقون
بسلفكم ومن قتل او مات فقد وقع اجره على الله قال وقدمت
حضرموت في اربعماية رجل وكتب الصديق الى الاص
بن سلمة الى بني كلاب يستدعيهم الى غزو الروم فقام فيهم
الضحاك بن سفيان الكلابي فقال معاشر بني كلاب اتقوا الله
وانفروا الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصروا هذا الدين
الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فقال رجل من بني
كلاب وكان شيخا كبيرا وقد دخل الشام مرارا يا ضحاك
انك تدعونا الى غزو قوم لهم عز وقوة وعدد وعدد وخيول
معدة وما للعرب قوة مع قلة عددهم وجوعهم وضعفهم فقال
الضحاك

الضحاك بن سفيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتصر
بسلاح ولا بعدد ولكن نصر لاظهار دين الله الذي بعثه به وقد
شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا في ثلثماية وثلاثة عشر
رجلا فلاقى قريشا في عددها وعديدها وخيلها وسلاحها ولم تزل
رايته تعلو احتى قبض صلى الله عليه وسلم وقد قام بالامر من
بعده خليفته ابو بكر رضي الله عنه وقد رايتم اقدامه على اهل الردة
وكيف قهرهم بالسيف وقد كنتم في ذلك عنده وعند
المسلمين غير محمودين اذ لم تنصروا المسلمين كما نصرهم غيركم
فناشدتكم الله ان لا تجعلونا سبة في العرب فانه ليس في العرب
اعد منكم من الابل والخيل والعدد والسلاح واتقوا الله واجيبوا
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي فلما سمعت
بنو كلاب كلام صاحبهم انفتحت بصايرهم وسمحوا بالخروج
فاتوا الى قناة المدينة فهناك لبسوا السلاح وركبوا الخيول
ودخلوا المدينة فلقيوا الصديق وقد خرج ليوجه الناس الى
الشام فلما راهم سر بقدومهم وامرهم ان يلحقوا عسكر المسلمين
وعقد لهم راية وسلمها الى الضحاك بن سفيان وكان قد قدم
بخيل وابل فدفع ذلك الى ابي بكر ليستعين به على غزو الروم
قال ونظر ابو بكر الى خيلهم كلها شقر ففرح فرحا شديدا
وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خيل اليمن
محجلة طلقة قال ونفرت الصارخة من العرب وخرج ابنا المها جرين
والانصار وتكامل الناس بالجرف وقد عزم ابو بكر ان
ان يقدم على جيوشه امين الامة ابا عبيدة بن الجراح واراد ان يقدم
على طوالع جيوشه اميرا فعزم ان يعقد الراية لسعيد بن خالد
بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا وذلك ان سعيد بن خالد
اتى الى ابي بكر رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
انك اردت ان تعقد لابي خالد راية وتكون قايدا من قياد
جيوشك فتكلم فيه المتكلمون فعزلته حين راجع في بيعتك
وقد حبس نفسه في سبيل الله وانا قد حبست نفسي في سبيل الله
ولم ازل مجيبا لدعوتك وبيعتك فهل لك ان تقدمني على هذا الجيش

فوالله لا يراني الله عاجزا ولا وانيا عن الحرب قال وكان سعيد
بن خالد بن سعيد غلاما نجيبا في الحرب انجب من ابيه وافرس
فعقد ابو بكر له راية ودفعها اليه وامره على الفين من العرب
قال الواقدي حدثنا زايد بن ابي ياسر عن يزيد بن رومان
قال لما ان سمع ابو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلام
سعيد بن خالد وانه حرص على ان يكون اميرا كره له ذلك
واقبل على الصديق وقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عقدت هذه الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته يقول
عندما اخذ الراية على رغم الاعادي والله انك تعلم انما يريد بالقول
غيري وبالله ما تكلمت في ابيه ولا عاديته فثقل ذلك على ابي بكر
وكره ان يعزله وكره ايضا خلاف كلام عمر لعلمه بمحبته له
ونصحه ومنزلته من النبي صلى الله عليه وسلم فوثب قايما ودخل على
عايشة رضي الله عنها فاخبرها بخبر عمر وما كان من كلامه
فقالت له عايشة رضي الله عنها يا ابت لقد علمت ان عمر ينظر للدين
ويريد بقوله النصح لرب العالمين وما في قلب عمر بغضا لاحد من
المسلمين فقبل قول عايشة ودعا ابو بكر بابو اروى الدوسي
وقال امضي الى سعيد بن خالد بن سعيد وقل له ان ابا بكر يقول لك
رد علينا رايتنا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب كنت في ذلك الجيش
وقد وصل بنا سعيد بن خالد الى الجرف اذ اقبل ابو اروى الدوسي
وقال ان الصديق يقول لك اردد الينا رايتنا قال فردها وقال
والله لا قاتلن تحت راية ابي بكر الصديق حيث كانت
ابد من كانت فاني قد حبست نفسي في سبيل الله تعالى قال
الواقدي ولقد بلغني ان ابا بكر اجال فكره فيمن يقدمه لطليعة
الجيش ابو عبيدة فقدم اليه سهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي
جهل والحارث بن هشام وهم شاكين في السلاح يرومون
ان يعقد لهم الصديق فاقبل الحارث بن هشام على عمر وقال
يا ابا حفص انك كنت علينا في شركك قبل الاسلام سيفا مصلتا
واما اليوم فقد هدانا الله لدينه وما نراك الا فاعلا رحيما وان الله
وان الله امر بصلة القرابة فقال عمر انا لا نقدم الا اهل السابقة لسبقهم

فقال

فقال سهيل بن عمرو فاذا كنتم لا تقدموا الا اهل السابقة لسبقهم
فوالله لا نقصر كل نفقة انفقناها على حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لننفقن موضعها نفقتين في سبيل الله تعالى ولنقفن مكان
كل وقفة وقفناها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفتين على
اعداء الله تعالى وقال عكرمة رحمه الله تعالى يا معاشر المسلمين
اشهدكم اني قد حبست نفسي في سبيل الله تعالى انا ومن معي من
بني عمي ومالي ولا ارجع عن القتال ابدا فقال ابو بكر اللهم
بلغهم افضل ما يؤملون ثم دعا بعمرو ابن العاص بن وايل السهمي
فسلم الراية اليه وقال لقد وليتك على هذا الجيش يعني اهل مكة
وثقيف والطايف وهوازن وبني كلاب وحضرموت فانصرف
الى ارض فلسطين وقال لابي عبيدة انجده ان اراداك ولا تقطع امرا
الا بمشورته امضي بارك الله فيك وفيهم فاقبل عمرو بن العاص على عمر
بن الخطاب وقال يا ابا حفص انت تعلم شدتي على العدو وصبري
في الحرب فلو كلمت الخليفة ان يجعلني اميرا على ابي عبيدة وقد
رايت منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واني ارجوا
ان يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الاعادي فقال عمر ما كنت
بالذي اكلمه في ذلك وما يسرني ان تكون على ابي عبيدة اميرا
وابو عبيدة عندنا افضل منك واقدم سابقة والنبي صلى الله
عليه وسلم قال فيه امين هذه الامة فقال عمرو وما
ينقص من فضل ابي عبيدة اذا كنت واليا عليه فقال عمر رضي
الله عنه ويحك يا عمرو انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة
في الدنيا والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الاخرة ووجه الله
تعالى فقال عمرو ان الامر على ما ذكرت ثم امر الناس بالرحيل
ثم امر الناس بالرحيل تحت رايته فسار وتقدم من اهل مكة
وتبعتها كلاب وطي والاضاحي وهوازن وثقيف وتخلف
المهاجرون والانصار ليسيروا مع ابي عبيدة وقدم عمرو بن
العاص على مقدمته سعيد بن خالد بن سعيد قال ابو الدرداء
كنت مع عمرو في جيشه فسمعت ابا بكر يوصيه ويقول
اتق الله في سر امرك وعلانيته فانه يرى عملك وقد رايت

تقدمتني لك على من هو اقدم منك سابقة واعظم حرمة فكن
من عمال الاخرة وارفق في سيرهم وتعاهدهم بنفسك
فان فيهم اهل ضعف وانت تسير الى موضع بعيد والله ناصر
دينه ليظهره على الدين كله واذا سرت بجيشك هذا فلا
تسر به في الطريق الذي سار فيه يزيد وربيعة وشرحبيل
اسلك طريق ايلة حتى تنتهي الى فلسطين ان شا الله تعالى
وابعث اعوانك ياتوك باخبار ابي عبيدة فان كان يريد نصرة
فجهز اليه جيشا في اثر جيش وقدم سهيل بن عمرو وعكرمة
بن ابي جهل والحارث بن هشام وسعيد بن خالد واياك ان
تكون وانيا لما ندبتك اليه واياك والوهن وان تقول رماني
ابو بكر بن ابي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي بهم فما رايت يوم
حنين وما نصرنا الله عليهم واعلم يا عمرو ان معك المهاجرين
والانصار من اهل بدر فاكرمهم واعرف لهم حقهم ولا تتطاول
عليهم بسلطانك ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول انما ولاني
ابو بكر لاني خير منكم واياك وخدايع النفس وكن كاحد
وشاورهم فيما تريد من امرك والصلاة اذن لها اذا دخل وقتها
ولا تصل صلاة الا باذان يسمعه اهل عسكرك ثم ابرز وصلي
فيمن يرغب في الصلاة معك فذلك افضل لهم ومن صلاها في رحله
اجزاته صلاته وكن انت المتولي الكلام واحذر من عدوك
وامر اصحابك بالحرس بالنوبة ثم لتكن بعد ذلك متطلعا
عليهم متعاهدا اهلهم واطل الجلوس بالليل في اصحابك واذا عاقبت
فلا تلج في العقوبة ولا تهملهم فيتجروا عليك ولا تضربن صوتا
وانت تجد السبيل الى تركه فانك لا تامن من رجل يلحق بالعدو
فيكون عليك عونا ولا تكشف استار الناس واذا وعظت
اصحابك فاوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فانما الامام
ينفرد الى الله بفعله وبعمله في رعيته واني قد وليتك على من
قد مررت به من العرب واجعل كل قبيلة على جهتها ومنزلتها
وكن لهم كالوالد الرفيق وتعاهد عسكرك في مسيرك
بين يديك طلايع يكونوا امامك وخلف على الناس خلفا ترضاه

واذا لاقيت عدوك فاصبر ولا تتاخر فيكون ذلك منك عجزا
والزم اصحابك قراة القران وامنعهم من ذكر الجاهلية وما
كان منها فان ذلك مما يورث العداوة بينهم واعرض عن زهرة
الدنيا حتى تلقا من مضى من سلفك الخمص البطون وكونوا
من الايمة الممدوحة في القران اذ يقول الله عز وجل وجعلنا
ايمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة
وايتا الزكاة وكانوا لنا عابدين قال ابو الدردا رضي الله عنه
وكان ابو بكر رضي الله عنه وعمر وخاصة يوصي عمرو ابو عبيدة
خاصة ثم قال سيروا على بركة الله وعونه واوصيكم بتقوى الله
اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله فان الله ناصر من نصره فسار
المسلمون مع عمرو في تسعة الاف ممن ذكرنا يريدون ارض
فلسطين فلما ابعد بيوم عقد العقود والرايات لابي عبيدة بن الجراح
وامره على جميع عساكر المسلمين وامره ان يقصد بمن معه
ارض الجابية وقال يا امين الامة قد سمعت ما وصيت به عمرو
وودع المسلمون وساروا فلما عاد ابو بكر رضي الله عنه من
من وداع ابو عبيدة والمسلمين دعا خالد بن الوليد وعقد له
راية النبي العقاب وكانت راية سودا وامره على لخم وجذام
وضم اليه جيش الزحف وهم الف وخمسماية فارس ما منهم الا
من شهد الوقايع وخاض للمعامع بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال يا ابا سليمان قد امرتك على هذا الجيش فاقصد
بهم ارض بابل وفارس وارجوا الله ان ينصرك ويفتح على يديك
ثم ودعه وودع من معه وسار خالد بمن معه يطلب العراق
قال حدثنا رويم بن عامر عن سعد بن عاصم عن عبد الرحمن
بن يسار عن الواقص بن سيف مولى ربيعة بن قيس البشكري
قال كنت في الجيش الذي وجهه ابو بكر الصديق رضي الله عنه
مع عمرو بن العاص الى ايلة وارض فلسطين وكان صاحب راية
سعيد بن خالد بن سعيد فرايته وقد هز الراية وهو ينشد ويقول

وعباد الصليب وشرحبيل ۝ سامنحهم جلادا من حسامي ۝
ونطعن بالمقومة العوالي ۝ ولا نخشى البوايق في الزحام ۝

ما أملي سوى جنات ربي ۝ لعلي أن أفوز يوم المقام
قال حدثنا مازن بن عمرو وقال حدثنا مالك بن جندب
عن ثقات ممن رووا فتوح الشام أن الذي أنشد هذه الأبيات
بعينها شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنشدها يوم وجهه أبو بكر في أثر يزيد بن أبي سفيان وربيعة
بن عامر قال الواقدي ولما بعث الصديق رضي الله عنه جيوش
المسلمين مع أمرائهم إلى الشام والعراق ورجع إلى المدينة
وهو يدعو لهم بالنصر وأخذه القلق على المسلمين حتى عرف ذلك
في وجهه فقال له عثمان رضي الله عنه ما هذا الغم الذي نزل بك
قال أبو بكر اغتممت على جيوش الموحدين وأنا أرجو أن الله ينصرهم
على عدوهم ولا يلحق بن أبي قحافة غم بسببهم قال له عثمان
والله ما خرج جيش سررت به مثل هذه الجيوش التي قد سارت إلى
وذلك بما أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس لقوله خلاف
قال أبو بكر والله لقد أعلم أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حق ليس فيه خلاف وإنما سنظهر على الروم وفارس ولا
كنا لا ندري متى يكون ذلك في هذا البعث أو في غيره
قال عثمان أما هذا فلا أدري ولكن أحسن الظن بالله
قال فبات الصديق رضي الله عنه فرأى في منامه رؤيا فانتبه
أبو بكر فرحانا بما رأى فلما صلى بالمسلمين حدثهم بما رأى
فقال عثمان إنها تدل على فتح إلا أنه يوشك أن يلقا عمرو
ومن معه من قتال الروم مشقة شديدة ثم تخلص منها
قال الواقدي وكانت الساقطة تنزل بالمدينة في الجاهلية
والإسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والزبيب والخرنوب
وما يكون في الشام من الخيرات فقدمت بعض الساقطة
إلى المدينة وأبو بكر يستنفر العرب وينفذ الجيوش وسمعوا
كلام أبو بكر لعمرو بن العاص عليك بأيلة وفلسطين
فساروا بالخبر إلى هرقل وبمن قتل من الروم بتبوك فلما
سمع ذلك جمع أرباب دولته وبطارقته وأساقفته وأعلمهم
بالحديث الذي وصل إليه وقال يا بني الأصفر هذا الذي كنت

قد حدثتكم به قديما وأن أصحاب هذا النبي لا بد لهم ما
يملكوا ما تحت سريري هذا وقد قرب الوقت وأن أصحابكم
قد قتلوا على أرض تبوك وأن خليفة محمد قد نفذ إليكم الجيوش
وكأنكم بهم وقد أتوكم يأخذ واحدكم وقاتلوا عن
دينكم وشرعكم وأهلكم وملككم فإن تهاونتم ملكت
العرب بلادكم وحصونكم وأموالكم فبكا القوم على من
فقد من أصحابهم فقال لهم الملك دعوا البكا فإنه ما يصلح إلا للنساء
واجتمعوا فقال وزيره أيها الملك قد اشتهينا أن تدعو لنا
بمن قدم بهذا الخبر عليك فأمر الملك لبعض حجابه أن يأتي برجل
من لخم فأحضره فقال له الملك كم عهدك من يثرب
قال خمس وعشرين ليلة قال فمن المتولي عليهم قال رجل
يقال له أبو بكر وقد وجه جيوشه إلى بلدك وقد رأيت قوما
مجدين مشمرين قال فهل رأيت أبا بكر قال نعم وابتاع مني
شملة بأربعة دراهم وألقاها على كتفه ورأيته كأحدهم
يمشي في ثوبين يطوف الأسواق ويأخذ حق الضعيف من القوي
والغني والفقير عنده سوا قال هرقل صفه لي قال هو رجل
طويل آدم خفيف العارضين حسن الثنية فضحك هرقل
ثم قال هو صاحب أحمد الذي نجده في كتبنا أنه يقوم من بعده
بهذا الأمر ونجد أن بعد هذا الرجل رجل آخر كالأسد
الوثاب يكون على يديه الدمدمة والجلا قال فشهق المتنصر
من قول هرقل وقال إن هذا الرجل الذي وصفته يمشي معه
لا يفارقه فقال هرقل صح الأمر وقد دعوت الروم إلى الرشد
والفلاح فأبوا أن يطيعوني وأن الروم سوف تخرج من سورية
ثم عقد صليبا من الذهب وسلمه إلى قائد جيوشه روبيس
وقال قد وليتك على جيوشي فسر وامنع العرب من
فلسطين فإنها بلاد مباركة كثيرة الخصب وهي تاجنا وعزنا
قال الواقدي فتسلم روبيس الصليب وسار إلى أن أتى
فلسطين واتبعه الروم قال الواقدي ولقد بلغني أن عمرو بن
العاص بن وائل السهمي سار إلى أيلة حتى ورد إلى أرض فلسطين

هو ومن معه فقدموا وقد عجف ركابهم فوقعوا في بلد طيب ونبات
وزرع فرعت خيلهم فيه فذهب عجفها فلما نزل فلسطين جمع
المهاجرين والانصار اليه وشاورهم في امره فبينما هم في التشاور
معه اذ اقبل عامر بن عدي وكان من خيار المسلمين وكان
كثيرا ما يغشوا عشيرته بارض الشام وبلاد الروم
وقد عرف بلادهم ومارسها وعرف مسالكهم وكان قد
اقبل من عند عشيرته فلما اشرف على المسلمين اداروا به
واوقفوه بين يدي عمرو وقد ازبد وجهه فقال له ما وراك
يا عامر قال عساكر الروم وجنودها تجر الشوك والشجر
على جياد الخيل فقال له عمرو ملأت قلوب المسلمين رعبا
وانا نستعين بالله عليهم فكم هم قال علوت
على شرف جبل فرايت الصلبان والرماح والاعلام ما قد ملا
الوادي الاحمر وهو اعظم واد بارض فلسطين وهم زيادة على
مائة الف فارس فلما سمع عمرو ذلك قال استعنا بالله عليهم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم اقبل عمرو بن العاص
وقال ايها الناس اني واياكم في هذا الامر بالسوا فاستعينوا
على اعداء الله بالله وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل منا
كانت له الشهادة ومن بقي منا عاش سعيدا قال فتكلم
كل رجل منهم بما حضر عنده من الراي فقالت طايفة وهي
البادية من العرب وكان عمرو قد استنفرهم في طريقه
ايها الامير ارجع بنا الى البرية حتى نكون في بطن البيدا
فانهم لا قدرة لهم على فراق القرايا والحصون فاذا اتاهم
الخبر انا توسطنا البرية يتفرق جمعهم فحينئذ نعطف
عليهم على غفلة فنقتلهم ان شاء الله تعالى قال سهيل بن
عمرو ان هذه مشورة رجل عاجز وقالوا رجالا من المهاجرين
والانصار والانصار ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر
وامركم بالصبر وما وعد الله الصابرين الا خيرا وقد
قال جل وعلا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ونحن في

العدو وقد سار يريد قتالنا فقال سهيل بن عمرو اما انا والله لا رجعت
عن قتال من كفر بالله فمن شا فليبق ومن شا فليرجع ومن نكص
على عقبيه فان الله من ورايه بالمرصاد فلما سمع عمرو كلام المسلمين
وكلام عبد الله بن عمر فرح وقال احسنت يا ابن الفاروق
وكذلك قد عرفت ما في نفسي ولقد رايت ان اقدمك في رجال
من المسلمين تكونوا لنا طلايع تعرفونا خبر هذا الجيوش
المقبلة وننظر هل نجد الى حربهم من سبيل قال عبد الله بن
عمر افعل ما تريد فاني ما احل بنفسي ان ابتذلها في طاعة الله
عز وجل فعقد له راية وضم اليه الف فارس من الصحابة
وغيرهم وفيهم رجال من بني كلاب واهل الطايف من ثقيف
وامره بالمسير فسار عبد الله بن عمر وجعل يجد في السير
بقية يومه الى الصباح واذا بغبرة قد لاحت لهم فقال عبد الله
بن عمر لاصحابه هذه غبرة عسكر واظنها طليعة الروم ثم
وقف ووقف الناس امامه قال قوم من البادية اتركنا نرى
ما هذه الغبرة فقال لا يفترق بعضكم من بعض حتى نرى ما هي
فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت من المسلمين فاذا هي عشرة
الاف فارس من الروم قال الواقدي لم يذكر لنا اسم مقدم العشرة
الاف المذكورة فاتوا ليكشفوا اخبار اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم
ولا بد لهم منكم والله ينصركم عليهم واعلموا ان الجنة تحت
ظلال السيوف فاعلن القوم بقول لا اله الا الله وحده لا شريك له
محمد عبده ورسوله فلما جهروا بها اجابهم الشجر والمدر
وحملوا فكان اول من حمل عكرمة بن ابي جهل واتبعه سهيل
بن عمرو وحمل الضحاك بن سفيان وصاح برجاله من بني كلاب
وحمل عبد الله بن عمر بالراية واتبعه المهاجرون والانصار
والتقى الجمعين وعمل السيف في الفريقين قال عبد الله بن
عمر فبينما انا في الزحفة اذ نظرت الى فارس عظيم الخلقة
وهو كالحاير الذليل وهو يركض جواده مرة يمنة ومرة يسرة
فقلت ان يكن للجيش عميد فهذا عميد الجيش وصاحب الطلايع

وقد فرغ من الحرب قال بن عمر وهو كالجبل من عظم خلقته
فحملت عليه ومددت قناتي اليه فنفر فرسه من الرمح قال عبد الله
فرميت قناتي واعتمدت على سيفي ثم عطفت عليه بضربة هايلة
فوالله لقد خيل الي اني ضربت بسيفي حجرا وسمعت طنين السيف
حتى خشيت على سيفي ان يكون قد انفصل واذا هو على حالته
ونظرت الى عدو الله واذا به مذبوحا من شدة الضربة والسيف
لم يعمل في لامته شيئا فثنيته باخرى على عاتقه اذا به صريعا
فلما راى المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الجزع وصدقهم
المسلمون الضرب والقتال فلله در الضحاك بن سفيان
والحارث بن هشام فما كان الا قليلا حتى منح المسلمين اكتاف
المشركين وانقلبوا على اعقابهم هاربين وقد قتل المسلمون
منهم قتلا واسروا اسرى واجتمع المسلمون بعضهم الى بعض
وجمعوا الاموال والغنايم وقال بعضهم لبعض ما فعل الله
بعبد الله بن عمر فقال قايل قتل وقال اخر اسر وقال
اخرون ما كان الله ليضيع بعبد الله بن عمر الا خيرا
لحسن زهده وعبادته وقال اخرون من القوم ان كنا
اصبنا بابن عمر فما سوى هذا الفتح شعرة من راسه قال عبد الله
وانا مع ذلك اسمع كلامهم خلف رابية قال ما علنت بالتهليل
والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما
نظر المسلمون الى الراية انعطفوا علي وقالوا اين كنت ايها
الامير فقلت اني شغلت بقتال صاحبهم فقالوا افلح وجهك
فهذا والله فتح رزقنا الله ببركتك فقال وبوجوهكم
قال وساقوا الاموال والخيل والشهاري والاسلاب وسماية
اسير وقتل من المسلمين سبعة نفر وهم سراقة بن عدي
ونوفل بن عامر وسعيد بن قيس وسالم مولى عامر بن بدر
اليربوعي وعبد الله بن خويلد المازني وجابر بن راشد
بن عمر الحضرمي واوس بن سلمة الهوازني فواراهم المسلمون
بعد ان صلى عليهم عبد الله بن عمر وانعطفوا الى عمرو بن العاص
وحدثوه بما كان ففرح وشكر الله على نعمه ونصره

واستدعا بالاسارى واستنطق من كان يفهم بالعربية فلم يكن فيهم
من يفهم الا ثلاثة نفر من انباط الشام فسالهم عن خبرهم وجنود
صاحبهم فقالوا يا معاشر العرب ان هذا روبيس قد اقبل في مايتالف
وقد امره الملك الابلج احدا من العرب يصل الى ايلة وانه قد بعث
هذا البطريق طليعة له وقد قتل وكانكم به قد اتا اليكم فيقتلكم
عن اخركم لانه ليس في اصحاب الملك بطريق يعرف قتال العرب
مثله فقال عمرو يوشك ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم اعرض
عليهم الاسلام فما اسلم منهم احد فقال عمرو للمسلمين كانكم
بصاحبهم قد اتا اليكم وهو لاتركهم بلا علينا ثم امر بضرب
اعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا فاني اظن القوم اليكم ساير بن
ونرجوا من الله الظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم فما عودنا الا الحسن الجميل
قال ابو الدرداء وبتنا في مكاننا فلما اصبح الصبح رحلنا فما بعدنا
غير بعيد حتى اشرفت علينا تسعة صلبان تحت كل صليب
عشرة الاف فلما اشرف الجيش على الجيش اقبل روبيس كالفحل
يرتب اصحابه يعبيهم تعبية الحرب واقبل عمرو ايضا يرتب اصحابه
جعل في الميمنة الضحاك بن سفيان وفي الميسرة سعيد بن خالد
بن سعيد واقام على الساقة ابو الدرداء وثبت في القلب عمرو
ومن معه من اهل مكة من المهاجرين والانصار وامر الناس
بالقراة وقال لهم اعلموا ان الله تعالى يريد ان يبلوا اخباركم
فاصبروا على بلاء الله وارغبوا في ثواب الله وجنته ونظر روبيس
بطريق الروم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو ولا يخرج عنان
عن عنان ولا ركاب عن ركاب كانهم بنيان مرصوص
وهم يقرون القران والنور يلمع من نواصي خيلهم فشم منهم
رايحة النصر وتبين له من نفسه الجزع وعلم ان كل من معه
كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين فانكسرت حميته
قال ابو الدرداء وكان اول من برز من جيشنا سعيد بن
خالد بن سعيد بن اخو عمرو بن العاص فلما برز نادا بارفع
صوته ابرزوا يا اهل الشك والشرك وحمل ميمنة وميسرة
وقتل رجالا وجندل ابطالا ثم حمل فيهم فشوش الصفوف فهم

وزعزع جيشهم فحملوا عليه فقتلوه قال فحزن المسلمون على قتله
حزنا شديدا وكان اكثرهم حزنا عمه عمرو بن العاص
فقال مضى ابن اخي واسعيداه لقد اشترى نفسه من الله تعالى
ثم قال يا فتيان العرب من يحمل معي هذه الحملة حتى ننظر ما
يكون من امرنا وانظر حال سعيد قال فاسرع بالاجابة
الضحاك بن ابي سفيان وذو الكلاع الحميري وعكرمة
بن ابي جهل والحارث بن هشام ومعاذ بن جبل وابو الدردا
وعبد الله بن عمر والاصيد بن دارم ونوفل بن دارم وسيف
بن عباد الحضرمي من بني النجار وسالم بن رويم من حضرموت
والاصهب بن شداد الهوازني واوس بن الصامت احد بني مدركة
والمهاجرين من اصحاب بدر وعمرو بن جندب وسعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل فحملوا كردوسا قال عبد الله بن عمر
وحملت مع القوم وكنا سبعون رجلا حتى دنونا من القوم
وحملنا فيهم وهم لا يفكرون في حملتنا لانهم جبال حديد
فلما رايناهم صاح بعضنا ببعض نحو دواب هولا الكفار
فما لكم غير ذلك فنخسنا دوابهم بالاسنة فانتكسوا وكبابهم
تفرقت بعضهم من بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وضيقنا
عليهم وحمل المسلمون باجمعهم وكنا كالشامة في البعير
فكان شعار المسلمين يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله
يا رب انصر امة محمد قال ابو الدردا فلقد اشغلنا بالحرب
عن مناشدة الاشعار فلقد كان اصحابنا احدهم يضرب فلا
يدري يضرب اخاه او عدوه من كثرة القتام وظهر
المشركون على المسلمين وثبت لهم المسلمون في قتالهم
وفوضوا امرهم الى الله تعالى وما كان احد في المسلمين يضرب
الا وضميره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرها على من يتخذ معك
شريكا قال عبد الله بن عمر فلم يزل الحرب بيننا الى ان حان
وقت الزوال وهبت الرياح والناس في القتام اذ نظرت الى السما
وانا ادعو بدعاء علمني اياه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
نظرت الى السما وانا انظر اليها واذا قد خرجت خيول شهب

تحمل

تحمل رايات خضر واسنتها تلمع بريقا ومنادي النصر ينادي
ابشروا يا امة محمد فقد اتاكم النصر من عند الله تعالى
قال بن عمر فناديت نصرت الامة بدعا نبيها ورب الكعبة
فما غير بعيد اذ نظرت الى الروم منهزمة على اعقابها والمسلمين
في اثارهم لان دواب العرب اسبق من دواب الروم فقتلنا
في وقعة فلسطين ووادي الاحمر بالقرب من الجو لان
عشرة الاف وقتل روبيس ولم يزل المسلمون في اثارهم
الى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق بالمسلمين
لاشتغالهم من ورا عدوهم قال عمرو بن غياث فنظرت ت
الى عمرو بن العاص والراية بيده وقد اتكا القناة على عاتقه
وهو يفرق كتايبه وهو يقول من يرد الناس الى رد الله ضالته
اذ نظرت الى العرب وقد عطفت راجعة اليه كرجوع الام الى
اولادها فاستقبلهم عمرو وهو يقول بابي هذه الوجوه البيض
التي تعبت في رضا الله تعالى اما كان لكم كفاية فيما خولكم
الله تعالى حتى اتبعتم القوم فقالوا ما اردنا الغنيمة بل
القتل والجهاد فلما رجعوا المسلمون لم يكن لهم همة
الا افتقاد بعضهم بعضا فافتقد من المسلمين ثلاثون وماية رجل
منهم سيف بن عباد الحضرمي ونوفل بن دارم بن رويم والاصهب
بن شداد والباقي من اليمن وبوادي المدينة قال واغتم
عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه وقال يريد الله بهم امرا
وانت يا عمرو تهتم لذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما
امره ابو بكر فصلى ما فاته كل صلاة باذان واقامة
قال بن عمر ان كان صلى خلفه الا اليسير بل صلى الناس
في رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنايم الا القليل
وبات الناس فلما اصبح اذن عمرو وصلى بهم وامر الناس
بجمع الغنايم وان يخرجوا اخوانهم من الروم فجعلوا يلتقطونهم
لقطا فاخرجوا ماية وثلاثين رجلا وطلبوا سعيد في القتلى
فلم يجدوه بعد حتى قام عمرو فوجده قد داسته الخيل
حتى رضرض عظمه وهشم وجهه فلما نظر الى ما نزل به

بكاء شديدا وقال واسعيداه لقد نصحت لدين الله وأديت
النصيحة ثم جعله في جملة المسلمين ثم صلى عليهم وجماعة
المسلمين ثم أمر بدفنهم قبل أن يمس شيئا من الغنائم
فلما وارى المسلمين القتلى عمد عند ذلك إلى الغنائم فضمها
إليه وكتب إلى أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح كتابا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص إلى أمين الأمة
أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه وإني
نزلت إلى أرض فلسطين فلقينا عسكر الروم مع بطريق
يقال له روبيس في مائة ألف فمن الله علينا بالنصر وقتل من
الروم أحدى عشر ألفا وفتح الله فلسطين على يدي بعد
أن قتل من المسلمين مائة وثلثون رجلا أكرمهم الله بالشهادة دره
وأنا مقيم بأرض فلسطين فإن احتجت إلي سرت إليك والسلام
عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته
ودفع الكتاب إلى أبي عامر الدوسي وأمره بالمسير إلى أبي عبيدة
وهو نازل بأول الشام وما يقدم على الدخول إليها غيرانه
فرق أمرا كما أمره الصديق فلما أشرف قال ما وراءك
يا أبا عامر قال خير هذا الكتاب من عمرو بن العاص
إليك يخبرك بما فتح الله على يده ثم سلمه إليه فلما قرأه خر
ساجدا لله تعالى حيث ظفر المسلمين ثم قال قتل من المسلمين
والله رجالا أخيارا فيهم سعيد قال أبو عامر وكان خالد
والده حاضر فلما سمع أن ولده قتل جمع نفسه وصرخ صرخة
عظيمة وقال واولداه حتى أبكى المسلمين ثم أسرع
إلى فرسه فركبه وعزم على المسير إلى أرض فلسطين لينظر
إلى قبر ولده فقال له أبو عبيدة إلى أين يا خالد وأنت ركن
من المسلمين كيف تسير وتدعهم قال أريد أنظر قبر
ولدي وأرجو الله أن ألحق به قال فسكت عنه وكتب
إلى عمرو جواب كتابه بسم الله الرحمن الرحيم إنما
أنت مأمون فإن كان أبو بكر أمرك أن تكون معنا
فسر معنا وإن كان أمرك بالثبات في موضعك فاثبت

والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته
ثم طوى الكتاب وسلمه إلى خالد بن سعيد وسار مع أبي عامر الدوسي
إلى أن أتيا إلى جيش عمرو بن العاص فسلم خالد بن سعيد إليه الكتاب
وهو يبكي فوثب إليه عمرو وصافح أخاه ورفع منزلة وعزاه
في ولده وعزاه المسلمون فقال خالد أيها الناس أروني سعيد
بجحفه وسيفه من الكفار قالوا نعم قاتل وما قصر وجاهد
عن الدين ونصر فقال خالد أروني قبره فأروه إياه فقال
يا ولدي رزقني الله الصبر عليك وألحقني بك إنا لله وإنا إليه راجعون
والله لئن أمكنني الله لآخذن ثارك يا بني عند الله أحتسبك
ثم قال لعمرو إني أريد أن أسري في سرية في طلب القوم
لعلي آخذ منهم فرصة أو غنيمة أو رجالا أقتلهم فأكون
قد أخذت ثاري قال له عمرو إن الحرب أمامك يا ابن أم
فإذا لقيت الروم فلا تبقي عليهم قال خالد والله لأسيرن إليهم
ولو لم يكن لي مساعد ثم أخذ خالد أهبته للمسير وعزم
أن يسير وحده فركب معه ثلاث مائة فارس من فتيان حمير
واستأذنوا عمرو في المسير معه فأذن لهم فساروا وأبو مهم ذلك
جميعه ثم أرادوا النزول في بعض الأودية يعلقوا على دوابهم
إذ نظر خالد إلى أشباح على جبل هنالك عالي فقال خالد لأصحابه
إني أرى أشباحا على ذروة هذا الجبل وأظن أنهم عيون للمشركين
فقال بعض أصحابه فكيف لنا إلى الوصول إليهم فقال خالد كونوا
مكانكم ثم نزل عن فرسه وتقلد بسيفه وحجفته والتحف
بإزاره وقال اعلموا أن القوم ما نظروا إلينا ولو كانوا نظروا إلينا
ما ثبتوا في موضعهم فمن كان منكم يبذل بنفسه فليصنع كما
صنعت فابتدر إليه عشر رجال وصنعوا كما صنع وصعدوا
الجبل حتى أشرفوا على القوم فعند ذلك صاح خالد بأصحابه
فأسرعوا إليه فقتلوا منهم اثنين وأسروا أربعة فاستنطقهم
خالد فإذا هم من نبط الشام فسألهم عن حالهم فقالوا
نحن من أهل دير القفيع والجامعة وكفر الغريرة وقد عظمت
علينا المصيبة بدخول العرب إلى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا شديدا

وقد هرب اكثرنا الى الحصون وقد جينا الى هذا الجبل لانه ليس في الجبال ل
اعلا منه فعلونا عليه نتشرف الاخبار حتى اخذتمونا قال لهم
خالد فاين بلغكم ان جيش الروم قالوا باجنادين وهذا بطريق يق
قد اقبل الينا لياخذ الميرة والعلوفة وقد جمعوا الدواب والبغال
والحمير لحمل الميرة وهم مع ذلك خايفون وجلون ان تلحقهم
خيل العرب فلما سمع خالد ذلك من قولهم قال غنيمة ورب
الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم فاستجاب الله دعاه في الغنيمة
ثم سالهم عن الطريق قالوا الطريق الذي انت عليه اوسع الطرق
كلها واما الميرة فانها مجموعة من حول التل العظيم وهو التل
المعروف بتل بني سيف فلما سمع خالد ذلك قال لهم ما تقولون
في ديننا قالوا ما نعرف الا دين الصليب ونحن انباط يعنون فلاحين
وما لكم في قتلنا فايدة قال فهم خالد بتركهم فقال له بعض اصحابه
دعوهم يدلونا على ميرة القوم فاجابهم الى ذلك وسيرهم امامه
الى ان توسطوا الطريق ثم بعث الى اصحابه الذين في الوادي فجاوا
وجعلوا يجدون في السير والانباط امامهم يدلونهم الى التل الاعظم
فوافوا الروم وهم يحملون دوابهم وحول التل ستماية لابس من
القوم فلما نظرهم خالد لاصحابه اعلموا ان الله سبحانه وتعالى قد وعدكم
بالنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو بازايكم
فارغبوا في ثواب الله واسمعوا ما قال في كتابه العزيز ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وها
انا احمل فاحملوا ولا يخرج احدكم عن صاحبه ثم ان خالد بن
سعيد حمل وكبر وحمل اصحابه الحميريون قال حذافة بن
سعيد الثقفي وكنت في جملة اصحاب خالد بن سعيد فلما
راونا خيل الروم استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب
من الفلاحين والغلمان وصبرت الخيل لقتالنا ساعة من نهار
فبينما ذو الكلاع الحميري ينخي قومه ويقول يا آل حمير ٥
ابواب السماء قد فتحت والجنة لكم قد زخرفت والحور قد اشرفت
واذا بصاحب الكتيبة قد لقيه خالد بن سعيد فعرفه بلامته
وحشمة ركوبه وهو يحرض قومه قال وكان من الفراعنة ولم

يعلم ما اسمه فاستقبله خالد بن سعيد وزعق في وجهه زعقة
ارعبه بها وقال وا ثارات سعيد ثم طعن طاغية القوم فانجدل
كانه برج حديد وما بقي احد من اصحابه الا جندل فارسا
من القوم قال حذافة بن سعيد فقتلنا من القوم ثلثماية
وعشرين فارسا وولوا البقية منهزمين وتركوا الاثقال
والبغال فاحتوينا على الكل بعون الله تعالى ووفى خالد بن
سعيد لاولئك الفلاحين بوعده وخلى سبيلهم وعاد خالد بن
سعيد بالغنايم الى عمرو بن العاص ففرح بسلامة المسلمين
وغنيمتهم وكتب كتابا الى ابي عبيدة يخبره بما كان من
نصر الله لهم وكتب كتابا اخر الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه
بكل ما جرى لهم مع الروم وبعث الكتاب مع ابو عامر الدوسي
فاخذ الكتاب وتقدم به الى الصديق فلما قراه على المسلمين
فرحوا وصحوا بالتهليل والتكبير ثم استخبر ابو بكر الصديق
عن ابي عبيدة فقال ابا عامر الدوسي انه قد اشرف على اوايل
الشام ولم يجسر على الدخول اليها لانه سمع ان جنود الملك
قد اجتمعت في اجنادين في امم لا تحصا وقد جزع على المسلمين
ان يتوسط بهم عدوهم فلما سمع بذلك ابو بكر الصديق رضي الله
عنه قال ان ابا عبيدة لين العريكة ولا يصلح لقتال الروم وعول
ان يكتب لخالد بن الوليد المخزومي يوليه على جيوش المسلمين
وقتال الروم فاستشار في ذلك الصحابة فقالوا الراي ما ترى
بن فكتب الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عتيق
ابي قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك فاني احمد الله الذي
لا اله هو واصلي على نبيه واني قد وليتك على جيوش المسلمين التام
وامرتك بقتال الروم فسارع الى مرضات الله وقتال اعداء
الله وكن ممن يجاهد في سبيل الله ثم كتب يا ايها الذين امنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الايتين وقد
جعلتك اميرا على ابي عبيدة وامرتك بقتال الروم والسلام
وبعث الكتاب مع نجم بن مفرج الكناني فركب مطيته
وتوجه الى العراق فوافا خالد وقد اشرف على فتح القادسية

فناوله الكتاب فلما قراه وعلم معناه قال السمع والطاعة لله ولخليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل عن القادسية ليلا واخذ طريقه
على عين التمر وكتب كتابا الى ابي عبيدة يعزله ويخبره بمسيره
الى الشام وقد ولاني ابو بكر على جيوش المسلمين فلا تبرح من
مقامك حتى اقدم عليك والسلام وبعث الكتاب مع عامر
الطفيلي وهو احد ابطال المسلمين فاخذه عامر وتوجه الى الشام
وان خالد لما وصل الى ارض السماوة قال ايها الناس ان هذه الارض
لا تدخلها الابال روايا والماء الكثير لانها قليلة الما ونحن في جيش
وكيف يكون الامر فقال رافع بن عميرة الطائي ايها الامير
انا اشير عليك ما تصنع قال يا رافع افعل وفقك الله وارشدك
فاخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة ايام ثم اوردها الما
فلما رويت حزم افواهها ثم ركبوا المطايا واجنبوا الخيل وساروا
فكانوا كلما نزلوا منزلا نحروا عشرة من الابل ثم يشقون بطونها
وياخذون ما يجدون من الما فيجعلوه في الحواض من الادم واذا
برد سقوه للخيل واكلوا اللحم ولم يزالوا كذلك حتى تمت
الابل ونفد لما وقطعوا مرحلتين دون ما واشرف خالد ومن
معه على الهلاك فقال خالد لرافع بن عميرة الطائي يا رافع قد
اشرفنا على الهلاك اتعرف لنا ما ننزل عليه قال الواقدي
وكان رافع قد رمدت عيناه فقال ايها الامير اذا اشرفتم
على كذا او كذا فاعلموني قال فجد الناس في السير وقد انقطع
اكثرهم حتى اشرفوا على قراكر وكذلك فاعلموا رافع بذلك
فرفع طرف عمته من على عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا
وشمالا والناس حوله الى ان قصد شجرة من الاراك فلما
قصدها كبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا ها هنا لحفروا
العرب واذا بالماء قد طلع على الارض كالبحر فنزل الناس عليه
وشكروا الله واثنوا عليه واثنوا على رافع خيرا ثم وردوا الما
وسقوا ابلهم وخيلهم ثم جدوا في طلب من المسلمين ومعهم
السطايح والقرب فسقوهم وارتجعت قوة الناس اليهم ثم لحقوا
بالجيش واراحوا واستراحوا ثم جدوا في سيرهم الى ان بقي بينهم

وبين اركة مرحلة واحدة فبينما هم كذلك اذ اشرفوا على
حلة عامرة واغنام وابل قد سدت المستوى فتسارع المسلمون
الى الراعي يستخبرونه ممن القوم واذا هم بالراعي يشرب الخمر
والى رجل من المسلمين مشدود بالقد فاذا هو عامر بن الطفيل جانبه
فتسارع القوم الى خالد وحدثوه بذلك فاسرع قبل اليه خالد مسرعا
حتى وقف عليه فلما راه تبسم وقال كيف كان سبب اسرك
قال عامر ايها الامير اني اشرفت على هذا الراعي وقد اصابني
الحر والعطش فملت الى هذا الراعي ليسقيني من اللبن فوجد
يشرب الخمر فقلت يا عدو الله اتشرب الخمر وهي محرمة
فقال لي يا مولاي انها ليست بخمر وانما هو ما فانزل كي تراه
واستنشق رايحته فان كانت خمرة فاصنع بي ما شئت
قال عامر فلما سمعت كلامه انخت المطية ونزلت من
كورها وجثوت على ركبتي لاستنشق ما في الجفنة
فاذا بهذا العبد قد عاجلني بعصاة كانت الى جانبه وعلاني
بها على راسي فشجني شجة موضحة فانقلبت على جانبي
فاسرع العبد الي وشدني كتافا واوثقني رباطا فلما
فقت قال لي اظنك من اصحاب محمد بن عبد الله ولست
ادعك من يدي او يقدم سيدي من عند الملك فقلت
ومن سيدك من العرب قال القداح بن وائلة ولي عنده
اياما كلما شرب احضرني كما ترى ويلقي على فضلة
كاسه فلما سمع خالد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضب
ومال على العبد وضربه بالسيف على هامته فانجدل صريعا
ونهب المسلمون الابل والغنم وقلعوا الحلة بما فيها واطلق
عامر بن الطفيل فقال له خالد واين رسالتي قال في طرف
عمتي لم يعلم بها هذا العبد فقال خالد انطلق بها الى
ابي عبيدة ومن معه وابشر بالمحذر جليا نا قال فركب
عامر وودع خالدا وسار يطلب الشام قال الواقدي
وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل باركة وهي راس المفازة
لمن يخرج من العراق وكانت الروم تمسك بها القوافل وكان

عليها بطريق من قبل الملك فغار عليها خالد واخذ ما كان
حولها وتحصن اهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم
من حكماء الروم قد طالع الكتب والملاحم فلما راى المسلمين
وجيشهم انخطف لونه وقال قرب الوقت وحق ديني فقالوا
اهل اركة وكيف ذلك قال ان عندي ملحمة فيها ذكر
هولاء القوم وان اول راية تشرف من العرب من خيلهم هي
الراية المنصورة وقد دنا هلاك الروم فانظروا ان كانت
رايتهم سودا واميرهم عريض اللحية طويل ضخم بعيد المناكب
واسع الهيكل في وجهه اثر جدري اسمر فهو صاحب
جيوشهم بالشام وعلى يده الفتح قال فنظر القوم واذا
بالراية على راس خالد بن الوليد وهو كما وصف حكيمهم
فاجتمعوا الى بطريقهم وقالوا انت تعلم ان الحكيم سمعان
لا ينطق الا بالحكمة ولا يقول الا الحق وقد قال كذا وكذا
والذي وصف قد رايناه عيانا ونرى من الراي ان نعقد بيننا
وبين العرب الصلح ونامن على انفسنا وحريمنا فلما سمع بذلك
بطريقهم قال اخروني الى صبيحة غد لارى رايي قال فانصرفوا
عنه وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر امره وكان عاقلا
عارفا بالامور قال ان انا خالفت هولاء القوم خفت ان
يسلموني الى العرب برقبتي وقد تحقق عندي ان رييس
سار الى شرذمة من العرب بفلسطين فهزموه وقد
وقع رعب العرب بقلوب الروم ولن يفلحوا بعدها
ولم يزل يراود نفسه الى ان اصبح فعند ذلك دعا قومه
وقال على ماذا عولتم قالوا على صلح العرب ونقيم بارضنا
وملكنا فقال البطريق انا واحد منكم ومهما فعلتم فاني
لا اخالفكم قال فخرج مشايخ اركة الى خالد وكلموه
في الصلح فاجابهم الى ذلك ورحب بهم وقال خالد نصالحكم
على ان نذب عنكم ونحمي ارضكم ومن دخل منكم في ديننا
قبلناه ومن بقي على دينه قنعنا منه باداء الجزية قال الواقدي
بلغني انه صالح اهل اركة على الفي درهم من الفضة والف دينار

وكتب لهم كتاب الصلح ولم يبرح حتى صالحه اهل السخنة
وايكة وبلغ الخبر لاهل تدمر وكان الوالي عليها بطريق
اسمه كركرة فجمع رعيته اليه وقال قد بلغني عن
هولاء العرب انهم فتحوا اركة والسخنة وايكة صلحا وان
قوما يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم وانهم لا يطلبون
الفساد وهذا حصننا مانع ولا سبيل لاحد علينا ولكننا
نخاف على نخلنا وزرعنا وما يضرنا ان نصالح العرب
فان كان قومنا هم الظافرون فسخنا صلحهم وان كانت
العرب ظافرون كنا امنين من العرب ففرح قومه بقوله
وهيوا الضيافة والعليق حتى نزل خالد عليهم فخرجوا اليه
بالخدمة والعليق فقبلهما منهم وصالحهم على ثلثمائة اوقية
من الذهب والفضة وكتب لهم كتاب الصلح ثم ارتحل عنهم
الى ارض حوران قال الواقدي وبلغ عامر بن الطفيل
كتاب خالد بن الوليد الى ابي عبيدة فلما قراه تبسم
ثم قال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خالد وكان ابو عبيدة
قد وجه شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مدينة بصرى في اربعة الاف فارس فسار حتى نزل على قبابها
وكان على بصرى بطريق عظيم القدر عند الملك وعند
الروم وكان اسمه روماس قد قرا الكتب السالفة
والاخبار الماضية وكان عظيم الخلقة يجتمع اليه الروم
من اقصا بلاد الشام ينظرون الى عظم خلقته ويستمعون
من الفاظ حكمته وكانت عامرة وقعة بصرى وكانت
بصرى عامرة بالناس وكان فيها اثنى عشر الفا وكانت
العرب اليها يقصدون ببضايعهم وتجاراتهم من اقصا الحجاز
واليمن فاذا كانوا في ايام الموسم ينصب لبطريقهم كرسي
من الحديد ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ينظرون الى عظم
خلقته ويستفيدون من علمه فبينما قد اجتمع النفير اليه
اذ وقعت الصيحة بقدوم شرحبيل بن حسنة بعسكره

فبادر الى جواده فركبه وصرخ في قومه فاجابوه فقال لا
تحدثوا حديثا حتى نرى القوم ونسمع كلامهم وما عندهم
ثم سار حتى قرب من شرحبيل وجيشه وهو بلامته فلما
قرب نادى يا معاشر العرب انا روماس واني اريد صاحبكم
فخرج اليه شرحبيل بن حسنة فلما قرب منه قال له البطريق
من انتم قال شرحبيل نحن من اصحاب النبي الامي المبعوث
في التوراة والانجيل قال روماس ما فعل قال قبضه الله اليه
واختار له ما لديه قال البطريق من ولي الامر من بعده قال
عبد الله عتيق بن ابي قحافة ابو بكر الصديق رضي الله عنه
من تيم بن كعب بن مرة فقال روماس وحق ديني لقد اعلم
انكم على الحق ولابد لكم ان تملكوا الشام والعراق ونحن
نشفق عليكم لانكم في نفر يسير ونحن في جمع كثير ولكن
انظروا في امركم وارجعوا الى رايكم فانا لا نتعرض لكم
واعلموا ان ابا بكر هو صاحبي ولو كان حاضرا لما قاتلني
قال شرحبيل لو كان ابن عمه او ولده ما عفا عنه
الا ان يكون من اهل ملته وليس له من الامر شي لانه مكلف
وقد امره الحق في القران بجهادكم ولسنا نبرح عنكم الا
باحدى ثلاث اما ان تدخلوا في ديننا او تؤدوا الجزية والا القتل
فقال روماس وحق ما اعتقد من ديني لو كان الامر الي
ما قاتلتكم لاني اعلم انكم على الحق وهولاء طاغية الروم
وقوم مجتمعة واني اريد ان ارجع اليهم وانظر ما عندهم
فقال شرحبيل عجل فلابد لكم من الذي ذكرت
قال فعاد روماس الى قومه وجمعهم حوله وقال يا اهل
دين النصرانية اعلموا ان الذي كنتم تجدون في كتبكم
من خروج العرب الى بلادكم ونهب اموالكم وقتل بطارقتكم
وملوككم قد قرب وهذا وقته وزمانه ولستم باعظم خيل
وجيش من البطريق روبيس سار الى شرذمة من هولاء العرب
بارض فلسطين فقتل وقتل اكثر من معه وانهزم الباقون
وقد بلغني ان رجلا منهم خرج من ارض السماوة واسمه خالد

بن الوليد وقد فتح اركة وايكة وتدمر وحوران وهو
عن قريب يصل اليكم والصواب ان تودوا الجزية لهولاء العرب
وينصرفون عنا فلما سمع قومه كلامه هموا بقتله فقال روماس
يا قوم انما اردت انظر كيف حميتكم لدينكم والان دونكم
والقوم وها انا على اولكم قال الواقدي فرجعت الروم في
عددها وعديدها وتظاهروا بالدروع وقادوا الجنايب وتهيوا
للحملة فلما راهم شرحبيل وعظ اصحابه وقال اعلموا رحمكم
السيوف الله ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال
ولاحب ما الى الله قطرة دم في سبيل الله تعالى او قطرة دمع من خشية
الله تعالى جاهدوا العدو وارموا السهام ولتكن مجتمعة فانها
لن تخيب ثم قرا يا ايها الذين اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا
وانتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون على جيش بصرى قال
ماجد بن رويم العبسي وكنت في جيش شرحبيل فقاتلنا اهل
بصرى قال ولقد اجتمع علينا العدو في اثنا عشر الفا وحملوا
علينا ونحن فيهم كالشامة السودا في جلد البعير الابيض قال
وصبرنا لهم صبر من يريد الموت والدار الاخرة ولم يزل
ق القتال بيننا وبينهم الى ان توسطت الشمس قبة الفلك ولقد طمع العدو
فينا ولقد رايت شرحبيل وقد رفع كفيه الى السماء وهو يقول
ام يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام
اللهم انك قد وعدتنا على لسان نبيك بفتح الشام وفارس اللهم
انصر من يوحدك على من يكفر بك ويجحد اللهم انصرنا
على القوم الكافرين قال ماجد بن رويم فوالله ما استتم
شرحبيل كلامه حتى جانا النصر وذلك ان الروم داروا
بنا وقد حدثتهم انفسهم بالوصول الينا اذ راينا غبرة اشرفت
علينا من صوب حوران كانها قطع الليل فلما قربت منا راينا
تحتها سوابق الخيل ولاحت لنا الاعلام والرايات وقد سبق الينا
فارسين من القوم واحدهما يزعق يا شرحبيل ابشر بنصر
الله تعالى انا الفارس الصنديد انا خالد بن الوليد وقال الاخر
انا عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق قال واشرفت لخم وجذام

وحملت مواكب جيش الزحف واشرفت الراية العقاب يحملها
رافع بن عميرة الطائي رضي الله عنه حدثنا سالم بن عدي عن
درقة بن حسان العامري عن ميسرة بن مسروق العبسي قال
والله لقد خمدت اصوات الروم عند سماعهم زعقة خالد واقبل المسلمين
يسلم بعضهم على بعض واقبل شرحبيل الى خالد وسلم عليه فقال
خالد يا شرحبيل اما علمت ان هذه موسم الشام والحجاز والعراق
وفيها عساكر الروم وبطارقتهم فكيف غررت بنفسك
وبمن معك قال شرحبيل ذلك بامر ابي عبيدة فقال خالد اما
ان ابا عبيدة رجل مستسلم وليس عنده غايلة الحرب ولا علم بمواقعها
ثم امر الناس بالراحة فنزلوا وواسا الناس بعضهم بعضا من ازوادهم
فلما كان من الغد زحفت جيوش بصرى اليهم فقال خالد ان
القوم قد زحفوا الينا لعلمهم بتعبنا وتعب خيلنا اركبوا على بركة
الله وعونه فركب المسلمون وجعل في الميمنة رافع بن عميرة الطائي
وجعل في الميسرة ضرار بن الازور بن طارق وكان غلاما
فاتكا في الحرب وقد ذكرت شجاعته وعرفت براعته في المواطن كلها
وجعل على الرجالة عبد الرحمن بن حميد الجمحي ثم قسم جيش الزحف
وجعل على شطره الواحد المسيب بن عتبة الفزاري وعلى شطره الاخر
مذعور بن غنم الاشعري وامرهم ان يرموا الخيل على الخيل اذا حمل
بنفسه قال الراوي وبقي خالد يعظ الناس ويوصيهم وعبد الرحمن
بن ابي بكر الصديق قال وان الناس مثل ذلك وقد عزموا على
الحملة وقد اخفوا ظهورهم واذا هم بصفوف الروم قد انشقت
وخرج فارس عظيم الهيكل كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهب
والفضة والجوهر والياقوت فلما توسط الجمعين قال بلسان
عربي كانه بدوي يا معشر العرب لا يبرز الي الا اميركم
فانا صاحب بصرى قال فخرج اليه خالد رضي الله عنه وقرب منه
فقال له البطريق انت امير الجيش قال كذلك يزعمون اني
اميرهم ما دمت على طاعة الله سبحانه وتعالى فان عصيته فلا امرة
لي عليهم فقال روماس اني رجل من عقلا الروم وملوكهم
وان الحق لا يخفى على صاحب بصيرة واعلم اني قد قرات الكتب السالفة

الاخبار الماضية فوجدت ان الله يبعث نبيا هاشميا اسمه محمد
قال خالد هو نبينا قال روماس انزل عليكم كتابا قال نعم
واسمه القران قال روماس احرم عليكم الخمر قال نعم
ومن شربه منا حددناه ومن زنا جلدناه وان كان محصنا رجمناه
قال روماس افرضت عليكم الصلاة قال نعم خمس صلوات في اليوم
والليلة قال روماس اوتحجون قال نعم من استطاع اليه سبيلا
قال روماس افرض عليكم الجهاد قال نعم ولولا ذلك ما جيناكم
نبغي قتالكم فقال روماس والله لقد اعلم انكم على الحق واني احبكم
وقد حذرت قومي منكم فابوا وانا خايف منهم فقال خالد
قل لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
حتى يكون لك ما لنا وعليك ما علينا فقال روماس ان انا
اسلمت خفت ان يعجلوا بقتلي ويسبون حريمي ولكن انا
اخذل قومي وارغبهم لعل الله ان يهديهم فقال له خالد ان
رجعت الى قومك دون قتال بيني وبينك خفت عليك منهم
ولكن احمل علي واحمل عليك حتى لا يتهموك بعد ذلك
الملب قومك فحمل بعضهما على بعض واوريا المعسكرين
ابوابا من الحرب حتى انبهر روماس فقال لخالد شدد
علي حتى اولي الدبر واني خايف عليكم من بطريق يبعث
به الملك معونة لي واسمه الدرنجان فقال خالد ننتصر
عليه ان شا الله تعالى ثم شدد على روماس فحمله حتى انهزم
من بين يديه الى قومه وقصر خالد عن طلبه فلما وصل روماس
الى اصحابه قالوا له ما الذي رايت قال يا قومي ان العرب لا خلاد
ما فيكم لقتالهم ولابد ان يملكوا الشام وما تحت سرير
الملك فاتقوا الله وادخلوا تحت طاعتهم وكونوا كاهل
اركة وتدمر واني ناصح لكم فلما سمعوا ذلك من
كلامه زجروه وارادوا قتله لولا خوفهم من الملك
قالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال العرب
قال فانصرف عنهم روماس وكان ذلك بغيته ومراده
وقال لعل الله ينصر خالد فاسير معه باهلي حيث سار

ثم ان اهل بصرى دلوا على انفسهم الدرنجان وقالوا له
اذا فرغنا من المسلمين سرنا معك الى الملك ونسأله ان
يعزل عنا روماس وبولس ليكن علينا فانت اعظم جلدا واجل
عقلا فقال الدرنجان فما الذي تريدون قالوا الحمل والطلب
قتال امير القوم فان انت كفيت امره فقد انصرف القوم
قال فخرج الدرنجان بلامته وزينته وطلب خالدا فقال عبد
الرحمن بن ابي بكر ان الامير وقوا اشار بك وانا لهذا العلج
دونك ثم خرج عبد الرحمن رضي الله عنه وحمل على الدرنجان
والتقى بعضهما على بعض وتطاولت اعين الفريقين اليهما فما
لبث الدرنجان مع عبد الرحمن ساعة او اقل الا وقد حس من
نفسه بالتقصير فولا منهزما وكان جواده اسبق من جواد
عبد الرحمن فافلت من يده ومضى الى قومه فقالوا له ايها السيد
ما الذي ردك الينا عن قتال عدوك فقال اخذتني سطوته
فلم اقدر على الثبات فوليت منهزما ولكن احملوا انتم
قال فالقى الله في قلوبهم الرعب والجزع فلم يجسروا على ذلك
وعلم خالد ما عند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن
بن ابي بكر واتبعهما رافع بن عميرة الطائي والمسيب
بن نجبة الفزاري وعبد الرحمن بن حميد الجمحي وضرار بن
الازور وقيس بن هبيرة وشرحبيل بن حسنة وسائر المسلمين
فلما نظروا اهل بصرى الى المسلمين وحملتهم لم يكن لهم
بد من قتالهم فاستقبلوهم وفشا القتل في الروم وضربت الاجراس
على سور بصرى والنواقيس وضجت الرهبان والاقسة
بكلمة الكفر فقال شرحبيل اللهم ان هولاء الارجاس
يبتهلون اليك بكلمة كفرهم ويدعون معك الها اخر
لا اله الا انت ونحن نبتهل اليك بلا اله الا انت وبحق نبيك
عليك الا نصرت هذا الدين على اعدائك المشركين قال
وامن الناس على دعائه ثم حملوا حملة واحدة حتى لاهل
بصرى ان السور قد انهدم فلم يكن للروم ثبات مع العرب
فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وبقيت تلك الارض مملوءة

من

من القتلى وقتل بعضهم بعضا على الابواب فلما حصلوا داخل المدينة
بنوا الابواب وتحصنوا بالسور وجعلوا امر اكثرهم على الاذان
والابراج ورفعوا الصلبان وحصنوا انفسهم وعولوا على ان
يكتبوا للملك يمدهم بالرجال قال عبد الله بن رافع
فلما تحصنوا القوم منا اخرجنا قتلى المسلمين فوجدناهم مائتان
وثلاثون فارسا اكثرهم من بجيلة وهمدان وقتل من اعياننا
بدران بن حرملة وكان حليف ثقيف وعرعل بن رفاعة
ومازن بن عوف وسهل بن باسط وجابر بن مرارة والربيع بن
حامد بن عباد بن بشر ختم الله لهم بالشهادة قال وضم المسلمون
الغنائم والاموال بعد ان صلى خالد على الشهداء وامر بدفنهم
فلما مر من الليل ربعه تولى الحرس عبد الرحمن بن ابي بكر
ونعيم بن راشد والاشتر النخعي في مائة فارس من جيش الزحف
فبينما هم يدورون حول الجيش اذ حمحمت الخيل باذانها
وحمحمت فاستيقظ المسلمون ونظروا واذا برجل من الروم
عليه مسوح الشعر فاسرع اليه عبد الرحمن بن ابي بكر وهم به
فقال امسك عليك فانا صاحب بصرى فاخذه واتى به خالد
واوقفه بين يديه فلما رآه خالد عرفه فقال روماس ايها
الامير ان قومي طردوني وقالوا الزم قصرك والا قتلناك
فلزمت قصري وانه ملاصق للسور فلما جن الليل امرت
اولادي وغلماني يحفروا السور حتى فتحوا فيه بابا وقد
جئت اليك لتبعث معي من تثق به من اصحابك حتى يتسلموا
المدينة ان شاء الله تعالى فلما سمع خالد قول روماس سجد
لله شكرا وامر عبد الرحمن بن ابي بكر باخذ مائة ممن
يثق بهم ويسيرون مع روماس وامره عليهم قال ضرار
بن الازور وكنت فيمن دخل المدينة فلما صرنا في قصر
روماس فتح لنا خزانته وقال ادخلوا في زي القوم قال
فلبسنا زيهم في الحرب ثم قسمنا على اربعة اركان المدينة
من كل جانب خمسة وعشرون رجلا وقال لنا عبد الرحمن
بن ابي بكر اذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وقال فلما سرنا حيث

حيث أمرنا أخذ بالعلى أنفسنا لحملنا على القوم قال الواقدي
ولقد بلغني ممن أثق به من الرواة أن عبد الرحمن بن أبي بكر
لما فرق أصحابه على جوانب مدينة بصرى لبس وتدرع
وكذلك فعل روماس واشتمل بشملة حميرية وأعطا برنسا
لعبد الرحمن فألقاه على أثوابه وستر نفسه تحت البرنس
وصعدا كلاهما يريدان البرج الذي عليه الدرنجان وأصحابه
وقد سار في الجانب الذي فيه عبد الرحمن وروماس وشرحبيل
بن حسنة وضرار بن الأزور والمسيب بن نجبة ورافع بن
عميرة ومثل هؤلاء قال فلما قرب روماس وعبد الرحمن
من البرج نظر إليهما أصحاب الدرنجان فتصايحوا الحوهم
فقال الدرنجان بنفسه من أنتما قال أنا روماس البطريق
قال لا أهلا بك ولا مرحبا من جاء بك ومن معك قال
روماس إن الذي صديق لك مشتاق إلى لقائك قال ويلك
من هو قال عبد الرحمن بن أبي بكر وهو بن اخا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد أقبل يريد أن يبعث بروحك إلى الهاوية
قال فلما سمع الدرنجان ذلك من قول روماس هم أن يثب
وما طاوعه نفسه فعاجله عبد الرحمن بسيفه وهزه في وجهه
وضربه على عاتقه فانجدل صريعا قال وكبر عبد الرحمن
عند قتلة الدرنجان وأجابه روماس وسمع الصحابة التكبير
فكبروا من جوانب بصرى وأجابتهم الأحجار والجبال
وأغصان الأشجار وأصوات الأطيار والصالحون من العمار
وقالوا إلهنا ما أطيب سماع ذكرك ومن لنا أن نقوم بحق
شكرك وقد أسمعتنا كلمة التوحيد قال ولما كبر
المسلمون من جوانب بصرى وضعوا السيف في الروم
وأجابهم خالد ومن معه من ظاهر المدينة وزحف نحوهم
وإذا بغلمان روماس وأولاده قد فتحوا لهم باب بصرى
فدخل خالد ومن معه فلما نظروا أهل بصرى أن مدينتهم
قد فتحت قهرا بالسيف ضجوا بأجمعهم وضجت النساء والأطفال
والبنات الغوث الغوث فقال خالد ما الذي يقولون قال روماس

رحمه الله

روماس رحمه الله يطلبوا منكم الأمان فقال خالد ارفعوا السيف
عنهم قال فرفع السيف عنهم وأقام خالد إلى أن أصبح فاجتمع
إليه أهلها وقالوا لو صالحناكم ما كان شيء من هذا فقال
خالد حكم الله لا يرد فقالوا نسألك بالذي أيدك ونصرك علينا
من فتح لك مدينتنا فاستحيا خالد أن يقول روماس فوثب
روماس قائما وقال أنا يا أعداء الله تعالى وأعداء رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنا فعلت ذلك ابتغاء مرضات الله وجهادا فيكم
قالوا ولست منا قال اللهم لا تجعلني منهم أنا كافر بالصليب
أن ومن عبده رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وبالقرآن
إماما وبالمسلمين إخوانا قال فغضبوا من كلامه وأضمروا
له شرا وعلم بذلك روماس قال لخالد لا أريد المقام عندهم
بل أسير معك حيث تسير فإذا فتح الله تعالى البلاد على أيديكم
وصارت الشام لكم نرد وبي إليها لأن الوطن مألوف
والمرء به مشغوف قال الواقدي حدثنا معمر بن سالم
عن جده أحجية بن مفرج قال كان روماس معنا
في المواطن كلها يجاهد جهادا حسنا حتى فتح الله الشام
علينا وكانت أبو عبيدة يخبره لعمر في أيامه فولاه عليها
فما لبث بها إلا يسيرا حتى مات رحمه الله تعالى وترك
عقبا يذكر به قال وأمر خالد رجالا أن يعينوه على
إخراج ماله ورحله من المدينة ففعلوا ذلك قال وإذا
بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقالوا لها المسلمون فما
الذي تريدين قالت أريد أمير الجيش يحكم بيننا فجاؤا
بها إلى خالد فاستغاثت به فقال رجل من الروم ممن يحفظ
بلسان العرب إنها تستعين بك على روماس فقال الترجمان
وكيف ذلك قالت نعم لأني كنت البارحة نائمة إذ
رأيت في منامي شخصا ما رأيت أحسن من طلعته كأنما
البدر يطلع من بين عينيه وكأنه يقول لي إن المدينة تفتح
على يد هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت من أنت فقال
أنا محمد ثم دعاني إلى الإسلام فأسلمت ثم علمني سورتين

من القرآن قال فحدث الترجمان بما سمع منها لخالد فتعجب
من ذلك وقال للترجمان قل لها تقرا فقرأت الحمد لله
وقل هو الله احد ثم جددت اسلامها على يد خالد وقالت
اما يرجع على هذا الدين والا بتركني قال فضحك خالد
من قولها ثم قال سبحان من وفقهما ثم قال للترجمان
قل لها انه قد اسلم قبلها فقال لها ففرحت ثم صاح اهل بصرى
على ما ارادوا ولم ينفر قلوبهم واراد ان يكونوا له ورداً يلجا
اليهم ثم ولا عليهم من اتفق رايهم عليه ثم كتب خالد الى ابي
عبيدة رضي الله عنهما كتابا يبشره بالفتح ويقول قد ارتحلنا
الى دمشق فالحقني اليها ثم كتب كتابا اخر الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه يخبره برجوعه عن العراق الى الشام بعد ان
اشرفت على فتح القادسية وقد سرت كما امرتني الى الشام
وقد فتح الله تعالى على يدي اركة وايكة وتدمر وحوران
وبصرى ويوم كتبت اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق
~~قال وسار خالد حتى اشرف على موضع يقال له الثنية~~

فتوح مدينة دمشق قال وسار خالد الى دمشق

حتى اشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هنالك وركز
راينه العقاب فسميت ثنية العقاب ثم انحدر منها الى الغوطة
ونزل بالدير وهو معروف الى يومنا هذا بدير خالد
وكان اهل السواد قد التجوا الى مدينة دمشق وقد اجتمع فيها
امم لا يحصى من الرجالة واما الخيالة فكانوا اثني عشر الف
وقد زينوا اسوارهم بالطوارق والاعلام والبيارق والصلبان
واقام خالد على الدير ينتظر قدوم ابي عبيدة ومن معه
من المسلمين قال وان الاخبار اتصلت بالملك هرقل وبما
فتح خالد وكيف قد توجه الى دمشق فجمع البطارقة اليه
وقال يا بني الاصفر قد قلت لكم وحذرتكم فابيتم
وهولاء العرب قد ملكوا حوران وبصرى وتدمر واركة
وقد توجهوا الى الربوة وهي دمشق فان تحوها فوا كرباه واغماه
لانها جنة الشام وقد نفذت الى اهلها الجيوش والعساكر وهم

اضعاف

اضعاف العرب ثم قال ايكم يتوجه الى الشام الى قتالهم ويكفي امرهم
فان هو هزمهم اعطيتها لهم لاخراجها فقال له بطريق من بطارقته
اسمه كلوص بن حنة وكان من ابطال الشام وشجعانهم قد
بين شجاعته في عساكر الفرس لما قصدتهم فقال ايها الملك انا
اكفيك امرهم واردهم على اعقابهم فسلم اليه الملك صليبا
من الذهب وضم اليه خمسة الاف فارس من المدججة وقال قدم
صليبك امامك فهو ينصرك قال فاخذ كلوص بن حنة
وسار من يومه من انطاكية الى ان ورد حمص فوجدها مزينة
بالسلاح والعدد فلما بلغ اهلها قدومه خرجوا الى لقائه وقدموا
الاقسة والرهبان اماهم بالمباخر وعود الند والانجيل على
صدورهم فقسقسوا امام موكبه ورشوا عليه من ماء المعمودية
ودعوا له بالنصر واقام عليها يوما وليلة ثم ارتحل الى مدينة جوسية
ففعل به اهلها كما فعل به اهل حمص ثم ارتحل الى بعلبك فخرج
اليه اهلها والنسا لاطمات الخدود ناشرات الشعور فقال ما
وراكم قالوا ان العرب قد فتحوا اركة وتدمر وحوران وبصرى
وقد بلغنا انهم يطلبون دمشق فقال كلوص كيف قدرت
العرب على حوران وبصرى وقد بلغني انهم على الجابية فكيف
قدروا ان يتوسطوا القرى والحصون فقالوا ايها السيد انهم
لن يبرحوا على مواضعهم وانما هذا رجل قدم من العراق وقد فتح
اركة وتدمر وحوران وبصرى قال وما اسمه قالوا خالد
بن الوليد قال في كم يكونوا قالوا في الف وخمسماية فارس
فقال كلوص وحق ديني لاجعلن راسه على لسان قنطاريتي
ثم رحل ولم يزل الا بدمشق فكان صاحب دمشق والي
من قبل هرقل بطريق كبير الشان عند الروم واسمه عزرائيل
وكان في ثلاثين الفا من خيل ورجال فلما دخل كلوص
اجتمع اليه كبرا الروم من اهل دمشق والبطارقة وعزرائيل
واصحابه فقروا منشور الملك ببعثة كلوص اليهم وقتاله
عنهم فلما قروا منشور الملك قال لهم كلوص على اني
اقاتل عدوكم واصده عن بلدكم واتي به اليكم ولاكن

تخرجون عزرايل من عندكم حتى أكون وحدي لهذا
الأمر فقالوا أيها الصاحب وكيف ينبغي لنا أن نبعد صاحبنا
ونخرجه من بلدنا وهذا العدو قاعد علينا ولو كان منكم
عشرة ملوك زدناهم وتفوقنا بهم على العرب فقال عزرايل
إذا قدمت العرب خرجنا لقتالهم وكل واحد منا نخرج
بجيشه يقاتل يوما فمن هزم العرب كانت المدينة له
فقالوا أشيوخ القوم قد أنصف الرجل قال وتراضوا على ذلك
وانفصل القوم وقد تثبت عداوة عزرايل في قلب كلوص
وعداوة كلوص في قلب عزرايل قال الواقدي رحمه الله
ولقد بلغني أن القوم كانوا يخرجون في كل يوم على باب
الجابية بفرسخ ينتظرون قدوم أبي عبيدة حتى جاءهم خالد
من نحو الثنية كما ذكرنا قال حدثنا أبو محمد بن طليحة
حدثنا أبو ياسر بن محمد قال أخبرنا رفاعة بن مسلم عن جده
واقصة بن مسلم العدوي قال كنت في خيل خالد لما نزل
على الدير المسمى بدير خالد بالغوطة وإذا الجيش دمشق
قد زحف إلينا كالجراد المنتشر فلما رأى خالد ذلك
تدرع بدرع مسيلمة بن قيس وشد وسطه بعمامة وتوشح
بطرفها ثم صرخ في المسلمين وقال أيها الناس رحمكم الله
هذا يوم له ما بعده وهذا العدو قد زحف إلينا بخيله ورجله
فدونكم وإياه وانصروا الله ينصركم واصبروا فإن الصبر
النصر مقرون بالصبر وكونوا ممن باع نفسه من الله تعالى
فإن الله سبحانه وتعالى قد اشترى نفوس المؤمنين المجاهدين
فقال تبارك وتعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة وكأنكم بإخوانكم المسلمين
قد قدموا عليكم مع أبي عبيدة فأسرع الناس إلى خيولهم
فركبوها واستقبلوا جيش العدو قال فوقفت الروم عن
قتالهم ووقفوا بجيشهم إزاء جيش المسلمين فعندها
رتب خالد أصحابه جعل في الميمنة رافع بن عميرة الطائي
وفي الميسرة المسيب بن نجبة الفزاري وفي الجناح الأيمن

شرحبيل بن حسنة وفي الجناح الأيسر عبد الرحمن بن حميد
الجمحي وعلى الساقة نوفل بن سالم اليشكري وأقام خالد
في القلب مع عبد الرحمن بن أبي بكر وضرار بن الأزور فلما
رتب أصحابه وعباهم تعبية الحرب قال لضرار بن الأزور
اتبع سبيل أبيك وقومك في الجهاد وانصر دين الله فإن الله
ينصرك أرعب القوم بحملتك وزعزع جيوشهم بشجاعتك
قال فخرج ضرار بن الأزور رضي الله عنه في ثوب قطني
وسخ وعلى رأسه عمامة رثة ومن تحته مهرة عجفاء إلا أنها
تسابق الريح فحمل على جيش الروم بشدة عزمه ولم يلوعهم
حتى صدم جيوشهم وبلبل مصافهم وقتل في حملته تلك أربع
فوارس من روس القوم ثم أثنى حملته على الرجالة فقتل ستة
من القوم ولولا سهام القوم لما رجع عن قتالهم فلما عاد شكر
له خالد والمسلمون ثم إن خالد قال لعبد الرحمن بن أبي بكر
يا ابن الصديق أرعب أعداء الله بحملتك بارك الله فيك قال
فحمل عبد الرحمن بن أبي بكر وفعل كما فعل ضرار بن الأزور
فقتل وجندل ثم عاد وحمل من بعده خالد بن الوليد رضي الله
عنه ولعب برمحه وأظهر فروسيته حتى تعجب الروم من
فروسيته وخفته فلما نظر كلوص علم أنه أمير الجيش
وقائده وقد علم أن خالد يقصده بحملته لأجل زينته وصليبه
الذي على رأسه فتأخر البطريق إلى ورائه من مخافته فلما
نظر خالد إلى تقهقر البطريق وتزعزعه حمل يريده فزعقت
عليه البطارقة ورموه بسهامهم فلم يلتفت إليهم وجوادهم
كالبرق بين صفوفهم فلم يرجع عن حملته حتى قتل عشرة
من القوم ثم أثنى راجعا وأراهم أبوابا من الحرب أكثر
من الأولة ثم طلب البراز فلم يجبه أحد منهم فقال بين زمنكم
فارسان لقتالي فلم يجيبوه فقال أربعة إلى أن قال عشرة
فسكتوا فلم يجيبوه فقال يا ويلكم هل أنا إلا واحد من
العرب وكلنا في الحرب سوا قال الراوي فمنهم من فهم
فعند ذلك أقبل عزرايل على كلوص بن حنه وقال

البَس للملك قد قدمك على جيوشه وبعثك الى قتال هولا العرب
فلو نكحامي عن بلدك ورعيتك فقال كلوص انت
احق مني بذلك لانك اقدم مني وقد زعمت انك لا تخرج
منها الا بامر الملك فما بالك لا تخرج الى العرب فتقاتل فقال
عزرايل قد جرا الشرط ان تقاتل انت وعسكرك يوما
وانا اقاتل بعسكري يوما فقاتل انت اليوم حتى اقاتل انا
غدا فقال كلوص انت اقدم مني في البلاد فاسالك ان
ان تتقدم انت اليوم وانا غدا وتخاصما وارتفع الكلام بينهما
فقال لهما الفريقان تقارعا فمن وقعت عليه القرعة
يخرج اليوم قال كلوص لا بل نحمل بجمعنا فهو اوفق لنا
فقال عزرايل مالي فيما ذكرت حاجة قال وخاف
كلوص بن حنة ان يبلغ الملك الخبر فيطرده او يقتلوه
قال فنقترع فمن وقعت عليه القرعة يخرج قال فاقترعا
فوقعت القرعة على كلوص بن حنة فقال عزرايل
اخرج وبين شجاعتك كما فعل امير القوم واخرج انا
غدا وينظر الفريقان من هو منا افرس واشجع قال
الواقدي فعند ذلك تدرع كلوص وتاهب ثم ركب
وقال لاصحابه اريد همتكم ان تكونوا عندي فان
رايتم بي تقصيرا فاحملوا وخلصوني قال اصحابه ان
هذا كلام جزع ولن يفلح قال يا قومي ان الرجل بدوي
ولغته غير لغتي واني اريد خطابه والحذر درع منيع
فخرج اليه رجل نصراني اسمه جرجس وكان من اهل
الفصاحة فقال انا اترجم عنك ثم سار معه فقال له
كلوص اعلم ان هذا الرجل من اشجع العرب فان رايتني
وقد تبلدت عن قتاله فاعني عليه حتى تكون صاحبي
والخذك وزيري وتكون هذا مكتوما عندك
وها انا اماطل البراز وارجع فعسى يخرج اليه غدا عزرايل
فيقتله ونستريح من صولته فقال جرجس ما انا صاحب
حرب وانما انا اعينك بكلامي ما قدرت واحاذر عنها استطاع

فان

فان ابا فانظر فقال كلوص ويحك ويطيب قلبك ان تسلمني الى
عدوي قال جرجس والا يطيب قلبي ان اقتل في رضاك
وما ينفعني برك ان انا مت قال فسكت عنه وسارا
حتى قربا من خالد ونظر المسلمون اليهما فهم ان يخرج
اليه رافع بن عميرة الطاي فزعق عليه خالد مكانك
لا تبرح فانني اهلا للنصر قال الواقدي رحمه الله تعالى
فلما دنيا من خالد قال كلوص لصاحبه جرجس اساله
من انت وما الذي تريد وحذره من سطوتنا وخبره بكثرتنا
وملكنا وانظر ما عنده فدنا جرجس من خالد وساله
وقال يا عربي اني اضرب لك مثلا وذلك ان مثلكم ومثلنا
كمثل رجل له قطيعا من الغنم فسلمه الى راعي وكان الراعي قليل
الحيلة والجراية على الوحش فاقبل اليها سبع فجعل يفترط منها
في كل ليلة راسا الى ان نقصت الاغنام والسبع قد ضري عليها
ولا يجد له مانعا فلما نظر صاحب الغنم الى ما حل بغنمه علم انه
لم يوتا الا من الراعي فانتدب لغنمه غلاما جلدا وسلم الغنم
اليه فكان لا يهدي من الجولان حول غنمه طول ليلته فبينما
الغلام كذلك اذ اقبل السبع كعادته فهجم الغلام على السبع
فقتله ولم يقرب الغنم بعد ذلك وحشا وكذلك انتم تهاونا
كبين بامركم لانه لم تكن امة اضعف عندنا منكم لانكم جياع مشاة
حفاة عراة تعودتم اكل الذرة والشعير والزبيب ومص
النوى فلما خرجتم الى بلادنا واكلتم من طعامنا كلبتم
فوصلتم الى ما وصلتم وفعلتم ما فعلتم وقد بعث الملك اليكم
رجلا لا يقاس بالرجال وهو هذا الذي الى جانبي فاحذروا
منه ان ينزل بكم ما انزله الغلام الجري بالاسد وانه سالني
في ان اخرج اليك والطف بك في الكلام شفقة عليك لنخبر
ما الذي تريدون منا وغاية ما تطلبون فقد توسطتم بحرا
من توسطه غرق في تياره ومن شرب منه شرق بمائه فان
كنت اميرهم فخاطب عنك وعنهم قبل ان يهجم بك
هذا الليث فيفترسك بمخالبه فلما سمع خالد ذلك من

كلام جرجيس وما اتا به من الفصاحة قال يا عدو الله الناقض
الامثال اما والله ما انتم عندنا في الحرب الا كالقانص المنير
بشبكته فهو يقتنصها يمينا وشمالا لا يجزع من كثرتها ولا
يمل من قنصها واما ذكرك لبلدنا وقحطه فهو كما
ذكرت الا ان الله تعالى قد ابدلنا ما هو خير منه وانه قد
ابدل لنا خبز الذرة بالحنطة والفواكه والسمن والعسل
وهذه ايضا قد رضيناها لنا ربنا ووعدنا بها على لسان نبيه
واما قولكم الذي تريد فاريد اما الاسلام او الجزية او القتال
حتى يحكم الله بحكمه واما قولك ان هذا الرجل الذي
هو عندكم عظيم مكين فهو عندنا اقل من كل قليل
وان يكن ركن الملك فانا ركن الاسلام انا صاحب
تدمر وارك وحوران وبصرى انا خالد بن الوليد
قال فلما سمع جرجيس كلامه تاخر الى ورائه وقد
تغير لونه فقال له كلوص ويلك رايتك في بداية الامر
تهجم كالاسد فما لي اراك قد جزعت وتاخرت
فقال جرجيس وحق ديني لقد ظننته من اوباش
العرب ولم اعلم انه كبشهم النطاح وفارسهم الفصاح
هذا صاحب القوم هذا الذي قد ملأ ارض سورية قتلا
واسمه خالد فتقدم اليه واظهر شجاعتك عليه فلما
سمع البطريق بذكر خالد انتفض في سرجه وارتعد
كالسعفة في يوم ريح عاصف وقال له يا جرجيس
اساله ان يقطع الحرب بيننا الى صبيحة غدا فقال ما اظنه
يقبل ذلك وسوف اساله ثم التفت جرجيس الى خالد
وقال يا سيد قومه ان صاحبي يقول لك انه يرجع
الى قومه ويشاورهم فيما ذكرت فقال خالد يا ويلك
اتخدعني بكلامك وانا جرثومة الخداع وان السلامة
منكم بعيد ثم اقلب رمحه نحو جرجيس فلما نظر الى
رمح خالد انعقد لسانه وولى هاربا فلما نظر خالد الى هروبه
طلب البطريق وحمل عليه مما يلي عسكر الروم ليمنعه

من الهرب

من الهرب فلما نظر البطريق الى فعل خالد لزمه حزنه وحمل
عليه وصبر لقتاله وتطاعنا طعانا احر من الجمر فاختبر
البطريق من حملات خالد فلما نظر خالد الى اختباره اورد
عنانه بعنانه وبدل قناته من اليمين الى الشمال وضرب
بيده على مخانقه درعه وجذبه اليه وقال لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ثم نشله بيده فاقلعه من سرجه
فلما نظر المسلمون الى فعل خالد كبروا تكبيرة عظيمة
اذهلوا بها المشركين وتسابق اليه الابطال فلما قربوا
منه دحا البطريق اليهم وقال استوثقوا من كتافه ففعلوا
ذلك فلما استوثقوا من كتافه برطن بكلامه فاتى [illegible]
بروماس صاحب بصرى وقالوا له ما الذي يريد هذا العلج
وما الذي يقول فلما فهم كلامه قال انه يقول يا قوم لم
تكتفوني وانا قد اجبت الى ما قال صاحبكم الستم
تطلبون الجزية والمال عن راسي وانا ضامن لكم ما سالتم
فاعلموا خالد بقوله فقال استوثقوا منه فاني اظنه راس
القوم ثم ان خالد نزل عن فرسه وركب على شهريا
كان اهداه له صاحب تدمر وتهيا للحملة على الروم
فقال له ضرار بن الازور ايها الامير انك قد تعبت
في قتال البطريق فدعني احمل عنك حتى تستريح قال
يا ضرار انما الراحة في دار الاخرة ثم قال خالد الله
الخليفة عليكم ثم عول بالحملة فصاح البطريق بحق
نبيك الا رجعت حتى اخاطبك فصاح الناس بخالد ان
هذا البطريق يدعو بك فرجع خالد فقال لروماس ما الذي
يريد فتكلم معه ساعة ثم قال لخالد انه يقول لك اني
صاحب الملك وقد بعث بي اليكم في خمسة الاف فارس
وقد تخاصمت مع عزرائيل والي دمشق وجرى الي معه كذا
وكذا وقد اسرتني فبحق نبيك ودينك ان خرج اليك
فلا تبقي عليه فهو راس القوم فان انت قتلته فقد ملكت
دمشق فهل انت فاعل ذلك فقال خالد يا روماس

قل له انني لا أبقي على من يشرك بالله شيئا ويتخذ معه ولد ثم حمل
خالد وقال لك الحمد ولانا على كل نعمة ● وشكر الماولئت باسابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة ● واخرجتنا من حندس الشك والظلم
وانقذتنا بالطهر أعني محمدا ● وكشفت عنا مالاقي من التهم
وايدتنا بالعز والنصر والهدى ● وشرفتنا بالطهر من خيرة الامم
فتمم اله العرش ما قد نرومه ● وعجل لاهل الشرك ثوبا من النقم
ولما قرب خالد من صفوف المشركين طلب البراز قال
الواقدي رحمه الله تعالى لقد بلغني انه لما ولا جرجس من خوف
خالد الى ان عاد الى قومه فراوه يرتعد فقالوا اما وراك قال
يا قوم وراي الموت الذي لا يقابل والليث الذي لا ينازل
وهو امير القوم وقد الى على نفسه انه يطلبنا حيث سلكنا ويسبينا
ويقتلنا وما خلصت نفسي منه الا بعد جهد جهيد فقالوا اويلك
ما يكفيك انك انهزمت وانت ترعب قلوبنا وهموا بقتله
ثم التفتوا الى عزرائيل حين اسر خالد البطريق كلوص فبينما
هم في المجادلة اذ اقبل اصحاب كلوص وهم الخمسة الاف
الذين وجههم الملك معه وصاحوا على عزرائيل وقالوا له ما
انت عند الملك باعز من صاحبنا وقد كان بينك وبينه
شرط وقد عمل به واسر فاحمل انت ايضا قال ويحكم وكا تي
جزعت من الخروج الى هذا البدوي وانما تقاصرت عن
قتاله حتى بان عجز صاحبكم وقلة حيلته في العرب
والساعة اخرج وينظروا الفريقان اينا اثبت وافرس
واشجع ثم ترجل ولبس لامة حربه وركب جوادا ايضا صالح
للجولان وخرج الى قتال خالد فلما قرب منه قال يا اخا
العرب ادن مني حتى اسالك وكان الملعون يحفظ بلسان
العرب فلما سمع خالد قوله غضب وقال يا عدو الله ادن
انت على ام راسك وهم ان يحمل عليه فقال يا اخا العرب
على راسي انما ادنوا منك فعلم ان الخوف قد حلله
فامسك عنه حتى قرب منه فقال يا اخا العرب ما حملك
ان تحمل بنفسك دون قومك فلو قتلت بقي اصحابك

كالغنم

كالغنم من بعدك فقال خالد يا عدو الله وقد رايت ما فعل
رجلان من اصحابي ولو تركتهما لمزقا اصحابك بعون الله تعا لي
واني وراي رجالا لا يعدون الموت مغنما والحياة مغرما ثم قال
خالد من انت فقال ما سمعت باسمي انا فارس الشام انا قاتل
الفرسان قال خالد وما اسمك قال انا الذي سميت باسم ملك
الموت انا عزرائيل قال فضحك خالد وقال يا عدو الله
ما اخوفني ان الذي سميت باسمه هو مشتاق اليك ليرميك
الى الهاوية فقال البطريق بحق دينك ما فعلت باسيرك
كلوص قال خالد هو موثق بالقد قال وما الذي منعك
من قتله فانه داهية الروم قال خالد منعني من ذلك حتى
اقتلكما جميعا فقال عزرائيل هل لك ان تاخذ الف مثقال
وعشرة اثواب من الديباج وخمس رؤس من الخيل وتقتله
وتاتيني براسه فقال خالد هذه ديته فما الذي تعطيني
في ديتك فغضب عدو الله وقال ما الذي تاخذ مني
قال الجزية عن راسك صاغرا ذليلا قال عزرائيل
يا اخا العرب كلما زدنا في اكرامكم زدتم في اهانتنا
فخذ الان لنفسك فاني قاتلك ولا ابالي بمعيرة الناس
فلما سمع خالد ذلك منه حمل عليه كانه شعلة نار واخذ
حذره منه وتجاولا طويلا وكان عزرائيل يذكر لاجل
شجاعته وبراعته فلما نظر خالد الى ما اظهر عدو الله من
الشجاعة اعجب به فقال عزرائيل يا خالد وحق ديني لو اردت
الوصول اليك لقدرت على ذلك فلما سمع خالد
قول عزرائيل قال يا عدو الله اذ ركبك الطمع فينا
وهذه العصابة التي فتحت تدمر واركة وحوران وبصرى
وهو ممن باع نفسه من الله تعالى بجنته واختار دار البقاء
على دار الفناء وستعلم اينا يملك صاحبه ثم ان خالد اظهر
شجاعته واورا البطريق فنونا من الحرب قال فندم عزرا يبل
على ما تكلم به لخالد وقال يا اخا العرب ما تحمل الملاعبة
قال ملاعبني الضرب ورضا الرب فخذ لنفسك ثم

داخله ولوح اليه بسيفه وقنعه بضربه فلم تقطع شيئا وانذهل
عدو الله من صولات خالد فعلم عدو الله انه لا يقدر على ملاقاة
خالد فولى هاربا قال عامر بن الطفيل وكنت من اهل
القلب وانا انظر الى ما جرى من امر خالد وعزرائيل
فلما ولى عدو الله تابعه خالد قال رايت جواد البطريق
اسبق من جواد خالد وقصر جواد خالد عن اللحاق فلما
نظر عزرائيل الى تخلف خالد عن ادراكه ادركه
الطمع وقال ان البدوي قد خاف مني وما لي لا افوز
باسره واقف حتى يلحق بي فلما وقع ذلك في نفسه وقف
حتى لحق به وقد تكلل فرس خالد بالعرق فلما قاربه
صاح به المشرك يا عربي لا تظن اني انهزمت من الخوف
وانما اردت ان ابعد بك عن اصحابك فقال خالد الله اعلم
بك فقال يا اخا العرب ارحم نفسك واستسلم الي وان
اردت الموت فانا اسوقه اليك انا عزرائيل قابض الارواح
فقال خالد يا عدو الله ادركك الطمع حين قصر بي جواد ي
عن طلبك وانا اقاتلك فارسا وراجلا فلما نظر عزرائيل
الى خالد ترجل زاد طمعه وحام من حوله وداخله يريد ان
يعلوه بسيفه فراغ خالد عنه وغافله وضربه على قوايم جواده
فقطعهما وسقط عدو الله الى الارض ثم ولى هاربا يطلب جيشه
وتبعه خالد وقال يا عدو الله ان الذي سميت باسمه قد اقبل
لقبض روحك ثم انه شد به واختطفه من الارض ونظر الروم
الى صاحبهم في يد خالد اسيرا فهموا ان يحملوا لخلاصه
واذا قد طلعت جيوش المسلمين وكتايب الموحدين مع
امين الامة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكان رسول
خالد قد سار اليه من بصرى فوجده في الطريق مقبلا
فورد معه الى دمشق وخالد في تلك الساعة قد اخذ عزرائيل
اسيرا فلما نظروا جيوش دمشق الى جيوش المسلمين قد اقبلت
داخلهم الرعب فتوقفوا عن الحملة حدثنا همام عن عامر
بن عنجدة قال الواقدي انه لما قدم جيش ابي عبيدة

سال عن خالد فاخبره باسره البطريقين القوم فدنا
اليه وهم ان يترجل له فاقسم عليه خالد ان لا يفعل وكان
ابو عبيدة يحبه رسول الله صلى الله وسلم فاقبل بعضهما على
بعض بالسلام فقال ابو عبيدة والله يا خالد لقد فرحت
بكتاب ابي بكر حين قدم الي وامرك علي فقال خالد
والله لا فعلت امرا الا بمشورتك ولا اخالف لك امرا والله
لولا امر الامام طاعة لما كنت افعل ذلك وانت اقدم مني
وانت خاص عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انهما
تصافحا وقدم لخالد جواده فركبه مع ابي عبيدة يحدثه
بما كان جرى مع البطريقين وكيف نصره الله عليهما الى
ان اتيا الى الدير فنزلا هناك واقبل المسلمون يسلم
بعضهم على بعض فلما كان من الغد ركب الناس وترتبت
المواكب وزحف اهل دمشق للقتال وقد امر عليهم توما
صهر الملك بطريقا يثق به اسمه هربيس فلما اقبلوا قال
خالد لابي عبيدة ان القوم قد خذلوا وقد وقع رعب
الاسلام في قلوبهم وايضا انهم انوهنوا لاسر البطريقين
فاحمل بنا على القوم فقال ابو عبيدة احمل وانا لك تبع فحمل
المسلمون على الروم حملة واحدة وكبروا الجمعهم ووقع
القتال في الروم وجاهدوا واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
جهادا اذهلت منه الكفار قال عامر بن الطفيل ولقد
كان الواحد منا يقتل عشرة من الروم فما لبثوا معنا ساعة
حتى ولوا الادبار واقبلنا نقتلهم من الدير الى الباب الشرقي
فلما نظروا اهل المدينة الى انهزام جيشهم غلقوا الابواب في
وجوه من بقي منهم قال قيس بن هبيرة فمنهم من قتلنا
ومنهم من اسرنا ثم رجعنا عنهم فقال خالد لابي عبيدة
اني ارى من الراي ان انزل انا على الباب الشرقي وانت
على باب الجابية قال ابو عبيدة هذا هو الراي قال
الواقدي حدثنا معمر بن الحارث عن اوس بن الخطاب
ان الذي قدم مع ابي عبيدة من الحجاز واليمن وحضرموت

وساحل عمان والطايف وما حول مكة سبعة وثلاثين ألفا
وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف بأرض فلسطين والذي
قدم بهم خالد من العراق ألف وخمسمائة من لخم وجذام فكانت
الجملة سبعة وأربعين ألفا وخمسمائة غير ما جهز عمر
في ولايته وسنذكرهم إن شاء الله تعالى في موضعهم قال فنزل
خالد على باب شرقي بنصف المسلمين ونزل أبو عبيدة على باب
الجابية بالنصف الثاني ونظروا إلى ذلك أهل دمشق فدخل
الرعب في قلوبهم ثم إن خالد أحضر البطريقين بين يديه كلوص
وعزرائيل وأعرض عليهما الإسلام فأبيا فأمر ضرار بن الأزور
يضرب أعناقهما قال الواقدي لقد بلغني أن ضرار قتل
عزرائيل ورافع الطاي قتل كلوص ولما نظروا أهل دمشق
إلى فعل خالد بالبطريقين كتبوا كتابا إلى الملك هرقل يخبروه
بما جرى عليهم ووصفوا له ما ملكوا من البلاد فادركنا
والا سلمنا إليهم دمشق ثم سلموا الكتاب إلى رجل
منهم وأعطوه أوفا أجره ودلوه من السور في حبال وذلك
بالليل قال الواقدي ولقد بلغني أن الرجل وصل إلى الملك
إلى انطاكية فاستاذن عليه فأمر له بالدخول فلما دخل
الرجل سلم إلى الملك الكتاب فلما قراه الملك رماه من يده
وبكا بكا شديدا وجمع البطارقة إليه وقال يا بني الأصفر
لقد حذرتكم من هولاء العرب ولولا أنه عار علينا الترك
لتركت الشام ورحلت إلى قسطنطينية فقالوا أيها
الملك فعودك أهيب لك قال فمن نبعث إليهم قالوا أيها
الملك وردان صاحب حمص فإنه ليس فينا مثله في القوة
ومعرفة الحرب وملاقات الرجال فقال وردان يا ملك
الروم لولا أنك تغضب علي لما توجهت إلى قتالهم لأنك
تركتني آخر أمرائك وبطارقتك فقال له الملك إنما
أخرتك لأنك سندي فاخرج من وقتك ولا تتأخر فقد
أمرتك على اثنا عشر ألفا فإذا وصلت إلى بعلبك تنفذ
إلى من بأجنادين من الروم أن يتفرقوا على أرض البلقا

وجبال السواد

وجبال السواد فيكونوا هنالك ولا يتركوا أحدا من العرب
يلحقوا بأصحاب عمرو بن العاص فقال وردان السمع والطاعه
وإني أعود إليك برأس خالد ومن معه وأهزمهم وبعد ذلك
أدخل الحجاز ولا أرجع إلا بهدم مكة والمدينة فلما سمع
الملك قوله قال وحق الإنجيل إن وفيت بقولك لأعطينك
ما فتحوا من البلاد حجرا حجرا وأكتب لك كتاب
العهد إنك الملك بعدي ثم سوره ومنطقه وأعطاه
صليبا من الذهب في جوانبه أربع يواقيت لا قيمة لها وقال
إذا لقيت العدو فقدمه أمامك قال الواقدي فلما تسلم
وردان الصليب قام من ساعته ضرب الخيام على باب فارس
وتجهزوا للترحيل فلما تكامل جيشهم ركب الملك لودا
مع ان باب دولته وسار وردان إلى أن وصل حماة فنزل
هناك ونفذ من ساعته كتابا إلى من بأجنادين من الجيوش
يأمرهم أن يتفرقوا على ساير الطرقات ليمنعوا عمرو بن
العاص وعسكره أن يصل إلى خالد فلما نفذ الكتاب جمع
إليه رؤساء بطارقته وقال لهم إني أريد أن أسير على حين
غفلة على طريق دارس حتى أكبس جيش هولاء العرب
ولا ينجوا منهم أحد فاستصوبوا رأيه فلما كان من الليل
رحل على طريق سلمية ووادي الحيات قال حدثنا شداد
بن أوس قال لما قتل خالد البطريقين أمر المسلمين
أن يزحفوا على دمشق قال فزحفنا وأمامنا رجال
من العرب ومواليهم بأيديهم الجحف يتلقون بها الحجارة
والسهام فلما نظروا أهل دمشق إلينا ونحن قد زحفنا إليهم
رمونا بالحجارة من مناجنيقهم وسهامهم قال وعرب اليمن
ترميهم بنبالها ووقع الصحيح وضيقنا عليهم في الحصار
فأيقن الروم بالممات قال شداد بن أوس أقمنا على حصا رهم
عشرين ليلة فلما بعد هذه المدة جاءنا ناوي بن مرة يخبرنا
بجمع الروم في أجنادين ووصف لنا عظم جيشهم قال
فاستشار خالد أبو عبيدة وقال من الراي أن نرحل

الى اجنادين ونلقاهن هناك من الروم فاذا نصرنا الله عليهم
عدنا الى قتال هولاء قال ابو عبيدة ليس هذا راي قال
خالد والله لا عصيت لك امرا ثم ركب وبعث الى امرا الله
الذين على الابواب ان شددوا القتال على اهل دمشق وحرض
الناس على القتال وجعل يقول
فمن مبلغ عنا عتيقا بانّنا • نلاقي جيوش الروم مع من يشينها
ابى الله الا ان ادمر جمعهم • واروي سناني من دما عيونها
فكم من جديل سوف يلقا مجندلا • وذات قرين سوف تبكي قرينها
قال فهش الناس للحرب ولم يزالوا كذلك الى تمام احد
وعشرين ليلة وتضعضع حال اهل دمشق ونقصت احوالهم
وطال عليهم الامد ولم يروا جيشا من قبل الملك هرقل
فعزموا على الصلح فبعثوا جاثليقا لهم الى خالد ان يعطوه الف
اوقية من الفضة وخمسماية من الذهب ومائة ثوب من الديباج
ويرحل عنهم فامتنع من ذلك وقال لست ابرح الا بالجزية
او يسلمون او القتال فعاد الجاثليق الى قومه فاعلمهم بذلك
فاشتد الامر عليهم قال عروة بن اسيد وكانوا اهل دمشق
يميلون الى ابي عبيدة اكثر من خالد لان خالد صاحب سيف
وقتل وكان ابو عبيدة شيخا عفيفا يوعدهم الصلح وخالد
يوعدهم القتل فبينما خالد قد امر الناس بتشديد القتال
اذ نظر الى اهل دمشق وهم يصفقون ويرقصون فنظر خالد
ما الخبر واذا باهل الصور وهم يشيرون الى نحو الجبل فنظروا
واذا بغبرة قد اظلم لها الجو فعلم خالد ان طاغية القوم
قد امدهم بالجيوش فصاح في المسلمين وامرهم بالركوب
فتبادروا الى خيلهم فركبوا واشهروا سلاحهم واجتمعت
كل قبيلة مع صاحبها واقبلت العلافة الى خالد واخبروه
انهم راوا نحو الثنية عسكرا جرارا ولا شك انه عسكر
الروم فقال خالد لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ترك
الناس بالباب الشرقي واقبل على جواده حتى اتى باب الجابية
واجتمع مع ابي عبيدة واخبره بالامر وقال يا امين الامة

ما الذي ترا من الراي اترا انا نسير بجمعنا الى لقايهم ونتعاون
عليهم فقال ابو عبيدة ليس هذا راي قال خالد لم
قال لئلا تخرجوا اهل المدينة فيملكوا مواضعنا قال
خالد فما الراي قال ابو عبيدة نندب لهذا الامر رجلا
جريا شجاعا عارفا بالحرب فان نظر فيهم مطمع يلقاهم والا
يرجع الينا برسوله حتى نمده بقوم بعد قوم ولا نبرح من
مواضعنا فلما سمع خالد ذلك من كلام امين الامة
ابي عبيدة رضي الله عنهما قال يا امين الامة اني اعرف رجلا
لا تخاف في الله لومة لائم خبيرا بلقا الرجال ومنازلة الابطا
لا يرهب الموت ولا تخاف الفوت قد مات ابوه وعمه في الجهاد
قال ابو عبيدة من هو يا ابا سليمان قال ضرار ابن الازور
قال ابو عبيدة رضي الله عنه والله لقد وصفت رجلا معروف
السيرة فافعل فرجع خالد الى الباب الشرقي ودعا بضرار
بن الازور فجا اليه وسلم عليه فقال خالد يا ابن الازور
اني اريد ان اقدمك على خمسة الاف فارس قد باعوا انفسهم
من الله بجنته واختاروا دار البقا على دار الفنا والاخرة على الاولى
وتسير الى لقا هولاء القوم الذين وردوا الينا فان رايت
فيهم مطمع فقاتلهم وان رايت لا قدرة لك عليهم فارجع
قال ضرار وا فرحاه وا عظم مرحاه والله يا ابن الوليد ما
ادخلت على قلبي مسرة اكثر من هذه لو تركتني اسير
اليهم وحدي قال خالد لعمري انك جلد ولاكن
ما امرك الله ان تطرح بيدك الى التهلكة ولكن سر فيمن
ندبتهم معك قال فاخذ ضرار على نفسه واسرع فقال
خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع اليك الجيش فقال ضرار
والله لا وقفت فمن علم الله فيه خيرا ادركني ثم اسرع ضرار
الى ان وصل بيت لهيا وهو موضع كان ازر يصنع فيه الاصنا
فوقف هنالك حتى لحق به اصحابه فلما تكاملوا نظر ضرار
بن الازور واذا الجيوش الروم تنحدر من الثنية كالجراد
المنتشر وقد اشرقت الشمس على لاماتهم فطوارقهم

فلما نظروا اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لضرار
بن الازور اما والله ان هذا الجيش عظيم والصواب ان نرجع
فقال ضرار والله لا زلت اضرب في سبيل الله واتبع سبيل
من اناب الى الله ولا يراني الله منهزما لان الله تعالى يقول ولا
تولوهم الادبار فان انا وليت فقد عصيته قال وتكلم
رافع بن عميرة الطائي وقال يا قوم وما المخافة من هولاء العلوج
اما نصركم الله في مواطن كثيرة فالنصر مقرون بالصبر
ولم تزل طائفتنا تلقا الجمع الكثير بالجمع القليل فاتبعوا سنن
الاولين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا كما قال اصحاب
طالوت يوم لقايهم لجالوت ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال فاهتز القوم لقول
رافع بن عميرة الطائي وقالوا والله لا يرانا الله منهزمين ولنقاتلن
اعدا الله الكافرين فلما سمع ضرار كلامهم وانهم قد اثروا
الاخرة على الدنيا ثم ان ضرار كمن بهم عند بيت
لهيا واخفا اثره وهو امام المسلمين عاري الجسد بسراويله
على فرس له بغير سرج وبيده قناة تامة وهو يرمق القوم
قال ونظرت الى ضرار بن الازور وهو يبدور في اول القوم
وهو على حالته التي وصفنا فهالهم امره وكان وردان في المقدمة
والاعلام والصلبان مشتبكة على راسه والملايكة محدقة به
فما طلب ضرار غيرهم لانه علم ان صاحبهم هناك فحمل
على القلب وطعن فارسا كان يحمل علما فاصاب نحره
فجندله عن فرسه وسقط العلم من يده ثم عطف على اخر
في الميمنة فطعنه وعاين وردان والصليب على راسه فعارضه
ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرق السنان خاصرته
الى ان خاض امعاءه وسقط الصليب منتكسا الى الارض
فلما نظر وردان الى الارض الصليب وقد انتكس هاو بالهم
ايقن بالهلاك وهم ان يترجل لاخذه فلم يجد الى ذلك سبيلا
وترجل اليه قوم من المسلمين لياخذوه وقد اشغل ضرار القوم لاخذ الصليب
ونظر ضرار الى من ترجل من القوم فقال وهو فيما هو فيه

من كرف الحرب يا معشر المسلمين ان الصليب لي دونكم وانا
صاحبه ولا تطمعوا في اخذه فاني اليه راجع اذا فرغت من كلب
الروم ومن معه قال فسمع ذلك وردان وكان يفهم بالعربية
فعطف يريد الهروب فقالت له البطارقة الى اين ايها السيد
قال افر من هذا الشيطان هل رايتم اهول من منظره قال
ونظر اليه ضرار وقد عطف راجعا فعلم انه قد عزم على الهروب
فصاح بقومه ثم تقحم في اثره ومد رمحه وهمز جواده وتصارخت
به الروم وعطفت اليه الكتايب وتسابقت اليه المواكب وهو مع
ذلك يقول الموت حق اين لي منه مفر وجنة الفردوس خير من سقر
ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل الناس في اثره واخترقوا
عسكر الروم ونظرت الى ضرار بن الازور وقد قصده وردان
صاحب حمص عندما علم انه اخترق القوم ومد رمحه وقد
احدقت به بطارقة الروم وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا
لا يطعن احدا الا اباده ولا يقرب منه فارسا الا جندله الى
ان قتل من الروم كثير وصاح ضرار لقومه ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص قال فاكبت
عليه جيوش الروم وصرخت به من كل جانب ووصل حمران
بن وردان الى ضرار ورماه بسهم فاصاب عضده الايسر
واحس ضرار بالالم فحمل على حمران لحميته وصمم عليه
برمحه وطعنه فاصاب فواده فقتله ووصل السنان الى قفاه
ظهره فاصابه ثم جذب الرمح اليه فلم يخرج واذا به قد
اشتبك في عظم ظهره وخرج الرمح لضرار دون السنان فلما
نظرت الروم الى الرمح قد ظهر من بين صاحبهم بلا سنان
طمعوا في ضرار وصمموا عليه وتبادروا اليه فاخذوه اسيرا
ونظروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ضرار قد اسر
فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فلم يجدوا الى
ذلك من سبيل وارادوا الهرب فقال رافع بن عميرة الطائي
يا اهل الحفاظ وحماة الدين الى اين بكم اما علمتم انه من ولى
ظهره لعدوه فقد باء بغضب من ربه بفعله وان الجنة

لها ابوابا لا تفتح الا للمجاهدين الصبر الصبر يا اهل الدين
كروا على عبدة الصلبان وها انا امامكم وفي اوايلكم فان
كان صاحبكم قد اسر او قتل فان الله حي لا يموت وهو
يراكم بعينه قال فرجعوا الى قوله وحملوا معه وقتلوا رجالا
وجندلوا ابطالا قال ووصل الخبر الى خالد ان ضرارا قد اسر
بيد الروم وانه قتل من المسلمين ومن المشركين خلق كثير
فعظم ذلك على خالد وقال في كم يكونوا العدو قالوا
قالوا في اثنا عشر الف لا باس قال والله ما ظننت بالعدو الا
في نفر يسير ولقد غررت بقومي ثم سال عن مقدمهم
قيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ابنه فقال خالد
لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ارسل خالد الى ابي عبيدة
يستشيره فبعث اليه ابو عبيدة رضي الله عنهما اترك على
الباب الشرقي من تثق به وسر انت اليهم فانك تطحنهم
طحن الحصيد وتتركهم صرعى على الصعيد فلما وصل
الجواب الى خالد قال والله ما انا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله
تعالى ثم اوقف مكانه ميسرة بن مسروق العبسي في الف
رجل وقال احذر ان يوتى المسلمين من قبلك ولا تزل
عن مكانك واستعن بالله وتوكل عليه قال ميسرة
حبا وكرامة ثم ثبت مكانه وعطف خالد وقال اطلقوا
الاعنة وقوموا الاسنة واذا اشرفتم على العدو فاحملوا حملة
واحدة لعلنا نخلص ضرارا ان كانوا ابقوا عليه
وبالله ان كانوا عجلوا عليه لناخذن ثاره ان شا الله تعالى
وارجو ان الله لا يفجعنا به ثم تقدم امام الناس وهو يقول

اليوم يوم فاز فيه من صدق • لا تجزع الموت اذا الموت طرق
لاروين الرمح من دم الحدق • لاهتكن البيض هتكا والدرق
عسى انال غدا منال من سبق •

قال فبينما خالد يتهدد بهذه
اذ نظر الى فارس على فرس كميت طويل الركاب قصير العنان
بيده رمح طويل لا يبين منه الا حماليق عينيه والفروسية
تلوح من شمايله والشجاعة تبين من معاطفه وهو

اطلق

اطلق عنان فرسه وقد حزم وسطه وتعمم بعمامة حمرا وقد سبق
امام الناس كانه شعلة نار فلما نظر خالد اليه قال ليت شعري
من الفارس وايم الله انه لفارس شجاع قال ثم اتبعه خالد
بالناس فسبق الناس الى المشركين قال الواقدي وكان
رافع بن عميرة الطاي في قتال الملحدين وقد صبر لهم ومن معه
اذ نظر الى خالد وقد انجده في كتايب الموحدين قال ونظر الى
الفارس الذي وصفنا وقد حمل في عسكر الروم كانه النار
فزعزع كتايبهم وحطم مواكبهم ثم غاب في وسط القوم فما
كان الا قليلا حتى خرج وسنان رمحه مضمخ بدماء الروم وقد
قتل رجالا وجندل ابطالا وقد عرض نفسه للمهالك ثم اخترق
القلب غير مكترث ولا متهيب وعطف على كراديس الخيل
وغاب عن الناس وكثر قلقهم عليه فاما رافع بن عميرة الطاي
ومن معه لم يظنوا الا انه خالد وقالوا الا تكن هذه الحملات
الا لخالد فانهم على مثل ذلك في فكرتهم اذا شرف عليهم خالد
في كبكبة من الخيل فصاح خالد رافع بخالد ايها الامير من الفارس
المقدم امامك لقد بذل مهجته وسنانه في رضا الله عز وجل
وفتك باعدا الله فقال خالد والله انني اشد منكم انكارا
له وقد اعجبني ما ظهر لي من شمايله قال رافع ايها الامير
انه منغمس في عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا قال خالد
معاشر المسلمين احملوا باجمعكم فاقرنوا القوم الاعنة
ومدوا الاسنة والصقوا بعضهم ببعض وخالد امامهم مناها
للحملة اذ نظروا الناس الى الفارس وقد خرج من القلب كانه
شعلة نار والخيل منصبة في اثره كلما تلاحق به قوم من
الروم لوا اليهم فيجندل منهم رجالا فعند ذلك حمل
خالد ومن معه ووصل الفارس الى جيش الموحدين فتاملوه
وقد تخضب بالدما فصاح به خالد لله انت من رجل بذل
مهجته في سبيل الله تعالى واظهر حنقه على اعدا الله اكشف
لنا عن لثامك قال فمال عنه الفارس ولم يخاطبه فتصايحت
به العرب من كل جانب وقالوا ايها الرجل اميرك يخاطبك

وانت تعرض عنه امض اليه واكشف لنا عن لثامك قال فمال عنهم
الفارس فقالوا له امض اليه واكشف له عن حسبك لنزداد اعظا ما
فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد اسرع سار اليه بنفسه
وقال ويحك قد اشغلت قلوب القوم وقلبي بفعلك فمن انت
فلما لح عليه خالد بالكلام خاطبه الفارس من تحت لثامه
بلسان التانيث وقال اني لم اعرض عنك تهاونا بك ولاكن
حيا منك لانني من ذوات الخدور وممن يسبل عليهن الستور
وانما حملني على فعلي لانني حزينة الكبد فقال من انت قالت
انا خولة بنت الازور والماسور هو اخي ضرار واني كنت
مع نسا مذحج بنات العرب اذ اتاني الناعي بانه اسير فركبت
وفعلت بهم ما فعلت قال فبكا خالد رضي الله عنه رحمة لها
ثم قال هلكن باجمعنا نحمل حملة واحدة ونرجوا ان نصل
اخيك فنفكه من اسره قالت وانا في اولكم قال عامر
بن الطفيل وكنت عن يمين خالد حين حمل وحملت خوله
امامه وحملوا المسلمون قال وعظم على الروم ما نزل بهم
من خولة وقالوا ان كانوا القوم كلهم مثل هذا الفارس
فليس لنا بهم طاقة ولما حمل خالد ومن معه واذا بالروم قد
اضطرب جيشهم ونظر وردان اليهم وقال اثبتوا للقوم
فاذا راوا اثباتكم ولوا ولعل تخرجوا اهل هذه البلدة يعني
دمشق فيعينوكم على قتالهم ولا ينفلت منهم احد قال
فثبتوا الروم لقتال العرب وحمل خالد بالناس حملة منكرة
واخترق القوم وفرقهم يمينا وشمالا وقصد خالد الى
موضع صاحبهم وردان واذا حوله اصحابه محدقون به
فحمل خالد عليهم حملة منكرة رام بها الوصول الى طاغيتهم
فلم ير اليه وصولا وتفرق المسلمون على قتال الروم وقاتل
رافع بن عميرة الطاي قتالا شديدا واما خولة اخت ضرار
فانها اخترقت القوم وجعلت تجول يمينا وشمالا تطلب اخاها
وهي تنادي وتقول اين ضرار لا اراه اليوم ولا اراه معشري وقومي
يا واحدي ويا اخي يا ابن امي • كدرت عيشي والنومي

نار

تزل

قال فبكوا الناس لقولها ولم كذلك فلم تر له اثر ولم
يزالوا الناس كذلك الى وقت الظهيرة وافترقوا القوم
بعضهم من بعض وقد اظهر الله المسلمين على المشركين
وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتراجعت كل فرقة الى مكانها
وقد انكمدت افيدة الروم مما ظهر لهم من الروم المسلمين
فجعلت تسال رجـ وما يمسكهم الا الفزع من صاحبهم وردان
فلما تراجعوا القوم الى مواقفهم اقبلت خولة بنت الازور الى المسلمين
فجعلت تسال رجلا بعد رجل عن اخيها وبن ابيها فلم يكن
احدا اخبرها انه راه اسيرا ولا قتيلا فلما وقع بها الاياس
منه بكت بكا شديدا وقالت يا ابن امي ليت شعري في
الجبال اوثقوك او بالحديد قيدوك ليت شعري في
البيداء طرحوك او بدما بك ضمخوك ليت اختك لك الفدا
تفديك من يد الاعدا لحقت بابيك المجدل امام المصطفى
عليك مني السلام الى يوم اللقا قال فبكا خالد من قولها وبكا
الناس قال وهم خالد ان يعاود للحملة اذ نظر الى كردوس
من الخيل وقد خرج من ميمنة الروم وقد اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة
فتاهبوا الناس لحربهم وتقدم خالد وخوله وابطال المسلمين
فلما قربوا من المسلمين رموا الرماح من ايديهم وترجلوا ونادوا
لفوز لفوز يعنون الامان فقال خالد اقبلوا امانهم واتوني
بهم فاتوا بهم اليه فقال خالد من انتم قالوا من جند هذا الر جل
وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا انا ما نطيقكم
فاعطنا الامان واجعلنا من جملة من صالحته من ساير المدن
حتى انا نودي من المال ما شيت في كل سنة وكل من في
مدينتنا حمص يرضون بقولنا قال خالد اذا وصلنا الى مدينتكم
يكون الصلح هناك واما ها هنا فلست اصالحكم ولكن
كونوا معنا الى ان يقضي الله ما هو قاض ثم امر خالد باعتقالهم
ثم قال لهم هل عندكم علم بصاحبنا الذي قتل بن صاحبكم
قالوا العلج العاري الجسد الذي قتل منا من قتل وفجع صاحبنا
بولده قال خالد عنه سالتكم فقالوا انه بعثه وردان •

عند ما ملكه على بغل ووكل به مائة فارس ليحملوه الى الملك
هرقل لما ظهر له من فعاله قال ففرح خالد بقولهم وعانق رافع
بن عميرة الطاي وقال يا رافع ما اعلم احدا اخبر منك بالمسالك
وانت اوحد اهل الارض في الحيل والتدبير فخذ معك من احببت
واتبع اثر القوم فعسى ان تلحق بهم فتخلص صاحبنا من ايديهم
فلئن فعلت ذلك فهي والله الفرحة الكبرى قال رافع حبا
وكرامة ثم انتخب مائة فارس وعزم على المسير فاتت البشارة
الى خولة بمسير رافع ومائة فارس في طلب اخيها فتهللت فرحا
واسرعت في سلاحها ولامتها وركبت واتت الى خالد وقد هم
القوم بالمسير فقالت ايها الامير سالتك بالطاهر المطهر
محمد خير البشر الا سرحتني مع من سرحت فعسى ان
اكن مشاهدة لهم فقال خالد لرافع انت تعلم شجاعتها
خذها معك فقال السمع والطاعة ثم ارتحل رافع بمن
معه وسارت خولة تتبع اثار القوم ولا تختلط بهم وسار
القوم الى ان وصلوا قريبا من سلمية فنظر رافع
واذا ليس للخيل اثر فقال لاصحابه ابشروا فان القوم لم يصلوا
بعد ثم كمنهم في وادي الحيات فبينما هم مكمنون
واذا بغبرة قد لاحت لهم فقال رافع لاصحابه ايقظوا خواطركم
فبقوا القوم في انتظارهم واذا بهم قد اتوهم محدقون بضرار
بن الازور وضرار ينشد ويقول
الا مبلغا قومي وخولة انني * اسير رهين موثق اليد بالقد
وحولي علوج الشام من كل كافر * وما منهموا الا المحصن بالسرد
فيا قلب مت غما وهما وحسرة * ويا دمعي جودي بفيض على خدي
ترى هل ارى اهلي وخولة مرة * فاذكر ما كنا عليه من العهد
قال فنادته خولة من مكمنها لقد اجاب الله دعاك ها انا اختك
خولة ثم كبرت وحملت وكبر رافع واصحابه قال حمير
بن سالم البياضي وكنا اذا كبرنا تصهل خيولنا الهاما من
الله تعالى وقصد كل فارس منا فارسا من الروم فما كان
الا قليلا حتى قتل كل واحد منا خصمه وخلص الله ضرار
واخذنا

واخذنا خيل الروم وسلاحهم قال رافع بن نادم التنوخي ولقد
كنا في قتال المائة وخولة قد خلصت اخاها وسلمت عليه
فرحب بها وركب جوادا وجعل غايرا واخذ قناة وجدها
مطروحة وحمل وجعل يقول
يا رب حمدا اذ اجبت دعوتي * فرجت عني وازلت كربتي
اعطيتني المامول قبل منيتي * جمعتني يا رب مع اخيتي
فاليوم اشفي من عداي مهجتي * قال الواقدي فبينما هم يجمعون
الاموال والسلاح واذا بالروم قد اقبلت منهزمة قال وكان
خالد لما بعث رافع في طلب ضرار لتخلصه مع المائة فارس صدم
وردان صدمة من يريد يطلب الشهادة ويبتغي السعادة
وصدم المسلمون الروم فما لبثوا ان ولوا الادبار وكان
اولهم وردان وتبعهم المسلمون واخذوا اموالهم وسلاحهم
فلم يزالوا في طلب الروم الى وادي الحيات واجتمع المسلمون
برافع بن عميرة الطاي وضرار فسلموا عليه وهنوه بالسلامة
واثنا خالد على رافع خيرا ثم عادوا الى دمشق وفرحوا
المسلمون بالنصر وبشروا ابا عبيدة بالنصر وايقنوا اهل
دمشق بالغلبة قال واتصل الخبر الى هرقل ان وردان
قد انهزم وقتل ولده فايقن بزوال ملكه فكتب
الى وردان اما بعد فانه بلغني ان العرب الجياع الاكباد
العراة الاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك فلا رحمه
المسيح ولا رحمك ولولا اني اعلم انك فارس الحرب وان النصر
ليس لك لحل عليك سخطي والان قد مضى ما مضى فقد
بعثت الى اجنادين تسعين الفا وقد امرتك عليهم فسر
نحوهم وانجد اهل دمشق وانفذ بعض اصحابك ليشغل
من بفلسطين من العرب ويحل بينهم وبين اصحابهم وانصر
دينك والسلام ونفذ الكتاب مع خيل البريد فلما ورد عليه
وقرا كتاب الملك سلا عنه بعض ما كان يجده واخذ في
اهبته للمسير الى اجنادين فوجد هنالك من الروم وقد اظهروا
السلاح ثم خرجوا الى لقايه فسلموا عليه وخدموا بين يديه

وعزروه في ولده فلما استقر قراره في سرادقه قرا عليهم كتاب
الملك فاجابوه بالسمع والطاعة وقال لهم خذوا لانفسكم
حتى نخرج من بلد دمشق فاخذوا على انفسهم قال حدثنا
رفاعة بن قيس حدثنا ابو زيد عن ابيه روح بن طريف
قال كنت مع خالد بن الوليد على الباب الشرقي حين رجعنا
من هزيمة وردان واذا قد ورد علينا عباد بن سعد الحضرمي
وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بصرى يعلم خالد بمسير الروم
اليه في اجنادين في تسعين الفا تحت اهبتك للقايهم فلما
سمع خالد ذلك ركب الى ابي عبيدة وقال يا امين الامة
هذا عباد بن سعد الحضرمي قد بعث به شرحبيل بن حسنة
يخبرني ان الطاغية هرقل قد ولى وردان على من تجمع
باجنادين من الروم وهم تسعون الفا فما الراي يا صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو عبيدة رضي الله عنهما
اعلم يا ابا سليمان ان اكثر اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم غايبين عنا مثل شرحبيل بن حسنة بارض بصرى
ومعاذ بن جبل بارض حوران ويزيد بن ابي سفيان بارض
البلقا والنعمان بن المقرن بارض تدمر واركة وعمرو بن
العاص بارض فلسطين والصواب ان تكتب اليهم يسيرون
الينا ثم نقصد العدو ومن الله نطلب النصر فكتب خالد
الى عمرو بن العاص رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان اخوانك المسلمين قد عولوا الى المسير الى
اجنادين فان هنالك من الروم تسعين الفا وهم يريدون
المسير الينا يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابي هذا
فاقدم الينا بمن معك الى اجنادين فانك تجدنا هنالك
ان شا الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من
المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب
الى جميع الامرا الذين ذكرناهم ثم نفذ الكتاب اليهم

وامر الناس بالرحيل

وأمر الناس بالترحيل فعقدت القباب على ظهور الجمال
وساقوا جميع الاموال والاغنام فقال خالد لابي عبيدة رضي
الله عنهما قد رايت رايا ان اكون مع الغنايم والنسوان والولدان
وكن انت على المقدمة على خاصة اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو عبيدة بل اكون على الساقة وكن انت في المقدمة
مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان تجدهم
على اهبة الحرب فتمنعهم من الوصول الى الحريم والاولاد والغنايم
ولا يصلون الينا الا وانا قد دبرت حيلة وجعلت من دونها
الجمال والرجال والا كنت انا ومن معي غنيمة لهم اذا كنت
في المقدمة قال خالد لست اخالفك فيما ذكرت ثم ان
خالد قال ايها الناس انكم سايرون الى عسكر كثير
فايقظوا هممكم وانسوا اجالكم واعلموا انما اعد الله لكم
فان الله قد وعدكم النصر ثم قرا كم من فية قليلة غلبت
فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم اخذ خالد الجيش
وسار في المقدمة وبقي مع ابي عبيدة الف رجل من ساير الناس
قال ونظروا الى ذلك اهل دمشق فطعطعوا عليهم وصاحوا
واقبلوا السيوفهم وهم يظنون انهم يتبعون العرب لاجل
من بلغهم من جيوشهم انهم باجنادين فقالوا اعلاهم ان
كانوا على طريق بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص
وان كانوا على طريق مرج راهط وشحورا فالقوم لاشك
هاربين الى الحجاز ويتركوا ما اخذوا من البلاد قال الواقدي
وكان يوميذ بطريق عظيم يقال له بولص بن ملاقي واخيه
بطرس وكانا معظما عند النصرانية وكان اذا اقدم
على الملك هرقل غما ومسيلة وعجزوا عن جوابهم كان
ينفذ اليه فياتي اليه فيفرج عنه وكان ارمى الخلق بالسهام
وذلك انه كان بداريا شجرة عظيمة وانه رماها بسهمه
فغاص السهم في الشجرة من قوة ساعده وكتب عليها
من عجبه من كان يدعي الشجاعة فليلزم سهمه الى جانب
سهمي وكان قد شاع ذكره بذلك فلم يكن

قاتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من دون دخلوا الشام
وان اهل دمشق لما راوا رحيل المسلمين اجتمعوا اليه فقال لهم
ما الذي جاء بكم فاعلموه برحيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قالوا ان كنت تريد فخر الابد والجاه الكبير عند الملك
وعند كل من بالشام فدونك فاخرج بنا نتخلف من تخلف
عنهم وان راينا لنا طمعا فيهم قاتلناهم فقال بولص انما
كان سبب تخلفي عن نصرتكم لاني رايتكم قليلين الهمة
في قتال عدوكم فبخلت بنفسي عليكم واما الان لا حاجة
لي في قتال العرب فقالوا وحق المسيح والانجيل ان انت
سرت معنا لنتبعن معك وما منا من ينهزم وقد حكمنا
فيمن ينهزم ان تضرب عنقه ولا نعارضك في ذلك فلما
استوثق منهم دخل الى منزله ولبس لامته فقالت له زوجته
الى اين تريد قال اخرج الى لقاء العرب وقتالهم فقد ولوني
اهل دمشق عليهم فقالت له لا تفعل والزم قصرك ولا تطلب
ما ليس لك به طاقة فاني رايت في النوم كانك قابض قوسك
ترمي طيورا في الهوى وقد سقط منهم الى الارض ثم عادت
صاعدة بعد سقوطها فانا لذلك متعجبة مما رايت اذ اقبلت
نحوك سحابة من الجوارح فانقضت من الهوى عليك وعلى
من معك فجعلت تضرب وجوهكم ثم وليتم منها منهزمين
ورايتها لا تضرب احدا الا صرعته ثم انتبهت مرعوبة
باكية عليك فقال لها رايتني فيمن صرع قالت بلى وقد نقر
جارح عينيك فصرعك قال فلطم وجهها وقال لا بشرك الله
بخير ويلك دخل رعب العرب في قلبك لا خوف عليك ساجعل
امير العرب لك خادما واصحابه رعاة الغنم والخنازير فقالت
له زوجته افعل ما شئت فقد نصحتك الان قال فلم يلتفت
الى كلامها وخرج من منزله متاهبا وركب وركبوا معه
من كان بدمشق من الروم فاعرضهم واذا هم ستة الاف
فارس وعشرة الاف راجل من اهل النجدة وساروا القوم
وكان خالد قد ابعد في المقدمة وان ابا عبيدة ساير
على

على مشي الاغنام والاباعر اذ ابصر رجل من اصحابه الغبرة
فاعلم ابا عبيدة فقال اظنها غبرة لاعدائنا وهم اهل دمشق
قد طمعوا فينا ثم وقف حتى تلاحق الظعن والاغنام هذا
والغبرة تنمو والاصوات تعلو فقال معاشر المسلمين
خذوا على انفسكم فان العدو واصل اليكم ووقعة شحورا
فما استتم كلامه حتى بدت الخيل كانها قطع الليل
وبولص على المقدمة فلما نظر الى ابي عبيدة قصده
ومعه الستة الاف وقصد اخوه بطرس والرجالة الى الحريم
فاقتطعوا منهن قطعة فلما احتوى عليها رجع بها بطرس
نحو دمشق فلما وصل الى نهر استرياق وهي الكسوة جلس
هنالك بطرس ينتظر ما يكون من امر بولص اخيه
واما ابو عبيدة رضي الله عنه فانه نظر الى ما جاءه من القوم
فقال والله لقد كان الراي مع خالد اذ قال دعني في الساقة
فلما دعه واذا قد اشرف عليه بولص وقصده والاعلام والصلبان
على راسه والنساء يولولن والصبيان يزعقون والالف من
المسلمين قد استقبلوهم بالقتال الشديد وقصد عدو الله
بولص الى ابي عبيدة واشتبكت بينهما الحروب ووقع
القتال بين الصحابة والروم وارتفعت الغبرة عليهم
واقتتلوا في الكر والفر على ارض شحورا قال وبلي ابي عبيدة
بقتال بولص وصبر له صبرا كريما قال سهيل بن صباح
وكان تحتي جوادا اغر محجل من خيول اليمن فاطلقت
له العنان فخرج من تحتي كالبرق الخاطف فما كان
غير بعيد حتى لحقت بخالد والمسلمين فاقبلت صارخا
بهم فعطف الي خالد وقال ما وراك يا ابن صباح قلت
ايها الامير الحق ابا عبيدة والحريم فان نفير دمشق
لحق بهم وقد اقتطعوا قطعة من النسوان والولدان وقد
بلي ابي عبيدة بما لا طاقة له به فلما سمع خالد ذلك قال انا لله
وانا اليه راجعون ثم امر رافع بن عميرة الطائي على الف
من الخيل وقال الحق الظعن فلما ابعد امر عبد الرحمن

بن ابي بكر على الفين وقال ادرك العدو ثم اردفه بضرار
بن الازور في الف وبعث قيس بن هبيرة في الف واتبعهم
خالد في بقية الجيش فبينما ابو عبيدة في القتال مع بولص اذ تلاحقت
به جيوش المسلمين وحملوا على اعداء الله الكافرين وداروا
بهم من كل مكان وتنكست الصلبان وايقنوا الروم
بالهوان واقبل ضرار بن الازور كانه شعلة نار وقصد بولص
فلما راه عدو الله تبلد خاطره ووقعت الرعدة عليه وقال لابي
عبيدة يا عربي بحق دينك الا قلت لهذا الشيطان ان يبعد عني
وكان عدو الله بولص قد راى ضرار من سور دمشق
وما صنع في عسكر كلوص وعزرايل ومهما سمع ايضا من
فعاله في بيت لهيا فلما راه مقبلا عرفه فقال لابي عبيدة
بحق دينك قل لهذا الشيطان لا يقرب مني فقال ضرار
وقد سمعه انا شيطان ان قصرت عن طلبك ثم فاجاه بطعنة
فلما راى بولص ذلك رمى نفسه عن جواده وطلب الهروب
نحو اصحابه فترجل ضرار في طلبه وقال الى اين بك والشيطان
في طلبك ثم لحقه وهم ان يعلوه بسيفه فقال بولص يا بدوي
ابق علي ففي بقائي بقاء نسوانكم فلما سمع ضرار قوله امسك
عليه واخذه اسيرا والمسلمون قتلوا اعداء الله قتلا ذريعا
قال الواقدي حدثنا اسلم بن مالك اليربوعي حدثنا
رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحورا مع المسلمين
والروم وكنت في خيل عبد الرحمن بن ابي بكر ودرنا
بالروم من كل مكان وبذلنا اسيافنا في القوم وكانوا
ستة مقانب في كل مقنب الف فارس قال رفاعة بن قيس
فوالله لقد اعلمنا يوم فتح دمشق انه ما رجع منهم فوق المائة
احد قال واعلم ضرار بن الازور ان اخته مع النسا المأسورات
فعظم الامر عليه واقبل الى خالد واخبره بذلك قال لا جزع
فانا قد اسرنا الاميرة وامة من القوم وسوف نفادي بهم
من اسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق في طلبهم ثم امر خالد
ابا عبيدة ان يسير مع الناس على مهل حتى ينظر ما يكون

من امر الحريم ثم سار في الفي فارس جريدة وبعث العسكر
كله مع ابي عبيدة مخافة ان يلحقهم وردان بجيوشه فساروا القوم
وجدوا في مسيرهم وضرار ينشد ويقول

يا رب فرج ما نرى من كربتي ● ولا تميتني عاجلا بحسرتي
حتى ارى بناظري اخيتي ● ذاك مناي ثم ذاك بغيتي
سيروا بنا الى العداة يا اخوتي ● عسى انال بغيتي ومنيتي

قال فضحك خالد من قوله ثم ساروا الى ان قربوا من نهر اسريابق
وفي الكسوة راوا غبرة طالعة فقال خالد هذا عجب فقال قيس
بن هبيرة انه من بقي من خيالة دمشق قد جاؤا فقال خالد
قوموا الاسنة لننظر ما الخبر فقوموها وساروا قال حدثنا سعيد
بن عمرو قال سمعت حبيب بن مصعب يقول لما اقتطعت
الروم ما ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس اخو بولص
الى ان نزل بهم حيث ذكرنا وقال لهم بطرس انا لا نبرح
من ها هنا حتى نرى ما يكون من اخي بن امي وابي ثم اعرض
امامه النسا فلم ير في الحريم احسن من خولة بنت الازور
اخت ضرار فقال بطرس هذه لي وانا لها لا يعارضني فيها
معارض قالوا اصحابه هي لك قال واقتطعوا القوم الجوار
كل يسبق الى واحدة يقول هذه لي ثم ضموا الغنيمة ووقفوا
بالبعد ينتظرون ما يكون من امر بولص واصحابه وكان
في الحريم عجائز من حمير من نسل العمالقة والتبابعة
وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضان الليل والهجوم
على قبائل العرب قال فاجتمعن النسوة بعضهن الى بعض
فقالت لهن خولة يا بنات حمير وبقية تبع اترضين ان
يطاكن علوج الروم وتكن عبيدا لاهل الشرك والكفر
فاين شجاعتكن وما اراكن الا بعزلة عن ذلك اني ارى
القتل عليكن اهون من هذا المصاب فقالت لها عفيرة بنت
عفار الحميرية يا بنت الازور ونعم الله انا كما ذكرتي
في الشجاعة ولنا المواقف العظام غير ان القوم يحسنوا الضرب
بالنبل والرمح والسيف فلولا ذلك فما الحيلة في من لا يملك سيفا

ولا رمحًا وانما غافصنا العدو ونحن على غير اهبة وها نحن كالغنم
اذا شردت فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة فاين
انتن عن اعمد الخيم ونحمل على هولاء اللئام فلعل الله ان
ينصرنا عليهم واما ان يقتلونا فنستريح من العار قالت عفيرة
والله ما دعيتيني الى شي احب الى مما ذكرتي ثم تناولت كل
واحدة منهن عمودًا وبرزن الى الروم وخولة بنت الازور
مقدمتهن وقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض ولا
تفترقن فتهلكن فحطمن الرماح وكسرن السيوف قال
ثم حطمت خولة فاول ما ضربت رجلا من القوم على هامته
فانجدل صريعا والتفتت الروم تنظر ما الخبر واذا بالنسوة
قد اقبلن بايديهن العمد فصاح بهن بطرس يا ويلكن
ما هذا فقالت له عفيرة بنت عفار الحميرية هذا فعلنا ننزهها
عن معيرة العرب لنا ولنضربن فيكم اليوم بهذه الاعمدة
حتى نصرم اعماركم قال فضحك بطرس من قولها ثم
صاح بقومه يا ويلكم تفرقوا على النسوان ولا تبذلوا فيهن
السيف وخذوهن اسرا ومن وقع بصاحبتي يعني
خولة فلا ينلها بكره فافترق القوم عليهن من كل
جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا اليهن من سبيل
وجعلن لا يدنوا منهن احد من الروم الا ضربن قوايم فرسه
فيعطبوها فاذا انتكس عن جواده بادرنه بالاعمدة فيقتلنه
قال الواقدي لقد بلغني ان النسوة قتلن ثلاثين رجلا
فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب غضبا اشد
وترجل وترجلوا اصحابه وزحفوا الى النساء بالقمطاريات
والسيوف والنسوة تلجي بعضهن بعضا ويقلن متن كراما
ولا تمتن لياما قال واظهر بطرس تاسفه وتلهفه عندما
نظر الى فعلهن ونظر الى خولة بنت الازور وهي كالاسد وتنشد
وتقول نحن بنات تبع وحميرة • وضربنا فيكم ليس بمنكر
لاننا في الحرب نار تسعر • اليوم تلقون العذاب الاكبر
فلما سمع بطرس قولها وتبين حسنها وجمالها واعتدال قامتها

قرب

قرب منها وقال لها يا عربية اقصري من فعالك فانا مكرم
لك وضامن لك ما يسرك الا ترضين ان اكون مولاك
وانا الذي تهابني النصرانية كلها ولي ضياع واموال وماشية
ولي المنزلة العظيمة من الملك وجميع ما انا فيه مردود اليك
ولا تقتلي نفسك بيدك فقالت له يا ابن الكوافر اللئام الفواجر
والله ما ارضى ان ترعا لي الابل والاغنام فكيف ارضى ان تكون
لي كفوا والله لئن ظفرت بك لاطيرن مخك بهذا العمود
قال فحرد وحرض اصحابه على القتال وقال ما تريدون عارا
اكبر من هذا في جميع الشام ان نسوة غلبوكم فاتقوا غضب
المسيح والملك هرقل قال الراوي فاهتزوا لقوله وحملوا
حملة عظيمة وصبروا لهن النسوة فبينما هم كذلك اذ
اشرف عليهم خالد بن الوليد ونظر الغبار وبريق الاسنة
فقال لاصحابه ايكم ياتينا بخبرها قال رافع بن عميرة الطائي
انا لها ايها الامير ثم اطلق عنان جواده حتى اشرف على النسوة
وهن يقاتلن فالوا راجعا الى خالد واخبره بما راى فقال
خالد العجب من بنات التبابعة ونسل العمالقة منهم تبع بن
الاقرن وغيره وتبع بن حسان بن تبع الذي ذكر في رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ذكره قبل خروجه وظهوره وشهد
له بالنبوة قبل اوانه وهو الذي قال فيه وانشد
شهدت على احمد انه • رسول من الله باري النسم
له امة سميت في الزبور • بامة احمد خير الامم
فلو مد عمري الى عصره • لكنت وزيرا له وابن عم
واعلم يا رافع ان هذه النسوة لهن الحروب والمواقف المشهورة
ولئن كن فعلن ما ذكرت فقد سدن على ساير نساء الناس
وبنات العرب الى سالف الابد وازلن عنهن العار قال
فتهللت وجوه الناس فرحا ووثب ضرار فرما الطمارة
واقتلع رمحه من مركزه واطلق عنانه يريد المبادرة
الى نصرة النساء فقال خالد مهلا يا ضرار لا تعجل
فقال ايها الامير لا صبر لي عن نصرة ابنة امي وابي

فقال خالد ما كنت الى الفرج اقرب من وقتك هذا ان
شا الله تعالى ثم ان خالد رتب اصحابه وقال معاشر الناس
اذا وصلتم الى القوم فاخذ قوابهم فعسى الله يخلص حرمنا
ويرحم صبياننا قالوا حبا وكرامة ثم تقدم خالد بهم
فبينما الروم في القتال مع النسوة اذ اشرفت عليهم الكتايب
والمواكب والرايات فصاحت خوله برفيع صوتها يابنات
العرب قد جاكم الفرج ورب الكعبة قال ونظر بطرس
الى كتايب الموحدين قد اشرفت عليهم والسيوف تلمع
كلمعات البرق فخفق فواده وارتعدت فرايصه
واقبل القوم ينظر بعضهم الى بعض فخرج بطرس وقال
يامعاشر النسوة انه قد دخل في قلبي لكن رحمة لان
لنا اخوات وبنات وقد وهبتكن للصليب فاذا قدموا
رجالكن فاخبروهم بذلك ثم عطف يريد الهرب
اذ نظر الى فارسين قد خرجا من قلب العسكر احدهما
متكفن في لامته والاخر عاري الجسد وهو على
فرس عري وبيده رمح وقد اطلقا عنانيهما كانهما
اسدان وكانا خالد وضرار فلما رات خوله اخاها
قالت الي اين يابن امي الي فاقبل اليها فصاح بها بطرس
انطلقي الى اخيك فقد وهبتك له ثم ولا يطلب الهرب
فقالت له خوله وهي تهزو به ليس هذا من شيم العرب
فكن تحت هواك لتبلغ رضاك ثم حطت اليه
فقال لها ويحك غيبي عني رويتك فقد زال عني
ما كنت اجد من محبتك فقالت له خوله لابد لي منك
على كل حال ثم اسرعت اليه وقد قصده ايضا ضرار
وخالد والكتايب فصاح بطرس حين نظر الى ضرار
وقد قصده ياعربي خذ اختك مباركة لك وهي
هدية مني اليك فقال له ضرار قد قبلت هديتك
واني لا اجد لك مكافات على ذلك الا سنان رمحي
خذه هدية مني اليك ثم حمل ضرار وهو يقرا واذا

حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ثم صمم عليه
بالطعنة فوصلت اليه خوله فضربت قوايم جواده فعاجله
ضرار وطعنه في خاصرته اطلع السنان من الجانب الاخر
وانتكس صريعا فصاح به خالد لله انت هذه الطعنة لا
تخيب طاعنها ثم في اعراض القوم وحمل خالد والالفي فارس
فما كان الا قليلا حتى قتل من القوم ثلاثة الاف فارس قال
ابن عون الربعي ولقد عددت لضرار انه قتل من القوم
ثلاثين رجلا وقتلت اخته خوله بعمودها رجالا ورايت
عفيرة بنت عفار الحميرية وقد قاتلت قتالا عظيما لم ار
مثله من امراة فانهزمت بقية الروم ولم يزالوا المسلمون
في ادبارهم الى ان وصلوا دمشق فلم يخرج اليهم احد من اهلها
بل زاد فزعهم واشتد هلعهم ورجعوا المسلمون فجمعوا
الغنايم والخيل والسلاح والاموال ثم قال خالد ايها الناس
اطلبوا نحو ابو عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد
لحقوا به فساروا القوم وقد جعل ضرار راس بطرس على سنانه
وساروا القوم حتى لحقوا ابا عبيدة في مرج راهط فاشرفوا
المسلمون عليه وكبروا واجابهم خالد ومن معه فلما
اجتمعوا الناس سلم بعضهم على بعض وراوا الماسورات
ففرحوا واخبرهم من حضر الوقعة بما فعلوا النسوة
فاستبشروا بنصر الله تعالى وعلموا ان الشام لهم ثم
دعا خالد ببولص وقال ياويلك اتسلم والا فعلت بك ما
فعلت باخيك قال وما الذي صنعت باخي قال قتلته
وهذا راسه عندنا فجاء به ضرار وطرحه بين يديه فلما
راى راس اخيه بكا وقال لا ابقا لي بعده فالحقوني به
فقام اليه المسيب بن نجيه الفزاري بامر خالد فضرب
عنقه ثم ارتحلوا القوم قال حدثنا سعد بن مالك الحضرمي
حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة على جده هلال بن قتم
قال لما بعث خالد الكتب الى شرحبيل بن حسنة والى
معاذ بن جبل والى يزيد بن ابي سفيان والى عمرو بن العاص

مع كل واحد قدر كتابه تسارعوا بجمعهم الى اجنادين
لمعاونة اخوانهم وجاؤا بعددهم وعديدهم وقعة اجنادين
قال سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت
في خيل معاذ بن جبل فاشرفنا باجمعنا على اجنادين وكا نا
كنا على ميعاد وذلك في مستهل جمادى الاولى سنة
ثلاثة عشرة من الهجرة وتبادر المسلمون يسلم
بعضهم على بعض قال ورأينا جيوش الروم في عدد لا يحصا
فلما اشرفنا عليهم اظهروا النا زينتهم وعددهم وعديدهم
وتصففوا كتايب ومواكب وامتدوا النا بارض اجنادين
ومدوا صفوفهم فكانت تسعين صفا في كل صف الفا
قال الضحاك بن عروة السكاسكي والله لقد دخلت
العراق ورايت جنود كسرى وجنود الجرامقة فما رايت
اعظم من جنود الروم ولا اكثر من عددهم وسلاحهم
قال فنزلوا بازايهم فلما كان من الغد ادارت الروم نحونا
قال الضحاك بن عروة فلما رايناهم وقد ركبوا اخذنا
على انفسنا وتاهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل صفوفنا
ويقول اعلموا انكم لستم ترون جيشا للروم مثل هذا
فان هزمه الله على ايديكم فما يقوم لهم قايمة بعدها ابدا
فعليكم بنصر دينكم واياكم تولون الادبار فيعقبكم
ذلك دخول النار واقرنوا المناكب وهزوا الاضارب
ولا تحملوا حتى امركم بالحملة وقدموا عزمكم قال
الواقدي ولقد بلغني ممن اثق به ان وردان لما راى
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجتمعوا على حربهم
جمع البطارقة والملوك اليه وقال يا بني الاصفر اعلموا
ان الملك هرقل معولته عليكم وان انكسرتم فلا يقوم
لكم بعدها قايمة بعدها ابدا وتملك العرب بلادكم
وتقتل رجالكم وتسبى حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن
حملتكم واحدة ولا تتفرقوا واعلموا ان كل ثلاثة منكم
لرجل منهم فاستعينوا بالصليب فهو ينصركم قال الراوي
قال

قال الراوي وان خالدا التفت الى المسلمين وقال ايها الناس
ايكم من يحزر لنا القوم قال ضرار بن الازور انا ايها
الامير فقال خالد انت لها والله ولكن اذا اشرفت على القوم
اياك ان تغرر بنفسك فتحمل على القوم فما امرك الله بذلك
فقد قال الله عز وجل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال
فاطلق ضرار عنانه الى ان اشرف على جيش الروم فراهم
في زينتهم وخيامهم الديباج والرايات كاجنحة الطيور
قال وكان وردان يحدق نحو جيش المسلمين اذ نظر
الى ضرار فقال لبطارقته اني ارى فارسا قد اقبل ولست
اشك انه طالعة القوم ايكم ياتيني به فابتدر من القوم
ثلاثين فارسا وطلبوا ضرار فلما نظر اليهم ولى بين يدي
القوم حتى تبعوه وظنوا انه قد انهزم وانما اراد بذلك
ان يبعد بهم عن اصحابهم فلما ابعد الوى راس الجواد
اليهم وصوب السنان نحوهم فاول ما طعن فارسا من
القوم فارداه وثنا باخر وصرخ فيهم ودخل رعبه في قلوبهم
وتبعهم وهو يصرع فارسا بعد فارس الى ان صرع من القوم
سبعة عشر رجلا فلما قرب من جيش الروم الوى راجعا
الى خالد واعلمه بما كان فقال له الم اقل لك لا تغرر
بنفسك ولا تحمل فقال ان القوم طلبوني وخفت ان يراني
الله منهزما فجاهدت باخلاص لا جرم ان الله نصرني عليهم
ولولا ملامتك يا خالد لما رجعت الا حملتي على الكل
واعلم ايها الامير ان القوم غنيمة لنا قال فرتب خالد
عسكره ميمنة وميسرة وقلب وجناحين فجعل في القلب
معاذ بن جبل وفي الميسرة سعيد بن عامر بن خثعم
وفي الجناح الايمن النعمان بن المقرن وفي الجناح الايسر
شرحبيل بن حسنة وعلى الساقة يزيد بن ابي سفيان
في اربعة الاف حول الحريم ثم التفت الى النسوان فقال
لهن خالد يا بنات العمالقة وسادات الاكاسرة قد فعلتن
فعلا ارضيتن الله والمسلمين وقد بقي لكن بذلك

الذكر الجميل وهذه ابواب الجنة قد فتحت لكن والنار
لعدوكن فاذا رايتن العدو فقاتلن عن انفسكن
فقالت خولة والله لا نبالي بمن دهمنا به كاين من كان
قال فجزاهن خيرا وجعل خالد يحرض الناس على القتال
وينادي معاشر الناس انصروا الله ينصركم واقرنوا
المناكب ولا تحملوا حتى امركم بالحملة ولتكن السهام
مجتمعة اذا خرجت من اكباد القسي كانها تخرج من
كبد قوس واحد فانها اذا تلاحقت السهام لم تخل
ان يكون فيها سهما مصيبا واصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا انكم لم تلقوا عدوا
مثل هذا قال فجردوا السيوف وقوموا السهام واقبل
خالد فوقف في القلب مع عمرو بن العاص وعبد الرحمن
بن ابي بكر وقيس بن هبيرة ونظراهم ثم زحفوا بسكينة
ووقار فلما نظر وردان الى جيش المسلمين قد زحفوا
زحف ايضا بعسكره فكانوا املوا الارض في الطول والعرض
من كثرتهم فلما تقارب القوم بعضهم من بعض خرج
من صفوف الروم شيخ كبير فلما قرب من المسلمين
نادى بلسان عربي ايكم المقدم فليخرج الي فخرج
اليه خالد فقال له انت امير القوم قال خالد كذلك
يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة نبيه فقال القس
بهذا نصرتم علينا ثم قال اعلم انك توسطت بلادا ما
جسر ملك من الملوك ان يتعرض لها ولا يدخلها
وان الفرس دخلوها فرجعوا خايبين وان الجراجمة
اتونا وافنوا انفسهم علينا وما بلغوا ما ارادوا والان
قد نصرتم علينا وليس النصر يدوم لكم وصاحبي وردان
قد اشفق عليكم وقد بعثني اليكم وقال يعطي كل
واحد منكم ثوبا وعمامة ودينارا ولك انت مائة دينار
وعشرة اثواب ولصاحبك يعني ابا بكر الف دينار
ومائة ثوب وارجعوا عنا بحشمتكم فانا على عدد الذر

قال خالد والله ما نرجع عنكم الا باحدى ثلاث
اما ان تدخلوا في ديننا او تودوا الجزية او القتال
واما ما ذكرت انكم على عدد الذر فان الله قد وعدنا
النصر على لسان نبينا وانزله في كتابنا واما ما ذكرت
ان صاحبكم يعطي كل واحد منا ثوبا وعمامة ودينارا
فعن قريب ثيابكم تكون علينا وبلادكم ملكنا
فقال القس اذهب انا راجع الى صاحبي اخبره بجوابك
ثم انه ولى راجعا واخبر وردان بجواب خالد فقال
وردان ايظن انا مثل من لقيه بالامس وقد قدم وردان
الرجالة صفا امام الخيالة ورتب اصحابه فصاح معاذ
بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت والنار
قد غلقت والملايكة قد اشرفت والحور قد تزينت
فابشروا بالحياة السرمدية ثم قرا ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية
الحملة بارك الله فيكم فقال خالد مهلا يا معاذ حتى
اوصي الناس ثم رتب صفوفهم وقال اعلموا ان هولاء
اضعافكم فطاولوهم الى اوقات العصر فانها كانت
ساعة يرزق فيها نبيكم النصر على اعدائه واياكم
تولون الادبار فان الله يراكم ازحفوا على بركة الله
قال فلما تقارب الجمعان رمت الارمن بنشابها رمية
واحدة فقتلوا رجالا وجرحوا اناسا وخالد قد منع الناس
من الحملة فقال ضرار بن الازور وما لنا والوقوف
والله قد تجلى وما يظنوا اعداء الله الا انا جزعنا فامرنا
بالحملة او يبرز منا رجالا حتى يبارزونا ويطولوا الى وقت
حملتك قال فانت لها يا ضرار قال فخرج ضرار بن
الازور وقال والله ما شي اشهى الي من ذلك ثم تدرع
بدرع وخرج وقد اخفى نفسه عن الروم بلباسه ثم اطلق
عنانه وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام ورموه بالحجارة
فلم يصل اليه سهم وهو يخترق صفوفهم فما كانت

الاجولة حتى قتل عشرين فارسا وراجلا ثم رما الزردية
عنه وقال يا بني الاصفر انا ضرار بن الازور صاحبكم بالاما
وغريمكم انا قاتل حمران بن وردان انا المسلط على من
يكفر بالرحمن فلما سمعت الروم كلامه وعرفوه
تقهقروا الى ورائهم قال فطمع فيهم وحمل في اثرهم فقال
وردان من هذا البدوي فقالوا ايها الملك هذا الذي
يظهر مرة عاري الجسد ومرة بلا رمح ومرة بالنبل فلما
سمع وردان بذكر ضرار قال والله هذا قاتل ولدي
ومقلل عددي من ياخذ ثاري منه وله عندي الجارية
الكبرى فبدر اليه بطريق من الاراجنة فقتله قال الراوي
وخرج اليه صاحب طبرية فقتله وقال هلال بن مرة وكنت
في الميمنة وكان رومانس عن يساري فسمعته يقول وهذا
الاخر مقطع رمحا ولم ندري ما اسمه فقال ايها الصاح
انا اخذ بثارك منه ثم اطلق عنانه وحمل على ضرار فما
جالا اكثر من ثلاث ساعات حتى طعنه ضرار طعنة
صادقة خرق بها درع اللعين فانجدل صريعا فقال
وردان نعم الثار اخذت ولو رايت ذلك عيانا لما صدق
بصري ثم ترجل عن شهريته ولبس لامته والقا عليه
بدنة من اللولو والتاج على راسه يطلب بذلك الرهبة
على ضرار ثم ركب جوادا من نسل خيل العرب وهم
ان يخرج فتقدم اليه رجل اسمه اصطفياق وهو صا
حب عمان فباس ركاب وردان وقال ايها الصاحب
ان انا اخذت بثارك من هذا اللئيم او اسرته اتزوجني
بابنتك فقال وردان هي لك وبين يديك وانا اشهد
على من حضر من ملوك الشام وخواص الملك فلما سمع
بذلك اصطفيا خرج مصمما كانه شعلة نار وحمل على
ضرار وقال دونك يا ويلك ما لا قدرة لك بدفاعه
فلم يدر ضرار ما يقول بلسان الروم غير انه اخذ حذره
منه وحمل عليه واخرج اصطفياق صليبا من الذهب

وجعله

وجعله في عنقه فقال ضرار ان كنت تستعين على بالصليب
فانا استعين عليك بالقريب المجيب ثم حمل عليه واوربا
كلاهما انوا ابا من الحرب حتى ضجروا الناس من قتالهم
فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التبلد والجنة قد فتحت
لك والنار لعدوك قال فانقض ضرار خاطر وحمل
على خصمه قال وتصايحت الروم بصاحبهم تشجعه وكلاهما
في حرب عظيم حتى حميت الشمس وتعب الجوادان
فاشار البطريق الى ضرار ان ترجل حتى نتقاتل ففهم ضرار
ان ينزل شفقة منه على جواده واذا بفارس يقود جنيبا
وكان ذلك غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح
بالجواد وسمعه الناس يقول ياهطال تجلد معي ساعة
والا شكوتك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحمحم الجواد ونشر اجنحة جريه واستقبل ضرار غلام
اصطفياق وطعنه فقتله واخذ الجنيب ركبه واطلق
جواده فلحق بجيش المسلمين ثم عاد ضرار نحو البطريق
فلما راه قتل غلامه واخذ جواده ايقن عدو الله بالهلاك
وعلم انه ان ولى قتله لا محالة وان وقف اهلكه فلما
نظر ضرار الى عدو الله وتبلده فعلم ما عنده فهجم عليه
فلما نظر وردان الى صنع ضرار ونظر الى صاحبه وقد اشرف
على الموت فعلم انه ان لم يداركه هلك فقال لقومه
ان هذا الشيطان قد اكل من كبدي قطعة ولئن لم
اقتله اليوم قتلت نفسي ولا بد لي من الخروج اليه فقالوا ان
كان ولا بد من خروجك اليه فدعنا نخرج معك فخرج
معه عشرة من المدججة وهم مدرعون وفي ارجلهم
اخفاف الحديد ووردان قد تكفن في لامته وعلى راسه
التاج فخرجوا القوم ووردان يقدمهم كانه شعلة نار
ونظر الى ذلك اصطفياق المنازل لضرار تقوى قلبه
بعد ان ايقن بالهلاك وصاح بضرار دونك والحرب
فلم يلتفت ضرار الى من خرج اليه الا انه ناهب لهم فهو كذلك

اذ نظر خالد الى انهزامهم وخروجهم ونظر التاج يلمع على راس
صاحبهم قال ان التاج لا يكون الا على راس الملوك
والامرا ولا شك انه صاحب القوم وردان وقد خرج الى
صاحبنا فما الذي يقعدنا عن نصرته ثم قال خالد لاصحابه
يخرج منكم عشرة حتى نساوي القوم في عددهم ثم خرج
خالد باصحابه عشرة من خيارهم فاطلقوا الاعنة اليهم وحمل
الروم الى ضرار فصبر لهم الى ان وصل خالد باصحابه
وصاح يا ضرار ابشر فقد اسعدك الجبار ولا تجزع من الكفار
فقال ضرار ان في نصر الله كفاية قال وغشيهم خالد
بمن معه والتقت الرجال بالرجال وانفرد كل خصم بخصمه
وطلب خالد صاحبهم وقايدهم وردان ولم يزل ضرار
عن خصمه اصطفيان وقد كل ساعده وارتعدت فرايصه
وعادت فرحته عند ما نظر الى خالد ومن معه وجعل
البطريق ينظر يمينا وشمالا لا يطلب الموت وليس لفرسه
نهضة فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه فلما ايقن
عدو الله بالموت القا نفسه عن الجواد ولا هاربا فبادر له
ضرار والقا نفسه من على جواده وطلب عدو الله حتى
لحقه فعند ذلك رما ضرار الرمح من يده ووصل اليه
وضرب عليه بكلتا يديه وتصارعا على وجه الارض
وتواخذا بالمناكب وتعاركا وكان عدو الله كالقحم
الجلمود وكان ضرار نحيف الجسم غير ان الله تعالى اعطاه
جلدا وقوة فلما طال بينهما العراك ضرب بيده الى حزام
سراويل عدو الله مع مراق بطنه فقلعه من الارض وحمله
ثم جلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستجير بوردان
قال بالرومية ايها السيد انقذني مما انا فيه فقد هلكت
فصاح به وردان وانا من ينقذني من هولاء السباع ونظر
اليهما الفيتان واشرف نحوهما العسكران وتصارخت
الروم وكبروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
نمهل ضرار دون ان برك على صدره وهو يرتج من تحته

كعجيج البعير وكل واحد من القوم مشغول بخصمه
عن صاحبه فعندها امتشق ضرار بسيفه ومكنه من
نحر عدو الله فاخرج السيف من جانب حلقه فعندها
زعق عدو الله زعقة عظيمة سمعها اهل العسكرين
فحملت الروم باسرها عند صراخه وانكبت العساكر
فلما نظر ضرار الى ذلك الامر قد دهمه جيش العدو
فقال ما الذي يمسكني حتى تدوسني الخيل بحوافرها
فاحتز راسه عن جسده وقام عن صدره وهو مضمخ بالدما
ثم كبر وكبروا المسلمون وحملوا من امامهم
وحملت الروم كما ذكرنا من قبل ميمنتهم على معاذ
بن جبل وميسرتهم على سعيد بن عامر ورموا الارمن
بالنشاب والعرب بالنبل حتى ستروا عين الشمس
من كثرة السهام ونادى سعيد بن زيد بن عمرو
بن نفيل معاشر الناس اذكروا الله الجبار واياكم
ان تولوا الادبار فتستوجبوا النار صبرا صبرا يا قرا
القران فزاد الناس بقوله نشاطا قال وتلاحم الفريقان
الى ان دنت اوقات العصر فافترقوا وقد قتل من الفيتان
كثير الا ان من الروم اكثر واعظم وكان اول
من قتل اول وقعة باجنادين من المسلمين سلمة بن
بن هشام المخزومي ونعيم بن صخر العدوي وهشام بن
العاص السهمي وحبان بن سفيان وعبد الله بن عمرو الدوسي
وغيرهم من الاعيان واثنا عشر من اخلاط الناس
قال الواقدي لم نقف على اسمايهم فالجملة اثنين وثلاثين
رجلا واما الروم فقتل منهم زيادة على ثلاثة الاف فيهم
عشرة من ملوكهم مارس بن نياق وصاحب عمان
وما يليها ومرقس بن صليبا صاحب الصنمين ودير
ايوب ونوى وذمذر صاحب بن روميس صاحب غزة
وعسقلان قال الواقدي الجملة ثلاثة الاف ثم افترقوا
القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلى قلبه رعبا

مما ظهر له من المسلمين وشدة صبرهم وقتالهم فجمع البطارقة
وقال يا أهل هذا الدين ما تقولون في أمر هؤلاء العرب
فاني أراهم غالبين لنا غير مغلوبين وقد رأيت أسيافكم
كليلة وأسيافهم قاطعة وخيلكم منبهرة وخيلهم صابرة
وما أرى لكم عليهم دولة إلا أن تغسلوا قلوبكم من العصيان
وتتوبوا إلى ربكم من كثرة الآثام فإن فعلتم ذلك رجوت
لكم النصر على عدوكم وإن أبيتم ذلك فأذنوا بالهلاك
فإن الله عاقبكم بأشد عقوبة تكون إذ سلط عليكم أقواما
ما كنا نعدهم ولا نفكر فيهم ولا تخطر على قلوبنا منهم
شيء لأن أكثرهم رعاة وعبيد جياع مساكين أخرجهم
إلينا قحط الحجاز وشدة الضر والبلا وأعظم من ذلك سبي
نسائكم وأولادكم فكيف صبرتم على هتك الحريم
والبلاء العظيم فلم يبق من الروم إلا من بكا واغتاظوا
غيظا شديدا وقالوا والله نقتل عن آخرنا ولا يصلوا القوم
إلى ما ذكرت فلما سمع وردان ذلك منهم فرح فرحا شديدا
وعدل عن القوم وصاح بأهل مملكته فشاورهم في ذلك
وقال قد سمعتم ما قال جيش الملك فقال له رجل من
القوم لا تثق بكلام الناس واعلم أنك بليت بقوم
لا يقام بأمرهم وقد عاينت واحدا منهم يحمل على عسكرنا
بأسره ولا يبالي بكثرتنا ولا يرجع حتى يقتل منا وقد
وطن القوم على ما قال لهم نبيهم أنه من قتل منكم صار
إلى النار ومن قتل منهم صار إلى الجنة والقتل والحياة عند
القوم سوا وقد قتل منهم شيء يسير ومنكم خلق كثير
وما أرى لكم في القوم مطمع إلا أن تصل إلى صاحبهم بحيلة
فتقتله فإن قتلته انهزم القوم عن آخرهم فإنك
لن تصل إلى صاحبهم إلا بحيلة توقعها به ثم إن وردان
دعا برجل من نصارى الشام كان مسكنه حمص
اسمه داود وقال يا داود إني أعلم أنك فصيح اللسان
جري الجنان وإني أريد منك أن تخرج إلى هؤلاء العرب

فسألهم

فسألهم أن يقطعوا الحرب بيننا وبينهم بقية يومنا وقل لهم
يخرج إلينا أميرهم باكرا حتى أخرج إليه بنفسي ولعلنا
نصطلح وندفع لهم من المال ما يريدون قال داود تكلم
وتخالف الملك فيما أمرك من الحرب وتصطلح أنت والعرب
قال له وردان يا ويلك إنما أجمع رأينا على الحيلة عسى أصل
إلى صاحبهم فأقتله وتتفرق عنا هؤلاء القوم وحدثه بالأمر
لخالد فقال داود يا وردان إن المكيد والغادر مخذول
في كل فعل فغضب وردان من قوله وقال ما استشرتك
في هذا الأمر وإنما أمرتك أن تمشي برسالتي قال حبا وكرامة
ثم أقبل حتى وقف قريبا من عسكر المسلمين ونادى برفيع
صوته معاشر العرب حسبكم من القتل وسفك الدما
فإن الله مسائلكم عن إهراقه وسفكه وقد أجمعنا على
أمر نرجو به الصلح فليخرج إلي صاحبكم حتى أخاطبه
فما استتم كلامه حتى خرج إليه خالد وبيده الرمح قد
جعله بين أذني الحصان فلما نظر إليه داود النصراني
قال يا عربي ما خرجت إلى حربك إنما أنا رسول إليك
وإني أريد أن أبلغ الرسالة فاسمع ما أقول قال بلغ ما أرسلت
به واستعمل الصدق فمن صدق نجا قال صدقت يا عربي
إن أميرنا وردان كاره لسفك الدما لا يريد حربكم
وقد نظر إلى ما قتل بينكم وقد رأى أن يحقن دما الناس
بمال يدفعه إليكم فلما سمع خالد ذلك من كلامه ثم
قال إن كان ما أرسلك به يريد حيلة ومكيدة
فنحن والله معدن الحيل والمكر وما مثلنا من يؤتى بحيلة
ولا من خديعة فإن كان ضميره واعتقاده ذلك فما
هو إلا قرب أجله وإن كان ذلك حقا من قوله فلست
أصالحكم إلا على أداء الجزية عن جماعة رؤوسكم وأولادكم
وأما المال فلست أرغب فيه إلا على ما ذكرت لكم
على طول الزمان فقال داود وقد عظم عليه كلام خالد
ما يكون الأمر إذا كم ثم ولى راجعا وقد امتلى قلبه رعبا

من كلام خالد وفزع مما سمع ثم قال في نفسه صدق والله العربي
وانا اعلم ان وردان اول مقتول ونحن من بعده ثم التفت
الي خالد وقال يا اخا العرب اني قد نسيت شيا اوجده الي
صاحبي قال ما هو قال خذ علي نفسك وكن متيقظا
فان وردان قد اضمر لك كيدا ثم حدثه بالقصة
وقال اريد الامان لي ولاهلي قال لك الامان ان انت
لم تخبر القوم قال داهورد لو اردت الغدر ما حذرتك
فقال خالد واين مكمن القوم قال عند الكثيب
عن يمين عسكرهم ثم خلاه ورجع اعلم صاحبه بجواب
خالد ففرح وردان بذلك وقال ارجوا من الصليب ان
يظفرني به ثم دعا بعشرة من الابطال وقال امضوا رجالة
واكمنوا وان خالد رجع فالتقاه ابو عبيدة رضي الله عنهما
فراه ضاحكا فقال يا ابا سليمان اضحك الله سنك ايش
الخبر فحدثه بما قال النصراني فقال ابو عبيدة وما الذي
عزمت عليه قال عزمت ان اخرج الي القوم وحدي
فقال يا ابا سليمان لعمري انك كفوا ولكن ما امرك الله
بالتهلكة والله تعالي قد قال واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة وقد اعد لك عشرة وهو حادي عشر وما امن عليك
اللعين ولكن انتدب له رجالا كما انتدب لك وكمن
بهم قريبا من القوم ان الناصح قد اعلمك بمكانهم
قال نعم قال ابو عبيدة فامر اصحابك ان يكونوا
قريبا منهم فاذا صرخ اللعين بقومه فاصرخ انت بقومك
تكفا ما تحذر ان شا الله تعالي ونكون نحن علي خيلنا
متاهبين فاذا فرغت من عدو الله حملنا عليهم بجمعنا
ونرجوا من الله النصر قال خالد لست اخالفك امرا
ثم ان خالد دعا بعشرة من قومه فلما اجتمعوا اليه اخبرهم
بما عزموا عليه الروم من حيلتهم وخديعتهم وقال
اخرجوا باجمعكم حتي تاتوا الهبطة التي عن يمين الكثيب
فاكمنوا هنالك فاذا صرخت بكم تبادروا للقوم

واتركوني

واتركوني وعدو الله فاني كفيتكموه ان شا الله تعالي قال ضرار بن الازور
اني اري رايا ان نسير من وقتنا الي مكمن القوم فان وجدناهم
رقودا فرغناهم قبل الصباح ونكمن نحن في موضعهم فاذا
خلوت انت وقرينك خرجنا اليه بغير مقاتل ولا مصادر فضحك
خالد من قوله وقال افعل ما ذكرت ان وجدت اليه سبيلا
وخذ هولاء الذين ندبتهم لك وانت الصاحب والامير عليهم
وارجوا ان يبلغك الله ما طلبت منهم فان وصلت اليهم فهي الفرحة
الكاملة فقال ضرار بن الازور وارجو الوصول اليهم ان شا
الله تعالي ثم خرجوا القوم بالليل رجالة بايديهم السيوف فسلموا
علي الناس وسالوهم الدعا وكان خروجهم وقد مضي ثلث
الليل الاول وضرار علي مقدمتهم ينشد ويقول
الجن تفزع مني في الظلام وانا ◦ اذا اخضت الدياجي لم الوي الي الجزع
يا ويح من وضع الارصاد تخدعنا ◦ ونحن جرثومة الامكار والخدع ◦
لا ارتضين الاهي في جهادهم ◦ ليس الجسور علي الاهوال كالجزع
ثم سار باصحابه الي ان وصل الكثيب فاوقف اصحابه وقال حتي
اجس لكم خبر القوم ثم نزع اثوابه واخذ سيفه وسار مع الحف
الكثيب سيرا خفيفا الي ان قرب من القوم فلما اشرف عليهم
سمع خطيطهم في نومهم واذا القوم سكاري لما نالهم في
يومهم من التعب والنصب وهم في امن ان يقصدهم عدو او
يعرض لهم عارض قال فهم ضرار بن الازور ان يدنوا منهم
فيقتلهم فخشي ان يوقظ بعضهم بعضا باضطرابهم عند قتلهم
فرجع الي اصحابه وقال ابشروا فقد اتاكم ما تريدون وزال
عنكم ما تحذرون فجردوا السيوف وسيروا الي القوم فاقتلوهم
كيف شيتم وكل واحد منكم لواحد ولتكن ضرباتكم
واحدة واخفظوا اصواتكم ما استطعتم قالوا حبا وكرامة
فجردوا القوم سيوفهم وتقدم ضرار وساروا في اثره الي ان وصلوا
الي القوم فانفرد كل واحد بواحد فلما تمكنوا منهم رفعوا السيوف
ووضعوها علي الوجوه والرقاب والاصلاب فلم يستيقظوا القوم
الا لضربات السيوف وهي تاخذهم حتي قطعوهم اربا اربا

وانثنوا عن اخرهم ثم اخذوا اسلاحهم فما كان معهم
قال ضرار هذا اول الفتح ان شا الله تعالي ونرجوا من الله تمام الوعد
وانجاز الامر قال محمد وارتهمت بنصرهم على اعدائهم واقاموا
طول ليلتهم يبتهلون ويصلون شكرا لله تعالي ويسالونه النصر
ولم يزالوا كذلك الي ان برق ضيا الفجر فعند ذلك اجتمعوا
القوم ونزعوا اطمارهم وافرغوا عليهم ثياب الروم وتعصبوا
بالمشاد واستتروا مخافة ان ياتيهم رسول من وردان فيفتش
عليهم ما صنعوا وغيبوا القتلى في هبطة الربوة وحثوا عليهم التراب
وجلسوا تحت السلاح ينتظرون الفرج قال الواقدي واضا الفجر
فصلي خالد بالناس ورتب اصحابه كهيئة الحرب واشتهر خالد
بحريرة صفرا وتعمم بعمامة صفرا وكذلك الروم تصففنا
واشهرت سلاحها ورفعوا الاعلام والصلبان فبينما القوم كذلك
اذ خرج فارس من الروم وقال يا معشر العرب اغدرتم
الذي كان بينكم وبيننا بالامس فخرج خالد وقال امن شيمتنا
الغدر فقال الفارس ان وردان يريد منك ان تخرج حتي
ننظر ما تتفقا عليه فقال خالد ارجع اليه واخبره اني خارج اليه
من غير هلع ولا جزع ثم رجع البطريق واعلم صاحبه بجواب
خالد فعندها خرج عدو الله متكفن في لامته فلما راه خالد
قال هذه غنيمة للمسلمين ان شا الله تعالي ثم قال لابي عبيدة
اظن ان ضرار واصحابه قد وصلوا الي اعدائنا فاذا رايتني
قد حملت فاحمل بمن معك ثم سلم على المسلمين وخرج وينشد
عليك ربي في الامور اتكل • فاغفر يا الاهي اذ دنا مني الاجل
وفقني ربي الي خير العمل • واغفر يا الاهي ما عملت من زلل
واقمع بسيفي الشرك حتي يضمحل • مالي سواك في الامور متكل
حدثنا رفاعة بن قيس عن مروان بن هبيرة عن ماجد بن
فياض قال كنت في القلب مع اصحاب عياض بن غنم الاشعري
فسمعت خالد ينشد هذه الابيات بعينها فلما نظر عدو الله
الي خالد ورايه اعجبه ما راي وظن انه سيصل اليه فلم يزل
خالد يسير الي ان قرب منه واذ ابعد والله وردان قريب من الكمين

فلما قرب منه خالد ترجل عن جواده فترجل عدو الله وردان
عن جواده وجلسا كلاهما وقد جعل عدو الله سيفه
حذرا من خالد ان يهجم عليه وجلس خالد ايضا بازايه
وقال خالد قل ما تشا واستعمل الصدق والزم طريق الحق
واعلم انك جالس امام رجل لا يكترث بالخداع ولا يلوي
الي الحيل الواقعة به فقل ما تريد ان تقل فقال وردان يا خالد
اذكر ما الذي تريد وقارب الامر بيني وبينك واحقن دما
الناس واعلم انك مسايل مطالب عما فعلت وقتلت من عبيد
الله فان طلبتم شيا من الدنيا فلن نبخل بها صدقة منا عليكم
لانه ليس عندنا امة هي اضعف منكم وقد علمنا انكم
في بلد قحط تموتوا فيه هزلا فلما سمع خالد ذلك من قوله
قال يا كلب النصرانية ان الله سبحانه وتعالي قد اغنانا عن
صدقاتكم وجعل اموالكم حلالا لنا نتقاسمها بيننا واحل
لنا نسائكم واولادكم الا ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله
فان ابيتم عن ذلك فالجزية عن يد وانتم صاغرون فان ابيتم
فالسيف حكما بيننا وبينكم حتي يموت منا ومنكم والله ينصر
من يشا وما لكم عندنا الا ما تسمعه ووالله ان الحرب والقتال
اشهي الينا من الصلح واما قولك انه لم تكن امة اضعف
عندكم منا فانتم عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا
يستضعف منكم الفا ما هذا خطاب من يطلب صلحا فان
كان ذلك لطمع ترجوا ان تصل الي بانفرادي عن اصحابي
فذاك منك بعيد وان احببت القتال فانا وانت في عزلة عن
قومي وقومك فدونك وما تريد فاني كفوا لك ان شا الله
تعالي قال الراوي فلما سمع وردان مقالة خالد وثب اليه من
مكانه من غير ان يجرد سيفا ثقة منه باصحابه انهم يجيدوله
من الكمين فوصل بوثبته اليه وغافصه وقبض عليه وثار
اليه خالد وشابكه وضرب بيديه على عضديه واشتبكا وو[...]
بعضهما من بعض وصاح عدو الله بقومه عند ما وثق من خالد
وقال لهم بادروا الي فقد امكن الصليب من امير العرب

فما استتم كلامه حتى سمعوا القوم كلامه وصوته فابتدروا اليه
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الكثيب كانهم العقبان
وقد رموا الدروع التي كانت عليهم وخرجوا مبادرين وجردوا السيوف
فكان اول من بدر ضرار بن الازور وهو عاري الجسد قابضا
على سيفه وهو يهدر هدير الليث والقوم من ورائه فالتفت عدو
الله ونظر القوم وهم يتسابقون اليه وهو يحسب انهم قومه
حتى اذا وصلوا اليه نظر في اوايلهم ضرار بن الازور وهو يثب
وثبة الاسد وهو مسرعا اليه وهو يهز السيف فلما نظر عدو
الله وردان الى ذلك ارتعدت فرايصه وارتهن ساعده ونادى
يا خالد سالتك بمعبودك الا قتلتني ولا يقتلني هذا الشيطان
فقال خالد هو قاتلك لا محالة فبينما هما في المحاورة اذ فاجاهما
ضرار بن الازور وهو ينشد ويقول
سالحق وردان بحمران • وبعده بعصبة الشيطان الصلبان
ارضي بذلك الملك الديان • ثم هز سيفه ووصل اليه بوثبته
وصرخ به يا عدو الله اين خديعتكم من خديعة اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم لوح اليه بسيفه فصاح به خالد ويحك
يا ضرار اياك ان تصل بسيفك اليه واصبر حتى امر بقتله ثم
وصلوا اليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزوا اسيافهم
وكل يبادر الى قتله فقال خالد على رسلكم وامهلوا الى ان امركم
بقتله ونظر وردان الى ما حل به دهمه قد اخل قلبه الهلع والجزع
وارتعدت فرايصه وسقط الى الارض وهو يشير باصبعه وينادي
الامان الامان فقال خالد يا عدو الله انما يعطى الامان لاهل
الامان وانت رجل اظهرت لنا المصالحة وقد اضمرت لنا الخدع
والمكر والله خير الماكرين فلما سمع ضرار ذلك من قول
خالد لم يمهله دون ان ضرب به على حبل عاتقه ثم داخله
واختطف التاج عن راسه وقال من سبق الى شي فهو له قال
وداركته سيوف المهاجرين فقطعوه اربا اربا وتبادروا الى
سلبه فاخذوه ثم ان خالد اقبل على اصحابه وقال لهم
يا قوم انني ما امن عليكم من القوم ان يعثوا عليكم لانهم

متشوقون

متشوقون الى صاحبهم فخذوا راس عدو الله والبسوا الاطمار
التي كانت على الروم وتوجهوا تلقاهم فاذا قربتم منهم فاحملوا
وكبروا فليحمل المسلمون عند تكبيركم قال فعمد كل واحد
الى من قتله فافرغ عدته ولامته عليه ثم توجهوا تلقا القوم وقد استتموا
تحت سلاحهم وخالد وضرار في اول القوم وراس عدو الله وردان
على طرف ذباب سيف خالد فلما انكشفوا للعسكرين مالوا الى
ناحية الروم فنظروا الكفار الى راس صاحبهم فلم يشكوا الا
انه راس خالد وان اوليك اصحابهم ففرحوا واظهروا الصلبان
ونظروا المسلمون الى ذلك فخافت قلوبهم من الفزع وخافوا ان
يكون صاحبهم خالد قد اصيب فهم بين داع وخايف وباك
وصارخ فلما قرب خالد من الصفوف اخذ الراس ولوح به
ونادى يا اعدا الله تعالى هذا راس صاحبكم وردان وانا
خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عليهم
وحمل ضرار في اثره وكبروا المسلمون وحملوا ونادى
ابو عبيدة احملوا يا حماة الدين ثم حمل وحملوا الناس لحملته
فلما راوا القوم انه راس صاحبهم وتيقنوا ان المسلمين قتلوا
بطارقتهم ولوا الادبار واخذهم السيف من كل مكان
وقتلوا تحت كل شجر ومدر ولم يزل السيف يعمل فيهم من الضحى
الى اوقات صلاة العصر وافترقوا قال عامر بن الطفيل الدوسي
وكنت في خيل ابي هريرة رضي الله ومعنا خيل من دمشق ونحن
نتبع المنهزمين الى نحو طريق زرع اذ اشرفت علينا فقلنا
انها خيل الروم نجدة من هرقل فاخذنا على انفسنا واذا بالغبار
قد قربت منا واذا به عسكر قد انجد نابه ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فما لقوا احدا من الروم الا قتلوه ونهبوا ما كان
معه قال الواقدي وكان جيش الروم باجنادين تسعين
الفا وقتل منهم في ذلك اليوم خمسين الفا يزيدون ولا ينقصون
وقتل بعضهم بعضا تحت الغبرة وافترق من بقي منهم فمنهم
من مضى الى قيسارية ومنهم من مضى الى دمشق وغنموا المسلمون
غنيمة لم يغنموا مثلها واخذوا من صلبان الذهب والفضة

مالا يعد وجمع خالد ذلك كله مع التاج الذي غنموه من وردان
وقال خالد لست اقسم عليكم شيا الا في فتح دمشق ان شا الله تعالى
قال الواقدي رحمه الله تعالى وكانت الوقعة يوم السبت لليلتين
بقيتا من جمادى الاول سنة ثلاثة عشرة من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاة واتم السلام ذلك قبل وفاة ابو بكر
الصديق رضي الله عنه بثلاثة وعشرين ليلة ثم ان خالد كتب
كتابا الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه يعلمه بالفتح يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي على نبيه ثم تزيده حمدا وشكرا على سلامة المومنين
ودمار المشركين واخماد جمر نارهم وانا القينا جموعهم باجناد
مع وردان صاحب حمص وقد نشروا كتبهم ورفعوا صلبانهم
وتقاسموا بدينهم ان لا يتفرقون ولا ينهزمون وخرجنا اليهم
واثقين بالله ومتوكلين عليه فعلم ربنا ما اضمرناه في سرنا
ورزقنا الله الصبر وايدنا بالنصر وقتلنا اعدانا في كل فج
وشعب وواد وجملة من احصينا ممن قتل من الروم
خمسون الفا وقتل من المسلمين في اول يوم وثانيه اربعماية
وخمسة وسبعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون
من الانصار وهم سلمة بن عمرو وعوف بن مازن وشاكر بن
مزروع وواقد بن حسان ومرة بن عجلان والمقضع بن نجبة
وصفوان بن خرنجة واوس بن حرشة ويعمر بن ناطر
وعبد الله بن بشر والسلول بن قرم وحامد بن عطا وسفيان
بن ربيعة والاكوع بن مرة وسيف بن جابر وصامت بن حميد
ورقالي بن نفيع وميسرة بن ماجد وكامل بن مزينة والعقار
بن اكال الدم وقتل من اهل مكة ثلاث رجال وهم قيس بن عامر
المخزومي ونعيم بن صفوان وهاشم بن حرملة من بني عبد الدار
وقتل من بني حمير عشرين رجلا وهم رفاعة بن مزهوب
وعنان بن بني مالك وسعيد بن رافع وماجد بن الاسلع والقاطر
بن يعرب والخليجان بن عوف ويزيد بن عبد الله وساق بن

نافع وعباد بن اوس وكلكل بن رفاعة وماقط بن اسيد
وانس بن دارد والكامل بن حرام ومريد بن طالب واحالة بن
يربوع وعملاق بن سنان وذو المراتع بن وايل ومومل بن دوح
ومسمار بن عون وجندل بن ربيعة وقتل من سليم بن منصور
ستة وهم سلمة بن المنذر ونعيمان بن مرة وفياض بن حامد
ودقاق بن نعيم وياسر بن مقدام والباقي من اخلاط الناس ويوم
كتبت اليك هذا الكتاب ونحن راجعون الى دمشق فادع الله
لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته
ثم طوى الكتاب وختمه وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد الجمحي
وامره بالمسير الى المدينة من وقته فارتحل عبد الرحمن من ساعته
وارتحل خالد من بعده الى دمشق قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغنا
ان ابا بكر الصديق كان يخرج كل يوم الى ظاهر المدينة يتنسم
الاخبار فبينما هو كذلك اذ قدم عليه عبد الرحمن بن حميد الجمحي
فلما اشرف عليهم تسابقت اليه الصحابة قالوا من اين قال من الشام
فبشروا الصديق بذلك وان الله نصر المسلمين فسجد لله شكرا
فاقبل عبد الرحمن وقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارفع راسك فقد اقر الله عينيك بالمسلمين فرفع ابو بكر راسه
فسلم اليه الكتاب وكان بخط ابو عبيدة رضي الله عنهما فقراه
ابو بكر سرا فلما فهم ما فيه قراه عليهم جهرا وتزاحم الناس
وشاع الخبر في المدينة فاتى الناس يهرعون الى باب المسجد فقراه
ابو بكر ثالثة قال فتسامعوا المسلمون من اهل مكة والحجاز
واليمن بما فتح الله تعالى على المسلمين وما ملكوا من الاموال فتسابقوا
للخروج رغبة في الثواب والمال وسكنى الشام واقبل الى المدينة
من اهل مكة اكابرهم وعظماهم بالجد والحديد والباس الشديد
وعلى اوايلهم ابو سفيان صخر بن حرب فاقبلوا يستاذنون ابا بكر
في الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه خروجهم
الى الشام وقال لابي بكر ان هولاء في قلوبهم حقايد والحمد لله
الذي كانت كلمة الله هي العليا وكلمتهم هي السفلى وهم على
كفرهم ارادوا ليطفيوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره

ونحن إذ ذاك فلما أعز الله تعالى ديننا ونصب شر بعثتنا
اسلموا خوفا من السيف ولما سمعوا ان جند الله قد نصروا على الروم
اتونا ليقاسموا السابقين من المهاجرين والانصار فقال ابو بكر
اني لا اخالف لك قولا وبلغ اهل مكة ما تكلم به عمر فاقبلوا
الى ابي بكر الى المسجد فوجدوه وحوله جماعة من المسلمين
وهم يتذاكرون بما فتح الله على المسلمين وبما اظهرهم على المشركين
وعلي رضي الله عنه عن يمينه وعمر عن يساره والناس حوله
فسلموا عليه وتطاولوا من يكون اولهم كلاما فكان اول من
تكلم ابو سفيان وقال يا عمر قد كنت لنا مبغضا في الجاهلية.
فلما هدانا الله الى الاسلام هدر ذلك ما كان فيما كان في قلوبنا
لان الايمان يهدر الشرك وانت بعد اليوم تبغضنا السنا
اخوانك في الاسلام وبنوا ابيك في النسب فما هذه العداوة منك
لنا يا ابن الخطاب قديما وحديثا اما آن لك ان تغسل ما بقلبك
من البغضا وانا لنعلم انك افضل منا واسبق في الايمان والجهاد
ونحن بذلك عارفين وله غير منكرين فسكت عمر واستحى
وجلله العرق وقال والله ما اردت بقولي الا احقن الدما لان
حمية الجاهلية في رؤسكم وكنتم تريدون التطاول بنسبكم
على من سبقكم في الاسلام قال ابو سفيان انا اشهدكم واشهد
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد حبست نفسي في سبيل
الله وبذلك تكلموا سادات مكة فقال ابو بكر اللهم بلغهم
افضل ما يؤملون واجزهم باحسن ما يعملون وارزقهم النصر
على عدوهم ولا تمكنهم من نواصيهم قال فما مضي الا ايام
قلايل حتى وفد عليهم جمع كثير من اليمن مع عمرو بن معدي
كرب الزبيدي مع النسوان والصبيان يريدون الشام فما استقروا
في المدينة حتى اقبل مالك النخعي فنزل عند علي رضي الله عنه باهله
وكان ملهما تحت علي وقد شهد معه الوقايع وعزم بالخروج الى دمشق
والتم بالمدينة جيش عظيم زيادة على سبعة الاف فارس
ومعهم قوم من جرهم فلما تتامر امرهم كتب ابو بكر الصديق
رضي الله عنه الى خالد كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

من ابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد
ومن معه من المسلمين اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي وامرك بتقوى الله في السر والجهر والرفق بالمسلمين
وحمل ضعيفهم والتجاوز عن مسيئهم والمشاورة لهم فقد
فرحت بما افا الله عليكم من النصر وهزيمة الكفار فاجعل
السير كذلك الى ان تطا اقاصي ارضهم وانزل على مدينة الشام
الى ان ياذن الله بفتحها على يديك فاذا تم لك ذلك فسر الى
حمص والمعرة واطلب انطاكية والسلام عليك وعلى من
معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد نفذت اليك ابطال
اليمن وليوث النخع وابطال مكة ويكفيك عمرو بن معدي
كرب ومالك النخعي وان نزلت على المدينة العظمى ذات الجبل
المطل بانطاكية فان الملك هرقل هنالك فان صالحك
فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب او تكاتبني
بذلك مع اني اظن ان الاجل قد قرب ثم كل نفس ذائقة الموت
والسلام ثم طوي الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عبد الرحمن بن حميد الجمحي وقال انت كنت الرسول
بالشام وانت ترد الجواب فاخذه عبد الرحمن وسار على مطيته
على طريق البرية الى ان وصل الى دمشق فتوح دمشق
وكانوا اهلها قد سمعوا بقتل ابطالهم وانهزام جيوش الملك
فخافوا وارتحل اهل القرى وتحصنوا بها واعدوا آلة الحصار
ورفعوا العدد على اعلا الحصون ونشروا الاعلام والرايات
فلما اخذوا على انفسهم اشرف عليهم خالد والجيش قد
زاد فيه عسكر عمرو بن العاص في تسعة الاف وجيش يزيد
بن ابي سفيان في الفين وجيش شرحبيل بن حسنة وعمرو
بن ربيعة في الفين وانبسط السواد من وراءهم مع معاذ بن
جبل في الفين وراوا اهل دمشق عسكرا جرارا وايقنوا
بالهلاك واقبل خالد بن الوليد الى دير المعروف وبينه وبين
المدينة اقل من ميل فلما نزل عليه دعا بالامرا واحضرهم
فقال لابي عبيدة انت تعلم ما المهم لنا من هولاء القوم عند انظره

من عندهم وحرقتم في اثرنا فامض بمن معك من اصحابك
فانزل مما يلي باب الجابية ولا تسمح للقوم بالامان فيخدعوك
وتؤتى من مكرهم وكن متباعدا من الباب وابعث
اليهم فوجا بعد فوج واجعل قتال المسلمين دولا
ولا يضيق صدرك من كثرة المقام فان الصبر يعقبه
النصر ولا تزل عن مكانك واحذر ان يؤتى المسلمون
من قبلك فقال ابو عبيدة حبا وكرامة ثم خرج في زمع الجيش
حتى نزل على باب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد
قال حدثنا سليمان بن عون عن عبد الله بن حجاج الانصاري
قال قلت لجدي رفاعة بن عاصم وكان في خيل ابي عبيدة
فقلت يا جدي ما منع ابا عبيدة ان ينصب له قبة من بعض
قباب الروم قال يا بني منعه من ذلك التواضع وان لا
يتنافسوا في زينة الدنيا وملكها وكي يرون الروم انهم
لا يقاتلون طلبا للملك وانما يقاتلون رجا ثواب الاخرة
ولقد كنا ننزل على بلادهم فننصب خيامهم بالبعد
ونعلق السلاح والدروع عليها قال الواقدي رحمه الله فلما
نزل ابو عبيدة على باب الجابية امر اصحابه بالقتال ثم
ان خالدا دعا بيزيد بن ابي سفيان وقال له انطلق الى
باب الصغير واحفظ قومك والجهة التي بعثتك اليها
واياك ان يؤتى المسلمون من قبلك وقاتل الباب الذي
بعثتك اليه وان خرج عليك احد من المدينة ولم يكن
لك بهم طاقة فابعث الي حتى انجدك ان شا الله تعالى ثم
دعا خالد شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال انت امضي بقومك الى باب توما واحذر
من صاحب الباب توما ان يخرج اليك فقد ذكر لي انه
داهية الحرب وانه دعي للامارة فانعف منها تكبرا
وان الملك هرقل نجبه وما رغب فيه الا لما يعلم من شجاعته
لا جرم انه زوجه ابنته فقال شرحبيل ما منا من يوتا
من حيلة ان شا الله تعالى ثم توجه بقومه وهم الفان

ثم

ثم دعا من بعده بعمرو بن العاص بن وائل السهمي وقال
اذهب بجندك الى باب الفراديس والزم تلك الناحية فقد
بلغني ان هنالك ابطال الرجال قال عمرو سمعا وطاعة ودعا
من بعده بقيس بن هبيرة وسلم اليه جزءا من الجيش وقال له
الزم باب كيسان بمن معك فتوجه قيس قال الواقدي رحمه الله
واما باب مرقش فانه كان مغلوقا لم يكن عليها قتال فلذلك
سمته العرب باب السلامة ثم نزل خالد على باب شرقي ودعا
بضرار بن الازور وضم اليه الفان فارس وقال له كن في
الدارجة والطلايع وطف حول المدينة كلها فعندها مكامرا
او لاحت لك عيوننا للقوم فارسل الي لاعمل على حسب ذلك فقال
فقال اترك الحرب والقتال واشتغل بالانتظار ما ارغب في
ذلك قال خالد قاتل ما قدرت قال ضرار ان كان ذلك فنعم
ثم سار بقومه وهو ينشد ويقول

دمشق قد اتاك ضرار يومي • لمن بالويل ياتيك بالويل الطويل •
ساضرب في العلوج بحد سيفي • قطوع باتر عضب صقيل •
ساضرم في الجوانب منك نارا • وارمي القوم بالخطب الجليل •

ثم سار ضرار رضي الله عنه واتبعه القوم وبقي خالد على باب الشرقي
وخلا القوم هناك فلما اصبحوا القوم زحفوا للقتال وعول اهل
دمشق ان يقتلوا عن اخرهم ولا يسلموا الحريم والاولاد وترامو
بالسهام والجنادل والمقاليع حتى جرح من الفريقين رجال
وقدم عبد الرحمن بن حميد من المدينة بكتاب ابي بكر
رضي الله عنه وعدل الى ناحية الدير فوجد خالد على الباب الشرقي
وقد قدم للقتال طايفة من اصحابه مع رافع بن عميرة الطاي
فدفع اليه الكتاب فلما قراه فرح بما فيه وبشر اصحابه بقدوم
الجيش مع ابي سفيان بن حرب وعمرو بن معدي كرب
وشاع الخبر عند جميع المسلمين ولم يزل الناس في الحرب
يومهم ذلك الى ان جا الليل واختلط الظلام فافترق القتال
وبقي كل امير على بابه الذي ندب اليه وبعث خالد كتاب
الى ابي بكر رضي الله عنه الى كل باب فقرى على الناس ففرحوا

لعله فان دونهم كامر

الناس فرحا شديدا بمن قدم اليهم نجدة وباتوا الناس متاهبين
للحرب ويتحارسون دولا وضرار بن الازور يطوف حولهم
ولا يقف في مكان واحد حذرا من المشركين ان يخرجوا
علي المسلمين من المدينة قال الواقدي ولقد بلغني ان اهل
دمشق اجتمعوا الي كبرايهم وارباب البلد وتشاوروا فيما
بينهم فقال بعضهم ما لنا الا ان نصالح القوم علي ما طلبوا منا
فما لنا بهم طاقة فما نحن باشجع ممن اجتمع باجنادين
من جند الملك فقال بعض القوم اطلبوا ابنا صهر الملك توما
وشاوروه في الامر لنسمع ما يقول وتسالوه ان يكشف عنا
ما نحن فيه فاما ان يصالحهم واما ان يخرج فيحامي عنا
فذهبوا القوم اليه فاستاذنوا لهم فاذن لهم فدخلوا اليه
وقبلوا الارض بين يديه فاستبشر بهم وامرهم بالجلوس
فجلسوا واذا هو في هم عظيم مما قد ورد عليه ثم اقبل عليهم
وقال ما الذي تريدون وما جا بالاخبار في غسق الظلام
فقالوا ايها السيد قد جانا ما لا طاقة لنا به فاما ان تصالح العرب
علي ما طلبوا منا فقد اشرفنا علي الهلاك فلما سمع قولهم
توما تبسم ضاحكا وقال يا ويلكم طمعتم عدوكم فيكم
وحق راس الملك ما اري القوم اهلا للقتال ولا موضعا للنصال
ولو كانوا مني ببال لا لحقت اولهم باخرهم واخذت
ثارنا منهم تكونوا مطمينين في مدينتكم فلو فتحتم
لهم الابواب ما جسروا ان يدخلوا فقالوا ايها السيد ان
القوم اكثر مما وصفت واجل مما نعتت وان صغيرهم واقلهم
ليقاتل منا العشرة والماية وصاحبهم داهية لا يطاق
فان كنت المحامي عنا بنفسك فصالح القوم او اخرج بنا
الي قتالهم قال توما يا قوم انكم اكثر من القوم وخلفكم
مثل هذه المدينة ولكم العدد والدروع ما ليس للقوم
لانهم عراة حفاة فقالوا معهم من عددنا كثير مما
اخذوا بارض فلسطين من جند وبيس وغيرها وايضا
ان نبيهم قال لهم عن ربهم ان من قتل منا صار الي النار

ومن قتل منهم صار الي الجنة والحياة السرمدية واعلم ايها السيد
انك ان لم تمنع عنا والا فتحنا لهم الابواب وصالحناهم علي ما
طلبوا منا فلما سمع توما قولهم افكر طويلا وخشي ان يفعلوا
القوم ذلك فقال انا اصرف القوم عنكم واقتل امرايهم
الا اني اريد منكم ان تساعدوني وتقاتلون امامي قتالا ارضا
لكم وتصلون به الي مرادكم قالوا نحن بين يديك نقاتل
او نهلك عن اخرنا فقال لهم باكروا القوم للقتال فعند الليل
تحل بالعرب الويل قال فانصرفوا القوم علي ذلك وهم له شاكرين
واقبلوا بقية ليلتهم علي الحرس الدايم والنيران تضرم علي الابواب
واصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم في مواضعهم لهم ضجة
بالتهليل والتكبير وخالد عند الدير مع النساء والاولاد والغنا
التي غنموها من اعدايهم ورافع بن عميرة الطاي علي باب الشرقي
في عسكر الزحف وغيرهم ولم يزالوا الناس في الحرس الي
ان برق ضيا الفجر وصلي كل امير بمن معه من قومه
وصلي ابو عبيدة بمن معه علي باب الجابية ثم امر اصحابه
بالزحف وقال لا تملوا القتال فمن تعب اليوم وجد الراحة غدا
وهي الراحة الكبري التي لا نصب بعدها ابدا واحذروا
من السهام فانها تخطي وتصيب واتركوا اعدا الله واصبروا
وصابروا ورابطوا قال فزحفوا الناس باجمعهم رجالة
واستتروا بالدرق قال حدثنا ياسر بن سلمة قال حدثنا
عبد الرحمن بن جابر الاسدي عن جده رفاعة بن قيس
قال سالت ابي قيسا وكان ممن حضر الفتوح فقلت له
اكنتم تقاتلون اهل دمشق رجالة او خيالة يوم حصاركم
لها قال ما كان احد منا فارسا الا الفين فارس مع ضرار
بن الازور يطوف بهم حول المدينة كلما اتا الي باب من
الابواب وقف عندهم وحرضهم علي قتال العدو ويقول
صبرا صبرا لاعدا الله واقبل توما صهر الملك من بابه
الذي يدعا باسمه وكان عندهم عابدا زاهدا وكان معظما
عندهم فخرج في ذلك اليوم من تصرم والصليب الاصغر علي

راسه فاركزه على باب توما واوقف البطارقة حوله والانجيل بحاله
ذو المعرفة منهم بالقرب من الصليب وتقدم توما ووضع يده على
سطر من الانجيل وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا واخذل
الظالم فانك به عالم قال وامن القوم على دعائه قال واستعاذ
المسلمون بالله تعالى من كفرهم وزحف شرحبيل ومن معه
وقصد الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين وقال
يا عدو الله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم
ناوشه القتال فقاتل الملعون قتالا شديدا ورما بالنشاب
فجرح رجالا وكان فيمن جرح ابان بن سعيد بن العاص
اصابته نشابة فنزعها وعصبها بعمامته وكانت النشابة
مسمومة فحس بدبيب السم في بدنه فتاخر وحمله اخوانه
الى ان اتوا به الى العسكر وارادوا حل العمامة ليداووا جراحه
فقال لا تحلوا العمامة عن الجرح فانكم ان حللتموها انبعها
نفسي والله لقد رزقني الله بها ما كنت اهواه فلم يسمعوا قوله
ونزعوا العمامة عنه فشخص ببصره الى السما وقال مشيرا باصا
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فما استتمها حتى
مات وسمعت زوجته ام ابان ابنة عتبة بن ربيعة وكان
قد تزوجها بالجنادين وكانت قريبة العهد بالعرس لم
يكن الخضاب نصل من يديها وكانت من اهل بيت الشجاعة
فلما سمعت بموت بعلها اتت اليه فلما نظرته في مصرعه صبرت
واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنيت بما اعطيت
ومضيت الى جوار ربك والذي جمع بيننا ثم فرق لاجهدن
ان الحق بك حرام على ان لا يلمسني بعدك احد فقد
حبست نفسي في سبيل الله تعالى قال ولم ير الناس احسن
صبرا منها ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى
عليه خالد فلما غيب في الثرى لم تقف عند قبره دون ان
اتت الى سلاحه فافرغته عليها وتلثمت ولحقت بالجيش من
غير ان تعلم خالد بذلك وقالت على اي باب قتل بعلي

قيل لها على باب توما قتله توما صهر الملك فسارت الى اصحاب
شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت قتالا شديدا لم
ير الناس مثله وكانت ارمى خلق الله بالنبل قال شرحبيل
رايت يوم دمشق رجلا على باب توما يحمل الصليب
وهو امام توما وهو يشير الينا وينادي ويقول اللهم
انصر هذا ومن لاذ به اللهم لا تخذله ولا تخذل من يعبدك
واكفنا مونة السحرة الكفرة اللهم اظهر لهم نصرته
واعلي درجته قال شرحبيل فبينما انا انظر اليه اذ رمته
ام ابان بنبلة لم تخط يديه واذا بالصليب قد سقط من
يده وهوى الينا فاخذناه ونظر عدو الله توما الى ذلك
من انتكاس الصليب فعظم عليه وقال يبلغ الملك عني
ان الصليب الاصغر اخذ مني واخذته العرب لا كان
ذلك ابدا ثم حزم وسطه واخذ سيفه وطارقته
وقال من شا منكم يتبعني ومن شا فليقعد فلابد لي اليوم
اشفي صدري من هولا الكلاب ثم امر بفتح الباب ففتح
له وكان اول مبادر فلما نظروا قومه الى ذلك لم يكن
فيهم الا من انحدر في اثره لما يعلمون من شجاعته
والحذر وابالعدد المختلفة فلما خرجوا الروم ووقع
صياحهم حذروا المسلمون بعضهم بعضا فلما نظروا
الى ما فاجاهم سلموا الصليب الى شرحبيل كاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانفردوا الاعدا ايهم وحملوا
عليهم مهاجمين لهم فصاح شرحبيل معاشر الناس
تقهقروا الى ورايكم لتامنوا النشاب والجنادل من
اعدا الله العالين على الباب قال فتقهقروا الى ورايهم
الى ان امنوا من شر عدوهم واتبعهم عدو الله يضرب
يمينا وشمالا وحوله ابطال قومه وهو يهدر كالبعير الهايج
فلما نظر شرحبيل الى تكاثر المشركين صرخ بقومه
يحرضهم على القتال قال فحملوا الناس حملة منكرة
والتحم القوم واختلط بعضهم ببعض وعملت السيوف

وتراموا بالنبال وتسامعوا اهل دمشق ان توما خرج اليهم
وان الصليب الاصغر قد سقط اليهم من كف صاحبهم
وتكاثر جمعهم وجعل عدو الله توما ينظر يمينا وشمالا
ويحرض القوم يطلب ان ينظر الى صليبه وكانت منه
التفاتة فنظر الصليب مع شرحبيل فلما نظر الى ذلك
لم يلوي دون ان حمل مصمما اليه فقصده وهجم عليه
وصاح به ارم الصليب قال فنظر شرحبيل الى هجمته عليه
فالقى الصليب من يده وحمل على عدو الله حملة منكرة
فنظر توما الى الصليب ملقى فصرخ صرخة هايلة فادركه
وبجدده ونظرت ام ابان ابنة عتبة الى حملة عدو الله على
شرحبيل فقالت من هذا المدل بنفسه وباسه قالوا هذا
توما صهر الملك هذا قاتل بعلك ابان بن سعيد بن العاص
فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى ان قاربته بحملة
ثم ارمت بنبلة وتبادروا اليها العلوج وتصارخوا بها ليرعبوها
فلم تلوي اليهم دون ان خفقت بنبلتها على صاحبهم ونادت
بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اطلقت
النبلة وعدو الله قد وصل الى شرحبيل وكاد ان يغلبه اذ
جاته النبلة فاصابت عينه اليمنى فاشتبكت النبلة فيها
فتقهقر الى ورائه صارخا وهمت ان ترميه باخرى فتبادر
اليها الرجالة وستروا عدو الله بالطوارق وتبادروا اليها قوما
يحامون عنها فلما امنت من شر الاعدا اخذت ترمي بالنبل
وتنشد وتقول امر ابان المليي بتارك * صولي عليهم صولة المدارك
اقسمت لا اخذت عن المعارك وكنت ما عشت لهم بتارك
ثم انها رمت علجا فاصابت نحره فسقط هالكا [وباد] ورمت اخر
فاصابت صدره فانتكس صريعا وكان عدو الله توما
اول من تقهقر هاربا من حرارة النبلة فصرخ صراخ البعير
الى ان دخل الباب ونظر شرحبيل الى ذلك فصرخ باصحابه
ويلكم ما يوقفكم وقد تخلص كلب الروم احملوا عليهم
عسى الله ان تدركوا عدو الله فحملوا المسلمون حملة منكرة

وحملوا على الروم الى ان وصلوا بهم الى الباب وقد قتلوا منهم
مقتلة عظيمة فلما وصلوا الى الباب حموهم قومهم من اعلا الباب
بالحجارة والنشاب وردوهم بالجنادل فتراجعوا المسلمون
الى مواضعهم وقد قتلوا من الروم ثلاث ماية رجل واخذوا
اسلابهم وسلاحهم ودخل عدو الله توما الى المدينة والنبلة
في عينه قد تمكنت لم تخرج منها فلما حصلوا القوم في المدينة
اخذوا في قلع النبلة من عينه فلم تنقلع لهم ولم تزل من مكانها
وهو يصيح بالصراخ فلما طال على القوم ذلك ولم يجدوا
حيلة في اخراجها نشروها وبقي الزج في عينه ولم يزل
من مكانه فعصبوها وسالوه المسير الى منزله فابى وجلس
من داخل الباب الى ان سكن ما به من الوجع وخف عنه قليلا
فقالوا امض الى منزلك بقية يومك فقد نكبنا يومنا هذا
بنكبتين نكبة الصليب الاصغر ونكبة عينك مما
قد وصل اليك من هولا اللئام وقد علمنا ان القوم لا يصطلا
بنارهم وانما نسالك ان تصالح القوم بما طلبوا امنا
ولا نرى لهم غير ما ذكرنا لك من الصلح وينصرف القوم عنا
فغضب من قولهم وقال يا ويلكم يوخذ صليبنا الاصغر
وتقلع عيني وتقتل حاشيتي واغفل عن هولاء العبيد
ويبلغ الملك عني ذلك فيشهد والي بالعجز ولابد لي من
طلبهم على كل حال واخذ بدل عيني الف عين وسا
اوقع بالقوم حيلة اصل بها الى امرايهم واملك صاحبهم
واخذ اموالهم وما غنموه وابعث بالكل الى الملك ثم اني
لا ارضى بذلك حتى احتش الجيوش واسير الى صاحبهم
ابي بكر الذي هو بالحجاز فاخرب دياره واهدم مساجده
واجعل بلده مسكنا للضباع والهوام ثم ان الملعون علا
على الباب وهو معصب العين يحرض الناس على القتال
وينزل من قلوبهم الرعب واقبل يقول لهم لا تجزعوا
مما ظهر لكم في يومكم ولابد للصليب ان يرد سهم بوايقه
وانا الضامن لكم بذلك قال فثبت القوم لقوله وقاتلوا

قتالا شديدا وصبروا المسلمون لهم وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد
يخبره بما صنعوا القوم وقال للرسول اخبر خالدا ان عدو الله
صفهر الملك قد ظهر منه ما لم يكن في الحساب فابعث لنا
رجالا فان الحرب عندنا اكثر من كل باب فلما وصل الخبر
الى خالد فرح وحمد الله كثيرا وقال كيف اخذتم صليب
القوم قال رسول شرحبيل كان يحمل صليب القوم رجل
من الروم اما مصفهر الملك فرمته ام ابان فوقع الصليب الينا
وخرج توما ليأخذه منا فوقع القتال الشديد فرمته ام ابان
فقلعت عين توما فقال خالد ان توما عند القوم معظم
وهو الذي يمنعهم من الصلح ونرجو من الله تعالى ان
يكفينا امره ويصرف عنا شره ثم قال لرسوله عد اليه
وقل له كن حافظا ما امرتك به فكل فرقة مشتغلة
عنك وانا بالقرب منك وهذا ضرار بن الازور يطوف
حول المدينة وكل وقت يكون عندك ولن يأتوا من
قبلهم ان شا الله تعالى قال فرجع رسوله اليه فاخبره بذلك
فصبر وقاتل بقية يومه وصبروا الناس على مراكزهم
واتصل بالمسلمين ما نزل بشرحبيل بن حسنة من توما
صفهر الملك وما غنم من صليبه فسروا بذلك سرورا
شديدا واقاموا الناس بقية يومهم ذلك في الحرب
الى ان جاوز اوقات العصر فقطعوا القتال ورجعت
كل فرقة الى مكانها الى ان ادركهم المسا فتحارسوا
القوم واضرمت النيران وقروا القران واذنوا المؤذنون
وصلوا الناس العشا كل امير بقومه قال الواقدي
فلما جن الليل بعث توما الى اكابر دمشق وابطالهم
فاحضرهم اليه واقبل عليهم وقال يا اهل هذا الدين
انه قد طاف بكم قوم لا خلاق لهم ولا دين ولا امان
ولا عهد ولو صالحتموهم واعطوكم الامان ما وفوا
لكم وهذه نساهم واولادهم قد اتوكم بهم يسكنونهم
بلدكم ان شيتم او ابيتم فكيف صبرتم على هتك الحريم

وما وقع

وما وقع الصليب اليهم في يومكم الا بغضبه عليكم لما
اضمرتم من هذا الدين ومصالحة المسلمين وقد اليت
بعزة الملك الرحيم لابد لي من ثاري وان اقلع من العرب
الف عين بدل عيني وابعث بها الى الملك ثم لابد لي
ان اطالبهم بالصليب او اصل اليه فاخذه فان توانيت
عن ذلك لم امن من تعيير الملك لي فلما سمعوا
ذلك من مقالته قالوا ايها السيد ان القوم كثيرون
وما هو الا ان تقصد جنبة من جنبات القوم حتى يعطفوا
القوم اليك من ساير الاماكن ويزحف اليك اميرهم
الاعظم في الخيل من الباب الشرقي ويسير الاخر من
باب الجابيه ويعظم الامر وياتيك ما لا طاقة لك به
وبعد هذا فنحن بين يديك وقد رضينا لانفسنا ما
رضيته لنفسك فان امرتنا بالخروج اليهم خرجنا
وان امرتنا بالقتال قاتلنا عن سورنا قال توما ساد بر
لكم تدبيرا من خاص الحروب ثم امر باجتماع الناس
من قومه جميعهم فاجتمعوا اليه الا اقلهم على الابواب
خوفا من المسلمين فلما تكاملوا قال اني عزمت
على ان اهجم على القوم في هذه الليلة واكبسهم في
اماكنهم فان الليل مهوب وانتم اخبر بالبلد من
غيركم ولا يبقى منكم الليلة احد الا ويتاهب
ويخرج من بابه وتكبسوا القوم واخرج انا بمن
معي من بابي وارجو ان لا اعود الا بفرح فاذا انا
فرغت من القوم عطفنا عليكم فابيد الاول فالاول
الى ان اصل الى امير القوم فاخذه اسيرا واحمله الى
الملك فيامر فيه بامره فمن خرج منكم الليلة الى
جهة من الجهات فلا يبرح من مكانه او اصل اليه
قالوا حبا وكرامه فعند ذلك عمد الى القوم وفرقهم
فرقا فبعث بفرقة الى باب الجابية وفرقة الى باب شرقي
وقال لهم لا تجزعوا فان امير القوم خالد بن الوليد بعيد

من القوم وليس هناك الا الاراذل والموالي فالحصون لهم الحصيد
ثم سار ودعا بفرقة اخرى بعثها الى باب الصغير وبعث كل
فرقة الى فرقة من المسلمين وقال اصدقوا الضرب في هذه الليلة
واكسروهم كسرة لا ينجبروا بعدها ابدا ففرحوا القوم
بذلك وخرجوا وقصدت كل فرقة بابا من الابواب واقاموا
ينتظرون الصوت ان يقع بهم حتى يبادروا الى المسلمين
قال ودعا توما برجل من النصارى وقال له احمل الناقوس
واعلوا على الابواب واذا اتينا وقد فتحنا الباب فاخفق الجرس
خفقة يسمعها قومنا فقال حبا وكرامة ثم سار توما بقطعة
من جيشه عليهم الدروع وبايديهم العمد والسيوف وهو في
اوايلهم وفي يده صفيحة هندية ودرقة حرمقية ولبس لبسا
كاملا الى ان وصل الى الباب ثم وقف الى ان تكامل من حوله
القوم فلما نظر اليهم محدقين به قال يا قوم اذا فتح لكم
الباب فاسرعوا الى عدوكم الى ان تصلوا اليهم فاذا وصلتم
فاهجموا ومكنوا السيوف ومن صاح بكم الامان فلا تبقوا عليه
الا ان يكون امير القوم ومن ابصر منكم الصليب فليحرزه
اليه فان تعذر عليه ذلك فليصرخ بنا حتى نصير اليه قالوا
حبا وكرامة ثم امر رجلا من اصحابه ان يسير الى الذي
بيده الجرس ويامره بضربه ثم امر بالباب ففتح ووصل الى
صاحب الجرس فامره بخفقه فخفقه خفقة عظيمة وخرج اللعين
توما وسمعوا المسلمون الضرب والصوت فتبادروا وامنا كانهم
مسرعين وهم في غفلة متبادرين عليهم القوم الا انهم في
يقظة وحذر فلما سمعوا الصوت ايقظ بعضهم بعضا وتصا
ووقع الصوت وتواثبت الرجال من مواضعهم كالاسد فلم
يصل اليهم عدوهم الا وهم على حذر الا انهم على غير ترتيب
فقاتلوا القوم في ظلام الليل وعمل السيف وسمع خالد ذلك
فقام ذاهل العقل مما سمع من عجيج الاصوات فصاح واغوثاه
واسلاماه وامحمداه اكيد قومي اللهم انظر اليهم بعينك
التي لا تنام وانصرهم على شر خلقك ثم دعا خالد رضي الله عنه

بعلجان بن يزيد الطاي وقال كن خلفي على قومي وعلى الحريم
ولا تصبر الي على ما اسمعه واحذر ان تؤتى من قبلك وترك
معه العسكر وسار في اربعماية فارس وهو بدرع وعليه ثوب
من كرابيس الشام وهو مكشوف الراس من عجلته واطلقوا
القوم الاعنة وهو في اوايلهم ودمعته تسيل على خده جزعا
على المسلمين وهو ينشد ويقول

قد فاض دمعي واعتراني الحزن • وضاق صدري وبراني شجني
يا رب سلم من نزول المحن • واحرس الاسلام بعين المنن

ثم جد في السير والاربعماية فارس من وراءه وقد هزوا السيوف
الى ان وصلوا الى الباب الشرقي واذا بالفرقة التي هناك قد هاجمها
صاحبه رافع بن عميرة الطاي واذا القوم قد تواثبوا عليهم
والسيوف تعمل واصوات المسلمين عالية بالتهليل والتكبير
والقوم على الاسوار وتصارخوا عند ما استيقظوا المسلمون لهم
فحمل خالد على القوم ونادى برفيع صوته ابشروا يا معاشر المسلمين
اتاكم الغوث من رب العالمين انا الفارس المبيد انا البطل
الصنديد انا خالد بن الوليد ثم حمل على الروم بمن معه
فقتل رجالا وجندل ابطالا وهو مع ذلك مشتغل القلب
على ابي عبيدة وعلى ساير المسلمين الذين اوقفهم على الابواب
وهو يسمع اصواتهم وتصارخوا الروم والنصارى واليهود
قال الواقدي ولقي عدو الله لشرحبيل تجري لشرحبيل من
عدو الله امرا عظيما وذلك انه هجم عليه توما في تلك
العصبة التي معه وكان اول من خرج من القوم توما لعنه
الله فصبروا المسلمون له صبر الكرام وقاتل عدو الله قتالا
شديدا وجعل يخترق يمينا وشمالا وينادي اين اميركم
الذميم انا ناصر الصليب فهلموا الى صليبي حتى ارجع
عنكم فسمع صوته شرحبيل فقصد جهته وقد خرج
رجالا من المسلمين فقال له ها انا صاحبك وغريمك
انا صاحب القوم انا مبيد جمعكم واخذ صليبكم
انا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف اليه

توما عطفة الاسد على فريسته وقال اياك طلبت ولك اردت
ثم صادمه وراى منه شرحبيل شيئا اهاله فلم يزل كذلك
الى ان مضى من الليل شطره وكل قرن مع قرنه وكانت
ام ابان مع شرحبيل لم تزل عنده وكانت في تلك الليلة
احسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع نبلة الا
في رجل من المشركين الى ان قتلت رجالا والروم يظنون
انها رجل ولم تزل كذلك الى ان نفد النبل ولم يبق
معها غير نبلة واحدة تشير بها يمينا وشمالا والقوم يتحايدون
من خوف النبلة اذ هاجمها رجل من القوم فارمت النبلة
عليه فوقعت في نحره فلما احس بالموت هاجمها وصرخ بالروم
فمالوا الى معونته وهاجموا ام ابان فاخذوها اسيرة ومات
عدو الله الذي رمته لوقته واما شرحبيل فانه لقي من عدو
الله ما لم يلق احدا الا انه صبر له وان عدو الله ضربه
ضربة هايلة فالتقاها بدرقته فانكسر سيف شرحبيل وطمع عدو
الله فيه وحمل عليه وظن انه اسيره واذا بفارسين قد اقبلا
من ورائهما كتيبة من الفرسان فهجموا على الروم واذا
ام ابان قد قبضت على رجلين من الروم يكلناها بها
وهي تزعق فلحقها الفارسان وكان احدهما عبد الرحمن
بن ابي بكر والاخر ابان بن عثمان فقتلا الرجلين
وخلصا ام ابان وشرحبيل ورجع عدو الله الى المدينة
قال حدثنا عامر بن سهل قال حدثنا نعيم بن عدي
وكان ممن شهد الفتوح قال كنت في خيل ابي عبيدة
رضي الله عنه ولم يكن في الامراء من قاتل اكثر من
اصحابه وذلك ان ابا عبيدة كان في خيمته مما يلي
باب الجابية وهو متباعد عنهم اذ سمع الصوت قد
ارتفع والباب قد فتح وقد تبادروا الروم الى المسلمين
فلما نظر الى ذلك اوجز في صلاته وقال لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه ووثبوا قومه معه
فتدرعوا بالعدد والسلاح ودنا من القوم فنظر اليهم في

الحرب فاعدل عنهم يمنة ويسرة الى ان جاوزهم ثم عطف بهم
نحو الباب فوصل اليهم والقوم في القتال وكبر وكبروا
القوم من ورايهم فلما سمعوا القوم التهليل ظنوا ان المسلمين
دهموهم من ورايهم في عسكر وجمع كثير وعطفوا راجعين
وعلى مقدمتهم امير الباب وكان اسمه جرجي بن لاقا واتبعهم
المسلمون وابذلوا فيهم السيف حتى اذا قاربوا الباب
حمل ابو عبيدة وصحبه وتلقوا القوم واخذوا عليهم المجاز
والسهام وهم لا يلوون عنهم حتى خشي القوم ان يصيبوا
اصحابهم بسهامهم قال الواقدي رحمه الله تعالى ولقد بلغنا
انه ما سلم من القوم لا كبير ولا صغير وقتلوا عن اخرهم
وقتل جرجي بن لاقا وان خالد بن الوليد قاتل قتالا ما رءي مثله
فبينما هو كذلك اذ اشرف عليهم ضرار بن الازور
وهو مضمخ بالدما فقال خالد ما وراك يا ضرار قال البشر
ايها الامير فما جيتك حتى احصيت اني قتلت في ليلتي
مائة وخمسين رجلا وقتلوا قومي منهم ما لا يعد وقد
كفيتك موونة من خرج من باب الصغير الى يزيد بن ابي
سفيان ثم عطفنا الى ساير الابواب وابذلنا فيهم السيف
قال فسر بذلك خالد سرورا شديدا ثم سارا جميعا
حتى اتيا شرحبيل بن حسنة وشكراه قال الواقدي
وكانت ليلة عظيمة ورزقهم الله النصر على اعدايهم
وقتلوا تلك الليلة الوفا من المشركين قال واجتمعوا
اهل المدينة الى توما وقالوا ايها السيد انا نصحناك ولم تقبل
وقد لحقك ما لحقك وقتل منا اكثرنا وهذا امر لا يطاق
فصالح القوم فان ابيت صالحنا عن انفسنا وتركناك وشانك
فقال يا قوم امهلوني حتى اكتب الى الملك اعلمه بذلك
فان انجدنا والا فالصلح امامكم فكتب من وقته كتابا
يقول فيه الى الملك الرحيم من صهره توما اما بعد فان
العرب محدقون بنا وقد قتلوا اهل اجنادين ورجعوا
الينا وقتلوا منا مقتلة عظيمة واني خرجت اليهم ولاقيتهم

واصبت منهم الان قومك واهل الشام تركوني واسلموني وقد
ذهبت عيني وقد عزموا على الصلح ودفع الجزية الى العرب
فاما ان تسير بنفسك واما ان تبعث عسكرا تنجدنا به
واما ان تامرني بمصالحتهم وقد تزايد الامر علينا والسلام
ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه وبعث به قبل الصباح
فلما اصبحوا القوم باكروهم المسلمين بالقتال وبعث
خالد الى كل امير ان يزحف من جهته وركب ابو عبيدة
ووقع القتال واشتد الامر على اهل دمشق فبعثوا الى خالد ان
امهلنا لننظر في امورنا فابا خالد الا قتالهم ولم يزل
عنهم حتى ضاق عليهم الحصار وهم مع ذلك ينتظرون
جواب الملك واجتمع ارباب البلد بعضهم الى بعض
وقالوا يا قوم ما لنا صبر على ما نحن فيه من هولاء القوم
ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم ولزمنا مدينتنا
ضربنا سفاهم فدعوا اللجاجة عنكم واطلبوا من القوم
الامان والصلح على ما طلبوا منكم فقال لهم شيخ كبير
ممن قرا الكتب السالفة وتدبرها والله اني اعلم لو
ان جا الملك في عدته وعديده لما دفع عنكم هولاء العرب
لما قرات في الكتب ان صاحبهم محمد هو خاتم النبيين
وسيد المرسلين وسيظهر دينه على كل دين فدعوا
عنكم التشغل بالمحال واعطوا القوم ما طلبوا منكم
فهو اوفق لكم فلما سمعوا القوم ذلك من مقالته
ركنوا اليه لما يعلموه من معرفته فقالوا له وكيف الراي
عندك قال لهم تعلموا ان هذا الذي على الباب الشرقي
هو رجل صعب سفاك للدما فان اردتم تقارب
الامر فامضوا الى الذي على باب الجابية يعنون ابا عبيدة
رضي الله عنه وكان ابو عبيدة قد بعث رجال المسلمة
يكونون بالقرب من الباب مخافة الكبسة مثل الليلة
التي خلت فكانت النوبة تلك الليلة لدوس والامير
عليهم عامر بن الطفيل قال فبينما نحن جلوس في مواضع

قريبا من الباب اذ سمعنا اصوات القوم ينادون الامان
قال ابو هريرة فلما سمعنا قولهم بادرت الى ابي عبيدة وبشرته
بذلك وقلت لعل الله تعالى يريح المسلمين من التعب فاستبشر
بقولي وقال امض وكلم القوم وقل لهم لكم الامان
حتى تعودوا الى بلدكم سالمين قال ابو هريرة فاتيت القوم
وناديتهم فقالوا من انت من اصحاب محمد حتى نثق اليك
قلت انا ابا هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويلكم والله لو ان عبدا لنا اعطاكم الامان لاجزناه
لان الله تعالى يقول في كتابه واوفوا بالعهد ان العهد
كان مسئولا وما عرف من العرب الا الذمام وهي في الجاهلية
فكيف وقد هدانا الله بمحمد عليه السلام قال فنزلوا القوم
وفتحوا الباب وخرجوا واذا هم مائة رجل من كبرائهم
فلما قربوا من عسكر ابي عبيدة تبادروا اليهم المسلمون
وانالوا عنهم الزنانير والصلبان الى ان اتوا الى ابي عبيدة
فرحب بهم ووثب لهم قايما واجلسهم وقال لهم
ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال اذا اتاكم كريم
قوم فاكرموه قال وتحدثوا في امر الصلح وقالوا انا
نريد منكم ان تتركوا لنا كنايسنا منها كنيسة
يحنا وهي الجامع اليوم فاجابهم الى ذلك ابو عبيدة
وكتب لهم الامان ولم يسم فيه نفسه ولم يثبت
شهودا وذلك انه لم يحب ان يلي امر المسلمين
بعد ان عزله ابو بكر الصديق رضي الله عنه قال
قال فلما كتب لهم ابو عبيدة الكتاب وتسلموه منه
قالوا قم الان معنا فقام ابو عبيدة رضي الله عنه وركب
معه ابو هريرة ومعاذ بن جبل وسلمة بن هشام
المخزومي ونعيم بن عدي وهشام بن العاص السهمي
وهبان بن سفيان وعبد الله بن عمر والدوسي
وذو الكلاع الحميري وعامر بن الطفيل الدوسي
وسعيد بن حرا الدوسي وسالم بن فرقد اليربوعي

وشفي بن اسلم الطايفي ومعمر بن خويلد الشاكري
وسنان بن اوس الانصاري ومخلد بن عوف الكندي
وربيعة بن مالك التميمي ومخامه بن عدي والمغيرة
بن شعبة الثقفي وكثير بن عبد الله التميمي وراشد
بن سعد وقيس بن سعد وسعد بن عمرو الغنوي
ورافع بن سهل ويزيد بن عامر وعبيد بن اوس ومالك
بن الحارث وعبد الله بن ظفر وابو لبابة بن المنذر
وعوف بن ساعدة وعابس بن قيس وعباد بن عيينة التيهاني
ومبشرة بن عامر وعبد الله بن قرط الازدي فالجملة
مايه خمسة وثلاثون صحابيا وخمسة وستون من اخلاط
الناس فلما ركبوا تقدموا نحو الباب فقال ابو عبيدة
لمن صالحهم اريد رهاين حتى ندخل معكم قال
الراوي لم ياخذ ابو عبيدة من القوم رهاين بل اتكل
على الله تعالى وذلك انه تلك الليلة التي صالح فيها القوم
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول الليلة تفتح
لكم المدينة ان شا الله تعالى فقلت يا رسول الله اراك على
عجل فقال حيث لاحضر جنازة الصديق رضي الله عنه
فاستيقظ ابو عبيدة ولم ياخذ من القوم رهاين ثقة
بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي رحمه الله
لما دخل ابو عبيدة باصحابه الى المدينة سارت الاقسة بين
يديه وقد رفعوا الانجيل والمباخر والعود والند
قال اهل السيرة ممن روى فتوح الشام قال دخل
ابو عبيدة من باب الجابية وليس عند خالد من ذلك خبر
لانه كان قد شدد القتال على باب الشرقي وكان
قسا من اقسة الروم اسمه توشا بن مرقش يسكن
في دار ملاصقة للسور مما يلي الباب الشرقي وكان
عنده ملاحم دانيال وغير ذلك وان الله تعالى يفتح البلاد
على يدي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دينهم
يعلوا على كل دين فلما كانت تلك الليلة نقب

من داره وخرج على حين غفلة من اهلها وقصد خالد
وحدثه انه خرج من داره وحفر موضعا خرج منه
والان اريد امانا لي ولاهلي فاعطاه خالد ذلك ونفذ
معه مايه رجل اكثرهم من حمير وقال اذا حصلتم
في المدينة فارفعوا اصواتكم بالتكبير بجمعكم واقصدوا
الباب الشرقي واكسروا اقفاله وازيلوا سلاسله حتى ندخل
ان شا الله تعالى ففعلوا القوم ذلك وامر عليهم كعب
بن ضمرة الضمري ومسعود بن عون والله اعلم
ومضيا امامهم توشي بن مرقش حتى دخل بهم من
حيث خرج فلما حصلوا في داره تدرعوا ثم قصدوا
الباب الشرقي واعلنوا بالتهليل والتكبير قال والقوم
في القتال على الاسوار فلما سمعوا التكبير تدهلوا
وعلموا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصلوا
في المدينة معهم فسقط ما بايديهم وان كعبا قصد الباب
الشرقي وكسر الاقفال وقطع السلاسل ودخل خالد
ومن معه ووضع السيف في الروم وهم متحفلون بين يديه
الى ان وصل كنيسة مريم وخالد يسبي ويقتل قال
الراوي والتقا الجيشان عند كنيسة مريم جيش خالد
وجيش ابي عبيدة فلما التقوا نظر خالد الى ابي عبيدة واصحابه
سايرون والاقسة بين ايديهم وما احد من اصحاب
ابي عبيدة جرد سيفا فلما نظر ذلك خالد بهت وجعل
ينظر اليهم متعجبا ونظر ابو عبيدة الى خالد رضي الله عنهما
فعرف في وجهه الانكار فقال يا ابا سليمان قد فتح الله
المدينة على يدي صلحا وكفى الله المومنين القتال
قال الواقدي رحمه الله حدثنا عبد الحميد بن حمران
بن ابي انس عن ابيه قال ما خاطب ابو عبيدة يوم الفتح
الا بالامارة فقال ايها الامير قد تم الصلح قال خالد
وانا افتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين
من دمائهم واخذت الاموال والاولاد قال ابو عبيدة

ايها الامير ما دخلتها انا الا صلحا قال خالد انك لم تزل مغفلا
ما دخلتها انا الا بالسيف عنوة وما بقي لهم حامية فكيف
اصالحهم فقال ابو عبيدة اتق الله ايها الامير فقد والله صالحت
القوم وكتبت لهم كتاب الصلح فقال خالد كيف صالحت
بغير امري وانا صاحب رايتك والامير عليك فقال ابو عبيدة
والله ما ظننت انك تخالفني في شي والله اعطيت القوم ذمامي
واعطيتهم الامان وقد رضوا بذلك كل من معي من المسلمين
فما الغدر من شيمتك رحمك الله قال الواقدي
وارتفع الصياح بينهما وقد شخصوا الناس اليهما قال
وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر ابو عبيدة الى
اصحاب خالد وهم جيش الزحف والبوادي من العرب وهم
متكلبون على قتل الاعلاج ونهب الاموال ولا يردون
سيوفهم عن احد ونادى ابو عبيدة واثكل اماه خفرت
والله ذمتي ونقض عهدي وجعل يحرك بجواده ويسير
الى العرب مرة يمينا ومرة شمالا وينادي برفيع صوته
معاشر المسلمين اقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لا تمدوا ايديكم نحو الطريق التي جيت عليها
حتى نرى ما نتفق انا وخالد عليه فلما دعاهم الى ذلك
امسكوا عن القتل والنهب واجتمعوا اليهما فرسان
المسلمين عند الكنيسة التي التقوا عليها للمشورة فقال
طايفة من المسلمين الراي ان تمضوا ما امضاه ابو عبيدة
ونكف عن القتال فان مدن الشام كما هي لم تفتح
وهرقل بانطاكية كما تعلمون وان تصل باهل المدن
انكم صالحتم وغدرتم لم تفتح مدينة صلحا وثانية ان
تجعلوا هولاء الاعلاج في صلحكم فهو خير من قتلهم
ثم قالوا لخالد امسك عليك ما فتحته بالسيف ويمسك
ابو عبيدة بجانبه واكتبا الى الخليفة واحتكما اليه فما
امر به فعلنا فقال خالد قد اجبت الى ذلك وقبلت
مشورتكم فاما اهل دمشق ومن فيها امنتهم الا هذين

اللعينين توما وهربيس وجيشيهما الذين لجوا اليهما
قال الواقدي وكان هربيس هو الموتمر على نصف المدينة
ولاه توما حين رجع الامر اليه فقال ابو عبيدة ان هاذ ين
اول رجلين من صلحي فلا تخفر ذمتي يرحمك الله تعالى
اترى لو ذممت انت لاحد هاكذا كنت احقر ذمتك
ولا ازعاجانك اترى توما وهربيس كانا خارج المدينة
او في داخلها فان كانا داخل المدينة فهما في الذمام وان
كانا خارج الحصن فلا ذمام لهما فقال خالد اما والله لولا
ذمامك لقتلتهما ولاكن يخرجان عني من هذه البلدة
لعنهما الله الى حيث شا فقال توما وهربيس نحن في
جواركم ثلاثة ايام اي طريق سلكناه لا يتبعنا منكم
احد فاذا كان بعد ثلاثة ايام فلا ذمة لنا عندكم
ولا عهد من لقينا منكم بعد ثلاثة ايام وظفر بنا فنحن له
عبيد ان شا اسر وان شا قتل فقال لهم خالد قد اجبناكم
الى ذلك على ان لا تحملوا من المدينة سوى الزاد فقال
ابو عبيدة لخالد يا سبحان الله هذا كلام داعي لنقض العهد
والصلح انما وقع بيننا وبينهم العهد على انهم يخرجون
برحالهم واموالهم فقال خالد قد سمحت لكم بذلك الا
الحلقة يعني السلاح فاني لا اطلق لهم منه شيا فقال هربيس
لا بد لنا من السلاح نمنع به عن انفسنا حتى نصل الى مامننا
والا فنحن بين ايديكم فاحكموا بما اردتم فقال ابو
عبيدة اطلق لكل واحد قطعة من السلاح فقال توما
رضينا بذلك ثم قال توما لابي عبيدة اني خايف من هذا
الرجل يعني خالد فليكتب لي بذلك عهدا ويشهد عليه
شهودا فقال ابو عبيدة اسكت انا معاشر العرب
لا نغدر وان الامير ابا سليمان قوله قولا لا يالف الا الص ق
قال فانطلقا توما وهربيس يجمعان قومهما ويامروهم
باخراج رحالهم قال وكان للملك هرقل خزانة ديباج
في دمشق بنهار يادم على ثلاث ماية حمل ديباج وحلل مذ هبة

فعزما على اخراجها وامر توما فضربت له خيمة من القز
ظاهر المدينة واقبلت الروم تخرج الرجال والاموال
والامتعة والاحمال حتى اخرجوا شيئا عظيما ونظر
خالد رضي الله عنه الى ذلك من كثرة سوادهم وعظم
رحالهم فقرا ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية
ثم نظر الى القوم كانهم حمر مستنفرة لا يلتفت
منهم احد الى صاحبه من شدة عجلتهم فلما نظر خالد
الى ذلك رفع يديه الى السما وقال اللهم اجعله لنا وملكنا
اياه انك سميع الدعا ثم اقبل خالد على اصحابه وجماعة
رجاله وقال لهم اني رايت رايا فهل تتبعوني عليه قالوا
راينا لرايك تبعا ولا نخالف لك امرا فقال خالد جهزوا
انفسكم وحدوا اسلحتكم فاني اريد ان اسري بعد
ثلاثة ايام في طلب هولا الاعلاج وارجوا من الله تعالى ان
نغنم هذه الاموال التي اراها وان نفسي تحدثني ان القوم
ما تركوا في دمشق متاعا فاخرا قالوا افعل ذلك فما
نخالف لك امرا ولا قولا ثم اخذوا في اصلاح شانهم
وعدتهم وعلف خيلهم وهربيس وتوما قد جمعا المال
الذي ضمناه لابي عبيدة رضي الله عنه وجا به اليه ففرح به
وقال قد وفيتم ما عليكم فسيروا حيث شئتم ولكم
منا الامان ثلاثة ايام فان وقع بكم احد من المسلمين
واخذكم فلا لايمة علينا قال زيد بن طريف الكعبي
فلما اسلموا المال لابي عبيدة ارتحلوا سايرين كانهم
سواد مظلم وكان قد خرج مع القوم خلق كثير من
اهل دمشق بنسايهم واولادهم كرهوا ان يكونوا في جوار
المسلمين قال الواقدي واشتغل خالد عن اتباعهم لخلف
وقع بين المسلمين وبين اهل دمشق في حنطة وشعير وجد
في المدينة منه شي كثير فقالوا المسلمون هو لنا وقالوا
اهل المدينة هو لنا قال ابو عبيدة هو للقوم داخل في صلحهم
وكادت الفتنة ان تثور بين اصحاب خالد واصحاب ابي عبيدة

فاتفقوا على ان يكتبوا كتابا الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وليس عندهم خبر بموته قال عطية بن عامر
ما زلت واقفا على باب دمشق وهو باب الجابية اليوم الذي
سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهما ابنة الملك هرقل
قال فنظرت الى ضرار بن الازور ينظر للقوم شزرا وهو متحير
على ما فاتهم منهم فقلت له يا ابن الازور ما لي اراك كالمتحير
شزرا او متحسرا ما عند الله اكثر فقال والله ما يغيضني في غنيمة
وانما انا متحسر على نفايهم وانفلاتهم منا ولقد اسا
ابو عبيدة فيما صنع بالمسلمين قال عطية بن عامر فقلت
يا ابن الازور وما اراد امين الامة بالمسلمين الا خيرا فان
حرمة رجل مسلم عند الله افضل مما طلعت عليه الشمس
والرحمة سكنها الله في قلوب المومنين وازالها من قلوب الكافرين
قال الواقدي وعزم خالد على القعود عن المسير خلفهم
فما حرضه على ذلك الا رجل اسمه يونس من اهل دمشق كان معنا اسيرا
وكان من فرسان القوم • وقعة مرج الديباج قال الواقدي
حدثنا عمر بن محمد بن عيسى بن ابي عطا عن عبد الواحد
بن عبد الله البصري عن واثلة بن الاسقع قال كنت في جيش
دمشق مع خالد وكان قد جعلني في الخيل التي تجول مع ضرار
بن الازور من باب شرقي الى باب توما والى ساير الابواب
وذلك قبل فتوح دمشق فبينما نحن نطوف ذات ليلة وكانت
ليلة مقمرة وقد قربنا من باب كيسان اذ سمعنا صرير البا
فوقفنا واذا به قد فتح وخرج منه فارس تخب به فرسه مجدا
فتركناه حتى قرب منا فاخذناه قبضا بالكف وقلنا له ان
تكلمت ضربنا عنقك فسكت واذا قد خرج فارسان
اخران فقاموا على الباب وجعلوا ينادون الذي اخذناه
باسمه فقلنا له كلمهم حتى ياتوا اليك فرطن لهم بالرومية
ان الطير قد وقع في الشبكة فعلموا انه قد اسر فرجعوا
سريعا الى الباب فدخلوه واغلقوا الباب قال فاردنا قتله
فقال بعضنا لبعض لا تقتلوه حتى نمضي به الى الامير خالد

ليري فيه رايه فاخذنا قلتنا انظروا اليه خالد قال من انت
قال انا من ملوك الروم وقد تزوجت بجارية من قومي قبل
[illegible] احببتها ولنا في المدينة ملاعب
نلعب فيها فواعدتها الى باب الملاعب ونتحادثنا ساعة
فسالتني ان اخرج بها الى باب المدينة لتنظر الى عسكركم
فاتيت بها الى باب المدينة وفتحناه وخرجت لاجس خبركم
فاخذوني اصحابك وجزعت على الجارية فناديت اصحابي
الطير قد وقع في الشبكة احذرهم منكم مخافة
عليها ان تسبوها ولو كان غيرها نهان على ذلك قال
له خالد فما تقول في الاسلام وان دخلت المدينة زوجتك
بها وان ابيت قتلتك قال فاختار الاسلام وقال اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
قال فكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة
صلحا اقبل يطلب زوجته فقيل انها لبست ثياب الرهبان
وترهبت من غمها عليك قال فاتى الكنيسة فنظر اليها
وعليها ثياب الرهبان فاقبل اليها وهي لا تعرفه فقال لها
ما حملك على الرهبانية قالت حملني على ذلك لاني غدرت
بزوجي حتى اسرته العرب فترهبت خوفا عليه فقال لها
انا زوجك وقد دخلت في دين العرب وانك في ذمامي
فلما سمعت قوله قالت لا وحق المسيح لا كان ذلك ابدا
وما لك الي سبيل واني خارجة مع البطريقين توما وهربيس
فلما نظر الى امتناعها عليه اقبل الى خالد فشكا ذلك
اليه فقال خالد ان ابا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل
لك اليها قال وعلم ان خالد يريد المسير خلفهم فقال
اسير معك لعلي اقع بها واقام خالد بدمشق الى اليوم
الرابع فاقبل يونس اليه وقال ايها الامير كنت قد
قد عزمت على المسير في طلب هذين اللعينين توما وهربيس
واخذ ما معهما قال بلى قال فما الذي اقعدك عن ذلك
قال قد بعد القوم بيننا وبينهم اليوم اربعة ايام بلياليها

يسيرون سير الخوف وما نجد الى اللحوق اليهم سبيلا
قال يونس ان كان تخلفك لبعد ما بينك وبينهم
فانا اعرف الديار واسير بك على طريق تلحقهم ان
شا الله تعالى وانما افعل ذلك لاملك زوجتي
قال فركن خالد لقوله وقال يا يونس تعرف الطريق
وتدلنا قال نعم ولكن البسوا زي لخم وجذام
وهم العرب المتنصرة وخففوا الزاد وسيروا ففعلوا
القوم ذلك واخذ خالد عسكر الزحف اربعة الاف
وامرهم ان يسيروا وان يركبوا اسبق خيولهم
ويخففون حمل الزاد ففعلوا ذلك وسار خالد ويونس
وقد وصا ابا عبيدة بالمدينة خيرا قال زيد بن طريف
مسير خالد الى مرج الديباج فسرنا ويونس امامنا
وهو يتبع اثارهم ونحن مع ذلك لا نرى الا اثر الخيل
وحوافر البغال وان القوم ما يسقط لهم حملا ولا بغلا
ولا جملا الا تركوه ولا يقف لهم بهيمة الا عرقبوها
ولم نزل كذلك نسير الليل والنهار ولا ننزل
الا لوقت الصلاة حتى انقطعت اثار القوم فانكرنا
ذلك من امرهم فقال خالد ما شانك يا يونس قال
ايها الامير سيروا واستعينوا بالله فان القوم ساروا
حذرا منك فعرجوا عن الطريق واخذوا في جبال
وعقاب وكانك قد لحقناهم في جبال قال الضحاك
بن حسان الطائي وسار بنا في طرق كثيرة الحجارة
لا يكاد الرجل يتخلص بنفسه الا كرها قال فاسرع
خالد وقال ايها الناس اسرعوا رحمكم الله تعالى
فقالوا المسلمون ايها الامير ان شدة السير وصعوبة
الطريق قد اضر بنا فارح بنا ساعة قال سيروا على
بركة الله فان الله هو الميسر لها وجدوا في طلب عدوكم
قال فساروا والدليل بين ايديهم ولم يزل كذلك
والدليل هو المترجم عنهم لا ندخل بلدة من بلاد

الا ويظنون انا من العرب المتنصرة من غسان ولخم
وجذام حتى قطع بنا الدليل جبلة واللاذقية واشرفنا
على ساحل البحر وهو يطلب الاثر واذا بالقوم قد عدلوا
عن انطاكية ولم ياتوا خلوها خيفة من الملك فوقف
الدليل عند ذلك حايرا في امره فعدل الى قرية هناك
وسال بعض دهاقينها فاخبره ان الخبر اتصل بالملك
هرقل ان توما وهربيس قد سلما دمشق فغضب عليهما
ولم يدعهما ان ياتيا اليه وذلك انه كان يجمع الجيوش
ويبعثهما الى اليرموك فخاف ان يحدثوا العسكر
بشجاعة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف
قلوبهم فبعث اليهما ان يسيرا وابعث معهما الى القسطنطينية
فانحرفوا عن انطاكية يريدون جبل اللكام فلما علم
يونس الدليل ان القوم قد عدلوا عن انطاكية واخذ وا
في طلب البحر انكر ذلك وخاف على المسلمين فوقف
حايرا في امره وكان ذلك في غدوة النهار من يوم
الثلثا من اخر ايام العشر الاول من رجب الفرد قال
فصلى خالد بالناس صلاة الفجر وهو يريد ان يركب اذ
نظر الى يونس قد ورد عليه وبان الانكسار في وجهه
كراهية فقال ما وراك يا يونس فقال ايها الامير اني
والله غررت بكم وبلغت الغاية في الطلب ولم ترزقون
في هذه السرية ما تطلبون وفاتكم اعدا الله وما معهم
من الاموال والديباج قال وكيف علمت ذلك قال
ايها الامير اني قفوت اثارهم الى هذا المكان
رجا ان تلحقهم في سوريه فلما رايتهم [illegible]وا عنها
علمت ان القوم نجوا بانفسهم واموالهم [illegible] اخبرني
دهقان من دهاقنة هذه القرية ان الملك منعهم من
الدخول الى انطاكية لئلا يرعبون عسكره وامرهم
ان يطلبوا القسطنطينية وقد قطع بينكم وبينهم
هذا الجبل العظيم وانتم في بلدهم قال وهو يجمع العساكر

ليسيرن بها الى حربكم واني اخاف عليكم ان تركتم
هذا الجبل وراء ظهوركم وبعد هذا فالامر لك وما امرتني
فعلت قال ضرار بن الازور فرايت خالد وقد انتقع لونه
كخضاب الورس فظننت ان ذلك هلعا او جزعا
وما عهدت به ذلك فقلت ايها الامير على ماذا عولت
ان تصنع فاني اراك مرتبكا في امرك فقال يا ضرار
والله ما افزع من الموت ولا القتل وانما خفت ان يذهبها
المسلمون من قبلي واني رايت قبل فتوح دمشق رؤيا
افزعتني وانا منتظر لتاويلها وارجو ان يجعل الله لنا
خيرا وينصرنا على اعدائنا قالوا خيرا رايت وخيرا يكون
فما الذي رايت قال رايت كاني والمسلمون في بر اقفر
ونحن سايرون فيه فبينما نحن كذلك واذا القطيع من
حمير الوحش كثيرة عظيمة اجسامها هايلة خلقتها
حسنة شعورها كانها قد اعترضتنا وهي تتكدمنا
بافواهها وترمحنا بحوافرها ونحن مع ذلك نحول عليه
بخيولنا ونطعنها برماحنا ونضربها بسيوفنا وهي لا تفكر
فيما نزل بها من الاذى ولا تهلع لما يلحقها من المقتلة
والبلا فلم نزل على مثل ذلك حتى اجهدتنا واجهدت
خيولنا وكاني اقبلت على اصحابي وحملنا عليها من
كل جانب فانجفلت من بين ايدينا الى مضايق
تلال واجام واودية حصينة واكام فلم نقدر منها
الا على شي يسير فبينما نحن نشوي ونطبخ من الجايب
لحومها واذا بها قد رجعت تطلب البر ايضا فلما
نظرت اليها وقد خرجت من المضايق والاجام صحت
بالمسلمين اركبوا بارك الله فيكم في طلبها فاستوى
المسلمون على خيولهم وركبت انا معهم واتبعناهم
حتى وقعنا بها وتصديت انا الكبير العظيم منها
الذي كان يقدمها فقتلته وجعلوا المسلمون يقتلون
وياخذونها فما انفلت منها الا اليسير فبينما انا

فرحا انا بصيدها واخذها وانا اريد الرجوع بالمسلمين
الى اوطانهم اذ تقنطرت بي فرسي وطارت العمامة عن راسي
فهويت لاخذها فوهنت لذلك وهنا يسيرا وانتبهت
وانا فزعا مرعوبا فهل فيكم احد يفسر هذه الرويا
فاني اقول ان الرويا ما نحن فيه وجعل خالد يراود
نفسه في الرجوع فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما اتدري ما دلت رؤياك عليه قال خالد لا
فقال عبد الرحمن الحمير الوحش هولاء الذين نحن في طلبهم
وانا نلقا تعبا ونصبا واما سقوطك عن فرسك الى
الارض فانه امر تحط منه عن رفعة الى خفض واما سقوط
العمامه عن راسك فالعمايم تيجان العرب وهي معرة تلحقك
فقال خالد اسال الله العظيم ان كان ذلك نازلا بي
ان يجعله في امر الدنيا ولا يجعله في الدين وعلى الله اتوكل
في جميع الامور ثم قال يا فرسان العرب المسلمين
ان خالدا لا يملك الا نفسه وقد جعلها في سبيل الله حبسا
فهل لكم ان توغلوا في طلب هولاء القوم فاما الظفر والغنا
واما ان يكون موعدنا الجنة فقالوا المسلمون افعل ما
تريد فنحن بين يديك الا اناس قلايل كان قد لحقهم
تعب ونصب فانهم كرهوا ذلك ثم اقبل خالد على يونس
دليله وكان قد سماه النجيب فقال يا يونس تقول انا
نلحق القوم فقال اما اللحاق فانك تلحقهم واما غير
ذلك فانا اخاف عليكم لان الروم تعلم بكم
فيتبادرون اليكم من كل مكان فقال خالد سر بنا
ونتوكل على الله عز وجل ثم استوى على ظهر جواده
وركبوا المسلمون وسار الدليل امامهم حتى اشرفوا
على الزهوة وقطع بنا جبل اللكام وهو يقفوا الاثر
وينظر الى اثارهم واثار دوابهم فلما كانت الليلة
التي اردنا ان نصبح فيها القوم اتانا مطر كافواه القرب
وكان ذلك من توفيق الله لنا حبس القوم عن المسير

فلما ابرق ضو الفجر تقشعت السما وطلعت الشمس
فقال يونس ايها الامير قف حتى احسس لك خبر القوم
فانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صحيحهم واريد
ان تاذن لي ان اسير واتيك بخبرهم ان شا الله تعالى
قال الواقدي وكان خالد بصيرا بالحيل والخداع فالتفت
الى رجل اسمه المقرط بن جعدة وقال سر مع النجيب وكن
له مونسا واحرص ان تاخذ خبر القوم قال المقرط بن جعدة
السمع والطاعة لله ولرسوله ثم لك ايها الامير ثم انطلقا
كلاهما الى ان علونا على جبل يقال له الابرش والروم تسميه
جبل بارون قال المقرط بن جعدة فلما صرنا على اعلاه نظرت
وراه مرجا واسعا كثير الخضرة والنبات ولاح لنا في وسطه
جمع القوم وقد اصابهم المطر وبل رحالهم وامتعتهم
وقد حميت الشمس عليهم وخافوا اتلافها وقد نشروها
في طول المرج وقد نام اكثرهم من شدة التعب فلما
رايت ذلك فرحت فرحا شديدا ونزلت عن الجبل
وسرت ابشر خالد فلما رايي خالد وحدي اسرع الى وظن
ان صاحبي اكيد وقال ما وراك يا بن جعدة قلت
الخير والغنيمة ان شا الله تعالى والقوم وراء هذا الجبل
وقد اصابهم المطر وقد وجدوا الراحة لطلوع الشمس
وقد نشروا امتعتهم فقال بشرك الله بخير فبينما
هو كذلك اذ اقبل الدليل يونس اليهم فقال خالد
خيرا يا نجيب فقال ابشر ايها الامير فان القوم
قد امنوا على انفسهم اذ تركوا انطاكية وراء ظهورهم
وظنوا انك لا تتبعهم الى هذا المكان ولكن وصي
اصحابك من وقع منهم بزوجتي فليحفظها لي فما اريد
من الغنيمة سواها فقال خالد هي لك ان شا الله تعالى
ثم ان خالد قسم اصحابه اربع فرق وامر ضرار بن الازور
على الف ورافع بن عميرة الطاي على الف وعبد الرحمن بن ابي بكر
على الف وبقي هو في الفرقة الرابعة على الف وقال خالد سيروا

على بركة الله وعونه واياكم أن تخرجوا في دفعة واحدة
بل يخرج كل أمير منكم وبينه وبين أصاحبه هنية
ثم افترقوا على القوم ولا تحملوا حتى أحمل قال فتقدم
ضرار بن الازور وخرج من في جموع هناك والقوم أمير
ثم اتبعه رافع بن عميرة الطائي ثم اتبعه عبد الرحمن
بن أبي بكر ثم سار خالد آخر القوم حتى حصلوا
في طرق المرج قال عبيد بن سعد التميمي وكنت في السرية
التي سار فيها خالد فلما حصلنا في المرج لاح لنا حسن
أزهاره ونضارته وانتشاق أشبابه وألوان الديباج
فوالله لقد كدنا أن نفتتن من حسن منظره ويلهينا
عن طلب الجهاد فقال رجل من بني تميم قبح الله الدنيا
فما أسرع دنائتها وانقلابها فاياكم أن تركنوا اليها
فانها غدارة مكارة قال فبكا خالد من قوله وقال
صدق والله التميمي ثم صاح خالد بالمسلمين وقال اطلبوا
اعدا الله وارغبوا في قتلهم ودمارهم ولا تشتغلوا
بالغنايم فانها لكم ان شا الله تعالى ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ثم عطف خالد بكتيبته على القوم
عطفة الاسد على فريسته ونظرت الروم الى الخيل وقد
خرجت عليهم وخالد امامهم والراية بيده فعلموا انها
خيول المسلمين ونادوا بالويل والثبور وصاح توما برجاله
وهربيس ببطارقتهم فبادروا الى السلاح وركبوا الخيل
وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح
اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها واتكلوا على
نصرة الصليب فتبادرت الروم الى ما كان معها
من السلاح ووقفوا من دون اموالهم وهم يظنون
ان ليس ورا خالد احد فاذ ابصروا قد اشرف عليهم
الف من الخيل وطلع عبد الرحمن بمن معه وطلع
رافع بمن معه وقد رفعوا اصواتهم بقول لا اله الا الله
محمد رسول الله [illegible] خيول المسلمين

على الروم

على الروم قال فانقسمت الروم على قتال المسلمين فطايفة مع توما
وطايفة مع هربيس فكان اول من طلب لقتال خالد توما وقد اخذ ق
به خمسة الاف فارس ملبسين وقد رفع بين عينيه صليبا من
الجوهر فعدل خالد اليه وقال يا عدو الله اظننتم انكم تنفلتون
منا والله يطوي لنا البعيد ثم قصد توما وهو اعور من ابان
فحمل خالد عليه وطعنه في عينه الاخرى فقلعها ورماه عن جواده
وحمل اصحابه على رجال توما وقد انتكس الصليب من ايديهم وجعلوا
يقتلونهم فلله در عبد الرحمن بن ابي بكر فانه ما اشتغل بغير توما
وذلك انه نظر اليه وقد انتكس عن جواده فانحدر في طلبه ما
وجلس على صدره واحتز راسه ورفعه على سنان رمحه
ونادى بالمسلمين قد قتل الله توما اللعين فاطلبوا هربيس
قال ففرحوا المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة الطائي كنت
في ميمنة خالد وقد خرجت في الكردوس الذي كان معي
فوقعنا في سواد القوم وديارهم ونظرت الى سبي الروم
وقد وقفوا يدفعون عن انفسهم منعا شديدا ونظرت
الى فارس زينته زي الروم وقد انحدر عن جواده وهو يقاتل
زوجته وبنت زعها صراع الاسد للنسوة قال فهممت ان
اتقدم اليه فاعينه فقصد الى عشرة من النسوة وجعلن
يرمين فرسي بالحجارة فخرج حجر كبير من كف امراة
حسنا عليها ثياب الديباج فوقع الحجر في جبهة جوادي فركب
راسه وكان جوادا اشهب [illegible] عليه اليمامة فسقط الجواد ميتا
فقفزت من ظهره وانا احنق عليها فاسرعت في طلبها فهربت
من بين يدي كانها [illegible] القناص وعدت [illegible] من ورايها بث
فلحقت بهن وهممت بقتلهن ثم رجعت عن ذلك وزعقت
بهن زعقة فادهشتهن ومالي قصد الا الجارية التي قتلت
جوادي فدنوت منها وعلوتها بالسيف صفحا [illegible] راسها
وجلست وجعلت تقول كلاما بالرومية منعجم [illegible] وهي تقول
لغوث تعني الامان فرجعت عن قتلها واقبلت اليها فقبضت عليها
واذا عليها ثياب الديباج المثقل وعلى راسها شبكة من اللولو

فاخذتها اسيرة مع النسا اللاتي كن معها واوثقتهن كتافا ورجعنا
على اثري فنظرت الى برذون من براذين الروم دون راكب فركبت
الجواد واردت اعدل نحو القتال قلت والله لا مضيت حتى اعرف
ما كان من خبر يونس الدمشقي فجعلت اطلب مكانه فاذا هو
جالس ودموع وجنته بين يديه وهو يبكي عليها فناديته ما كان منك
يا يونس فقال ان هذه زوجتي التي سرت في طلبها وما كان لي طلبا
غيرها الا اني والله احببتها فلما رايتها قلت لها ها انا قد لحقتك
واين تنقلبين من يدي فقالت وحق المسيح لا اجتمعت انا وانت
ابدا وقد تركت دينك ودين ابائك ودخلت في دين محمد
وقد وهبت نفسي للمسيح وانا ماضية الى القسطنطينية واكون
بها راهبة ثم تمنعت علي فقاتلتها قتالا شديدا واجهدت في قتالها
حتى ملكتها اسيرة فلما نظرت الي قد اسرتها اخرجت سكينا
كانت معها فضربت بها صدرها فوقعت قتيلة وها انا ابكي
عليها لشدة شغفي بها قال رافع بن عميرة الطائي فبكيت
من كلامه وقلت له ان الله سبحانه وتعالى قد ابدل لك بمن هو احسن
منها وعليها ثياب الديباج وكان القمر يطلع من وجهها فخذها
لك بدلا من زوجتك فقال يونس اين هي فقلت ها هي معي
فلما نظر اليها راطنها بالرومية وسالها عن امرها فالتفت
الي وقال اتدري من هي الجارية قلت لا قال هي ابنة الملك هرقل
زوجة توما وما مثلي يصلح لها ولا بد الملك ان يطلبها برجاله
او يفديها بماله فقلت هي لك وانت لها قال الواقدي رحمه الله تعالى
فسمي مرج الديباج فيه يعرف الى وقتنا هذا وانما عرف بذلك
لان العرب كانوا اذا نظروا على احد ثوب ديباج فاخر يقولوا
له من اين لك هذا فيقول من غنيمة مرج الديباج فبذلك عرف
قال الواقدي وافتقد المسلمون اميرهم خالد فلم يروا له اثر
فقلقوا عليه قلقا عظيما قال الواقدي حدثنا عبد الحميد عن رجالة
قال سمعت انس بن مالك بالبصرة وهو يذكر حديث
خالد وما فتح بالشام حتى ذكر وقعة مرج الديباج قال ولقد
كانت وقعة عظيمة ولقد غرر خالد بنفسه حين دخل في الغنيمة

الى وسط بلد الروم فقال له رجل من بني مازن وما ذاك يا خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان انس اذا قيل له يا خادم رسول الله يفرح
بذلك فرحا شديدا فقال ان خالد سار بالمسلمين الى مرج الديباج
في طلب غنيمة دمشق حين نظر الى اموالهم فسرى اليهم في
اربعة الاف فارس فقتل توما واسر بطارقته وغنم غنيمة عظيمة
وافلت هربيس من يده وذلك ان خالد طلبه في الوقعة فلم يجده
فجعله وكده وكان فيه لجاجة فذلك بينما خالد يجول في عسكر
الروم فيقتل الرجال ويجندل الابطال اذ نظر الى علج من علوج الروم
عظيم الخلقة هائل الجثة احمر اللون له لحية عظيمة وعليه ثياب
الديباج المثقل ومن فوقها الحديد فظن خالد انه اللعين هربيس
فاطلق جواده نحوه وطلبه طلبا شديدا ليقتله فوكزه بعقب الرمح
واذا به قد هوى عن فرسه سريعا وانقض خالد عليه كالاسد
وهو يقول يا ويلك يا هربيس اظننت انك تفوتني وكان العلج
يحسن بالعربية فنادى يا اعرابي اني لست هربيس فابق علي
ولا تقتلني حتى اعطيك فديتي ما تشير به فقال خالد يا ويلك ما لك
من يدي من خلاص او تدلني على هربيس فقال العلج ابشر يا اخا
العرب ابشر فانك قد وصلت الى ما تريد ولكن اريد اخذ عليك
عهدا وميثاقا ان دللتك عليه اطلقت سراحي قال خالد لك ذلك
ان شا الله تعالى فقال العلج يا اخا العرب هذا من غدركم لانكم
اعطيتمونا الامان ثم غدرتم واتبعتمونا الى هذا المكان ما ظننا
انه يبلغ اليه احد منكم وقد تبعتمونا واخذتم ما خرجنا به من
دمشق لان اعينكم كانت فيه ثم تقول لي الساعة ان وقعت
بهربيس اطلقت لك السراح فكيف اضمن لك اخذ هربيس وهو
رجل زمانه مقتدر على اقرانه قال فغضب خالد من كلامه
وقال لا ام لك تنسبنا الى الغدر ونقض العهد وما ذلك من
شيمتنا لاننا من اصحاب نبي الرحمة وشفيع الامة واذا قلنا
وفينا ولا نغدر ابدا والله ما خرجنا في طلبكم الا في اليوم الرابع
وان الله سبحانه وتعالى سهل علينا كل صعب شديد وما قلت
لك دلني على هربيس الا وانا اذا وقعت عيني عليه اخذته بنصر الله

وذلك نجني وحق بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لئن دللتني عليه
لأطلقن سراحك فلما سمع العلج كلام خالد قال يا اخا العرب قم عن
صدري حتى ادلك عليه فقام خالد عن صدره ووثب العلج قائما ينظر
يمينا وشمالا ثم قال لخالد اترى الخيل صاعدة في العقبة قال نعم قال
اقصد الخيل فان هربيس على المقدمة والبارق على راسه صليبا من الجوهر
قال فوكل به خالد رجل من خيرهم اسمه اسد وقال يا اسد توكل به
فان كان الذي دلني عليه هربيس فاطلق له السبيل وان كان قد كذب
فاضرب عنقه ثم ان خالد اطلق عنانه حتى لحق الخيل وصاح بهم يا ويلكم
واين لكم الخلاص وهذا يوم حذر النواص فلما سمع هربيس كلامه
ظن انه من بعض العرب فوقف له ووقفت البطارقة حوله وهم بالسلاح
وليس فيهم الا اهل البراعة وشدد عليهم خالد بحملته وقال خالد
يا ويلكم اظننتم ان الله سبحانه وتعالى لا يمكننا منكم ولا يمتعنا
متاعكم انا الفارس الشديد انا البطل الصنديد انا خالد بن الوليد
ثم طعن فارسا فارداه وثنا باخر قال الواقدي فلما سمع هربيس
كلام خالد انقض على سرجه وزعق بقومه وقال يا ويلكم هذا
الذي اقلب الشام هو واصحابه هذا صاحب دمشق واجنادين
دونكم واياه فان اخذتموه رجع عزكم كما كان ورجعت
بلادكم اليكم واخذتم ثار من قتل منكم قال فطمع القوم فيه
لانفراده عن اصحابه وكانوا المسلمون في قتال الروم ونهب
اموالهم وكل مشتغل بنفسه وترجلت البطارقة حول خالد
لان القوم في جبل كثير الاحجار واحاطوا بخالد ما لا قدرة له به
فعندها ترجل خالد عن جواده وقال لقد صحت رؤياك يا خالد
وذلك ما طلبت وعلم انه قد اخطا وما كان به ان يقتل وانما
به المسلمون ان يقتلوا تحت رايته وقد ذكر العلما ان
خالد لقي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنين وثلاثين
زحفا كلها يطلب الشهادة فلم يرزقها فلما ترجل واقبل يقاتل
القوم بسيفه وجحفته فقتل منهم عشرين علجا ثم تقدم اليه
هربيس وقد تمكن له ضربة ليصل بها الى قمته وخالد مشتغل
بالقتال فاتاه من ورايه وانزل الضربة عليه فوقع السيف على البيضة

فقدها وعلى العمامة فهتكهما وانقض السيف من يد هربيس وخاف
خالد ان يلتفت الى ورايه فتهجم الاعلاج عليه وخاف ان يفلت هربيس
من يده او يهجم عليه فيقتله فجعل خالد يلتفت يمينا وشمالا ثم
صاح وضج بالتهليل والتكبير كانه مستبشر بشي قد ادركه وذلك
منه خديعة وحيلة يريد ان يمكر بالاعلاج فبينما هم كذلك
اذ سمع زعقات العرب وقد اخذت الاعلاج من ورايهم وعن ايمانهم
وعن شمايلهم وهم يضجون بالتكبير وقايل يقول لا اله الا الله
محمد رسول الله يا ابا سليمان اتاك الغوث من رب العالمين
انا عبد الرحمن بن ابي بكر فلما سمع خالد صوته لم يلتفت اليه ولا
الى من معه حتى فرق الاعلاج ذات اليمين وذات الشمال فلما سمع
هربيس اصوات المسلمين تزاحمته ولى يريد الهرب فلحقه
خالد وضربه ضربة غادرة قتيلا واستطالوا اصحاب عبد الرحمن
بن ابي بكر على اصحاب هربيس وابذلوا السيف فيهم حتى ابادوهم
عن اخرهم وكان اكثر الناس قتلا في الروم ضرار بن الازور
فلما انكشفت الكربة عن خالد ونظر الى صنع ضرار قال افلح
وجهك يا ابن الازور فما زلت مباركا في كل افعالك ثم سلم
على عبد الرحمن وعلى المسلمين وقال من اين علمتم بمكاني هذا
قال عبد الرحمن ايها الامير بينما نحن في قتل الروم وقد اظفرنا
الله تعالى بالروم وهم ما بين قتيل واسير والمسلمون قد انهمكوا
في جمع الغنايم اذ سمعنا صوت هاتف يهتف من الهوى وهو يقول
اشتغلتم بجمع الغنايم وخالد قد احاطت به الاعدا فلما سمعنا الصوت
لم ندري اي مكان انت وقد تماسكوا اخذ المسلمون
الغنم من اجلك فدلنا عليك علج كان بيد رجل من العرب
وقال انا دللت صاحبكم على هربيس وانه معه في هذا الجبل
فاسرعنا اليك فقال خالد لقد دلنا على خالد عدونا ودل المسلمين
على نصرتنا وجب له الحق علينا ورجع خالد الى المسلمين
وهم في قلق عظيم من غيبته عنهم فلما نظروا اليه فرحوا وبادروا
يسلمون عليه فرد عليهم وشكر لهم ثم دعا بذلك العلج
الذي دله على هربيس ثم قال انك وفيت لنا ونريد ان نوفي لك

بما وعدنا لا يكن وجب لنبي النصيحة علينا فهل لك أن تكون من أهل
الصلاة والصيام فملة محمد عليه الصلاة والسلام فتكون من أهل الجنة
فقال ما اريد بديني بدلا قال فاطلق خالد له السبيل ثم ان خالد امر
المسلمين بجمع الغنايم والاسارى فجمع ذلك اليه فلما نظر الى كثرتها
حمد الله واثنى عليه ودعا بدليله وقال انت يونس النجيب حقا ثم قال ما
فعلت زوجتك فحدثه بحديثها وما كان من امرها فعجب خالد
فقال رافع بن عميرة الطاى ايها الامير اني قد اسرت ابنة الملك هرقل
وقد سلمتها اليه بدلا من زوجته فقال خالد وابن ابنة الملك قال فمثلت
بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما خصها الله به من الجمال فصرف
وجهه عنها وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما تشا وتختار ثم قال
يا يونس أتريدها بدلا من زوجتك قال نعم ولكن اعلم ان هرقل
لابد له ان يفديها بالاموال او بالاولاد لقتال فقال خالد خذها اليك
فان طلبها فهي لك وان طلبها فالله يعوضك خيرا منها قال يونس
ايها الامير انك في مكان ضيق وموضع صعب فاعزم على الخروج
منه قبل ان يلحقك نفير الروم فقال خالد الله معنا ولنا وعطف
راجعا يجد في سيره والغنايم امامه والمسلمون في اثرها فرحين بالغنايم
والسلامة قال روح بن عطية قطعنا الطريق كله وما عرض لنا من الروم
احد ونحن نخوض في وسط ديار الروم خوضا فلما وصلنا مرج
السفار عند قنطرة ام حكيم اذ نظرنا الى غبرة من ورائنا وجيوش
دايرة فلما عاينا هم انكرنا ذلك واسرع رجال من المسلمين
الى خالد يخبروه بالغبرة فقال ايكم يأتيني بخبرها فبادر بالاجابة
رجل من بني غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفاري فقال انا ثم نزل
عن جواده فاختبر الغبرة ورجع على عقبه وهو ينادي ايها الامير
ادركتنا الصلبان من ورائنا روم مصفدين بالحديد ما يبين
منهم غير الحدق فدعا خالد بيونس الدليل عند ما قاربته الخيل وقال
يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر ما يريدون قال السمع والطاعة
ثم دنا من الخيل وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال ما اقل لك ايها
الامير ان هرقل لا يغفل عن طلب ابنته وقد نفذ هذه الخيل
يريد ان ياخذ منه الغنيمة من ايدي المسلمين فلما لحقول هاهنا

فرسنا من دمشق بعثوا الك رسولا يسألك في الجارية اما تبيع واما تهديه
فبينما خالد يتحدث مع يونس اذ اقبل اليه شيخ عليه لباس المسوح
فاقبل حتى دنا من المسلمين وقال اني رسول فاين عميدكم فاخذ
رجال من المسلمين واوقفوه امام خالد فقال له قل ما تشا قال
الشيخ انا رسول الملك هرقل اليك وانه يقول لك قد بلغني
ما فعلت برجالي وقتلك لزوج ابنتي واسرك لحرمتي والبغي
مصرعة وقد سلمت والان اما تبيع ابنتي او تهديها الي فالكرم
شيمتكم ومن لا يرحم لا يرحم واني لارجوا ان يقع بيننا صلحا
فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك ابنتك هدية لك منا
وارجوا ان تكون مكانها اسيرا ثم ان خالد اطلق اليهم الجارية
وسار خالد حتى اتا دمشق وكانوا المسلمون وابو عبيدة قد
ايسوا من خالد وممن كان معه فهم في اعظم الاياس اذ
قدم عليهم خالد فخرجوا للقايه وهنوه بالسلامة واقبل خالد
الى جانب ابي عبيدة وهو يحدثه بما لاقا في طريقه وابو عبيدة
يعجب من شجاعته ففرق خالد المال على المسلمين بعد اخراج الخمس
واعطا من ماله ليونس الدليل وقال خذ هذا المال اليك فتزوج به
ان شيت او اشتري لك جارية من بنات الروم قال يونس والله
لا تزوجت في هذه الدنيا زوجة ابدا وما اريد الا زوجتي في الاخرة
يعني من الحور العين قال رافع بن عميرة الطاى فرايته في المنام
بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي واعطاني بدلا
من زوجتي سبعين حورية لو بدت واحدة منهن الى الدنيا
لكسفت بضو وجهها نور الشمس والقمر فجزيتم من الله خيرا
قال فقصصت الرويا على خالد فقال والله ليس شي سوى الشهادة
فطوبى لمن رزقها قال الواقدي ولقد بلغني ان خالد لما رجع
من سريته غانما ظن ان الخليفة حيا لم يقبض فعزم ان
يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما غنموا من الروم وابو عبيدة
لا يخبره بذلك ولا يعلمه ~~بان~~ ان الخليفة عمر رضي الله عنه
فدعا خالد بدواة وبياض وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
لعبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على الشام

خالد بن الوليد المخزومي أما بعد سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا
واصلي على نبيه وذلك انا لم نزل من مكابدة العدو على حرب دمشق
حتى انزل الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة بالسيف
من باب الشرقي وكان ابو عبيدة على باب الجابية فخدعوه الروم
وصالحوا على الباب الاخر والتقينا عند كنيسة مريم وحكم لنا
الصلح وان صهر الملك توما ومعه اخر اسمه هربيس خرجا
من المدينة بمال عظيم فسرت خلفهما وانتزعت النعمة من ايديهما
وقتلت اللعينين واسرت ابنة هرقل ثم اهديتها اليه وقد رجعت
سالما وانا انتظر امرك والسلام وطوى الكتاب وختمه بخاتمه
ودعا برجل من العرب اسمه عبد الله بن قرط فدفع اليه الكتاب
فاخذ الكتاب وامره بالسير وسار الى المدينة فوردها
والخليفة عمر رضي الله عنه فسلمه اليه فقرا عنوانه من خالد
الى ابو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر فقال عمر
وما عرفوا المسلمون خبر وفاة ابي بكر قال لا يا امير المومنين
قال قد وجهت بذلك كتابا الى ابي عبيدة وامرته على المسلمين
وما اظن ابا عبيدة اراد الامارة لنفسه وسكت وقرا الكتاب
وفاة ابي بكر رضي الله عنه قال اهل السيرة
في خبرهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم ممن رووا فتوح
الشام ونقلوه عن الثقات منهم محمد بن اسحاق وسيف بن عمر
قالوا جميعا في اخبارهم رضي الله عنهم لما قبض ابو بكر رضي الله
عنه وولي الامر من بعده عمر رضي الله عنه وله من العمر
اثنين وخمسين سنة فبايعوه الناس في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيعة تامة لم يتخلف عن بيعته احد وانقطع
في ايامه الشقاق والنفاق والباطل وقام الحق وقوي السلطان
وضعف كيد الشيطان وظهر امر الله وهم كارهون فكان
في امرته يجلس على الارض ويلطف بالمساكين ويرحم الصغير
ويوقر الكبير ويتعطف على اليتيم وينصف المظلوم من
الظالم ويرد الحق الى مكانه ولا ياخذه في الله لومة لايم
وكان يدور في الاسواق وعليه مرقعته وبيده عصاة فكانت

اهيب من سيوفكم هذه لو كان قوته في كل يوم قرص من الشعير
وادمه ملح جريش وربما اكل خبز بغير ملح زهدا او ترفيها ورافة
للمسلمين لا يريد بذلك الا الثواب من الله تعالى ولا يشغله شاغل
عن اداء فرايضه وما اوجب الله عليه من حقوقه لسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم قالت عايشة رضي الله عنها لقد تولى عمر الخلافة فاخذ
اخذ صاحبيه في التشمير وترك عنه التكبر ولقد كان احرقه
اكل الشعير بالملح واذا اكل الزيت واليابس من التمر
وربما اخذ شيا من السمن ويقول اكل الشعير بالملح والجوع اهون
عذابا من النار من حل بها لم يمت ولا يجد فيها راحة ابدا
قعرها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يوذن لهم فيعتذرون
جند الجنود في امارته وبعث العساكر وفتح الفتوح ومصر الامصار
وكان يخاف من عذاب النار تولية عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني ان هرقل لما بلغه ان
عمر لما ولي الامر بعد ابي بكر جمع الملوك وارباب الدولة
وقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له في كنيسة القسيان
وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت احذركم منه فلم تسمعوا
مني وقد اشتد الامر عليكم بولاية عمر الرجل الاسمر الاحزر
وقد دنا ما بعد بولايته صاحب الفتوح المشبه بنوح والله ثم
والله لا بد ان يملك ما تحت سريري هذا فالحذر الحذر قبل وقوع
الامر ونزول الضر وهدم القصور هذا صاحب الحرب
الجالب على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد في دينه
هذا الغليظ على من اتبع غير ملة صاحبه واني ارجو لكم النصر
ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم واتبعتم
ما امر به المسيح من اداء الفرايض ولزوم الطاعات وترك
الزنا واتباع الخنا وان ابيتم الا العناد والفسوق والعصيان
والركون الى شهوات الدنيا سلط عليكم عدوكم وابلاكم
بما لا طاقة لكم به ولقد اعلم ان دين هولاء القوم سيظهر
على كل دين فاما ان ترجعوا الى دينهم او تصالحوا القوم
على اداء الجزية فلما سمعوا قومه ذلك ثاروا اليه وهموا بقتله

فسكن غضبهم بلين كلامه وقال لهم اني لا ارى لدينكم حمية
وان كان تمكن خوف العرب من قلوبكم امر لا ثم دعا رجل
من المتنصرة يقال له طليقة بن مازن وضمن له مالا وقال تنطلق
من وقتك هذا الى يثرب وتنظر كيف تقتل عمر قال طليقة
نعم ايها الملك ثم تجهز وسار حتى ورد مدينة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكمن حولها واذا بعمر قد خرج يشرف على الاموال
واموال اليتامى والارامل يتفقد حيطانهم وحدايقهم فصعد
المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بورقها واذا
بعمر قد اقبل الى قرب الشجرة التي عليها المتنصر وقام حولها
تحتها وتوسد حجرا فلما نام هم المتنصر ان ينزل فيقتله
واذا بسبع قد اقبل حوله واقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول
يا عمر عدلت وامنت ثم نمت فامنت فلما استيقظ عمر ذهب
الاسد ونزل المتنصر وترامى على عمر يقبل قدميه وقال بابي وامي
والله من الكاينات تحفظه والسباع تحرسه والملايكة تصفه
والجن تصفه تعرفه ثم اعلمه بما كان منه واسلم على يديه
قال الواقدي رحمه الله وان عمر رضي الله عنه كتب كتابا
الى ابي عبيدة يقول فيه قد وليتك على الشام وجعلتك اميرا
على جيوش المسلمين وعزلت خالد ثم سلم الكتاب الى
عبد الله بن قرط وانا م قلقنا الى ما يرد عليه من امر المسلمين
قال حدثنا عاصم بن عمرو وقال لما ولي عمر امر المسلمين
صرف همته الى الشام قال انبانا عبد الله بن سالم الثقفي عن اشياخه
الثقات قال لما كانت الليلة التي مات فيها ابو بكر الصديق
رضي الله عنه راى عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه
رويا فقصها على عمر رضي الله عنه وعلى المسلمين فاذا الرويا
التي راها عمر تلك الليلة بعينها قال رايت يعني دمشق
والمسلمون حولها وكاني اسمع تكبيرهم في اذني وعند
تكبيرهم وزحفهم رايت حصنهم قد ساخ في الارض
حتى لم ار منه شي ورايت خالد وقد دخلها بالسيف وكان
نار امامه ثم رايت كان ما وقع على النار فاطفاها قال

على رضي الله عنه ابشر فان دمشق قد فتحت يومك هذا ان شاء الله
تعالى وبعد ايام قدم عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه كتاب الفتح فلما راه عمر قال يا ابن
عامر كم عهدك من الشام قال من يوم الجمعة وهذا يوم
الجمعة وما زلت امسح على الخفين مذ خرجت قال اصبت السنة
فما معك من الخبر قلت خير وسلامة وبشارة واني شاذ
بين يدي الصديق قال عمر رضي الله عنه قبض والله حميدا
وصار الى رب كريم وقلدها عمر الضعيف في جسمه فان
عدل فيها نجا وان تركها او فرط هلك قال بكا عمر وبكيت
وترحمت على ابي بكر واخرجت الكتاب فدفعته اليه فلما
قراه سرا اكتم الامر الى وقت الجمعة فلما خطب وصلا رقا
المنبر واجتمعوا المسلمون اليه وقرا عليهم كتاب فتح دمشق
فضجوا المسلمون بالتكبير وفرحوا ثم نزل عمر من المنبر
قال عقبة فلما نزل من المنبر كتب الى ابي عبيدة بتوليته
وعزل خالد ثم سلم الي الكتاب وامرني بالرجوع قال
فرجعت الى دمشق فوجدت خالد قد سري خلف توما وهربيس
فاعطيت الكتاب لابي عبيدة فقراه سرا ولم يخبر احدا
بموت ابي بكر رضي الله عنه وكتم عزل خالد وتوليته
على المسلمين حتى ورد خالد من السرية وكتب الكتاب
بفتح المسلمين ونصرتهم على عدوهم وما غنموا من مرج الديباج
فضجوا المسلمون بالفرح والسرور والدعاء لاخوانهم ثم قال معاشر
الناس اني امرت ابا عبيدة الرجل الامين وقد رايته لذلك اهلا
وعزلت خالد عن امرته فقام خارجل من بني مخزوم وقال
اتعزل رجلا شهر الله بيده سيفا وجعله داميا للمشركين
وقد قيل لابي بكر اعزله فقال لا اغمد سيفا سله الله تعالى
ونصر به دينه وان الله تعالى لا يعذرك في ذلك ولا المسلمون
ان انت اغمدت سيف الله وعزلته لقد قطعت الرحم وحسدت
بن العم ثم سكت الرجل ونظر عمر الى المخزومي فراه غلاما
حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل من المنبر واخذ الكتاب

كرها

تلك الليلة فجعله تحت فراشه وجعل يوامر نفسه في عزل خالد فلما
كان من الغد وصلى بالناس صلاة الفجر قام فرقا المنبر خطيبا
فحمد الله واثنى عليه وذكر الرسول فصلى عليه وترحم على ابي بكر
رضي الله عنه ثم قال يا ايها الناس اني قد حملت امانة والامانة
عظيمة واني راع وكل مسوول عن رعيته وقد حبب الله لي
صلاحكم والنظر في معايشكم وما يقربكم الى ربكم فانا
وانتم ومن حضر في هذا البلد سواء واني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من صبر على لاوايها وشدتها كنت له شهيدا
وشفيعا يوم القيامة وبلادكم بلاد لا زرع فيها ولا ضرع الا
ما اتاها من الابل من مسيرة شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة
واني اريد النصح للعامة والخاصة ولست جاعل امانتي الى من
ليس لها باهل ولكن ساجعلها الى من تكون رغبته في اداء
الامانة والتوفيق للمسلمين واني كرهت ولاية خالد على المسلمين
لان خالد رجل فيه تبذير يعطي الشاعر اذا امدحه ويعطي
الفارس اذا جاهد بين يديه وامامه فوق ما يستحقه من حقه
ولا يبقي ذلك لفقراء المسلمين وضعفائهم واني نزعته ووليت
ابا عبيدة مكانه والله اعلم اني وليت رجلا امينا لا يقول
قايلكم عزل الرجل الشديد وولى الرجل الامين والله معه
يسدده ويعينه ثم نزل من المنبر واخذ جلد ادم منشور
وكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله عمر امير المومنين واجير المسلمين الى ابي
عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو
واصلي على نبيه وقد وليتك على امور المسلمين فلا تستحي
فان الله لا يستحي من الحق واني اوصيك بتقوى الله الذي يبقى
ويفنى ما سواه الذي استخارك من الكفر الى الايمان ومن
الضلالة الى الهدى وقد استعملتك على جند خالد فاقبض منه
جنده وازله عن امرته ولا تنفذ المسلمين الى هلكة رجا
غنيمة ولا تبعث سرية الى جمع كثيف ولا تقول اني ارجو لكم
النصر فان النصر انما يكون مع التدبير والثقة بالله واياك

والتغرير والقا المسلمين الى هلكة وغض عن الدنيا عينيك واياك
ان تهلكك كما اهلكت من كان قبلك فقد رايت مصارعهم
واختبرت مصارعهم وانما بينك وبين الاخرة قليلا وقد تقدم
اليها سلفك وانت منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضارتها
وذهبت زهرتها فاخرم الناس الراحل منها الى غيرها وزاده التقوى
وراعي المسلمين ما استطعت واما الغنيمة والسعير الذي وجد
في دمشق وكثر في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين واما الذهب
والفضة ففيه الخمس والسهام فاما اختصامك انت وخالد في الفتح
فالفتح بالصلح لا بالقتال لانك انت الوالي وصاحب الامر وان
كان صلحك جرى على الخطة انها للروم فسلمها اليهم والسلا
عليك وعلى جميع المسلمين واما مسير خالد خلف العدو الى مرج
الديباج فانه غرر بالمسلمين وكان بهم سخيا واما ابنة هرقل
وهديتها الى ابيها بعد اسرها فذلك تفريط وقد كان ياخذ
بها مالا كثيرا يرجع على ضعفاء المسلمين والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا بعامر بن ابي وقاص
اخو سعد ودفع اليه الكتاب وقال انطلق الى دمشق وسلم كتابي
هذا الى ابي عبيدة ومره ان يجمع الناس اليه واخبره بموت ابي بكر
وقل له يقرا الكتاب على الناس ودعا بشداد بن اوس فصلحه
وقال انطلق انت وعامر الى الشام فاذا قرا عامر الكتاب فمر
الناس يبايعوك ليكون بيعتك بيعتي قال فانطلقا صاحبي
عمر يجدان في السير حتى وردا دمشق والناس بها مقيمون
ينتظرون ان ياتيهم خبرا من ابي بكر وما يامرهم به فاشرفا
صاحبي عمر على المسلمين وقد طالت اعناقهم الى خبر يسمعو
فتبادر والناس اليهما وفرحوا بقدومهما واقبلا حتى نزلا
في خيمة خالد فسلما عليه وسلم عليهما فقال كيف تركتما
الخليفة ابا بكر فقال له عامر بن ابي وقاص تركته بخير يعني
عمر رضي الله عنه ومعي كتابه وانه امرني ان اقراه على الناس
فامرهم بالاجتماع فانكر خالد ذلك واستراب الامر
وجمع المسلمين اليه فقام عامر بن ابي وقاص فقرا الكتاب

فلما انتهى الى قوله وفاة ابي بكر رضي الله عنه ارتفع للناس ضجة
بالبكاء والنحيب وبكا خالد وقال ان كان ابو بكر قد قبض
فقد استخلف عمر والسمع والطاعة لعمر والله ما كان على
الارض شي احب الي من ولاية ابي بكر ولا ابغض الي من ولاية
عمر والان السمع والطاعة لعمر وما امر به وقرا عامر الكتاب
الي الجيش فعندها قاموا الى صاحبه شداد بن اوس فبايعوه فكانت
بيعته بدمشق لثلاث ليال خلت من شعبان سنة ثلاث عشر من الهجرة
تولية ابو عبيدة بن الجراح وعزل خالد قال الواقدي رحمه الله
وقبض ابو عبيدة الجيش والاموال واخبرهم بما حكم به عمر
وظن ابو عبيدة ان خالد سيعظم عليه الامر وانه يقصر في طلب
العدو فتوح حصن ابي القدس قال الواقدي رحمه الله
ولقد بلغني انه كان على العدو بعد عزله اشد قصاصة واصعب
جهادا لاسيما في حصن ابي القدس قال الواقدي رحمه الله تعالى
سالت من حدثني بهذا الحديث عن حصن ابي القدس ان يكون
موضعه من الشام فقال حصن ابي القدس ما بين عرقة وطرابلس
ومرج يقال مرج السلسلة وكان بازايه دير فيه صومعة
وفي الصومعة راهب عالم بدين النصرانية وقد قرا الكتب
السالفة واخبار الامم المتقدمة وكانوا الروم يقصدون اليه
ويقتبسون من علمه وله من العمر نيف عن المايه سنة
وكان يقوم في كل سنة عند ديره عيدا اخر صيام الروم
وهو عيد الشعانين فيجتمع اليه الروم والنصارى وغيرهم
من جميع النواحي والسواحل ومن قبط مصر فيجتمعون اليه
ويحدقون به فيطلع عليهم من روزنته ويعلمهم ويوصيهم
وصايا الانجيل وكان يقوم عند ديره سوق من السنة الى السنة
ويحمل الى سوقه الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون
ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وما كانوا المسلمون يعلمون بذلك
السوق ولا يعرفونه حتى دلهم رجل من نصارى العرب المعاهد
كان ابو عبيدة قد اصطنعه وامنه على اهله فلما ولي ابو عبيدة امر
المسلمين اراد ذلك المعاهد ان يتقرب الى ابي عبيدة بفتح الدير

على يديه فاقبل الى ابي عبيدة وابو عبيدة قد طال فكره فيما يصنع
واي بلد من بلاد الروم يقصد فمرة يقول اسير بالجيش الى بيت
المقدس فانها اشرف بلدة لهم وكرسي مملكة الروم وبها
قيام دينهم ومرة يقول بل اسير الى انطاكية واقصد هرقل
وافرغ منه وهو يفكر في امره وقد جمع المسلمين للمشورة
اذ اقبل ذلك المعاهدي وكان من متنصرة الشام فقال ايها
الامير انك قد احسنت الي فيما قد خصصتني به من امانك على
باهلي وولدي وقد اتيتك ببشارة او غنيمة ساقها الله اليكم فان
اظفركم الله بها فقد استغنيتم عن الفقر بعده قال ابو عبيدة
اخبرنا ما هذه الغنيمة واين تكون فما علمتك الا ناصحا قال
ايها الامير ان بازايك على الساحل حصنا يعرف بحصن ابي
القدس وبازايه دير فيه راهب يعظمه اهل النصرانية
ويقتبسون من علمه وله كل سنة عيد يجتمعون اليه من جميع
النواحي ويقوم عنده سوقا عظيما يظهر فيه فاخر الثياب من الديباج
والذهب والفضة ويقيمون عنده ثلثة ايام او سبعة ايام ثم يفترقون
وقد قرب وقت قيام السوق ولو سيرت اليه سرية تكون
فيها رجال من العرب يكبسون ذلك السوق واصحابه مطمئنين
وياخذون جميع ما فيه ويقتلون الرجال ويسبون النسا كانت
غنيمة يفرح بها المسلمون ويوهن بها عدوهم فلما سمع
بذلك ابو عبيدة فرح فرحا شديدا ورجا ان تكون غنيمة
للمسلمين وقال للمعاهدي كم بيننا وبين الدير قال
عشرة فراسخ قال وكم بقي لقيام السوق قال اياما قلايل
قال ابو عبيدة فهل يكون لهم حامية من الروم يصد عنهم
قال المعاهدي ليس يعرف بذلك في بلاد الملك فلما سمع
بذلك ابو عبيدة قال ابالقرب لهم مدينة من مداين الشام قال
نعم ايها الامير مدينة تسمى طرابلس وهي مينا الشام وفيه
بطريق عظيم كثير التجبر قد اقطعه الملك اياها من تجبره
لا يحضر السوق وما كنت اعهد لهم حامية من الروم الا ان

يكون لحوزته منكم ولو سار الي الدير أدني لمسلمين رجوت
له الفتح ان شا الله تعالي فقال ابو عبيدة ايكم يهب نفسه لله وينطلق
مع جيش ابعثه الي هذا الدير والسوق فلعل الله ان ينصره فيكون
ذلك فتحا للمسلمين فسكت الناس ولم يتكلم احد فنادي
ثانية وانما اراد يقول لخالد ولكنه استحيا ان يواجهه في ذلك
فسكت خالد ولم يتكلم فقام اليه من وسط الناس شاب كما
نبت عارضه واخضر شاربه وكان الشاب عبد الله بن جعفر
الطيار في الجنة حيث شا وكان جعفر رضي الله عنه قد قتل
في غزاة تبوك وقطعت يداه وخلف عبد الله صغيرا فتزوج امه
ابو بكر رضي الله عنه وكفل عبد الله فلما كبر كان يقول لامه
يا اماه ما فعل بابي فتقول قتلته الروم فكان يقول لين عشت
لاخذن بثار ابي فلما مات ابو بكر وولي عمر رضي الله عنهما
جا عبد الله الي الشام وكان في عبد الله مشابهة من النبي صلي الله عليه وسلم
في خلقه وخلقه وهو احد الاسخيا فلما قال ابو عبيدة ايها الناس
ايكم ينطلق الي هذا الدير فوثب عبد الله بن جعفر وقال انا
اول من يسير مع بعث بعثته يا امين الامة ففرح ابو عبيدة بقيامه
وجعل يندب له رجالا من المسلمين فقال انت الامير عليهم
يا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم وعقد له راية سودا
وسلمها اليه وكانت الخيالة خمسماية فارس منهم رجال من
اهل بدر رضي الله عنهم وارضاهم قال الواقدي رحمه الله
فلما اجتمعت الخمسماية فارس تحت راية عبد الله بن جعفر
ما منهم الا من شهد الوقايع لا يولون الادبار ولا يركنون
الي الفرار فلما عولوا علي المسير قال ابو عبيدة لعبد الله بن جعفر
يا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تغار علي القوم الا في اول يوم
من قيام السوق ثم ودعهم وساروا قال واثلة بن الاسقع كنت
في سرية عبد الله بن جعفر وكان خروجنا من دمشق الي الحصن الي القدس
في ليلة النصف من شعبان والقمر زايد النور وانا الي جانب عبد
الله بن جعفر رضي الله عنهما جعفر فقال لي يا ابن الاسقع ما احسن
نور هذه الليلة وانوره فقلت يا ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم

هذه ليلة النصف من شعبان وهي ليلة عظيمة البركة فيها تكتب
الارزاق وتغفر فيها الذنوب ولقد كنت اريد ان اقومها فقلت
ان سيرنا خير من مقامنا والله جزيل العطا قال فسرنا ليلتنا تلك
الي الصباح فاصبح بنا الدليل وهو ذلك المعاهدي علي جبل عظيم فبينما
نحن نسير اذ اشرفنا علي صومعة راهب وهي عن ايماننا فعدل لعبد
الله نحو الدير وعدلنا معه فاطلع علينا الراهب من صومعته
وعليه برنس اسود فجعل يتاملنا فقال من انتم قلنا عرب قال انتم
المحمديون قلنا نعم فجعل يتاملنا ويتفقدنا واحدا واحدا ثم جعل
يطيل النظر في وجه عبد الله بن جعفر ثم قال هذا الفتى بينكم
قلنا الله لا فقال ان نور النبوة بين عينيه فهل يلحق به قلنا هو بن عمه
قال الراهب فهو الورقة والورقة من الشجرة فقال عبد الله بن جعفر
ايها الراهب هل تعرف رسول الله صلي الله عليه وسلم قال كيف لا اعر فه
واسمه مكتوب في التوراة والانجيل والزبور والله صاحب الجمل
الاحمر والسيف المشهر قال عبد الله فلم لا تومن به وتصدقه
فرفع يده الي السما وقال حتي يشا فاعجبنا كلامه ثم سرنا
والدليل بين ايدينا الي ان اتينا الي واد كثير الشجر والما فامرنا
ان نكمن فيه فقال له عبد الله بن جعفر اسرع في مسيرك
وارجع الينا بالخبر فانطلق مسرعا واقام عبد الله بن جعفر
في ذلك الوادي قال واثلة بن الاسقع فاصلحنا زادنا واكلنا
فلما مضي من الليل قليلا قام عبد الله يحرس الناس بنفسه
الي الصباح فصلينا الصبح وجلسنا ننظر رجوع الدليل فلم يات
وابطا خبره فقلق المسلمون لغيبته وخافوا المكيدة ووسوس
لهم الشيطان وسات بالدليل الظنون فقال ابو ذر رضي الله
عنه ظنوا بصاحبكم خيرا ايوشك ان له شانا يعلمونه فسكت
الناس لذلك واذا بصاحبهم قد اقبل فلما راينا فرحنا وظننا
انه يامرنا بالنهوض الي العدو فاقبل حتى وقف في وسط المسلمين
وقال يا اصحاب محمد وامته وحق المسيح اني لم اغشكم
فيما جيتكم به واني رجوت لكم الغنيمة وقد حيل بينكم
وبين ذلك فقال عبد الله بن جعفر وكيف حيل بيننا وبين

وبين الغنيمة قال بينكم وبينها بحر عجاج وذلك اني اشرفت
على السوق وقد قام فيه البيع والشرا وقد اجتمعت اليه الرهبان
والملوك والبطارقة فلما نظرت الى ذلك لم ارجع حتى اختبرت
ما السبب الذي جمعهم هنالك واذا بصاحب طرابلس
قد زوج ابنته ملكا من ملوكهم وقد اتوا بالجارية الى عند
ابي القدس لياخذوا لها منه باعوثا وهو القربان وقد دار بها
فرسان الروم والمتنصرة بحدهم وحديدهم كل ذلك
خوفا منكم يا معشر العرب وما ارى لكم صوابا ان تسيروا الى
القوم لانهم خلق كثير وجمع غزير فقال عبد الله بن جعفر
رضي الله عنه وفي كم يكونوا القوم فقال ازيد من عشرين
الفا وما لكم بهم طاقة فصعب ذلك على المسلمين وهموا
بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر معاشر المسلمين ما تقولون
في هذا الامر فقالوا نرى ان لا نلقي بايدينا الى التهلكة كما
امرنا ربنا في كتابه ونرجع الى الامين ابي عبيدة والله لا يضيع
اجرنا فلما سمع قولهم قال اني اخاف ان يكتبني الله مع الفارين
فما ارجع حتى افتك بالروم فمن ساعدني فاجره على الله ومن
رجع فلا عتب عليه فلما سمعوا المسلمين ذلك من عبد الله
استحيوا منه فاجابوه باجمعهم وقالوا افعل ما تريد فما
ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ثم ركب جواده واخذ
الراية بيده وامر المسلمين فلبسوا دروعهم وركبوا خيولهم
وقالوا للدليل سر بنا نحو القوم فستعاين منا امرا عجبا
قال واثلة بن الاسقع فرايت الدليل وقد تغير لونه وقال
سيروا انتم وما علي من امركم من حرج قال ابو ذر رضي
الله عنه فرايت عبد الله بن جعفر يلطف بالدليل حتى سار
بين يديه يدل على القوم ساعة ثم قال امسكوا عليكم
فانكم قد قربتم من القوم فكونوا في مواضعكم مكمنين
الى وقت السحر ثم غيروا على القوم فلما كان وقت السحر
صلى بهم عبد الله صلاة الفجر فلما فرغ قال ما ترون في الغارة
قال عامر بن ربيعة اذا لكم على امر تصنعونه قالوا اقل ما نشا

قال اتركوا القوم لبيعهم وشرائهم واظهار امتعتهم ثم اكبسوا
عليهم على حين غفلة فاستصوبوا رايه وصبروا الى وقت قيام سوق
الروم ثم اظهر على العدو فاخذ عبد الله الراية بيده فلما طلعت
الشمس عمد عبد الله بن جعفر الى المسلمين فجعلهم خمس كراديس
كل كردوس ماية فارس وجعل على كل ماية نقيبا وقال ياخذ
كل ماية منكم قطرا من اقطار سوقهم ولا تشتغلوا بالنهب ولكن
ضعوا السيف وتقدم عبد الله بن جعفر بالراية فنظر الى الروم
مفترشين في الارض كانهم النمل لكثرتهم وقد احدق بدير منتشرين
الراهب خلق كثير وقد اخرج راسه من الدير وهو يعظهم ويوصيهم
وابنة البطريق في الدير وابنا بهم عليهما الديباج الملكي المثقل
بالدروع وهم ينتظرون خروجها اليهم وقد لبسوا الحذر خلفا نا
كانهم ينتظرون صيحة بين ايديهم او قارعة تطرقهم ونظر
عبد الله بن جعفر الى الدير وما قد احدق به والى الراهب وصومعته
فهاله ذلك من امرهم وصاح باصحابه قبل الحملة وقال احملوا
بارك الله فيكم فان كانت غنيمة وسرورا فالفتح والسلامة
فمكان الاجتماع تحت الصومعة وان كان غير ذلك والعياذ
بالله تعالى فموعدنا الجنة وملتقانا عند حوض ابن عمي محمد صلى الله
عليه وسلم ثم هز الراية وحمل بها نحو العسكر وكبر والماية فارس
محدقون به قال فطلب عبد الله بن جعفر مكان الجمع العظيم
وغاص فيهم وجعل يضرب فيهم بسيفه تارة ويطعن بالرمح
تارة وحملوا المسلمون من ورائه وسمعوا الروم اصوات
المسلمين قد رفعوا بالتهليل والتكبير فتيقنوا ان جيوش
المسلمين قد ادركتهم فاما السوقة فانهم تبادروا الى اسلحتهم
والمنع عن انفسهم واموالهم واخذوا السيوف والاعمدة
وعطفوا الى قتال المسلمين عطفة الاسد وطلبوا صاحب راية
المسلمين ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فاحدقوا
بالراية من كل مكان وقامت الحرب على ساق وثار الغبار
وانعقد وصار قسطلا واحدقوا الروم بالمسلمين فما كانوا
فيهم الا كالشامة البيضا في جلد البعير الاسود فما كانوا اصحاب

عبد الله بن جعفر يعرف بعضهم بعضاً الا بالتهليل والتكبير وكل
امير مشتغل بنفسه عن غيره قال ابو لثرة بن ابراهيم شهدت قتال
الحبشة مع جعفر بن ابي طالب وشهدت الوقايع مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بدر واحد وحنين فما شهدت مثل هذه فلما قبض النبي
صلى الله عليه وسلم لم استطع ان اقيم بالمدينة بعد فقده وخرجت
الى مكة واقمت بها وعوتبت بذلك في منامي لتخلفي عن الجهاد
فخرجت الى الشام ومعي زوجتي ام كلثوم ابنة سهل بن عمرو
العامري فقدمت الشام وشهدت اجنادين وسرية خالدا
توما وهربيس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر في دير ابي
القدس فانستني ما شهدت قبلها من الوقايع وذلك اني نظرت
اليهم حين حملنا عليهم في كثرتهم وقلت ليس لهم كمين
وعليهم الدروع والزرد فما يبين منهم الا الحدق وقد غابوا
المسلمين في اوساطهم ولا اسمع اصواتهم الا تارة بعد تارة
فاقول قد هلكوا وعبد الله يقاتل بالراية ويكر بها على المشركين
لا ينثني مجاهدا على صغر سنه ولم يزل الحرب كلما طال مكثها
وتلهب نارها وصار عبد الله في وسط الروم وهم حوله وحول
اصحابه كالحلقة الدايرة فجعلت كلما حملت يمينا حملت يمينا
وكلما حملت شمالا حملت شمالا ولم يزل في الحرب والقتال حتى
كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب وعظم عليهم الامر
ولولا الامر النهار وانثلم سيف ولد جعفر في يده وكاد ان
يقف فرسه من تحته فالتجا الى موضع يجمع اصحابه اليه ونظر المسلمون
الى رايته فقصدوا اليها وما فيهما الا مجروح من المشركين
وضاق بذلك صدره وما نزل به من نفسه مثل ما نزل به من غمه
على المسلمين فدعا وقال في دعايه يا من خلق خلقه فاحسن خلقه
وابلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم اسالك بجاه محمد
صلى الله عليه وسلم الا جعلت لنا من امرنا فرجا ومخرجا ثم عادوا الى
القتال واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون تحت رايته
فلله در ابو ذر الغفاري فانه نصر بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك اليوم وجاهد بين يديه قال عمرو بن ساعدة فلقد رايته يضرب مع كبر سنه وهو

في الروم

في الروم بسيفه ويذكر التسمية عند حملاته ويقول انا جندب بن جنادة
انا ابو ذر قال والمسلمون يفعلون كفعله الى ان بلغت الشمس
القلوب الحناجر وظنوا ان في ذلك الموضع قبورهم قال الواقدي
رحمه الله تعالى حدثنا عبد الله بن انيس الجهني قال كنت احب
جعفر واحب من اولاد عبد الله فلما قبض ابو بكر الصديق رضي
الله عنه نظر الى امه اسما ابنة عميس حزينة كره ان ينظر اليها
حزينة وايضا ان ابا بكر كان مقام ابيه جعفر وكان يحب
عبد الله حبا شديدا فاستاذن عمر الى الشام واكون مجاهدا في المسير
فتصحبني فقلت له نعم قال فتودع من بن عمه علي ومن عمر
ومن المسلمين فسرنا نريد الشام ومعنا عشرين فارسا من
اليمن ومن الازد حتى اتينا تبوك فقال يا بن انيس اتدري موضعا
قتل ابي فقلت نعم اعرفه فقال اشتهي ان اعرف الموضع واراه
فما زلنا حتى اتينا الموضع فاريته مصرع ابيه وموضع الوقعة
وقبر ابيه جعفر عليه حجارة صنعها قوم من كلب للتبرك
فلما نظر عبد الله الى قبر ابيه ترامى عليه ثم بكا وترحم واقمنا
عنده الى صبيحة اليوم الثاني فلما رحلنا رايت عبد الله بن جعفر
يبكي ووجهه مثل الزعفران فسالته عن ذلك فقال رايت
ابي جعفر البارحة في النوم وعليه حلتان خضراوان وجناحان ن
وبيده سيف مشهور اخضر فسلمه الي وقال يا بني قاتل به اعدا
الله واعدايك فما وصلت الى ما ترى الا بالجهاد وكاني اقاتل
بالسيف حتى تثلم بيدي قال عبد الله بن انيس وسرنا حتى اتينا
عسكر ابي عبيدة بدمشق فبعثه امير تلك السرية الى دير ابي
القدس قال بن انيس فلما رايت الوقعة بينه وبين الروم قلت
يوشك ان يدهاه عبد الله فسرت كالبرق الخاطف واتيت عسكر
ابي عبيدة فلما راني قال البشارة يا بن انيس امرا فقلت نفر
المسلمين الى نصرة عبد الله بن جعفر ثم حدثته بالقصة فقال
ابو عبيدة انا لله وانا اليه راجعون ان اصيب عبد الله ومن معه
تحت رايتك يا ابا عبيدة وهي اول امارتك ثم التفت الى خالد رضي
الله عنه وقال يا ابا سليمان سالتك بالله وانت لها فقال خالد انا

لما ان نشا الله تعالى وما كنت انظر الا ان تامرني فقال استحييت
منك يا ابا سليمان فقال اما والله لو امر علي عمر طفلا لا تمرت له فكيف
اخالفك وانت اقدم مني اسلاما واسبق ايمانا سبقت باسلامك مع السا
وسارعت بايمانك مع المسارعين وسماك رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالامين فكيف اسابقك او انا درجتك والله لقد ضربت نحوه المسابق
زمانا والان اشهدك اني جعلت نفسي حبسا في سبيل الله تعالى واني سوف
احالل امير المؤمنين اذ قال اني لا اريد جهادا الا لاجل السموة
ووالله لا وليت الامارة ابدا فاستحسن المسلمون قوله فقال ابو
عبيدة يا ابا سليمان الحق اخوانك رحمك الله تعالى قال فوثب كانه
الاسد وافرغ عليه درع مسيلمة الكذاب الذي اكتسبه منه يوم
اليمامة ونادى يا جيش الزحف هلموا الى ضرب السيوف قال فاجابوه
مسرعين كانهم العقبان وتبادروا الى طاعة الرحمن واخذ خالد
الراية بيده وهزها ودار عسكر الزحف بها من كل مكان وودع
المسلمون بعضهم بعضا وسلم خالد عليهم وعبد الله بن انيس الجهني
بذل بهمته قال رافع بن عميرة الطائي وكنت يومئذ في اصحاب
خالد ولم نزل نجد في السير والله سبحانه وتعالى يطوي لنا البعيد فلما
كان عند غروب الشمس اشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر
وقد غرق المسلمون في كثرتهم فقال خالد يا ابن انيس في اي جانب
اطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انه قد واعد اصحابه
ان يلتقوا عند دير الراهب او موعدهم الجنة قال فنظر نحو الدير
واذا به قد راى الراية الاسلامية وهي بيد عبد الله بن جعفر وما من
المسلمين الا من اصيب بجرحين او ثلاثة وقد ايسوا من الحياة
الفانية وقد طمعوا في العيشة السرمدية والروم تناوشهم الحرب
والطعن والضرب وعبد الله بن جعفر يقول لاصحابه دونكم المشركين
واصبروا القتال المارقين واعلموا ان الله تعالى قد تجلى عليكم وهو
ارحم الراحمين ثم قرا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين فلما نظر خالد الى صبرهم وتجلدهم على قتال
اعدائهم لم يطق الصبر دون ان هز رايته وصاح دونكم والقوم القباح
كادوا من دمائهم الصفاح وابشروا ابا النجاح يا اهل حي على الفلاح

قال

قال الواقدي رحمه الله تعالى فبينما اصحاب عبد الله بن جعفر في
القتال اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وقد ارتفع لهم ضجيج
ولخيلهم عجيج فلما نظر واصحاب عبد الله الى ذلك ايقنوا بالفناء
وجعلوا اينما يكون الخيل فاذا قاصدت اليهم ففزعوا وحزنوا وظنوا
انهم كمين للروم قد ظهر الى قتلهم واسرهم تعظم عليهم الامر
واخذهم الابتهال وولا النهار واني المشركون الرماح واضرمت
فيهم من الحرب نار والسيوف تلمع والرؤوس من الرجال تقطع
والارض قد مليت قتلى وهم في يد الروم كانهم اسرى قال والقوم
في اشد القتال والسيف اذ نادى فيهم منادي وهتف بهم هاتف
يا حملة القران جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان
وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر واذا بفارس
على المقدمة كانه الاسد الزائر والليث الهادر وبيده راية
تشرق بالنور كاشراق القمر فنادى الفارس بعلو صوته ابشروا
معاشر المسلمين بالنصر المبيد انا الفارس الشديد انا البطل
الصنديد انا خالد بن الوليد فلما سمعوا المسلمون صوته ونظروا
الى الراية فكانهم كانوا في لجة فاجابوه بالتهليل والتكبير كانت
اصواتهم كالرعد القاصف والريح العاصف ثم حمل خالد بجيش الزحف
الذين لا يفارقونه ووضع السيف في الروم قال عامر بن سراقة
فما شبهت حملته في الروم الا حملة الاسد في الغنم ففرقهم يمينا
وشمالا قال وثبت لقتال المسلمين كل علج من الروم وخالد
يطلب ان يصل الى عبد الله بن جعفر قال ونظر اصحاب عبد
الله بن جعفر الى الخيل المقبلة اليهم فلم يعلموا ما هي حتى سمعوا
صوت خالد رضي الله عنه يفتخر بنفسه ويذكر نسبه وسمعه عبد
الله بن جعفر فقال ايها الناس دونكم والاعدا فقد اتاكم النصر
من اله السما ثم حمل وحملوا المسلمون معه قال واثلة بن الاسقع
لقد كنا ايسنا من انفسنا وايقنا الهلاك حتى اتانا النصر والمعونة
من الله سبحانه وتعالى فحملنا بحملة اخواننا فما اختلط الظلام حتى
نظرنا الى خالد بن الوليد والراية بيده وهو يسوق المشركين
بين يديه سوق الغنم الى المرعى والمسلمون يقتلوهم ويا سروهم

فلله در ضرار بن الازور والمسيب بن نجبة الفزاري لقد اقرنوا المناكب
وهزوا القواضب وفتكوا في الروم من كل جانب والتقى ضرار بعبد
الله بن جعفر رضي الله عنهما والدم على اكمام درعه ويديه كاكباد الابل
فقال ضرار شكر الله لك فعلك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانك قد اخذت بثار ابيك فقال عبد الله من الرجل المخاطب لي وكان
الظلام قد اعتكر وضرار ملتثم لا يبين منه الا الحدق فلم يعرفه عبد
الله فقال من انت فقال انا ضرار بن الازور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مرحبا بطلعتك ايها المساعد لنا والقادم لنصرتنا قال عبد الله
بن انيس الجهني ما كان ذلك حتى جاء خالد وجيش الزحف فشكر له
واحسن جزاه ثم قال عبد الله يا ضرار اعلم ان حامية الروم من
البطارقة عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس وما معها من الاموال
وقد احاط بها كل فارس من القوم فهل لك يا ابن الازور ان تحمل معي
فقلت واين هم قال اما تنظر اليهم فمددت عيني واذا بالروم قد
احدقوا بالجارية والنيران مشعولة والصلبان تلمع في ضوء النار
وهم كانهم سد من حديد فقال ضرار ارشدك الله الى الخيرات
قال فحمل عبد الله بن جعفر وحمل ضرار بن الازور واتبعوهم
الرجال وزعقوا في الروم بالليل وحملا المشركون انفسهم وكان
اشدهم منعة بطريقهم برز امام القوم كانه الفنيق وهو يهدر
كالاسد وحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الازور وبالطشة
والتقت الاقران بالاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته
وشدته في سرجه وحسن احترازه فاخذ منه حذره واحترز منه
جهده والبطريق يطلبه اشد الطلب وكل واحد منهما طامع في الآخر
وانفرد ضرار مع صاحب القوم وليس مع ضرار احد من المسلمين
قال فانبسط ضرار بين ايديهم كالمنهزم يمكر بهم فقصده
البطريق واصحابه بجملتهم فلما نظر ضرار الى ذلك قصد موضعا
يصلح لمجال الخيل فاعترضه وادي في ظلمة الليل فكبا به جواده وسقط
الى الارض هاويا ثم ثار من سقطته يروم ان ياخذ الفرس فلم يجد الى ذلك
سبيلا فثبت مكانه وسيفه وجحفته في يده وجعل يجاهدهم بسيفه
وصبر لهم صبر الكرام ولم ياخذه في الله لومة لائم يخفق عليه بطريق

الروم واقبل يريد ان يضرب به بعمود فلما لاصقه وانزل الضربة عليه
زاغ ضرار عن الضربة ثم وثب اليه وثبة الاسد فضربه ضربة بعج
فرس البطريق من تحته وقام على رجليه وشب بيديه فوقعت ضربة
ضرار في عنق جواد البطريق فانتكس الى الارض ووقع صاحب القوم
من ظهره ولم يقدر ان يقوم فعاجله ضرار قبل وصول غلمانه اليه
وضربه على حبل عاتقه فلم يعمل سيفه فيه شيئا فعانقه العلج وقد ايقن
بالهلاك فوثب ضرار وقبض عليه بقوته فكان كالجبل العظيم فرماه
ضرار تحته وملك صدره واحتوى نحره وكان لضرار سكين من
صنع اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب بها نحو سرة عدو الله فشقه
الى صدره فسقط عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار
ثم وثب ضرار بن الازور فاخذ جواد عدو الله من غلمانه واستوى في
سرجه وكان على الجواد حلي كثير من الذهب والفضة والفصوص
فلما صار في ظهر الجواد كبر وحمل على الروم ففرقهم يمينا وشمالا
وكان ضرار لما انبسط امام البطريق ملك عبد الله بن جعفر الدير
ومن فيه واحدق به المسلمون فلم ياخذوا منه شيئا حتى رجع خالد من اتباع
القوم وذلك ان خالد اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس
والروم يعرفون مشارعه فخاضوه خوضا فوقف خالد ورجع الى
اصحابه فوجدهم قد ملكوا الدير وافترقوا الناس في جمع الغنايم
وما كان في السوق من المتاع والثياب والطعام قال واثلة بن الاسقع
فجعلنا نجمعه في الاعكام وناكل من الخيرات قال واخرج ما كان
في الدير من الانية والفضة والستور والانية لمراتب واخرجت ابنة
الملك فمعها اربعون جارية لها وحلي وحلل وحمل المال والمتاع
على البغال والحمير وانقلبوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة
والاموال الجسيمة قال الواقدي رحمه الله تعالى فحسبت تلك السرية
لثلاث عبد الله بن جعفر صاحبها وبن انيس مدركها وخالد
منجدها ولقي خالد فيها مشقة وجراح تالفة في جسمه فلما سار
اقبل الى الراهب فصاح به خالد فلم يكلمه فصاح به مرة اخرى
وهدده فاطلع اليه وقال قل ما تشا فوحق المسيح لنطالبنك يا صاحب
الخضر ابدا مما من قتلت فقال خالد وكيف يطالبنا وهو امرنا ان نقاتلكم

فيجاهدكم ووالله لولا انهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتعرض لكم
لانزلتك وقتلتك اشد قتلة فسكت الراهب عنه ولم يجبه وانقلب
خالد بالغنيمة حتى قرب من دمشق وابو عبيدة بن الجراح متطلع الى
قدومهم فلما اشرفوا بالغنايم فرح فرحا شديدا وشكر لهم وسلم
على خالد وعلى عبد الله بن جعفر ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة
وقسمها على المسلمين ودفع الى ضرار ترس البطريق وسرجه
وما عليه من حلية الذهب والفضة والجوهر فاتى به ضرار الى اخته
قال فرايتها تنزع فصوص الجوهر عنه وتفرقه على نسوان المسلمين
وان الفص يساوي الثمن الكثير قال فاعرض السبي على ابي عبيدة
وفي الجملة ابنة البطريق فساله عبد الله بن جعفر ان يعطيها له فقال
حتى استاذن امير المومنين في ذلك وكتب الى عمر يعلمه بذلك
ومسالة عبد الله بن جعفر فكتب اليه ادفعها اليه فاخذها عبد
الله بن جعفر الجارية فاقامت عنده زمانا فاقامت عنده الى ايام يزيد
فاخبر يزيد بها فاستهداها له فاهداها له قال عامر بن ربيعة
اصابني من غنيمة سوق الدير ثياب ديباج فيها صور حسنة
صورة مريم وعيسى عليهما السلام قال الواقدي رحمه الله فلما رجع
جيش المسلمين غانما كتب ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
الى عمر كتابا يخبره بما فتح الله على يده وما غنموا المسلمون من دير
ابي القدس ومدح خالدا وشكره واثنا عليه واخبره بما قال في امير
المومنين ويساله في كتابه ان يكتب الى خالد يبشره ويستعطفه
عليه قال الواقدي رحمه الله تعالى كان كتاب ابي عبيدة رضي الله عنه
في المسير الى هرقل والى بيت المقدس وكتب اليه في امر المسلمين
وانهم يشربون الخمر فقال رجل من العرب اظنه سراقة
بن عامر يا معشر العرب تحللوا شرب الخمرة فانها تذهب العقل
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها
والمحمولة اليه قال حدثنا زيد الليثي عن الزهري عن حميد بن عبد
الرحمن بن عوف الغساني قال كنت مع ابي عبيدة بالشام فكتب
الى عمر يخبره بفتح السوق وفي الكتاب ان المسلمين شربوا الخمر
واستقلوا الحد فيها فقدمت المدينة فوجدت عمر رضي الله عنه

في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدفعت اليه الكتاب فلما قراه جعل يفكر في ذلك ثم قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد في شربها ثم سال عليا عن ذلك
وقال ما ترى فقال علي ان السكران اذا سكر هذا واذا هذا افترى
واذا افترى فعليه ثمانون جلدة فاجلد فيه ثمانون جلدة فكتب عمر
الى ابي عبيدة كتابا اما بعد فقد ورد علي كتابك وقراته من شرب
الخمر من المسلمين فاجلدهم ثمانين جلدة ولعمري ما يصلح لهم الا
الشدة والعقوبة ولقد كان حقهم ان يحسنوا نياتهم ويراقبوا ربهم
عز وجل ويعبدوه ويومنوا به ويشكروه فمن عاد فاقم عليه الحد
قال الواقدي رحمه الله تعالى فلما ورد كتاب عمر على ابي عبيدة
وقراه على المسلمين نادى فيهم من كان لله في جنبه حدا فليعطي
ذلك من نفسه قال ابو عبيدة رضي الله عنه ايها الناس اني قد عزمت
بالمسير الى انطاكية ونقصد كلب الروم ولعل الله يفتح على ايدينا
فقالوا المسلمون سر حيث شيت فنحن تبعا لك نقاتل اعداك
فسر بقولهم فقال تاهبوا للترحيل فاني سايركم الى حلب فاذا
فتحناها سرنا الى انطاكية فاسرعوا المسلمون الى اصلاح شانهم
واخذوا اهبتهم فلما فرغ ابو عبيدة امر خالد ان ياخذ راية العقاب
التي اعقدها له ابو بكر الصديق رضي الله عنه وامره ان يسير
امام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار
ورافع والمسيب والناس تبع بعضهم بعضا وترك ابو عبيدة على
دمشق صفوان بن عامر الاسلمي من بني اسلم وترك عنده خمسماية
رجل وسار ابو عبيدة خلف المسلمين ومعه من عرب اليمن ومضر
قال الواقدي رحمه الله تعالى وسار ابو عبيدة على طريق البقاع واللبوة
فلما وصل الى هنالك بعث خالد الى حمص فقال يا ابا سليمان انهض
على بركة الله وعونه ونازل القوم وشن الغارات على ارض العواصم
وقنسرين وانا اسير الى بعلبك ولعل الله يسهل فتحها ووادعه
وسار خالد بمن معه الى حمص وتوجه ابو عبيدة الى بعلبك
واذا قد ورد عليه بطريق من جوسية ومعه الهدايا والتحف
وصالح المسلمون سنة كاملة وقال ان فتحتم بعلبك وحمص

فانا بين ايديكم لا اخالف لكم قولا فصالحه ابو عبيدة على اربعة الاف
درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما تم الصلح سار ابو عبيدة يطلب بعلبك
فما الا ان ابعد من اللبوة واذا قد اشرف عليه راكب على نجيب
ياكل الارض بسيره فوقف ابو عبيدة حتى اشرف النجاب عليه
فاذا هو اسامة بن زيد الطاي فقال يا اسامة من اين فاتا النجيبة
وسلم على ابي عبيدة وعلى المسلمين وقال اتيت من المدينة اسلم
اليك كتابا من عمر بن الخطاب فسلمه اليه فقراه واذا فيه بسم
الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين الى امين الامة سلام عليك
فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه اما بعد فلا مرد لقضاء
الله وقدره ومن كتب في اللوح المحفوظ وذلك ان جبلة بن الايهم
الغساني قد ورد علينا بني عمه والمراة قومه فانزلتهم واحسنت اليهم
واسلموا على يدي وفرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين
بهم ولم اعلم ما في الغيب وانا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى لنطلب
الحج فطاف جبلة بالبيت فوطي ازاره رجل من بني فزارة فسقط الازار
عن كتفه فالتفت الى الفزاري وقال يا ويلك اكشفت ظهري
في حرم الله تعالى فقال الرجل والله ما تعمدت ذلك فلطم جبلة للفزاري
لطمة هشم انفه وكسر ثناياه الاربع فاقبل الفزاري مستعديا
على جبلة فامرت باحضاره وقلت له ما حملك على ان لطمت اخاك
في الاسلام فكسرت ثناياه وهشمت انفه فقال جبلة انه وطي على
ازاري فحله والله لولا حرمة البيت لقتلته فقلت قد اقررت على
نفسك اما ان يعفو عنك واما ان اخذ له منك القصاص
فقال جبلة اتقتص مني وانا ملك غسان وهو سوقي قلت قد
شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال يا عمر تتركني
الى غد وتقتص مني فقلت للفزاري اتوخره الى غد فقال نعم فلما
كان الليل ركب جبلة في بني عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية
وارجوا من الله ان يظفرك به تنزل على حمص ولا تبعد عنها
فان صالحوك اهلها فصالحهم وان ابوا فقاتلهم وابعث عيونك
الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك وعلى جميع المسلمين
ورحمة الله وبركاته قال الواقدي رحمه الله تعالى فلما قرا ابو عبيدة الكتاب

فسره قراءه مرة اخرى على المسلمين ثم الوى يطلب حمص صلح حمص
الاول قال عامر بن اسد اليربوعي حدثنا نوفل بن حراس عن
شداد بن اوس وكان ممن حضر فتوح الشام من اوله الى اخره
قال لما قرا ابو عبيدة كتاب عمر الوى راجعا يطلب حمص
وكان خالد بن الوليد قد سبقه اليها بثلث الجيش فنزل عليها
يوم الجمعة في شوال سنة اربعة عشر من الهجرة وكان واليها
بطريق من قبل هرقل وكان اسمه نقيطا بن كركيس وكان
قد مات يوم نزول خالد عليها فلما راوا اهل حمص الى نزول المسلمين
عليهم اجتمعوا في كنيستهم المعظمة وقال بتركهم اعلموا ان صاحب
الملك قد مات وليس عند الملك خبر هولاء العرب وقد نزلوا علينا
وما ظننا ذلك ولقد حسبنا انهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا
جوسية وبعلبك وان انتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك ان ينفذ
لكم واليا او جيشا فان العرب لا يمكنوا احدا من جنود الملك
ان يصل اليكم وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار قالوا
ايها السيد فما الذي ترى قال تصالحوا القوم على ما ارادوا منا ونقول
نحن لكم وبين ايديكم ان انتم فتحتم حلب وقنسرين وهزمتم
جيش الملك فاذا توجهوا القوم عنا بعثنا الى الملك يمدنا بجيش
عرمرم ووالي من اهل المدينة او ممن يحبه ونستوسق من الطعام
وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوبوا القوم رايه وقالوا ادبرنا بحسن
رايك وتدبيرك فبعث البترك الى ابي عبيدة جاثليقا كان
عندهم معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاثليق
ووصل الى ابي عبيدة وتكلم معه في الصلح بما تحدث به البترك
من امر المسلمين ومسيرهم الى حلب وقنسرين والعواصم
وانطاكية فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك وصالحهم على عشرة الاف
دينار وماتي ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة
اولها ذو القعدة واخرها شوال خمسة عشر من الهجرة قال فانبرم
الصلح وخرج السوق من حمص الى عسكر المسلمين وباعوا عندهم
واشتروا وراوا اهل حمص سماحة العرب في بيعهم وشرائهم
وربحوا معهم ربحا وافيا وان ابا عبيدة دعا بخالد بن الوليد رضي الله عنهما

وضم اليه الف فارس من لخم وجذام وكندة وكهلان وطي
ونبهان وسنبس وخولان وقال سر بهولاء واقصد المعرات
واقرب من حلب وشن الغارة على بلد العواصم وارجع على اثرك
ونفذ عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة وناصر امن قومهم
ام لا فاجابه خالد الى ذلك واخذ رايته وتقدم امام الكتيبة
وهو يقول اخذتها والملك العظيم • وانني احملها زعيم
لانني عم بني مخزوم • وصاحب الاحمد الكريم • استر سير الاسد الغشوم
يارب وفقني لقتل الروم • وسار خالد الى شيزر فاقام بها يومه على نهر
المقلوب ثم دعا بمصعب بن محارب اليشكري وضم اليه خمسماية
فارس وامره ان يشن الغارة على العواصم وسار خالد الى كفرطاب
وعرج عنها الى المعرات الى دير سمعان وجعلت خيله تغير يمينا
وشمالا على القرى وتاخذ الغنايم والاسرا فلما ثقلت ايديهم
بالغنايم رجع خالد الى ابي عبيدة فلما نظر ما معه من الغنايم
والاموال فرح فرحا شديدا فبينما ابو عبيدة كذلك اذ سمع ضجة
عظيمة قد ارتفعت بالتهليل والتكبير واذا برجال من المسلمين
ومعهم سواد عظيم فقال ابو عبيدة ما هولا يا ابا سليمان فقال
خالد ايها الامير هذا مصعب بن محارب اليشكري عقدت
له راية على خمسماية فارس من قومه من اليمن وانه غار بهم على
ارض العواصم وقد اتا بالسبي والغنايم فتلقاهم ابو عبيدة فنظر
الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليهم رجال ونسا وصبيان
وخلفهم دوي عظيم وبكا شديد فقصد ابو عبيدة العجيج
واذا بهم اهل الضياع مقرنين في الحبال وهم يبكون على عيالهم
وخراب ضياعهم ونهب اموالهم فقال ابو عبيدة لترجمانه وكان
لا يفارقه قل لهم ما لكم تبكون ولم لا تدخلوا في دين الاسلام
وتطلبوا الذمام ولو كنتم قد امنتم على انفسكم واموالكم وعيالكم
قالوا لكن اقوام كنا بالبعد وانما كانت الاخبار تصل الينا وما
وما ظننا انكم تبلغون الينا فما شعرنا حتى اشرفوا علينا هولاء القوم
فانتهبوا اموالنا واخذوا اغنامنا وساقونا في الحبال قال الواقدي رحمه الله
وكانوا الاعلاج زها على اربعماية علج فقال لهم ابو عبيدة رضي الله عنه

بان منا عليكم واطلقناكم من اسركم ورددنا عليكم اهلكم
واولادكم هل تكونوا في طاعتنا وتودوا الجزية الينا والخراج
قالوا ومن لنا بذلك ونحن نفعل جميع ما تشترط علينا فعند
ذلك اقبل ابو عبيدة على روسا المسلمين وقال ايها الناس
اني رايت من الراي اني اومن هولا القوم من القتل وارد
عليهم عيالاتهم فيكونوا النا عبيدا ويعمروا الارض لنا ويودوا
خراجهم وجزيتهم فما انتم قايلون فما كنت بالذي اقطع امرا
دونكم فقالوا المسلمون الامر امرك والراي رايك ايها
الامير ان رايت ذلك صلاحا للمسلمين فافعل فعند ذلك
رد اليهم ابو عبيدة اموالهم وافرض على كل راس اربع دنانير
واقرهم على ضياعهم وكتب الى عمر بذلك وكتب اسماهم
وامرهم بالرجوع الى اوطانهم فلما رجعوا الى اوطانهم واستقروا
اخبروا من كان بالقرب منهم بحسن سيرة العرب وما عاملوهم
به من الجميل وقالوا لقد ظننا انهم يقتلونا ويستعبدونا واولادنا
فرحمونا واقرونا على ادا الجزية والخراج فلما سمعوا الروم ذلك
اقبلوا الى ابي عبيدة في طلب الامان ويودون الجزية والخراج
فاجابهم وكتب اسما حصونهم وقراياهم وبلغ الخبر لاهل
قنسرين والحاضر ان ابا عبيدة يعطي الامان لمن قصده
فاحبوا ان ياخذوا لهم امانا من ابي عبيدة واجمعوا رايهم
على ذلك وان ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم صاحب
قنسرين وغيرها قال الواقدي رحمه الله تعالى وكان على
قنسرين والحاضر بطريق من بطارقة الملك وكان من
اهل الشدة والباس وكانوا يخافون منه واسمه لوقا وكان
يعاند صاحب حلب في مملكته وسلطانه قال الواقدي
ولقد بلغني ان هرقل دعا بهما اليه فقالوا ايها الملك ما كنا
بالذي ندع ملكنا من غير ان نلقى العرب ولا ان نبلى معهم
بلا حسنا فوعدهما الملك ان يبعث اليهما جيشا وكانا ينتظران
ذلك وكان مع كل واحد منهما عشرة الاف فارس الا انهما لا
يجتمعان في موضع واحد فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزموا

عليه أهل بلده من الصلح لابي عبيدة غضب الملك غضبا شديدا
وعزم ان يعكر بالمسلمين فجمع اهل قنسرين اليه وقال
يا بني الاصفر وعباد المسيح ما ترون ان اصنع في امر هولاء العرب
فكانكم بهم قد اقبلوا الينا فيفتحوا بلدنا كما فتحوا ساير البلاد
فقالوا ايها السيد انه قد بلغنا انهم اهل وفاء وذمة وقد فتحوا
اكثر بلاد الشام فمن قاتلهم قتل واستعبدوا اهله واولاده
ومن دخل في ذمتهم واطاعهم اقروه في بلاده وكان امنا من
سطواتهم والراي عندنا انا نصالح القوم ونكون امنين على انفسنا
منهم قال لهم البطريق لقد قلتم فاحسنتم وبالصواب اشرتم
لان هولاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم فانا اعقد الصلح
سنة الى ان توافينا الجيوش من الملك ونعطف عليهم وهم امنون
فنهلكهم عن اخرهم فقالوا افعل ما رايت واتفق راي البطريق
وراي اهل قنسرين على الصلح وفي قلوبهم الغدر والمكر
فدعا لوقا برجل من اصحابه اسمه اصطخر وكان قسا عالما بدين
النصرانية فصيح اللسان بالعربية وقد عرف الدينين اليهودية والنصر نية
فقال له لوقا تسير الى امير العرب وتقول له تصالحنا سنة كاملة
حتى نبيد القوم بالحيلة والخداع ثم كتب كتابا الى ابي عبيدة يقول
بعد كلمة كفره اما بعد فان بلدنا بلد مانع كثير العدة والعدد
والزاد والماء وما نوتنا من قلة وانك لو اقمت اربعين سنة ما
قدرت علينا وان الملك قد استنجد عليكم بالرومية من حد الخليج
الى رومية الكبرى وانا ابعث اصالحكم سنة حتى ترى البلاد لمن
تحصل وانا اريد ان تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حد ارض قنسرين
والعواصم حتى اذا همت العرب بالغارة علينا ورات العلامة رجعت
ونحن نصالحكم سرا من الملك لئلا يعلم فيقتلنا والسلام ثم خلع على
اصطخر خلعة سنية واعطاه بغلة لركوبه وعشرة غلمان فسار اصطخر
حتى ورد حمص فوجد ابا عبيدة يصلي بالناس صلاة العصر فوقف
اصطخر ينتظر ما يصنعون فلما سلموا القوم نظر والى القس ومن معه
فعلموا انه رسول فدنا منه عبد الله بن ابي ربيعة وقال من انت قال انا
رسول ومعي كتاب فمثله امام ابي عبيدة وخالد بن الوليد عن يمينه وعبد

الرحمن بن ابي بكر عن يساره والصحابة بين يديه رضي الله عنهم اجمعين
فهم القس بالسجود فمنعه ابو عبيدة من ذلك وقال نحن عبيد الله تعالى
منا شقي ومنا سعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها فبقي اصطخر لا يرد جوابا
وهو متعجب مما تكلم به ابو عبيدة فناداه خالد ما شانك يا ذا
الرجل ومن انت ورسول من انت فقال اصطخر انت امير القوم
قال خالد لا بل هو اميرنا وصاحبنا قال اصطخر انا رسول من
صاحب قنسرين والحاضر ثم اخرج الكتاب ودفعه لابي عبيدة
فاخذ ابو عبيدة الكتاب وقراه على المسلمين فلما سمع خالد
ما فيه من وصفهم لمدينتهم وكثرة عددهم وزادهم ويهددون
بجيوش هرقل حرك راسه وقال ايها الامير وحق من ايدنا
بالنصر وجعلنا من اصحاب محمد الطاهر ان هذا الكتاب من
رجل ما يريد صلحا وانما يريد كيدنا فلا تجيبه الى ما طلب
وسر حتى تنزل عليه فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق
بيعة ابا بكر وامامة عمر لاجعله واهل بلده غنيمة للمسلمين
وافزع بهم غيرهم ممن حولهم من اهل الحصون والاديرة
والقلاع قال ابو عبيدة مهلا يا ابا سليمان فان الله سبحانه
وتعالى لم يطلع على غيبه احدا ولا يعلم ما في اسرار العباد غيره
وقد دعونا الى الصلح فقال خالد ايها الامير لا تصالحهم الا صلح
الابد ان ارادوا ذلك والا فاتركهم على حالهم وانا لهم مع
نصر الله تعالى كفوا قال واصطخر يسمع الكلام ويتعجب من
حدة خالد وفصاحته وقد تبين فيه الشهامة والشدة والشجا عة
فاقبل على خالد وقال ايها السيد ما اسمك وممن تعرف بين العرب
فقد بلغنا ان معكم رجالا بعضهم افضل من بعض في الشدة
والشجاعة فقال انا خالد بن الوليد البطل العنيد والسيف المبيد
قال اصطخر وحق المسيح لقد قلت انك خالد عند ما نظرت
اليك وسمعت كلامك وكذا بلغنا انك شهم جليد وبطل
عنيد وليس هكذا بلغنا عنكم وانما بلغنا خشن تبر تكم

وحق في قولكم وكرم عشيرتكم الى من قصد اصطخر وانكم
امة نبي الرحمة وانتم من الامم المرحومة واري الامر خلاف ذلك
لانا جئنا نريد صلحكم فابيتم وامنكم شنعتم فقال خالد انا
قوم لا نؤتى من خداع ونعرف كلام المكر والخديعة وقد
دلنا على مكركم ما في كتابكم انكم تريدون الصلح سنة
فان جاءت جيوش الملك ورايتم القوة من جانبكم نقضتم
عهدنا وكنتم اول من يقاتلنا وان رايتم الغلبة هربتم الى طاغيتكم
فان انت اردت ان نعقد معك الامر ونقلدك البغي على اننا نوادعكم الحرب اردت
من غير ان يكون صلحا سنة كاملة فان لحق بكم جيش
من هذه السنة من هرقل فلا بد من قتاله ومن اقام في المدينة
ولم يقاتل مع الجيش فهو على صلحنا لا نتعرض له قال اصطخر قد
اجبت الى ذلك فاكتب لي كتابا به فقال خالد ايها الامير اكتب
له كتاب موادعة سنة اولها هلال ذي القعدة من سنة اربعة عشر
من الهجرة واخرها شوال من سنة خمسة عشر من الهجرة ففعل
ذلك فلما فرغ ابو عبيدة من الكتاب قال له اصطخر ايها الامير ان
حد بلدنا معروف وبازائنا صاحب حلب ولبلده حد معروف
ونريد ان تجعل لنا فيما بيننا وبين المسلمين والروم علامة
ليكون اصحابك لا يجاوزونا فرضي ابو عبيدة بذلك وقال
لقد قلت فاحسنت وانا ابعث من يحد لكم ذلك قال اصطخر
لا تبعث احدا من اصحابك بل نحن نصنع عمودا وننصبه ويكون
عليه صورة الملك هرقل فاذا راوه اصحابك لا يتعدوه قال ابو
عبيدة افعل ذلك ودفع اليه الكتاب ونادى ابو عبيدة في المسلمين
واصحاب الغارات من نظر الى العمود فلا يتعداه ولا يجوزه
بل يشن الغارة على ارض حلب وحدها ولا يجوز العمود
وليبلغ الشاهد الغايب فرجع اصطخر الى بطريق قنسرين
ودفع اليه الكتاب واعلمه بما جرى له مع خالد من الخطاب
ففرح بذلك وعمد الى عمود وصنع عليه صورة الملك هرقل
كانه جالس في ملكه قال الواقدي وكانت خيل المسلمين

تضرب غاراتها الى اقصى بلد حلب والعمق وانطاكية ويكيد و...
عن حد قنسرين والحاضر ولا يقربون العمود قال حدثنا عمر بن
عبد الله بن ابي رباح العسكري قال اخبرنا سالم بن [illegible] عن ابيه
قيس بن ثابت عن جده سعد بن عبادة قال كان صلح المسلمين
لاهل قنسرين والحاضر على اربعة الاف دينار ملكية ومائة اوقية
من الفضة والف ثوب من متاع حلب والف وسق من الطعام
قال الواقدي وحدثنا عبد الله بن ثابت بن عدلان عن سليمان
بن عامر قال كنا في بعض الغارات اذا نظرنا الى العمود وعليه
صورة هرقل فعجبنا منه وجعلنا نحوم حوله ونلعب بخيولنا
ونعلمها الكر والفر وحمل ابو جندلة وكان بيده قناة تامة
وقرب الجواد من الصورة وهو لا يريد ذلك وهو على غير تعمد
ففقا عين الصورة وكانوا قوم من غلمان صاحب قنسرين
يحفظون العمود فرجعوا الى البطريق وحدثوه بذلك فدفع
الى بعض اصحابه صليبا من الذهب وسلم اليه مائة فارس من
اعلاج الروم عليهم الديباج وفي اوساطهم المناطق المحرقة وامر
اصطخر ان يسير معهم وقال ارجع الى امير العرب وقل له غدرتم
بنا ولم تفوا على ذمتكم ومن غدر يخذل فاخذ اصطخر الصليب
وسار مع المائة فارس وهو مقدمهم حتى اشرفوا على ابي عبيدة
فلما نظر المسلمون الى الصليب وهو مرفوع اسرعوا اليه
فنكسوه ووثب ابو عبيدة واستقبل القوم وقال من انتم قال
اصطخر انا الرسول اليك من صاحب قنسرين وقد غدرتم ونقضتم
قال ابو عبيدة والله ما علمت بذلك وسوف اسال عن ذلك ثم نادى
يا معاشر العرب من فقا عين التمثال فليخبرنا قال ابو جندلة
سهيل بن عمرو وصنع ذلك من غير تعمد قال ابو عبيدة لاصطخر
ان صاحبنا صنع ذلك من غير تعمد له فما الذي يرضيك منا
قال الاعلاج لا نرضى حتى نفقا عين ملككم يريدون بذلك
ان ينظروا الى وفاء المسلمين فقال ابو عبيدة فها انا اصنع بي مثل
ما صنع بصورتكم قالوا لا نرضى بذلك ولا نرضى الا بملككم الذي
يلي امر المسلمين كلها قال ابو عبيدة ان ملكنا امنع من ذلك

قال وغضب المسلمون لما ذكروا غيبة عمر رضي الله عنه وهموا بقتلهم
فنهاهم ابو عبيدة عن ذلك فقالوا المسلمون نحن دون امامنا نفديه
بانفسنا فقال اضطجر عند ما نظر الي المسلمين وقد هموا بقتل من جاء معه
لا ننقض عهدكم ولا عيوبكم ولكن نصور صورة اميركم علي عمود
ثم نصنع به مثل الذي صنعتم بصورة ملكنا فقالوا المسلمون ان صاحبنا
ما صنع ذلك الا من غير تعمد وانتم تريدون التعمد فقال ابو
عبيدة مهلا يا قوم فاذا كان قد رضي القوم بصورتي فانا اجيبهم
الي ذلك فدا لعمر ولا يتحدثون القوم عنا انا غاهدنا ثم غدرنا
فان هولاء القوم لا عقل لهم ثم اجابهم ابو عبيدة الي ذلك قال
فصورت الروم مثل ابي عبيدة علي عمود وجعلوا له عينين من الزجاج
واقبل رجل منهم حنقا وفقا عين الصورة برمحه ثم رجع اضطجر
الي صاحب قنسرين فاخبره بذلك فقال لقومه بهذا الامر تم لهم
ما يريدون واقام ابو عبيدة علي حمص يغار يمينا وشمالا ينتظر خروج
السنة ثم ننظر ما يفعل بعد ذلك وابطا خبر ابو عبيدة علي عمر اذ
لم يري له كتابا ولا فتحا فانكر ذلك من امرهم وحسب انه ركن
الي القعود عن الجهاد فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم الي ابي
عبيدة سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي علي نبيه
وامرك بتقوى الله واحذرك معصيته وانهاك ان تكون ممن
قال الله فيهم قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الاية وصلي الله علي
سيدنا محمد ونفذ الكتاب اليه فلما قراه علي المسلمين علموا
ان عمر يحرضهم علي الجهاد وندم ابو عبيدة علي ما صالح عليه اهل
قنسرين ولم يبق احد من المسلمين الا بكا من كتاب عمر
رضي الله عنه وقالوا ايها السيد ما الذي يقعدك عن الجهاد فدع اهل
قنسرين واقصد بنا حلب وانطاكية نملكهما ان شا الله تعالي
وقد انقضى الاجل وما بقي منه الا القليل نعزم ابو عبيدة علي المسير
الي حلب وعقد راية لمصعب بن محارب اليشكري وعقد راية
اخرى لسهيل بن عمرو وامر عياض بن غنم ان يسير علي مقدمتهم
واتبعه بخالد بن الوليد وسار ابو عبيدة وخلف علي حمص حبيب
بن مسلمة وسار ابو عبيدة علي الرستن وصالح اهلها واتا الي حماة

فخرج اليه اهلها ومعهم الانجيل وقد رفعوه الرهبان علي رؤسهم
والقسوس امام القوم ليطلبوا منه الصلح والذمام فلما رآهم وقف
لهم وقال ما تريدون قالوا نحن نكون في عهدكم وصلحكم فانتم
احب الينا من قومنا فصالحهم ابو عبيدة وكتب لهم كتاب الصلح
وسالوه ان يدع عنهم القتال ويدع عندهم رجالا وسار حتى نزل
شيزر فاستقبله اهلها فصالحهم ايضا وقال لهم هل سمعتم للطاغية
هرقل خبر قالوا ما سمعنا له خبر غير انه قد اتصل بنا ان بطريق قنسرين
كتب الي هرقل يستنجده ويدعوه الي نصره وقد بعث اليه عسكرا عظيما
فقال ابو عبيدة حسبنا الله ونعم الوكيل واقام ابو عبيدة بشيزر وهو
متحير فبقي مرة يقول اسير الي حلب ومرة يقول اسير الي انطاكية
ثم جمع المسلمين اليه وقال ايها الناس قد بلغني ان بطريق قنسرين
قد كاتب هرقل يستنجده وما ذاك الا انه اضمر في قلبه المكر والغدر
فقال له خالد ايها الامير الم اقل لك ان كلامهم يدل علي مكر
وخداع فقال ابو عبيدة وما تنفع حيلته ومكره والله من ورائه
بالمرصاد قال الواقدي رحمه الله واقام يوامر نفسه ان يبدا باهل
قنسرين اذا فرغ ما بينهم من الصلح وكان قد بقي شهر او اقل
من ذلك واقام ينتظر انفصال العهد قال وكانت العرب ياتون
بجراثيم الشجر من شجر الزيتون والرمان والكروم فعظم ذلك
علي ابو عبيدة ودعا بالعبيد وقال ما هذا الفساد قالوا ايها الامير ان
الاحطاب متباعدة وهذه الاشجار منا قريبة فقال ابو عبيدة والله من
قطع شجرة لها طعم او ثمرة لاجازينه ولانكلن به فلما سمعوا العبيد
ذلك خافوا النكال فاقبلوا ياتون بالحطب من بعيد قال سعيد
بن عامر الانصاري وكان معي عبد حبشي اسمه مهجع وقد شهد
معي الوقايع والحروب وكان جري القلب في القتال وكان اذا
خرج في غارة او طلب حطب كان يبعد عن رفاقه وكان يفا
بالمقلاع اجود من قتاله بالسيف فخرج هو وجماعة من شيزر وابو
عبيدة نازل بها في طلب الحطب فابطا خبره عن سيده فركب جواده
وخرج في طلبه وجعل يقفو اثره واذا قد لاح له شخص فقصده واذا هو
عبده واذا هو مشدخ الوجه وقد سال دمه علي وجهه فقلت له ما وراك

يا مهجع من الاخيار قال هلك وقد مات فقلت عليك يا ابن السود احدثنا
بخبرك ثكلتك امك قال فلم يكاد يقف حتى سقط على وجهه
قال فنزلت اليه ونضحت على وجهه ماء فسكن ما كان يجده
وقال لي يا مولاي انجو بنفسك والا ادركك القوم وصنعوا بك
مثل ما صنعوا بي فقلت ومن القوم فقال يا مولاي خرجت انا ومعي
جماعة من الموالي لنحتطب حطبا فتباعدنا واذا نحن بكتيبة
من الخيل زهاء على الف فارس كلهم عرب وفي اعناقهم الصلبان
وهم معتقلون بالرماح فلما راونا اسرعوا نحونا وعزموا على قتلنا
فقلت لاصحابي دونكم واياهم قالوا ويحك ولمن نقاتل وكيف لنا
طاقة بقتال هذه الكتيبة ومالنا الا ان نلقي ايدينا لاسرهم فهو اهون
من القتل فقلت والله لا اسلمت نفسي دون قتال ابدا فلما عاينوا
مني الجد فعلوا كفعلي وقاتلنا القوم وقتلوا نافسا وامنا عشرة واما
انا فاثخنت بالجراح فسقطت على وجهي فرجعوا عني وقمت كما ترى
قال سعيد فغمني ما نزل بالعبد واردفته خلفي وانقلبت اريد الرجوع
واذا بالخيل وراي كانها الريح واذا بها خيل غسان فاخذت
بي الرماح وهم يصيحون نحن غسان من حزب الصليب والرهبان
فقال سعيد فناديتهم انا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاسرع
الي بعضهم وهم ان يعلوني بالسيف فناديته يا ويلك اتقتل رجلا
من قومك فقال من اي الناس انت قلت انا من الخزرج الكرام
فرد السيف عني وقال انت طلبة سيدنا واميرنا جبلة وحق المسيح
فقلت ومن اين يعرفني جبلة حتى يطلبني فقال انه يطلب رجلا من
اليمن من انصار محمد ثم قال لي سر طايعا والا اسرت كارها
قال سعيد فسرت معهم والعبد معي حتى اشرفنا على عسكر عظيم
وجيش كبير وصلبان قد رفعت فلم ازل مع القوم حتى
اتوا بي الى جبلة بن الايهم الغساني فاذا به جالس على كرسي من
الذهب الاحمر وعليه ثياب من الديباج المحفوفة باللولو وعلى راسه
شبكة من الجوهر وفي عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت
بين يديه رفع راسه الي وقال لي من اي العرب انت فقلت من اليمن
فقال لي اكرمت من ايها قلت انا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر

بن حارثة بن ثعلبة بن امري القيس بن عبد الله الزاد بن عوف
بن قنيب بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا فقال من اي الغلامين
الذين نسبا لامهما فقلت له انا من ولد الخزرج بن حارثة من انصار
محمد بن عبد الله قال وانا من قومك انا من قوم غسان فقلت انت
من القبيلة التي تنسب الى مايها قال نعم انا جبلة بن الايهم الذي رجعت
عن الاسلام كي ما اضام اما رضي صاحبكم ان يكون مثلي لهذا
الدين الذي انتم عليه ناصرا حتى ياخذ مني القود لعبد حقير وانا
سيد غسان فقلت يا جبلة ان حق الله اوجب من حقك وان ديننا
لا يقوم الا بالنصفة فيه وان عمر لا ياخذه في الله لومة لايم فقال لي ما
اسمك فقلت اسمي سعيد بن عامر الانصاري قال يا سعيد اوطي
مجلسك فجلست فقال لي كم عهدك بحسان بن ثابت فقلت بابي
شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فيه المصطفى انت حسان
ولسانك حسام فقال كم لك مذ فارقته فقلت عهدي به قريب وقد
دعاني الى دعوة صنعها وامر وليدة ان تنشدنا فانشدت

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق في الزمان الاول
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسالون عن السواد المقبل
بيض الوجوه اعفة احسابهم ... شم الانوف من الطراز الاول
الاحقين فقيرهم بغنيهم ... المشفقين على اليتيم الارمل
اولاد جفنة حول قبر ابيهم ... قبر ابن مارية الكبير المقبل

ثم خرجنا الى الشام وهذا اخر عهدي به قال ارحفظت الى هذه
المكرمة قلت نعم فامر لي بثوب من الكتان الرومي وفيه شي من
الورق وقال انما امرت لك بالكتان كي تلبسه ولا تحرمه ثم قال
لي ما كنت تصنع في الموضع الذي اسرت فيه فقلت ان الصدق
اولى ما استعمله العبد انا من عسكر الامير ابي عبيدة بن الجراح
وقد قصد نازلا بين حلب وانطاكية فقال جبلة ان الملك هرقل
قد بعثني انا وهذا البطريق حتى ننصر صاحب قنسرين فانه
قد اكاد كم يصلحه لكم وانا انتظر الى ان يلتقيا ولاكن ارجع
الى صاحبك ابي عبيدة وحذره منا ومن اسيافنا وليرجع من حيث
قدم ولا يتعرض لبلاد الملك فانا قد تجردنا لنصرة دين الملك

الموسوف تنزع منك ابن ايديكم ما ملكتموه من الشام قال سعيد بن عامر
فركبت جوادي واردفت غلامي ورائي وسرت حتى اتيت عسكر المسلمين
فاسرعوا الناس اليّ وقالوا لي يا بن عامر اين كنت فلقد حزنا لفقدك قال
فاتيت نحو ابي عبيدة وحدثته بشاني مع جبلة بن الايهم الغساني فقال
لقد خلصك الله تعالى ثم جمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشورة
الوقعة على قنسرين ثم قال ايها الناس ما تقولون في هذا الامر وفي
قصة البطريق وفينا له واكادنا فقال خالد ان البغي مصرعة وان كان
اكادنا فالله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده اعظم من مكيدته
واسير الى لقائه بعشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ان عشرة من اعيانهم اجابوا خالد بالتلبية فقال بارك الله فيكم
خذوا على انفسكم واجتمعوا اليّ قال فتدرعوا القوم واخذوا اهبتهم
واتوا نحو خالد رضي الله عنه وعنهم فوجدوه قد تدرع بدرعه واخذ
رمحه وركب جواده ثم قال لغلامه همام سر معي حتى ترى مني عجبا
فاسرع همام وسار خالد بن الوليد والعشرة وابو عبيدة يدعو لهم
فلما سار خالد اقبل على سعيد بن عامر الانصاري وقال يا سعيد
اخبرك جبلة انه ياتي البطريق صاحب قنسرين اليه قال نعم يا ابا
سليمان قال له خالد فخذ بنا في الطريق الى عسكر جبلة حتى نكمن
هنالك فاذا اتانا البطريق اخذناه كما اكادنا ودمرناه ومن معه
فسار سعيد امام القوم يجد بهم السير الى عسكر جبلة وكان
مسيرهم ليلا فلما قربوا منه ووصلوا الى قرب بنيانهم وسمعوا
اصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى طريق البطريق وكمن
خالد هنالك ومن معه الى وقت الصباح فلم ياتيهم احد فصلى خالد
والمسلمون صلاة الفجر فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم جبلة
بجيشه وصاحب عمورية وهم يقصدون ارض العواصم فقالوا
المسلمون لخالد يا ابا سليمان وما ترى هذا الجيش قد اشرف علينا
في عدد الشوك والشجر وعدد الرمل والمدر فقال خالد رضي الله عنه
وما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا اختلطوا بهم
وكونوا في جملتهم وهم لا يفترقون قال رافع بن عميرة الطائي
فلما اشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين اذا بالبطريق بها

قد استقبلنا

قد استقبلنا وقد رفع امامه الصلبان واخرج بين يديه القساقسة والرهبان
وهم يقرؤون الانجيل وقد ارتفعت بينهم كلمة الكفر ودنا بعضهم
من بعض وخرج البطريق امام اصحابه لياتي الى جبلة ليسلم عليه
فاستقبله خالد مواجها له واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله
فلما قربوا منه قال لهم البطريق سلمكم المسيح وابقاكم الصليب
قال له خالد يا ويلك ما نحن من عباد الصليب ولكنا من اصحاب
محمد الحبيب وكشف خالد لثامه ونادى لا اله الا الله وحده لا شريك
له محمد عبده ورسوله انا خالد بن الوليد وضرب يده عليه فانتزعه
من سرجه وابتدروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه
وسلوا السيوف عليهم وارتفعت الضجة واعلنوا اعداء الله تعالى
بكلمة الكفر وضجوا المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب جبـ
عمورية اصوات المسلمين بالتهليل والتكبير فاتى عجلا لذلك ونظر
الى الرماح قد تشرعت والسيوف قد تجردت فابتدروا نحو اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واحاطوا بهم من كل مكان فلما نظر
خالد الى ما نزل به وباصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين
في كفه لا يفارقه وقد ملك قياده وهو خايف ان ينفلت من يده او
تجري عليه حادثة قبل ان يقتله فهم خالد بقتله ورفع السيف ليعلو
به فتبسم البطريق من فعاله فعجب خالد من ضحكه وقال يا ويلك
لم تضحك قال البطريق لانك مقتول انت ومن معك وانت تريد قتلي
فان انت ابقيت علي ابقيت عليك فتركه خالد ولم يقتله بل كان
ماسك بيده ممسك نادم على قتله قال ثم صاح خالد رضي الله عنه باصحا به
وقال كونوا حولي واحموا عني واصبروا على ما نزل بنا ولا يكثر
عليكم من احدق بكم فان اشد ما تخافونه الموت والقتل منية
خالد في سبيل الله تعالى واني والله اهديت نفسي للقتل والقيتها في
مواضع الملكة لعلي ارزق الشهادة واعلموا رحمكم الله تعالى ان
حاجتنا واضحة الى الله عز وجل فكانكم قد وصلتم الى رب كريم
وسكنتم دارا لا يموت ساكنها ثم لا يمسهم فيها نصب وما هم منها
بمخرجين قال الواقدي رحمه الله تعالى فاجتمعوا اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى خالد ودارو حوله وصار عبد الرحمن بن

أبي بكر الصديق عن يمينه ورافع بن عميرة الطائي عن شماله قال فسلم
خالد البطريق إلى عبده همام وقد أحاطت به الروم كحلقة الخاتم وقال
لعبده أوقفه إلى جانبك ولا تبرح من مكانك قال وأقبلوا نحوهم
العرب المتنصرة من غسان يقدمهم جبلة بن الأيهم وفي عنقه طوق
من الذهب وفيه صليب من الجوهر وعليه ثياب ديباج مثقل من فوقها
درع مذهب الزرد على رأسها بيضة من الحديد على أعلاها صليب
من الياقوت والجوهر وفي يده رمح طويل على رأسه سنان يضي كضياء
النجم وصاحب عمورية إلى جانبه الجيش فلما عاين البطريق صاحب
قنسرين لخالد قد ملك قياده وهو في يده أسير خاف أن يحمل عليه خالد
بالقتل أقبل على جبلة صاحب عمورية وقال ما هؤلاء العرب الأشياطين
أما تنظر هذا العربي ومن معه اثني عشر نفر وقد أحدق بهم
الجيش العظيم وما يفكرون فيه وقد ملك صاحبنا وهو معهم أسير
وما يخلوه من أيديهم وإني خايف عليه أن يقتلوه فاخرج إليهم وقل لهم
يخلوا عن صاحبنا ويرسلوه إلينا حتى نجود عليهم بأنفسهم فإذا أطلقوا
صاحبنا ملنا عليهم وقتلناهم عن آخرهم قال رافع بن عميرة الطائي
رضي الله عنه ونحن وقوف من حول خالد في أوساطهم كحلقة ملقاة
في فلاة وما نفكر فيهم لأننا واثقين بالله عز وجل وإذا نحن بجبلة بن الأيهم
ينادي برفيع صوته من أنتم من أصحاب محمد أنتم من المعروفين أم أنتم
من التابعين أخبروني من أنتم قبل أن ينزل بكم الدمار فكان المتكلم
له من بيننا خالد رضي الله عنه بدره بالخطاب وقال له خالد نحن أصحاب
محمد المعروفين نحن أهل القبلة والإسلام والكرم والإنعام نحن الآن من قبايل
شتى وقد جعل الله تعالى كلمتنا واحدة مجتمعين عليها لا نفارق
قولنا قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما سمع جبلة
قول خالد رضي الله عنه غضب غضبا شديدا إذ لم يفكر خالد فيه ولا
في من معه وقال يا فتى أنا أمير هؤلاء القوم قال خالد لست أميرهم
بل أخوهم في الإسلام قال جبلة فمن أنت من أصحاب محمد المعروفين
قال أنا المعروف بكبش بني مخزوم أنا خالد بن الوليد وهذا الذي
عن يميني عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وهذا الذي عن شمالي
رجل من اليمن من كرام طي وإني أخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف

وبطلها الموصوف فلا تزدري بقتلنا وتفتري بكثرتكم فما أنتم
عندنا في القتال إلا كطيور وقع عليها صيادها وهي كمينة
في أوكارها وألقى القابض الشبكة عليها فما أفلت منها إلا النجيب
قال فزاد غيظ جبلة من كلام خالد ثم قال سيعلم ابن مخزوم
أن كلامك اليوم عليك ميشوم إذا دارت بك الأسنة وجعلتك
أنت ومن معك طعام الوحش في هذه الفلاة قال خالد ذلك لا
يكثر علينا وهو سهل لدينا فمن أنت من العرب الذي قد تبعت
لعبادة الصليب قال أنا سيد غسان وبن ملك همدان ومن أولاد
التبابعة والأقيال أنا ملك غسان وتلجها وصاحب أبطالها ورجالها
أنا جبلة بن الأيهم فقال له خالد أنت المرتد عن الإسلام ومن اختار
الضلالة على الهدى وسلك سبيل العمى وضل وهوى قال جبلة
ليس كذلك أنا الذي اخترت العز على الذل والهوان قال له خالد
أنت على ذل نفسك حريص وأنت لها مهين وإنما الكرامة في
دار البقاء والبعد عن دار الشقاء قال جبلة يا ابن مخزوم لا تفرط علينا
في القتال فإنما إبقائي عليك وعلى أصحابك لسبب هذا الأسير
الذي في يدك لأني أخاف أن أحمل عليك أن تقتله قبل ذلك
وهو معظم عند الملك وقريب منه في النسب فأطلقه من يدك قال
خالد أما أسيري فما أطلقه ولا أتركه من يدي أو أقتله ولا أبالي
بما يصنع بي بعده وأما قولك أنك تقصر عني ومن معي فما النصف
في الفعال فإن أردت النصفة في القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير
ونحن اثني عشر رجلا وقد أحدقت بنا أعنة خيلكم وأسنة رماحكم
فإن أردت النصفة فابرزوا إلي واحد بعد واحد فهذا أسيركم
معي فإن قتلتمونا فإليكم يصير وإن ظفرنا الله تعالى بكم وأتانا النصر
من عند الله تعالى فلن يعظم عليكم هلاك أسيركم إذا أهلكت
نفوسكم قبله قال فعند ذلك أقبل جبلة يحدث صاحب عمورية
بجواب خالد فطمطم البطريق وقد جرد سيفه فعلم خالد أنه
قد غضب وأنه يريد القتال فلما هم صاحب عمورية بالبراز
سكنه جبلة وقال إن الحرب كما ذكرت تحملوا النصفة
وهؤلاء بني الأصفر قوم لا يفقهون وقد حدثتهم بحديثي معك

وقد رضوا منك بالمبارزة فمن احب منكم البراز فليبرز قال رافع بن
عميرة الطاي فتقدم خالد ان يبارز فمنعه عبد الرحمن بن ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما وقال يا ابا سليمان وحق القبر الذي ضم اعضا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيبة ابي بكر الصديق لا يبرز لهولا
القوم غيري وابذل المجهود فيهم فلعلي الحق بابي فتركه خالد
وقال له اخرج شكر الله مقالك وعرف فعالك فخرج عبد الرحمن
بن ابي بكر من بين اصحابه وهو على جواد لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
دفعه اليه من وقعة اجنادين وكان الفرس من خيل لخم المتنصرة
وكان كالطود العظيم وعليه درع وسيف وزردية وبيده قناة تامة
فجال عبد الرحمن بين الصفين ودعا للبراز وقال دونكم يا بني الاصفر
فانا ابن الصديق عليه السلام ثم انشا يقول

انا ابن عبد الله ذي المعالي والشرف الفاضل والكمال
ابي عتيق الصادق المقال ازان هذا الصدين في الفعال

قال رافع بن عميرة الطاي فخرج اليه فوارس من شجعان الروم واحدا في
اثر واحد فما كان يجول عليه عبد الرحمن اكثر من جولة واحدة
حتى يصرعه قتيلا فقتل خلقا كثيرا وهم بالحملة على قلب عسكر الروم
واذا قد خرج اليه جبلة بن الايهم لعنه الله تعالى وقد اشتد به الغضب
وقال يا غلام لقد تعديت علينا في فعالك وبغيت في نزالك فقال
عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغي من شيمتنا قال جبلة لانك قد
ملات الارض من قتلانا وما خرجت اليك اقاتلك لانك لست كفو
في القتال وانما خرجت لان رجل من اصحابك قد خرج ليعينك علينا
وليس هذا من شيم الانصاف ولا فعال الاشراف قال الواقدي رحمه الله
لقد بلغني عن رفاعة بن هشام وكان ممن حضر فتوح الشام
قال فلما سمع عبد الرحمن بن ابي بكر كلام جبلة تبسم وقال
يا ابن الايهم تريد ان تخدعني وقد شهدت مع علي بن عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المواقف والقتال قال جبلة لست مخادعا وما قلت الا الحق
قال عبد الرحمن فاخرج بازائي ويخرج معك اخر من قومك ان
كنت صادقا واحملا علي فاني كفو كريم فلما نظر جبلة الى عبد
الرحمن وانه لم يتوانا من ~~يتوانا من~~ جبلة ولا اخذاع عجب من فعاله

وجراته وحدة سنانه وشجاعته على حداثة سنه فناداه جبلة هل
لك ان تلقي يدك الينا واغمسك في ماء المعمودية تخرج منها نقيا
من الذنوب كما خرجت من بطن امك وتكون من حزب الصليب
ومن اهل دين المسيح وتاكل القربان وتاخذ الجايزة من الملك
الرحيم وازوجك ابنتي وتكون بمنزلة ولدي واتفضل عليك
بانعامي واكرامي فانا الذي مدحني شاعر نبيكم في شعره حيث يقول

اذكر جفنة من بقية معشر لم يجزهم اباؤهم باللومي
لم ينسني بالشام اذ هو ربها يوما ولا متنصرا بالرومي
اذ جيته يوما فقرب منزلي وسقاني راحته من الخمر طومي
وملى فمي درا وقال لي احتكم في مالنا ان الكريم كريمي

فاسرع الى ما عرضته عليك من الشجاعة لتنجوا بنفسك من المهالك
وتكون في النعيم المقيم والعيش السليم فقال عبد الرحمن لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله اتدعوني من الهدى
الى الضلالة ومن الايمان الى الجهالة وانا ممن وقر الاسلام في قلبه
وعرف رشده من غيه وصدق نبيه وبغض من كفر بربه
فدونك والقتال ان اردت وتقدم الى حتفك ان عزمت على ذلك
حتى اضربك ضربة اعجل بها حمامك وارغم بها انفك وتستريح
العرب من ان ينسب اليها مثلك لانك من عبدة الصلبان فغضب
جبلة بن الايهم من كلام عبد الرحمن وصمم بالسنان عليه يريد
يطعنه فراغ عبد الرحمن عن الطعنة وجعلا يتقارعان بالقناتين
كلا وتخلا عبد الرحمن عن قناته ودحاها عن يده وانتضى سيفه
والتقيا في ساحة الحرب وزعق عبد الرحمن بجبلة وضرب راس رمحه
فبراه ورما جبلة باقي الرمح من يده وانتضى سيفه من غمده وكان من
سيوف كندة من بقايا قوم عاد كانه صاعقة ما ضرب به شيا الا براه
فلما انتضى سيفه وحمل على عبد الرحمن وحمل عبد الرحمن عليه
قال رافع بن عميرة الطاي فعجبنا من عبد الرحمن ومنازلته وضاع
الامر بينهما والتقيا بضربتين فسبق عبد الرحمن بالضربة احدهما
جبلة بحجفته فقطع السيف الدرقة ووصل الى البيضة فنثلم سيف
عبد الرحمن فيها لانها كانت ذات سقاية فجرح جبلة جرحا سالما

دمه وعاطفه جبلة بضربة فقطعت ما كان على عبد الرحمن من الدروع
والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحه جرحا سال دمه فلما احس
عبد الرحمن بالضربة ثبت نفسه واورى قرنه ان الضربة لم تصل اليه
وقهقر جواده حتى لحق بخالد والمسلمون فلما وصل اليهم قال له
خالد ما وراك يابن الصديق قال قد وصل الي عدو الله بضربة فاظهرت
له ان ما لحقني فبكى عليه خالد رضي الله عنهما والمسلمون واخذوه عن
فرسه وشدوا جرحه قال خالد يابن الصديق ان جبلة قد المك جرحه
فوحق ابيك لافجعنهم بصاحبهم كما انه جرحك ثم صاح خالد بالعبد
همام وقال قدم العلج الي فقدمه اليه فرمى براسه عن جسده ونظروا
الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد رضي الله عنه فجعهم ذلك فغضب
جبلة بن الايهم وقال ابيتم الا الغدر وصاح بالروم والارمن وحرضهم
على القتال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقتلوهم ولا تبقوا
عليهم واجتمعت الروم المتنصرة وقدموا الصلبان للحملة ونظر خالد
الى القوم وقد عزموا على الحرب فصاح خالد يا همام قف بازاء عبد الرحمن
وامنع عنه من اراده ثم قال لاصحابه لا يخرج منكم احد عن صاحبه
وكونوا حولي فما اسرع الفرج والنصر من الله تعالى فوقفوا اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم حول خالد كما امرهم وما فيهم الا ايس من نفسه
وحملوا الروم على المسلمين فثبتوا لهم المسلمين وعظم بينهم القتال
وصعب الضرب والنزال قال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد
كلما كرت الخيل علينا التقاها وازاحها عنا بسيفه ولم يزل كذلك
الى ان عظم بيننا وبينهم الحرب ولم نجد الى الخلاص من سبيل ٥
واخذنا العطش واشتد علينا الحر والعرق قال رافع بن عميرة الطاي
فلما رايت ذلك قلنا لخالد يا ابا سليمان نزل القضا بنا قال والله لقد
صدقت لاني نسيت القلنسوة التي لي في العسكر ولم اصحبها معي
ولقد كانت لي بركة عظيمة في الشدايد والله ما نسيتها الا للقضا
المنزل قال فعظم عليهم واعازهم الصبر واخذهم الانبهار
وانكنوا الى الفرار واتى المشركين الدمار واضرمت فيهم الحرب
نار والسيوف تلمع والروس من الرجال تقطع والارض قد مليت
قتلى والمسلمين بين يدي الروم كالاسرى قال والقوم في اشد القتال

والسيف يلمع في الرجال اذ نادى بهم منادي وهتف بهم هاتف
جا الامن ونصر الخايف يا حملة القران قد جاكم الفرج من عند
الرحمن ونصرتم على عبدة الاوثان والصلبان وقد عملت السيوف
البواتر وبلغت القلوب الحناجر وكل بطريق لقرينه صابر
ودارت على الروم الدواير واخذ الناس الحر والعطش وكل
قرن لقرنه قد بهش والقتال لصاحبه قد دهش قال الواقدي رحمه الله
بلغني عن ابي سلمة الحضرمي عن ابيه قال كنت مع ابي عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه في وقعة اجنادين وغيرها وشهدت معه قنسرين وغيرها
وذلك انه ما راينا في طريقنا الا الخير والنصر فبينما نحن على شيزر
وابو عبيدة في مضربه في بعض الليالي واذا به قد خرج من المضرب
وهو يصيح بالمسلمين وينادي النفير النفير فقد احيط بفرسان
المسلمين قال فاسرعنا اليه من كل جانب ومكان وقلنا ما
الذي نزل بك ايها الامير قال كنت الساعة نايما اذ طرقني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزجرني وقال معنفا يابن الجراح
اتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق خالد فقد احاطوا اللئام
به قم فانك تلحق به ان شا الله تعالى قال الواقدي فلما سمعوا
المسلمون قول ابي عبيدة تبادروا الى لبس السلاح وركبوا عربا
بغير سرج واسرعوا يريدوا خالد ومن معه فبينما ابو عبيدة على
المقدمة في اوايل الخيل اذ نظر الى فارس يسرع امام القوم
يريد خالد ومن معه فبينما ابو عبيدة كذلك فرا الفارس
يكر في سيره كرا فامر رجالا من المسلمين يلحقوه فلم
يقدروا على ذلك لسرعة جواده قال فظننت انه ملك من
ملايكة الله تعالى قد ارسله امامنا قال الواقدي رحمه الله تعالى فلما
دلت الخيل عن ادراكه نادى ابو عبيدة على رسلك ايها الفارس
المجد والبطل المكرار رفق بنفسك رحمك الله فوقف حين سمع
الندا فلما قرب ابو عبيدة منه واذا هي ام تميم زوجة خالد فلما
عرفها قال يا ام تميم ما الذي حملك على المضي قبلنا قالت ايها
الامير اني سمعتك وانت تصيح وتضج بالندا ان خالد قد احاطت
به الروم فقلت في سري ان خالد لا يضام ابدا ومعه ذوايب المصطفى

صلى الله عليه وسلم اذ جاءت مني التفاتة فنظرت الى القلنسوة وقد
نسيتها فاخذتها واسرعت في سيري بها اليه فقال ابو عبيدة اما انتي يا ام تميم
لطلقي فسيري على بركة الله وعونه قالت ام تميم فلقد كنت في جماعة
نسوة من مذحج وغيرهن والخيل تطير بنا حتى اشرفنا على الغبرة والقتال
والاسنة تلوح كانها كوكب وما للمسلمين حس يسمع فانكرنا ذلك
وقلنا ان القوم قد وقعوا بهم عدوهم فكبر ابو عبيدة ومن معه وحمل
عليهم قال رافع فبينما نحن قد ايسنا من انفسنا اذ سمعنا التهليل والتكبير
فقلنا قد اتانا الفرج من الله تعالى فلم يكن الا قليلا حتى احاط جيش المسلمين
بعسكر الكافرين ووضعوا فيهم السيف من كل جانب وعلت الاصوات
وارتفعت الضجات قال مصعب بن محارب فرايت عباد الصليب
وكانهم هاربين منا ورايت خالد وهو ثابت متشوق الى الاصوات
من اين هي واذا بفارس قد خرج من القتام وهو يهزم الروم هزما حتى
ازاح من كان حولنا فاسرع خالد اليه وقال من انت قالت انا زوجتك
ام تميم يا ابا سليمان قد اتيتك بالقلنسوة المباركة التي تنتصر بها
وتتوسل بصاحبها الى الله عز وجل فيستجيب دعاءك خذها اليك فوا
الله ما نسيتها الا لهذا الامر ثم سلمتها اليه فلمع من ذوابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم نور كالبرق الخاطف قال مصعب فوحق عيش
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وضع خالد القلنسوة على راسه وحمل
على القوم الا وانقلب اولهم على اخرهم وحملوا المسلمون فما كان
غير بعيد حتى ولت الكفرة الادبار ونزل بهم الدمار من اصحاب
محمد المختار ولم يكن في القوم الا قتيل او جريح او اسير وكان جبلة
اول منهزم والمتنصرة في اثره فلما رجعوا المسلمون من اتباعهم
واجتمعوا حول راية ابي عبيدة فاقبل خالد واصحابه وسلموا على
ابي عبيدة وعلى المسلمين فشكر الله لهم على سلامتهم واقبل خالد
واصحابه وكانه قطعة ارجوان الخمر فصافحه وقال لله درك
يا ابا سليمان فلقد شفيت العليل وارضيت الجليل ثم قال ابو عبيدة
ايها الناس قد رايت من الراي انا نسير من وقتنا هذا فنغير
على اهل قنسرين وحاضرها فقالوا المسلمون نعم الراي يا امين الامة
قال فانتخب ابطال المسلمين وجعلهم في المقدمة مع عياض بن غنم الاشعري

الى ان اشرفوا على قنسرين وحاضرها فشنوا الغارة وسبوا الذراري
وقتلوا الحامية فلما راوا اهل قنسرين ذلك غلقوا ابواب مدينتهم
واذعنوا بالصلح واداء الجزية فاجابهم ابو عبيدة الى ذلك وكتب
لهم كتاب الصلح وافرض على كل راس اربع دنانير وهي ثمانية
واربعون درهما صرف اثني عشر درهما بذلك امرهم عمر بن
الخطاب قال حدثني عبد الملك بن محمد بن ابي عبد الله عن سليمان
بن علي قال كنت في جملة من سبي في حاضر قنسرين فلما بعث
ابو عبيدة بالخمس والسبي الى عمر بعثني فيمن بعث فلما عرضنا
على عمر سمعته يقول لجلسائه اني ارى من الراي ان نجعل هذا السبي
في المكتب فيتعلمون يعني الرجال منا وكان قد دفع السبي الى
زيد بن ثابت وكان قد ولاه ليقسم فادخل السبي الى دار ابنة
الحرث الانصاري وكذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايام ابي بكر وايام عمر رضي الله عنهما قال فلما فتح الله قنسرين
والحاضر على يد ابي عبيدة والمسلمين صلحا والحاضر عنوة وغنموا
المسلمين وبعث الخمس الى عمر رضي الله عنه قال ابو عبيدة للمسلمين
اشيروا على برايكم رحمكم الله تعالى وان الرسول صلوات الله
وسلامه عليه قال المستشار مؤتمن وقال الله عز وجل لنبيه
وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
نسير الى حلب وانطاكية وملكها ام نرجع الى ورائنا فقال
خالد ايها الامير وكيف نسير الى حلب وانطاكية ونشتغل
بقتال هرقل وجيوشه وهذه ايام الصلح التي بيننا وبين اهل شيزر
وحماة والرستن وحمص وجوسية قد انقضت ولا شك انهم
اخذوا الة الحصار واوقروا بلادهم بالاطعمة والجيوش ونخشى
انهم يشعثوا ما اخذناه من البلاد ويغاروا عليه ولاسيما بعلبك
وتحصينها فانهم اولو شدة وباس وعدد وعدد ونرى من الراي
انا نرجع نقاتلهم فلعل الله تعالى ان يفتحهم على ايدينا قال
فاستصوبوا رايه ورجعوا على طريقهم فوجدوا البلاد قد تحصنت
كما قالوا بالعدد والعديد والحنطة والشعير ولم يكن لابي
عبيدة قصد غير حمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعدد وقد

بعث لها الملك بطريقا من اهل بيته من اهل الشدة والباس في عسكر عرمرم
فلما نظر ابو عبيدة الى ذلك ترك خالد على حصارها وتوجه الى بعلبك
فلما قرب منها نظر واذا هم بقافلة عظيمة هايلة فيها جمع من الناس
والبغال والحمير والدواب وعليها من انواع التجارات وقد اقبلوا اهل
القافلة من الساحل يريدون الى بعلبك فلما نظر ابو عبيدة والمسلمون
الى سوادها من البعد قال ما هذا العسكر والجمع امامنا فقالوا الله اعلم
لنا بذلك قال لهم علي بخبرهم فسارت الخيل واخذت اخبارهم ورجع
بعضهم الى بعض بخبر وانها قافلة من قوافل الروم محملة متاعا
قال شداد بن عدي التنوخي وكانت احمال القافلة سكر وكانت
لاهل بعلبك فلما سمع ابو عبيدة ذلك قال اهل بعلبك لنا حربا وليس
بيننا وبينهم عهد خذوا ما ساق الله لكم فانها غنيمة من عند الله
قال فاخذنا القافلة وفيها اربعماية حمل من السكر والقند والتين
وغير ذلك واخذنا اهلها اسرى فقال ابو عبيدة كفوا عن القتل واطلبوا
منهم الفدا ثم بعناهم انفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب
واخصبوا رجالنا من الحلاوة وصنعنا العصيد والفالودج والسمن
والزيت ودعص المسلمون فيه دعصا وبتنا حيث حوينا القافلة
واخذها فلما اصبحنا امرنا ابو عبيدة بالمسير الى بعلبك وهجموا عليها
وقد كانوا قوم من القافلة هربوا فصيحوا اهلها واخبروهم عن القافلة
واخذها قال الواقدي رضي الله عنه وكان على بعلبك بطريق عظيم
يقال له هربيس وكان شديد الباس فلما اتاه الجيش جمع رجال المدينة
اليه وامرهم بلبس السلاح والعدة وسار على مقدمتهم يريد
بن عمه ان يستنقذ القافلة فجعل يسير وهو لا يعلم ان ابي عبيدة
سابر بجيوش المسلمين اليه فلما انتصف النهار نزل الجمعان
وكان هربيس في ستة الاف فارس سوى من تبعه من اهل السواد
بعلوم البلد فلما نظر اليهم هربيس وراى طلايع ابي عبيدة
نادوا النفير النفير العدو العدو فعند ذلك تبادرت الابطال
وتسارعت الفرسان وتقدمت الشجعان من العرب وشرعوا الاسنة
وجردوا السيوف وزحف هربيس واصحابه وعباهم تعبية الحرب
فقالوا له البطارقة ما انت صانع بالعرب قال انا اقاتلهم لئلا يطمعون

فينا وينزلون على مدينتنا قال له البطريق لا تقاتل وارجع فان اهل
دمشق ما قدروا على قتالهم ولا جنود اجنادين ولا جيوش اهل
فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية وما جرى بالامس مع صاحب قنسرين
ومع امثالهم من العرب المتنصرة وصاحب عمورية وقد ردوهم هولا
على اعقابهم منهزمين والصواب انك لا تغتر بمن معك وارجع
سالما فقال هربيس لست افعل ذلك ولا انهزم امام هولا العرب
المسلمين وقد بلغني ان عسكرهم الكثير على حمص مع الامير الذي
كان قبل هذا اعني خالد وهذه غنيمة قد ساقها المسيح الينا فقال
البطريق اما انا فليس اتبع هواك ولا ارايك ولا اغرر بمن معي ثم ولا
راجعا الى بعلبك وتبعه كثير من القوم واما هربيس فانه زحف
الى المسلمين هو ومن معه فلما راهم ابو عبيدة وانهم معولون
على الحرب رتب المسلمين كتايب ومواكب وقال ايها الناس
رحمكم الله تعالى اعلموا ان الله تعالى قد ايدكم بنصره حتى هزمتم جنود
هولاء القوم وهذه المدينة التي انتم قاصدون لها هي وسط ما افتتحتم
لها من البلاد واهلها قد اكثروا من الزاد والعدة والقوة واياكم
عن العجب وانظروا عن اي دين تقاتلون ولاي شي تصيرون
فدونكم والقتال واعلموا ان معكم الله يويدكم وينصركم
ثم حمل ابو عبيدة وحملوا المسلمون فقال عامر بن ربيعة فوعيش
عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بيننا وبينهم اكثر
من جولة الجايل حتى ولوا الادبار يطلبون المدينة ودخل هربيس
مع اصحابه الى المدينة وفيه سبع ضربات فتلقاه البطريق وقال له
اين غنايم العرب التي غنمتموها فقال له هربيس بحق المسيح اتسخر
بي وقد قتلت من العرب رجالا وجرحوني هذه الجراحات فقال له
البطريق الم اقل لك انك تهلك قومك قال وان ابا عبيدة سار
حتى نزل على بعلبك فنظر الى مدينة هايلة وحصن حصين
والقوم قد غلقوا ابوابها وجروا مواشيها في جوفها وعلوا على سورها
وشدة بردها وذلك انه بلد بن ايدة البرد لا في الشتاء ولا في الصيف
فقال ابو عبيدة لخواص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل
الراي والمشورة من المومنين فقال ايها الناس شيروا علي برايكم

رحمكم الله تعالى فاجتمع راي القوم على راي واحد ان يناز لوهم
ويضيقوا عليهم فقال معاذ رضي الله عنه اصلح الله الامير اني اعلم
ان القوم في المدينة يزحم بعضهم بعضا من كثرتهم وما اظن
ان المدينة تسعهم وان طاولناهم رجونا من الله تعالى فتحها على
ايدي المسلمين ولقد نزل الله بوراثة ارضه لعباده الصالحين ثم قرا
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون فقال ابو عبيدة يا ابن جبل ومن اين لك علمت ان القوم
متضايقون فقال ايها الامير اني كنت اول من اشرف على القوم
فاشرفت على هذه التلعة البيضا ورجوت ان يلحقوا بهم سوابق الخيل
فتحول بين القوم وبين المدينة من جميع الابواب مثل السيل اذا جرى
في الاودية والمدينة متعصية باهلها من السواد والقرايا ومع ذلك
ان مواشي القوم معهم ودوابهم فيها قد ضيقت عليهم في هذه الاوقات
القوم في المدينة كانها النحل من كثرتهم فقال صدقت يا معاذ
وايم الله ما عرفتك الا ناصحا مباركا ذا راي سديد في المشورة
وبالله استعين وله نسال التوفيق والتسديد قال وبات المسلمين
ليلتهم يحرس بعضهم بعضا حتى اصبح الصباح فلما اصبح ابو عبيدة
كتب الى اهل بعلبك كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من امير جيوش المسلمين بالشام والعامل عليهم وخليفة امير
المومنين عليهم ابو عبيدة عامر بن الجراح الى اهل هذه البلدة من
المخالفين والمعاندين اما بعد فان الله وله المن والطول قد اظهر
الدين واعز اولياه المومنين على جنود الكافرين وفتح عليهم
البلاد واباد اهل العناد وهي معذرة بيننا وبينكم وتقدمه الى
كبير وصغير لانا قوم لا نرى البغي في ديننا ولا الغدر وما
كنا نقاتلكم او نعذر اليكم او نعلم ما عندكم فان دخلتم
فيما دخل فيه اهل المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم
وان اردتم الذمام اذممنا لكم وان ابيتم الا القتال والحرب
استعنا عليكم بالله وحاربناكم فاسرعوا الجواب والسلام على
من اتبع الهدى والحق والصواب ثم كتب انا قد اوحي الينا
ان العذاب على من كذب وتولى وطوى الكتاب واعطاه [illegible]

من المعاهدين وامره ان يسير الى مدينة بعلبك ولا يبرح الا بالجواب
وضمن له من مال المسلمين عشرين دينارا وقال ما كنت استخدم
احدا الا بالاذن او جعل فاخذ المعاهد الكتاب واتى به السور
وخاطبهم وبلغهم اني رسول اليكم فدلوا اليه حبلا فربطه في وسطه
فاخذوه القوم اليهم واتوا به الى هربيس فسلم عليه وناوله الكتا ب
فجمع اليه البطارقة والملوك واهل الحرب وقرا عليهم الكتاب
عن سفيان بن خرجة بن عوف المازني وكان ممن حضر الشام
من اوله فقلت وكيف قرا هربيس كتاب ابي عبيدة قال اتخذ
كاتبا يكتب متى اراد الى الروم بلغتهم وبقلمهم وكان اسمه
مرقس بن كوركك او جرجيس والله اعلم فلما قرا هربيس الكتا ب
على قومه قال اشيروا علي برايكم فقال له البطريق صاحب المشورة
انا نرى من الراي ان لا نقاتل هولاء العرب لانه ليس لنا بهم
طاقة ومتى صالحناهم كنا في امن وخصب ودعة كما قد صاروا
اهل اركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق ومن صالحهم
وان قاتلناهم واخذونا في الحرب يقتلوا رجالنا واستعبدوا اصغار نا
والصلح اوفق لنا فقال هربيس لا رحم المسيح جدك فما رايت
في الروم اجبن منك ولا اقل جلدا وكيف تامرنا ان نسلم مدينتنا
لاوباش العرب ولا سيما اني قد عرفت قتالهم واختبرت نزالهم
واني حملت في جانب عسكرهم في الميمنة فلو حملت معي لكنت
قد هزمتهم فقال البطريق اذا كانت الميمنة تخاف منك وتشايموا
ثم افترقوا اهل بعلبك فرقتين فرقة تطلب الصلح وفرقة يطلبوا
القتال ورما هربيس الكتاب من يده بعد ان مزقه وامر غلمانه
ان يدلوا المعاهد الى ظاهر المدينة فاتى الى ابي عبيدة وحدثه
بما كان من القوم وقال ان اكثر القوم قد عولوا على قتالك
فقال ابو عبيدة للمسلمين شدوا عليهم واعلموا ان هذه
المدينة في وسط بلادكم فان بقيت كانت وبالا عليكم
وعلى من صالحكم قال فلبسوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
السلاح وتقدموا وغطغطوا عليهم اهل بعلبك وتقاتلوا وعدو
الله هربيس قد نصب سريرا على برج عظيم من ناحية الارحية والزرا ده

وقد درع بدرع مذهبة وعلى شواعه الذهب وعلى راسه صليب من
الجوهر وحوله الروم وفي اعناقهم الصلبان من الذهب والجوهر
وبايديهم القسي والسهام قال عامر بن وهب اليشكري
شهدت حرب بعلبك وقد دنونا الى سورها ونشاب الروم
كالجراد المنتشر واناس من العرب بغير سلاح فاصابهم سهام
القوم ورايت قوما من الروم يتساقطون علينا من السور
كسقوط الطير على الحب فاهويت الى رجل ممن سقط بالسيف
لاضربه فصاح لغون لغون فقلت يطلب الامان فقلت ويلك لك
الامان فما الذي القاكم الينا من سوركم فجعل يكلمني بالرومية
ولا ادري ما يقول قال عامر بن وهب فسحبته سحبا الى خيمة ابي
عبيدة وقلت له اصلح الله الامير من يعرف طمطمة هذا العلج فاني
رايتهم يرموا بعضهم بعضا فقال ابو عبيدة للترجمان قل له
يا ويلك قد اعطيناك الامان فما لهم يرموا بعضهم بعضا فقال
له الترجمان ذلك فقال ان بعضنا يرمي بعضا لانا اهل السواد
والقرى لما سمعنا بمسيركم ورجوعكم من ارض قنسرين
لحشرنا من البلاد الى هذه المدينة لنتحصن فيها لما نعلمه من
تحصين سورها ونحن نقصدها لكثرة ما بها فضيق بعضنا على
بعض وسددنا طريق المدينة ومضى خلق منا الى السور اذ ليس
لنا موضع ناوي اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج لنا مسكنا
فلما زحفتم للقتال برز اليكم اهل الحرب من اهل المدينة فجعلوا
يدوسونا فاذا اشتد عليهم الحرب وقطعهم الحجارة والنبل من
عسكركم يدفع الرجل منهم الرجل منا فيرموه اليكم فلما
سمع ابو عبيدة رضي الله عنه ذلك فرح وقال انا نرجوا من الله تعالى
ان يجعلهم لنا مغنما قال واخذت الحرب ماخذها وطحنت
رجالها وعلا الضجيج واحتموا الروم برؤسهم وسورهم فلم يقدر
احد من المسلمين ان يقرب اليهم من السهام وحجارة
العرادات والمنجنيق والارجنة والسكك والحديد قال غيات
بن عدي الطائي حاربنا اهل بعلبك في اول يوم فاصيب
من المسلمين اثني عشر رجلا وقتل منهم رمش ووقع عن سورهم

خلق كثير من اهل الحرب وغيرهم ثم انصرفوا المسلمون الى رحا لهم
وما لنا همة في طعام ولا شراب ولا يريد احدنا الا اصطلا بالنار
من شدة القر فبتنا ليلتنا نوقد النار والحرس شديد ونعلن
بالتهليل والتكبير الى الصباح فلما صلينا صلاة الصبح نادى
منادي ابي عبيدة عزيمة من الامير على رجل برز من رحله الى حرب
هولاء حتى يتغدا في رحله ويصلح لداد امامنا ليكون ذلك
اشد لقتال عدونا قال فابتدانا الا صلاح امورنا ونظر اهل
بعلبك الى تقاعدنا عن حربهم وقتالهم فطمعوا فينا وظنوا ان
ذلك فشلا منا وعجز فصاح فيهم هربيس لعنه الله اخرجوا اليهم
قال غيات فلم نشعر الا والابواب قد فتحت والخيل والرجال قد خرجت
كالجراد المنتشر وان بعضنا قد مد يده الى الطعام وبعضنا قد
اكل واستكفى فاذا بالمنادي ينادي يا رجال الله اركبوا الله الله
النفير النفير قبل ان يدهمكم العدو قال حمدان بن اسيد
الحضرمي فكان لي قرص قد خبزته لاصحابي وقدمت من الزيت
والملح لنجعله اداما للقرص واذا بالنفير قد وقع قال فوالله
ماراعنا ذلك حتى بططت بسطت من الملة واخذت منه قطعة
فغمستها في الزيت واهويت بها الى فمي لاكل فاذا انا بابي عبيدة
قد ضرب يدي بمخصرته وهو يقول اطعمك الله من طيبات الجنة
فقمت مسرعا فاستويت على فرسي عريا من دهشتي لسرعة
الاجابة وضربت بيدي على عمود من عمد الخيمة وحملت على الروم
فوالله ما شعرت بنفسي ولا عقلت بما صنعت حتى صرت في اوساطهم
واذا هم قد هجموا علينا في عسكرنا وقد خيل الي من كثرتهم
انهم كقطع الليل المظلم او كقطع السحاب المتراكم فجعلت
اخطم فيهم بالعمود حطما حتى فرجوا ونظرت خيول
المسلمين متفرقة وان ابا عبيدة قد نصب رايته والناس
يهرعون اليها وان المشركون في وسط عسكرنا وابو عبيدة
ينادي يا فتيان العرب اليوم اليوم ان تلوا لجمعهم استلبوا منا
ولخذلوا عليكم ولا ترون منكم قتيلا ولا ضعيفا واحذروا
ان يذكركم وتشتهر الاخبار عنكم ان اهل بعلبك غلبوكم

علي نسوانكم واهليكم واخذ واما في عسكركم قال مطرف
بن عبد الله التميمي كنت في يوم حرب بعلبك وانا معاشر
بني تميم اكثرنا رجالة وقد صاح بنا صايح يا ال تميم يا ال تميم
والقينا علي القوم في اوايل الناس وتبادرت القبايل وتداعت
العشاير وكل قبيلة تنتمي باصلها ونظر ابو عبيدة الي شدة صياح
الروم علي حرب المسلمين فحمل علي الخيل وجال بالروم وكان
في جملة خيله عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق
وربيعة بن عامر العامري ومالك بن الاشتر النخعي وضرار بن
الازور وذو الكلاع الحميري فلقد صنعوا في الروم كما تصنع النار
في الحطب ولم ياخذوا الروم من حريم المسلمين ولا امنا ولا د هم
احد وانما سلبوا رحالا واثاثا ودخلوا القوم الي المدينة وغلقوا
الابواب وقد طمعوا في المسلمين واجتروا علي حربهم فلما نظروا
المسلمون الي ذلك من فعالهم رجعوا الي عسكرهم واضرموا
نيرانهم وشدوا كلومهم وعالجوا جراحاتهم ودفنوا من استشهد
منهم وكان جملة من قتل اول يوم في حال الكبسة من المسلمين ص
زياد بن عامر الحضرمي وسعيد بن العلا والقارع بن سلمة والقيا
بن واثلة ومحكم بن سعد وناقد بن اسلم ومجلي بن عامر بن
الليث الفزاري وبدر بن عاصم ثمان رجال واثني عشر رجلا
من مواليهم فلما اقبل الليل اجتمعوا روسا المسلمين وعظما الموحدين
الي ابي عبيدة وقالوا استشهد منا والقوم لا بد لهم غدا من حرب
ونزال ومبادرة لقتالكم وقد رايت ان تبعد احبابكم من المدينة
مقدار شوط فرس ليكون ذلك مجالا لخيولنا وسعة لحربهم
والنصر من عند الله ثم دعا ابو عبيدة بسعيد بن زيد بن نفيل العدوي
وعقد له راية في سواد الليل وامره علي خمسماية فارس وثلثماية
راجل وامرهم ان يهبطوا الوادي ويقاتلوا القوم علي باب الخيلي
ويشغلوهم عن المسلمين ليتفرق جمعهم ويصيرون اشتاتا
وقال اوصيك بمن معك خيرا فقال سعيد بن زيد ايها الامير
انا اكفيك ان شا الله تعالي ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم دعا ابو عبيدة بضرار بن الازور وعقد له راية علي ثلثماية فارس

ومائتي راجل وسرحه الي باب الشام وامره بمحاربة القوم فسار
الي حيث امره ابو عبيدة واصبحوا المسلمون فصلي بهم ابو عبيدة الفجر
مغلسا ولبسوا سلاحهم فلما كادت الشمس ان تطلع فتح باب المدينة
الاعظم وهو الذي كان ابو عبيدة عليه نازل وخرجت الرجال للقتال
وكان ابو عبيدة قد صف اصحابه صفوفا فهم ينظرون الي كثرتهم
ومن يخرج من المدينة وابو عبيدة يشاور اصحابه في حربهم والقوم
يتكاملون حول بطريقهم وهو يقول معاشر النصرانية اهل الدين
من قبلكم قد فشلوا عن قتال هولا العرب ونكلوا عن حربهم
وانتم قد وهبتم انفسكم للمسيح ومع ذلك فانتم تحامون عن دينكم
واهليكم وحريمكم وذراريكم ودياركم فقالوا عظما القوم ايها
الصاحب طب نفسا وقر عينا فكنا نفزع من العرب قبل ان نقاتلهم
ونختبرهم والان فقد عرفناهم وعرفنا قتالهم وعلمنا قوم انهم
اذا صدقوا الحرب لم يكونوا باشد منا فيها ولا اصبر منا عليها معما
ان الرجل منهم يبرز منهم للحرب وليس عليه سلاح وانما علي احدهم
ثوب يستر جسده او فروة وان العرب الفقر شعارهم والذلة
دثارهم ونحن قوم علينا الدروع السابغة والجواشن المضاعفة
والبيض المحكمة والحرير الظاهر بين ذلك وقد تيقنا ان سلاحنا
امضي من سلاحهم ومع ذلك انا نقاتل قتال الموت فكونوا ابنا نحوهم
فلما نظر ابو عبيدة الي كثرة القوم نادي برفيع صوته معاشر
المسلمين لا تفشلوا فيذهب ريحكم وتسقط هيبتكم فتضرب الرجال
بكم الامثال ان اهل بعلبك هزموكم وسفكوا دماكم واصبروا
فان الله وعد الصابرين خيرا فقالوا ايها الامير لنبذلن المجهود
ونقتل كراما ثم ان القوم داخلهم لما كان قد لحقوه من عزم
المسلمين في امرهم قال سهيل بن صباح العبسي شهدت بعلبك
وقد خرجوا الينا اهلها في اليوم الثاني وهم اطمع ما كانوا فينا
وقد صمموا بالحملة علينا وقد كان اصابني جرح في عضدي الايمن
وما اطيق ان احرك يدي ولا احمل سيفا فترجلت عن جوادي
وخرجت من بين اصحابي ثم قلت لان قصدني احد ممن هو لا
الاعلاج لم يكن لي غنا ادفع عني فعطفت الي ذروة جبل فعلوته

واشرفت على العسكرين وجعلت انظر الى حربهم وقد لمعت الروم
في العرب والمسلمون ينادون بالصبر وابو عبيدة يوعدهم النصر
من الله تعالى وانتخبت القبايل وافتخرت العشاير فوالله اني على الجبل
من ورا حجر انظر الى ضرب السيوف على البيض والشرر يظهر
من شفارها وقد التحموا الفريقان واختلطوا الجمعان فقلت في نفسي
يا ويحي ما عسى ان انفع للمسلمون ويجمع سعيد بن زيد وضرار بن الازور
الى نصرة المسلمين والامير في هذا الجيش من الحرب وقتالهم من عظم
حرب عدوهم وما يلقونه فاسرعت الى حجر اثير الشجر اكسرها
واعبي الحطب وعمدت الى زناد كان معي فاوقدت نارا واضرمت
الحطب حتى اشتعل ثم عبيت عليه حطبا اخضر وجعلته على اليابس
حتى طلع دخانه وقد كانت علامتنا اذا اردنا ان يجتمع بعضنا الى
بعض بارض الشام بالليل وقود النار وبالنهار الدخان قال فما
هو الا ان علا الدخان وتصاعد في الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد
واصحابه وضرار بن الازور واصحابه فنادى بعضهم بعضا ادركوا
الامير رحمكم الله تعالى فان هذا الدخان ما هو الا لشي عظيم
والصواب ان نكون في موضع واحد وجعلوا القوم يسرعون على خيولهم
حتى اشرفوا على المسلمين فوجدوهم في اشد الحرب واعظم الكرب
والسيوف تلمع والروس من الرجال تقطع والبر قد عاد لهم بحرا
وكلامهم قد انتقل بعد السر جهرا وقد عظم عليهم الامر وعازهم
الصبر وارتفع النهار واخذهم الانبهار واتى على المشركين الدمار
واضرمت فيهم للحرب نار وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت
السيوف البواتر وكل بطل لقرنه قد بهش والقنا لصاحبه قد دهش
ونادى فيهم منادي الخذل الوافر لكل كافر وجا النصر من
عند الرحمن على عبدة الصلبان فبرز ضرار وسعيد في اول
القوم وقد القوا اسنتهما وانتضيا سيوفهما والارض من تحتهما ترتج
والروم قد ايقنوا بانهم الغالبون واعدوهم قاهرون اذ ظهرت
عليهم رايات المسلمين وكتايب الموحدين فالتفتوا ينظرون
ما الخبر واذا بالمسلمين من ورايهم وقد حالوا بينهم وبين نسايهم
وذراريهم وصبيانهم فايقنوا بالويل والخزي الطويل وظنوا انه

الرماح

قد اتا المسلمين مدد وقد غرهم البطريق فلما نظر صاحبهم
هربيس الى شدتهم زعق بهم وقال يا ويلكم لا ترجعون الى البلد
فقد حيل بينكم وبينها وان هذه مكايد العرب فلما سمعوا الروم
ذلك احاطوا ببطريقهم كالحلقة المديرة تحمي بعضهم بعضا
فعدل بهم البطريق ذات الشمال نحو الجبل وكان سعيد وضرار
قد اقبلا بجيشهما من ميمنة الحصن فجعلوا المسلمون يتبعون
اثارهم حتى طلعوا الجبل والتجوا الروم الى ضيعة في الجبل خالية من
اهلها فاستندوا القوم اليها جانبها وتحصنوا بها وكان الذي
تبعهم وصعد الجبل خلفهم سعيد بن زيد الحميري في
الخمسماية الذين كانوا معه وذلك ان ابي عبيدة لما راى
هزيمة الروم باجمعهم وشدة حمايتهم لانفسهم نادى معاشر
المسلمين لا يتبعهم احد فاني اخشى منكم ولا يفترق منكم
احدا فاني اخشى ان تكون هزيمة القوم مكيدة لكم حتى
اذا تفرق جمعكم رجعوا اليكم وان سعيد بن زيد لم يكن
يسمع الندا من ابي عبيدة ولو سمع لما تبع القوم ولا سار ورا
لكن ظن سعيد ان المسلمين باجمعهم سيلحقوه ويتبعوا اثره
فلما تحصن هربيس البطريق وعظما رجاله بالقرية قال سعيد
بن زيد هذه الطايفة قد اراد الله هلاكها فدوروا بهم وحاصروهم
من كل جانب ولا تدعوا احدا منهم يطلع الى ان يلحقوا بكم
المسلمين او تاتيكم راية ابي عبيدة ثم اقبل على رجل من عظما
المسلمين وقال اخلفني حتى ارى ما يرى الامير في هولا الاعلاج
ثم اخذ زهاء عشرين من اصحابه حتى اتى جيش المسلمين
فلما نظروا اليه ومعه عشرون فارسا قال ابو عبيدة انا لله وانا
اليه راجعون ذهبوا والله المسلمون ثم اقبل على سعيد وقال له يا
يا سعيد اين رجالك وما صنعت بهم فقال له سعيد ابشر ايها
الامير فان المسلمين بخير وسلامة وقد حاصروا اعدا الله والجوهم
الى قرية واخبره الخبر انه لما انطا عليه خبر المسلمين انحدرت
اليك لتعرف اخبارهم وتستطلع رايك فيهم فقال ابو عبيدة
الحمد لله الذي هزمهم عن اوطانهم وازعجهم ثم اقبل على ضرار بن

الازدي وسعيد بن زيد وقال لهما ما هذه المخالفة بها ارتجت ماتلي وقلوب من كان معي وظننت ان من كان معكما من المسلمين قتل وان اهل المدينة اكادوكم وهو الذي منعني ان اتبع المنهزمين حتى طلعوا الجبال فقال سعيد ايها الامير والله ما عصيناك ولا خالفناك واني لو اقف حيث امرتني اذ رايت دخانا قد علا قتامه ولاح لنا بيانه فقلنا هذه والله داهية من الروم او نفير قد اشتد على المسلمين فاسرعنا نحوكم حتى كان الذي رايت وانا خشيت ان اتينا ان يكون مخالفة لك قال ابو عبيدة الله اكبر الله اكبر وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب والله لقد كبست الروم علينا وحملت في عسكرنا حتى لقد قلت في نفسي ياليت شعري يكون لنا صارخا يصرخ لنا بسعيد بن زيد وبضرار بن الازور ومن معهما من المسلمين فيكونوا معنا تعاونا على قتال الروم او طالع يطلع لنا على هذا الجبل فيدخن دخانا لينظرون اليه فيقدمون علينا فقال سعيد بن زيد والله لقد رايت النار في هذا الجبل ومعها دخان قد بلغ عنان السماء فعندها نادى منادي ابي عبيدة في عسكره معاشر المسلمين من منكم اوقد نارا او دخن دخانا على هذا الجبل ٥ فليجب الامير قال سهل بن صباح فلما سمعت النداء من المنادي اتيت الامير وقلت له انا فعلت ذلك فقال لي ابو عبيدة وما الذي جراك على ذلك فقصصت عليه قصتي فقال لي ابو عبيدة لقد وفقك الله الى الجنة فاياك بعدها ان تحدث حدثا من غير اذن اميرك فبينما ابو عبيدة يحدث سهل واذا برجل من المسلمين يحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير ادركوا اخوانكم فقد احاطت بهم الروم وهم في اشد ما يكون من الحرب وذلك ان هربيس البطريق لعنه الله لما نظر الى قلة من احاط به من المسلمين نادى قومه اخرجوا الى هذه الشرذمة اليسيرة التي قد احاطت بنا فاقتلوهم وارجعوا الى المدينة فانكم ان قتلتم هولاء كسرتم بذلك جنة العرب وانصرفوا عنكم قال مصعب بن عدي التنوخي وكنت في يوم بعلبك في جملة اصحاب

سعيد

سعيد بن زيد وقد حمل هربيس البطريق والروم ونحن يومئذ الخمسماية فارس فما شعرنا الا بالبطريق ومن معه قد تبادروا الينا من كل جانب فتنادينا واجتمعنا قال والله لقد شهدت وقايع الشام وقتال الروم فما رايت اشد من الرجال الذين كانوا مع صاحب بعلبك ولا اثبت تحت وقع الحديد ولقد كبوا علينا وانتشروا من حولنا حتى احاطوا بنا بعد ان كنا احطنا بهم فكان شعارنا ذلك اليوم الصبر يعقبه النصر فنحن كذلك في اشد ٥ الحرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملا الجبال ينادي اما من رجل يهب نفسه لله ورسوله ويستنفر لنا المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون ما نزل بنا قال مصعب فلما سمعت الصوت همزت فرسي بعقبي واخميته بسوطي وكان عتيقا يباري الريح طرد فوالله لقد خرج من تحتي كالبرق الخاطف ولم يلحقوا مني الا الغبار بعد ان قتلت انا منهم رجلين ولقد نظرت الى فرسي يثب الصخر ويسلك في الوعر حتى اشرفت على المسلمين فناديتهم بالنفير فلما سمع ابو عبيدة صاح بالرماة فاجابه ماية رامي من اصحاب القسي العربية والنبال الخراسانية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له اسرع رحمك الله تعالى الحق باصحابك قبل ان ياتي العدو ثم دعا بضرار بن الازور بمن معه وقال له اقصد اخاك سعيد فمضوا المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على الجبل واشر على الروم وهم محدقون باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو زيد روق بن عامر الزبيدي وكنت فيمن شهد القتال على الضيعة مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب سعيد بن زيد وقد احاطت بنا الروم وقد صبر لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا بين قتيل وجريح ونحن في شدة وضيق وقد طمعت الروم فينا حتى سمعنا التهليل والتكبير ولحقنا القوم فلما اشرفت رايات المسلمين تراجعت الروم على اعقابها مدبرين الى الضيعة واحاطوا اصحابنا بها فما نرى احدا منهم يخرج راسه من الضيعة حذرا من النبل ورد الخبر الى ابي عبيدة من استشهد من المسلمين ومن قتل من المشركين وان القوم

قد احيط بهم ولزمهم الحصار في مواضعهم وما عندهم زاد ولا
ماء فقال ابو عبيدة الحمد لله الذي جعلهم اشتاتا بعد جمعهم متفرقين
ثم فرق وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم
كانوا في شك مريب ثم اقبل على من معه من المسلمين وقال معاشر
الناس ارجعوا الى اماكنكم واضربوا حول المدينة خيامكم فان
الله تعالى قد اكاد عدوكم وهو منجز لنا ما وعدنا من نصره ثم
قرا ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم فلما
رجعوا المسلمين الى مواضعهم التي كانوا انزلوا بها اول مرة
وضربوا خيامهم ونفذوا واطوا العهم وارسلوا الى المراعي ابلهم وسرحوا
الى الحطب عبيدهم واضرموا النيران في عسكرهم وذهب عنهم الخوف
واتاهم الامن وجعلوا اهل بعلبك يشرفوا على الصور ويصيحون بلغتهم
فقال ابو عبيدة ما يصيحون فقيل له انهم يقولون يا ويلهم ويا خراب
ديارهم ويا فنا رجالهم حين طرقت العرب ديارهم وبلادهم
قال الواقدي رحمه الله تعالى ودنا المسا فارسل ابو عبيدة الى سعيد
بن زيد يقول له اما بعد يا ابن زيد فالحذر الحذر على من معك
من المسلمين واجهدوا رحمكم الله ان لا يفوت من القوم احد
ولا ينفسخون فيهرب واحد منهم فيتبع اولهم اخرهم فيكونوا
كمن حصل في يده شي فاضاعه فلما ورد الى سعيد هذه الرسالة
امر المسلمين ان يحيطوا بالضيعة ولا يخرج الى الحطب الا مانة بالسلاح
ولا يتباعدوا فخرجوا القوم الى الحطب كما امرهم ورجعوا حتى
اكتفوا القوم واضرموا نيرانهم وباتوا في ليلتهم يهللون ويكبرون
وبالضيعة يطوفون فلما نظر هربيس البطريق الى ذلك اقبل
على اصحابه وقال يا ويلكم لقد اسانا التدبير واخطانا في الراي
وما لنا مدد ولا نظير ولو اجتهد والعرب ان يحبسونا في هذا
الموضع ما قدروا على ذلك والان فقد حبسنا انفسنا في حبس ليس
فيه طعام ولا شراب ولا ادام وان دام علينا هذا الامر يوما
تابنا ضعفنا ومات ضعيفنا وهلكت خيلنا وسلمنا انفسنا
نقتل فقالت البطارقة له فما ترى من الراي ان نصنع وما نعمل
قال اني قد رايت من الراي ان اخدع العرب واحتال عليهم

وانا اسالهم الصلح لنا ولاهل المدينة كما طلبوا واضمن لهم ان
افتح لهم المدينة كما طلبوا ونكون في ذمامهم فاذا دخلنا
المدينة حاربناهم على صورنا لعلنا نرسل الى صاحب جوسية
وصاحب عين الجر فلعلهما ان يقدما لنصرنا فيكون القتال خارج ج
المدينة ونحن من الصور او يكفينا المسيح هذه النوبة فقالوا
القوم ايها الصاحب ان صاحب جوسية لا يجيبك الى حرب هولاء
العرب ابدا الا انه مشتغل بنفسه وما يريد ان يلقى العرب ابدا واما
صاحب عين الجر فانه صاحب دين ونهل وليس له خبرة بالقتال ل
ولا له جيش وكل من في عين جر متفرقين في التجارة في اقاصي
الشام وما نظنهم الا في صلح القوم فانظر لنفسك ولنا ولرعيتك
ما يكون فيه الصلاح فلما سمع هربيس قولهم اجابهم الى قولهم
ومرادهم فلما اصبح الصباح قعد هربيس على جدار الضيعة
وقال معاشر العرب اما فيكم احد يعرف كلامي فانا هربيس البطريق يق
فسمعه بعض التراجمة وكان قد صحب سعيد بن زيد فاقبل
عليه وقال ايها الامير ان هذا العلج هو هربيس صاحب القوم
يستدعي كلامك فقال له سعيد ادن منه وانظر ماذا يريد
واسمع ماذا يقول قال فدنا الترجمان منه وقال ما الذي تريد يا هربيس
قال هربيس اريد ان يدنوا مني اميركم هذا من دون اصحابه وانا لطبه
فقال الترجمان لسعيد ذلك قال سعيد لا كرامة له ادنوا منه حتى
يخاطبني وامشي اليه ان كانت له الحاجة فليبرز الي صاغرا حتى
اسمع كلامه واعلم مراده قال فاعلم الترجمان لهربيس بجواب
سعيد وقال الترجمان انا اخذ لك امانا فان العرب لا تغدر
اذا امنت ولا تنقض اذا عاهدت قال البطريق نعم قد تناهت
الينا اخبارهم واتصلت بذلك اثارهم ولكني اريد ان
استوثق لنفسي واخذ عليك عهدا ان تكون في ذمتكم لانه
مامون والامين لا يغدر ولكني اريد استوثق لنفسي ولاصحابي
ولاهل بلدي لانهم قوم لحقهم الجهد وقد اصبنا منهم دما
كثيرا فقال الترجمان انا اعرفه بذلك ثم اقبل الترجمان
على سعيد بن زيد وقال له ان الرجل يريد ان يوجه لك رجلا

من أصحابه يأخذ له أمانا قال سعيد بن زيد دعه يوجه لمن يريد
وأعلمه أن رسوله آمنا حتى يرجع إليه فأعلمه الترجمان فعندها أقبل
هربيس على بطريق من عظماء أصحابه وأكملهم عقلا وقال له يا هذا
إنه قد نزل بنا ما نزل وقد ملكت العرب علينا الطرق وأن بلاد الشا م
قد أذن المسيح بخرابها وهلاكها وقد نصرت العرب على أهلها وإنا في
شدة شديدة وإن لم نأخذ من القوم أمانا هلكنا بالجوع والعطش
وبعد ذلك يتحكمون في بلادنا وحريمنا وأولادنا ويقتسمون أموالنا
وديارنا وليس لنا منجد لأن كل صاحب وبطريق مشتغل بنفسه
عنا وحمص محاصرة والملك مشتغل بنفسه عن نصرتنا فانزل
إلى هؤلاء القوم وخذ لنا منهم أمانا واستوثق منهم حتى أنزل إليهم
فلعل أن تجري بيني وبينهم صلحا ولعلي أقدر أمكر بهم حتى
نرجع إلى المدينة فنقاتلهم ولعل آخذ لي ولكم ولأهل المدينة أمانا نا
على شيء من مالي وأرغب صاحبهم في المال لعله يرغب فينصرف عنا
إلى أن نرى ما يكون بينه وبين الملك قال فنزل الرجل ووقف
أمام سعيد بن زيد وهم أن يسجد له فمنعه سعيد من ذلك
وتبادروا إليه المسلمون فمسكوه ففزع لذلك وقال للترجمان
لم يمنعوني أن أعظم صاحبهم فقال الترجمان لسعيد ذلك
فقال سعيد إنما أنت وأنا عبدان لله تعالى ولا يجوز التعظيم والسجود
إلا لله سبحانه وتعالى فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من
الأمم فقال سعيد ما الذي جاء بك فقال اعلم أني قد جئتك
آخذ منك أمانا لبطريقنا وليس من أخلاق الأمراء ومن يقود الجيش
أن يغدر بعد الأمان فقال سعيد لسنا بحمد الله نغدر ولا ننكث
وقد أعطيت صاحبك الأمان ولمن معك ممن ألقى السلاح مسلما
يطلب الأمان فقال له منك ومن أميرك وممن معكما فقال
سعيد لك ذلك ثم رجع الرجل إلى هربيس وأعلمه بالجواب الذي
تكلم به سعيد بن زيد فاخرجوا وإياكم الغدر فإنه مهلك صاحبه
فإن هؤلاء القوم لم يخونوا أماناتهم ولا يتكبروا على من أتاهم
قال الواقدي رضي الله عنه لقد بلغني أن البطريق لبس ثياب الصوف
وخلع ما كان عليه من الديباج وألقى السلاح وخرج حافيا حتى

ووقف قدام سعيد فلما رآه سعيد قد أقبل وعليه الصوف وهو في
تلك الصورة خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذي أذل لنا جبابرته
ثم قال له سعيد هذا لباسك أو غيرته قال لا وحق المسيح
نت والقربان ما لبست الصوف ساعة واحدة إلا في ساعتي هذه ولا علي
غير الحرير والديباج وإنما لبسته في يومي هذا لأني ما أريد حربكم
فهل لك أن تصالحني عن أصحابي وعن أهل المدينة ومن فيها فقال
سعيد بن زيد أما أصحابك هؤلاء فإني قد أمنتهم على شرط من
دخل في ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا ومن اختار الإقامة على دينه
وألقى السلاح كان آمنا من القتل وعليه العهد أن لا يحمل علينا سلاحا ولا
يكون لنا محاربا وأما المدينة فالأمير عليها وقد فتحها أو قد قرب
فتحها فإن أحببت السير معي نحو الأمير حتى يسمع كلامك وتصالح
عن قومك فسر أنت في ذمتي فإن اتفق بينكما أمر وإلا أرددتك
إلى موضعك هذا ومن أراد الرجوع معك من رجالك إلى أن يحكم
الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فقال البطريق أنا أفعل
ذلك فعندها دعى سعيد بن زيد بوقاص بن عوف العذري
وقال يا وقاص كن البشير بما سمعت ورأيت وأسرع الجواب
إلي فأسرع وقاص بن عوف على حصان أبرش وجعل يسير حتى
أشرف على الأمير أبي عبيدة فوقف بين يديه وسلم عليه وقال
أصلح الله الأمير أبشرك بأن البطريق قد أخذ الأمان من سعيد
اقبل بن زيد وها هو قد أقبل إليك يسألك الصلح ولأهل المدينة فلما سمع
أبو عبيدة ذلك سجد شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال أيها الناس
تقدموا إلى حرب أهل المدينة واظهروا عليها أسلحتكم وكبروا
تكبيرة واحدة حتى ترعبوا بها القوم ففعلوا المسلمون ذلك
فارتجت المدينة وأظهروا عليها الجد ففزعوا أهل بعلبك لذلك
قال وتداعوا الناس للقتال وأحاطوا بالمدينة من كل جانب
قال من سبق إلى المدينة أعطاهم خبر البطريق كان المرتاك
بن عتبة فقال يا ويلكم هلك حاميكم وأخذ بطريقكم
وقد كان الأمير يبذل لكم الصلح على أنفسكم وأهاليكم
وأولادكم وأموالكم فأبيتم إلا أن الله سبحانه وتعالى قد عن

على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ان يفتح لنا بلادكم وغيرها فان الله منجز
وعده فلما سمعوا اهل بعلبك ذلك من مقالته اربدت وجوههم ورعبت
قلوبهم وكلت عن الحرب ايديهم وقالوا اهلكنا هربيس البطريق
واهلك نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل ان يحل بنا هذا الحصار
والحرب لكان خير لنا لما وشد المسلمون عليهم الحرب ووقع
الخوف والفشل فيهم فصاحوا الغوث الغوث يعنون الامان قال الواقدي
رضي الله عنه فلما علم ابو عبيدة ان نيران الحرب قد تسعرت واضرمت
للمدينة وتوقدت وطار شررها وارتفع دخانها ارسل الى سعيد يقول
له اسرع بالرحيل الينا وله الامان الذي امنته فنحن لا نخفر ذمتك ولا
نرد اذا في فعلك ولا ننقض لك عهدا فلما ورد رسول ابي عبيدة
الى سعيد بن زيد استخلف على الضيعة وحصار من فيها رجلا من
اصحابه وسار مع البطريق حتى ورد على ابي عبيدة فلما وقف البطريق
بين يديه ونظر اليه والى زيد ومن معه وعظم ما يلقا اهل المدينة
من حربهم حرك راسه وعض انامله حنقا فقال ابو عبيدة للترجمان
اسال هذا البطريق ما له يحرك راسه ويعض انامله ويلطم كانه
يتاسف على ما فاته فاعلمه الترجمان بذلك من قول الامير
فاقبل البطريق على الترجمان وقال لقد ظننت انكم اكثر عددا
مما انتم ولقد كان يخيل الينا عند حربنا لكم ولقائنا لجمعكم
وشدة ما نلقاه من حربكم انكم عدد الحصى من كثرتكم
وعددكم ولقد كنا نرى خيلا شهبا كان رؤوسها تلحق الهوى
عليها رجال عليهم ثياب خضر واعلام خضر فلما صرت بينكم
لم ار شي ونراكم الان في قلة ولا ادري ما فعل جمعكم وتلك الرجال
ما فعلوا ابعثتموهم الى عين الجر تارة وللجانب الاخر تارة فاقبل عليه
ابو عبيدة وقال للترجمان قل له يا ويلك نحن معاشر المسلمين
يكثر الله عددنا في اعين المشركين ويمدنا بالملائكة كما
فعل بنا يوم بدر وذلك منة علينا من الله تعالى من علينا بها
بمدينتكم وبلادكم وفل جيوشكم وهزم جموعكم وافناء
عظمائكم فلا تحقرن ما عظم الله تعالى من المؤمنين فلما
سمع البطريق مقالة ابو عبيدة على لسان الترجمان قال لقد وحيتم

الشام التي اعيت ملوك الفرس والجرامقة والترك فما ظننا
ان ذلك يكون ابدا واما مدينتنا هذه فانها مدينة لا تعبا بالحصار
ولا يسام اهلها الحرب لانها مدينة حصينة ليس بالشام مثلها
اذ بناها سليمان بن داود لنفسه وجعلها دار مقامه وخزانة ملكه
ولولا ما سبق من بطريقنا وخروجنا اليكم والحرب انفا عنها
ما صالحناكم عليها ابدا ولو اقمتم عليها مائة سنة والآن فقد
كان ما كان فهل لكم ان تصالحونا عليها ان صالحكم وتعدلوا
في شرطكم وسوالكم وهو اقرب لرشد الناس لكم فوحق المسيح
والانجيل لئن فتحت لكم هذه المدينة لا عاد استصعب عليكم
في الشام حصنا ولا مدينة ولا قلعة فلما اخبر الترجمان
بذلك لابي عبيدة قال قل له ان الله تعالى قد امكننا من ارضكم
وجعل لنا في اموالكم نصيبا واذل لنا ملوككم يؤدون الجزية
عن يد وهم صاغرون ولقد منتك نفسك اماني كاذبة
وظننت ظنونا خائبة حتى اراك الله في نفسك العبرة واذاقك
الله الذل والصغار ولا بد لنا ان نملك مدينتكم ومن فيها ان شا
الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم نقتل الرجال
ونأسر الابطال فمن اراد حربنا ولا يدخل في ديننا فقال
البطريق لما سمع ذلك على لسان الترجمان قال لقد تيقنا ان
المسيح قد غضب على اهل هذه البلاد والديار وغيرها اذ بعث
بكم اليها وسلطكم عليها وقد اجتهدت في حربكم ومكرت
بكم فما نفع مكري ولا اجتهادي لانكم قوم مسلطين ليس فيكم
الكيد ويهلككم الحرب وانما طلبت منكم السلم والقبيت
الذي في يدي ابقا على ملكي لكن اردت عمارة البلاد وترك
الفساد والان فقد احببت الصلح فهل لكم ان تصالحوا على المدينة
ومن فيها وعلى اصحابي قال ابو عبيدة فما الذي تبذل لنا
قال البطريق انما الامر في هذا اليك فانظر ماذا تريد فقال
ابو عبيدة لو ان الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة
ملؤها ذهبا وفضة ما كان احب الي من سفك دم مسلم
وان الله سبحانه وتعالى اعطى الشهدا في الاخرة اكثر من ذلك

ثم قرأ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم
يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فقال البطريق اذا اصالحكم على الف اوقية من ذهب والفين
اوقية من فضة والف ثوب من الديباج فتبسم ابو عبيدة
واقبل على المسلمين وقال اما تسمعون ما يقول هذا العلج قالوا
بلى قال فما رايكم فيما شرط قالوا راي الامير اعلى وشرطه رضينا
به ولا نخرج لك من طاعة فاقبل ابو عبيدة على البطريق وقال له
يا هذا نصالحك على الفين اوقية من الذهب واربعة الاف اوقية
من الفضة والفين ثوب من الديباج وخمسة الاف سيف من
مدينتكم وسلاح اصحابك الذين هم محاصرون ولنا عليكم
الخراج في العام الاتي واداء الجزية وانكم بعد ذلك لا تكونوا
تحملون سلاحا ولا تكاتبون ملكا ولا تحدثون بعد صلحكم
حديثا ولا كنيسة ولا ديرا والنصح للمسلمين فلما سمع ذلك
البطريق من شرطه قال ذلك كله علينا الا اني اشرط عليك
وعلى اصحابك شرطا قال ابو عبيدة ما هو قال لا يدخل الينا
من قبلكم احد وينزل صاحبك الذي تخلفه علينا خارج
المدينة باصحابه فيكون له الحمى والخراج والجزية ويدعني
انا داخل المدينة بعلبك للاصلاح بين الناس والنظر في امورهم
ونحن نخرج الى الذي تخلفه من اصحابك سوقا يكون فيه
جميع ما في مدينتنا يستغنون به ولا يدخلون البلد مخافة ان يغلظوا
كلامهم على كبرائنا فيفسد الامر بيننا وبينكم ويكون سببا
للغدر ونقض العهد وابتدا الشر قال ابو عبيدة فانا اذا
اخذنا صلحكم لزمنا امركم ونذب عنكم ونجاهد عدوكم
لانكم تصيرون في ذمتنا ويكون الرجل منكم في الصيانة
والامانة ثم قال للبطريق وما تصنع بالدخول الى الحصن حصنكم
والمقام من وراء الاحجار في مدينتكم قال البطريق قد تم
تم الصلح على ذلك ثم سار البطريق الى اهل المدينة وابو عبيدة
معه فلما وصل الى الباب طمطم بلغتهم فعرفوه عند ذلك فقالوا

لنا ما جاء بك واين اصحابك فقص عليهم قصته واخبرهم بخبر اصحابه
واعلمهم بالصلح فبكوا وقالوا ذهبت النفوس وذهبت الاموال
فقال لهم البطريق والله يا قوم ما صالحتهم ولي جهة في الصلح
فقالوا اذهب وصالح عن نفسك فانا نحن لا نصالح ابدا ولا ندع
احدا من العرب يدخل الينا ويملك رقابنا وهي احسن بلاد الشام
يق واكثرها مالا وكان ابو عبيدة قد اخبر المسلمين بمصالحة البطر
وامرهم ان يكفوا عن القتال والحرب ويرجعوا الى الحصن الى سوادهم
جمة وخيامهم فلما سمعوا ما قالوا اهل بعلبك للبطريق واخبروا التر
لابي عبيدة بذلك فالتفت الى البطريق وقال له هات ما عندك
والا ترد الحرب كما كان فقال البطريق على رسلك ايها الامير
ودعني والقوم فوحق المسيح والقربان لئن لم يقبلوا صلحي لادخلنك
الى المدينة بالكره منهم فتضع سيفك فيهم فتقتل رجالهم وتسبي
نساهم وتنهب اموالهم لاني خبير بعورات مدينتهم عارف
بطرقها وكيف السبيل الى الدخول اليها قال ابو عبيدة ما شا الله
كان فلما سمعوا كلام البطريق لابي عبيدة اسودت وجوههم ودخل
الرعب في قلوبهم وتغيرت الوانهم فاقبل عليهم بطريقهم وقال
ما تقولون في الصلح مع العرب فاني اشير عليكم بالصلح واني اسير
في ايديهم ورجالكم وبني عمكم قالوا انصالح العرب والا قتلونا
جميعا ورجعوا اليكم من بعدنا فقالوا انا لا نطيق هذا المال
فقال على نحدي ربع المال كله فطابت قلوبهم وقالوا انفتح لك
فتدخل وحدك ولا يدخل معك احد من العرب حتى نصالح مدينتنا
ونرفع رجالنا ونخفي اموالنا ونسانا فقال البطريق يا ويحكم
فقد صالحتهم ولا يدخل احد منهم المدينة وان يكون الرجل
الذي تخلفونه عليكم هو واصحابه خارج البلد وتخرجون اليهم
سوقا يتسوقون منه ففرحوا القوم بذلك وفتحوا الباب فدخل
اليهم وبعث ابو عبيدة الى الضيعة سعيد بن زيد حتى خلا عن
الرجال الذين كانوا محاصرين فيها وجاوا الى ابي عبيدة
فاخذ اسلحتهم وتركهم عنده رهاين على المال لانه خشي ان
تركهم يرجعوا الى مدينتهم ويغدروا بالمسلمين وكان عنده في

العسكر لم تبتني الى احد منهم والبطريق مع ذلك في المدينة يجمع المال
قال صباح فجمعوا المال بعد اثني عشر يوما وهم مع ذلك يحملون
الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة حتى كمل المال والثياب
والسلاح وحمله البطريق الى حضرة ابي عبيدة وقال له تسلم ما وافقتك
عليه وخلي عن الرجال ومن تخلفه علينا من اصحابك احضره
حتى نشرط عليه بحضرتك انه لا يجوز الينا ولا يطالبنا بما لا نطيق
ولا يدخل مدينتنا فدعى ابو عبيدة برجل من قريش اسمه رافع بن عبد
الله السلمي فقال ايها الرجل اني مستعملك على هذه المدينة
واضم اليك خمسماية فارس من بني عمك وعشيرتك واربعماية
من المسلمين وامرك بما به الله امر فاتق الله حق تقاته وكن
من الولاة العادلين واياك والجور فتحشر مع القوم الظالمين
واعلم ان الله مسايلك عنهم ومطالبك بما تصنع بغير حق
واعلم اني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوحى الله
تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تظلم اخرب بيتي وبينك وان
الله تعالى اوحى الى داود يا داود اني قد وعدت من ذكرني ذكرته
والظالم اذا ذكرني لعنته فاقم الارصاد في اطراف البلاد ولا تاخذك
الغرة فاتكبين اعدايك والله من ورايهم بالمرصاد وبعد
فما عرفتك الا مستنصحا فاحذر ان توخذ مما منك فاكثر ما
يكون حذرك من الساحل تشن عليه بالغارات ولتكن غارتك
في المائة والمائتين ولا اقل ولا اكثر ولا تمكن احدا من اهل المدينة
ان يختلطوا مع اصحابك في غارة حتى لا يطمع عدوك من الدنو اليك
واحسن معاملة مع من ساعدك منهم واصلح بينهم وامرهم
بالعدل وكن بين القوم كلاحدهم في المعاملة وامر اصحابك ومن
معك يكفوا ايديهم واياك والفساد والظلم للرعية والله خليفتي
عليك والسلام ثم عزم ابو عبيدة بالرحيل فجاءه صاحب عين الجر
فصالحه على النصف مما صالح عليه اهل بعلبك واعطاهم امانا وخلف
عليهم سالم بن ذويب بن فاتك بن نصر السهمي وهو خال العباس
بن مرداس السلمي فوصاه بما وصى به رافع ورحل ابو عبيدة
رضي الله عنه يطلب حمصا فلما وصل بين الرستن والتعبكه

التقاه صاحب جوسية ومعه هدية كثيرة فقبلها ابو عبيدة ووجد
معه الصالح وسار ابو عبيدة حتى نزل بحمص قال حيان بن رافع
الثقفي كنت ممن اقام مع رافع في جملة اصحابه على بعلبك وذلك اننا
نصبنا بيوت الشعر على العمد واقمنا خارج بعلبك لا يدخل اليها
احد منا الا في وقت ميرتنا من الطعام والشعير ونحن مع ذلك
نشن الغارات على سواحل الروم ونكبس التي لم تكن في صلحنا
وكان اميرنا يعقد على ماية رجل ويسرحنا واذا رجعوا الماية
عقد لغيرهم وكان قد جعل السرايا فيما بيننا بالنوبة فكنا اذا
خرجنا في سرية نبيع الغنايم ببعلبك فانسروا اهلها معنا
وفرحوا بنا ووجدونا قوم ليس فينا ظلم ولا كذب ولا خيانة
ونستعمل الحق والصدق فانسروا الذلك وطابت قلوبهم وربحوا
في المدة اليسيرة المال العظيم فلما نظر بطريق الروم الى ما افاده
اهل بعلبك منا في تجارتهم ورخيص ما يشترون منا جمعهم
اليه في كنيسة لهم عظيمة وكان ذلك الموضع موعدهم في
امورهم فلما نظر الى اجتماعهم اقبل عليهم وقال يا معاشر التجار
والسوقة والعوام لقد علمتم اني اجتهدت في اموركم وحرصت
على سلامة نفوسكم وصيانة اهليكم واولادكم وحفظ بلدكم
وانتم تعلمون ما ذهب مني من المال وانا رجل كاحدكم
قد سلب مالي وسلاحي وقتلت اكثر غلماني وبنو اعمي واصحابي
وانتم قوم قد اصبتم مع هولاء القوم في التجارات وانا قد اديت
ربع مالي وربع ما وجب على البلد قالوا صدقت وقد عرفنا ما وصفت
فما الذي تريد الان قال يا قوم انما كنت قبل هذا اليوم بطريقكم
والان فانا رجل منكم واريد ان تردوا علي بعض ما بذلت من المال
للعرب فقالوا له ايها البطريق وانا لك بذلك قال يا قوم لست
اكلفكم ان تخرجوا من اموالكم ولا مما ملكت ايديكم ولا
مما في منازلكم شيا وانما اسالكم ان تجعلوا الي شيا في هذه البيوع
والاشرية العشر مما تاخذون وتعطون لهولاء العرب فانهم
يسبون الروم ويخربون بلادهم وياتون به اليكم قال فاضطربت
القوم لذلك اضطرابا شديدا وعظم عليهم واقبل بعضهم على بعض

وقالوا يا قوم هذا الرجل منا وصاحب ملكنا وقد اجتهد في امورنا
وحامى بنفسه عنا وما عسى يصعب علينا فيما سال لنا قال فاجابوه
الى ذلك وجعلوا على انفسهم العشر فنصب عليهم من جهته عشارا
واحدا منهم يجمعه ويحمله اليه فاقام على ذلك اربعين يوما فلما
نظر البطريق هربيس الى عظم ما قد اجتمع عنده من اموال العشر
قال انا اعلم ان اهل هذه البلدة في كسب عظيم وتجارة مربحة
ما راى اهل بعلبك مثلها قط فجمعهم في الكنيسة مرة ثانية وقال
لهم يا قوم قد علمتم ما بذلت من المال عليكم وهذا الذي تعطوني
ليس يجزيني فان اردتم ان تردوا على مالي وتجعلوني كاحدكم
وتكرموني مثل ما اكرمتكم فاجعلوا لي الربع حتى يرجع الي مالي
سريعا والا فمتى يجتمع من هذا العشر مالي وسلاحي فابى القوم
عليه وضجوا وعلت اصواتهم حتى استمعت من خارج المدينة
فلما سمعوا المسلمون ضجيجهم جزعوا وهم لا يعلمون بالقضية
فاجتمعوا الى اميرهم رافع بن عبد الله السهمي وقالوا ايها الامير
ما تسمع صياح هولاء القوم في مدينتهم قال يا قوم قد سمعتهم
فما عسى ان اصنع بهم وليس يحل لنا الدخول اليهم وبهذا جرا الشرط
بيننا وبينهم ونحن احق من اوفى بعهد الله تعالى وقد قال الله
جل ذكره ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيوتيه اجرا عظيما
فان هم خرجوا الينا واعلمونا بامرهم صالحنا بينهم ونصرنا ما في امورهم
قال فما استتم كلامه الامير رافع اذ خرج اليه اهل المدينة يهرعون
فلما وقفوا بين يديه قالوا انا بالله وبكم مستجيرون ثم اعلموه
بما فعل البطريق بهم وكيف اجابوه في اول مرة ثم طمع فينا
ونحن بكم عايذون منه ومن شره قال رافع انا لا امكنه منكم
قالوا فانا قد قتلناه فصعب ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رافع اني لا اقدر ان ادخل المدينة الا باذن الامير ابو عبيدة
لانه ما اذن لي في الدخول اليها حتى اكاتبه فان اذن لي دخلت
انا واصحابي وان لم ياذن لي فما ابرح من مكاني فكتب رافع
الى ابي عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبما قالوا له من الدخول
فكتب اليه ابو عبيدة ان ادخل كما قد اذنوا لك فدخل رافع

واصحابه وحولوا القماش وما كان خارج البلد الى داخل البلد حدثنا
عبد الرحمن بن سالم الربعي وكان ممن حضر فتوح الشام قال
فتح الله بعلبك على يد المسلمين وترك ابو عبيدة رافعا عليها وتوجه
يريد حمصا فلما قرب من جوسية خرج اليه صاحبها بالهدايا
والخيل والسلاح وجدد صلحا مع الامير ابي عبيدة واقام عليها يوما
وسار يريد اللحوق بخالد فلما قرب من حمص وكان بموضع
يعرف بالزراعة وجه على مقدمة عسكره ميسرة بن مسروق
العبسي وعقد له راية سودا معلمة ببياض في صدرها هلال من
الفضة وضم اليه خمسة الاف فارس من المسلمين من ساير
القبايل فسار ميسرة يقدم القوم الى ان ورد حمص فخرج الى لقايه
خالد بمن معه في خمسة الاف فارس ثم بعث من بعده عمرو
بن معدي كرب في خمسة الاف كل يوم امير من اصحابه وقدم
ابو عبيدة رضي الله عنه بعدهم ببقية الجيش فلما اشرف ابو عبيدة
على حمص قال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين
قال واستقبلوه المسلمين باجمعهم وسلموا عليه ونزل ابو عبيدة
على النهر فلما استقر به المجلس كتب الى اهل حمص وبطريقهم الجديد
مريس بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة عامر بن
الجراح الفهري عامل امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
على الشام وقايد جيوشه اما بعد فان الله سبحانه وتعالى قد فتح بلادكم
على ايدينا فلا يغرنكم عظم مدينتكم وتشديد بنيانكم وكثرة
زادكم وهول اجسامكم فمدينتكم عندنا اذا صدقناكم
الحرب الاكبر انصبنا ما على جارة في وسط عسكرنا والقينا
اللحم وجميع العسكر يتوقع الكل الاكل منها وقد دار وابها
الى دين ارتضاه دينا وشريعة جا بها نبينا صلى الله عليه وسلم
فان اجبتم كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا ورحلنا عنكم
وخلفنا فيكم رجالا امنا يعلمونكم امر ديننا بما افترض الله
علينا كما بلكم اول مرة وان ابيتم الاسلام قررنا عليكم
الجزية وان ابيتم الجزية فهلموا الى حربنا حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين وسلم الكتاب الى رجل من المعاهدين

مسار به حتى قرب من الصور فهموا ان يرموه بالسهام والحجارة
فقال لهم بالرومية امسكوا عليكم فاني رجل قد جيتكم بكتاب
من هولاء العرب فدلوا الحبل فربطه في وسطه وشالوه اليهم
واتوا به الى بين يدي بطريقهم ففتحه وناوله الكتاب فقال له
البطريق ارجعت عن دينك الى دين هولاء القوم قال لا ايها السيد
ولكني في ذمتهم وتحت عقدهم انا واولادي وما رايناه من القوم الا
الخير والصواب الا تقاتلوهم فان القوم اولوا باس شديد لا يخافون
الموت ولا يرهبون من الموت وقد تمسكوا بدينهم وما قال لهم
نبيهم فالقتل عندهم افضل من الحياة وقد تقاسموا القوم بدينهم
ان لا يبرحوا عن مدينتكم الا ان تسلموها اليهم او يفتحها الله تعالى
على ايديهم وحق ديني انكم احب الي من القوم واريد انصر
بلادكم ولكني اخاف عليكم من باسهم وسطوتهم فسلموا
تسلموا لا تخالفوا فتندموا قال فلما سمع مريس قوله بدا الغضب
في وجهه وبربر وطمطم وقال وحق ديني لولا انك رسول لامرت
بقطع لسانك على جرايتك بهذا الكلام ثم سلم الكتاب الى من
يحسن يقرا بالقلم العربي وامره ان يقراه عليه فلما علم ما فيه
امر كاتبه ان يكتب الى ابي عبيدة فكتب كلمة الكفر ثم قال
اما بعد يا معشر العرب انه قد وصل الينا كتابكم وعلمنا ما فيه
من التهديد والوعيد ولسنا كمن لاقيتم من الرجال من اهل الشام
ومذ لم يزل الملك يستنصر على من عاداه او قصد اليه من الجنود
والان لا بد من الحرب والقتال فان سورنا حصين وابوابه حديد
وحربنا عتيد والسلام ثم طوى الكتاب وسلمه الى المعاهدي
وامرهم فدلوه بالحبال الى الارض فلما قرب من ابي عبيدة ناوله
الكتاب ففتحه وقراه على المسلمين الى اخره فلما سمع المسلمون
ذلك عولوا على الحرب وقسم ابو عبيدة عسكر المسلمين
على اربع فرق بعث فرقة مع المسيب بن نجبة الفزاري فنزل
على باب الخيل مما يلي الباب الصغير وبعث فرقة اخرى مع شرحبيل
بن حسنة فنزل بهم على باب الملاحين وبعث فرقة اخرى
مع المرقال بن هشام بن عتبة بن ابي وقاص فنزل بهم على باب

الرستن وبعث فرقة اخرى مع يزيد بن ابي سفيان فنزل بهم على باب
الطواحين واقام ابو عبيدة وخالد وبقية المسلمين على النهر قال عروة
بن ماجد فكان ابو عبيدة على باب الرستن ونزل معاذ بن جبل
على باب اللبوة وزحفوا المسلمون عليهم من كل مكان واقبلوا
على القتال بقية يومهم وسهام الروم تصل اليهم فيتقونها بالحجف
ونبل العرب تصل الى اعلا الصور فاثرت فيهم لاجل صغرها وانفصلوا
عند المسا فلما كان من الغد جمع خالد كل عبد في العسكر وامرهم
ان يتقلدوا بالسيوف والحجف قال ابو عبيدة وما عسى ان يغني عنا فعالهم
فقال خالد رضي الله عنه على رسلك ايها الامير ولا تخالفني فيما صنعنا
فاني عزمت ان اقاتل بهولاء العبيد ونعلمهم ان ما لهم عندنا قدر
وما نقاتلهم بانفسنا الا ان يخرجوا الينا فقال ابو عبيدة افعل ما تشا
فالله يوفقك فامرهم خالد بالزحف وكانوا زهاء عن اربعة الاف
عبد وامر ان يترجل معه الفا من العرب ففعلوا ذلك وزحفوا
الى صور حمص وقد استتروا بحجفهم والنبل ترمي النبل الى ان
وصلوا الصور فضربوه بسيوفهم فمنها ما يثلم ومنها ما ينكسر
واشرف عليهم الملعون مريس وقد دار وابطال حمص من
البطارقة واصحاب الملك من اهل الشرف والشدة والبراعة
فجعلوا ينا ملون الى صنعهم وفعالهم فضربوا على وجوههم
وقال لهم بطريقهم مريس يا معاشر البطارقة ما ظننت ان
العرب على هذه الصفة فاذا هم كلهم سودان قال بعض من
لقيهم باجنادين وساير المواضع ايها الامير هولاء عبيدهم
وموالیهم وهذه من بعض مكايدهم في الحرب وقد دعوا هولاء
السودان الحرب بنا وتاخروا ومعناه ليس لنا من القدر ما
يقاتلونا بانفسهم او يخرجوا اليهم فقال مريس وحق الانجيل
ان هولاء اشد من العرب واعلموا انهم ما لزقوا صور مدينتنا
ولا دنوا من بابها الا وقد هان عليهم امرها قال الواقدي
رضي الله عنه ولقد بلغني ان الموالي قاتلهم بقية يومهم فلما
جن الليل رجعوا الموالي الى عسكر المسلمين وبعث مريس
من ليلته رسولا بكتاب الى ابي عبيدة فدلوه من الصور حمص

وصل نحو العسكر والتلاذ بمعسكر فهمّوا المسلمون بقتله فقال
انا رسول من البطريق صاحب حمص فاتوا به الى ابي عبيدة رضي الله عنه
فلما نظر اليه قال له من انت وما وراك قال انا رسول بكتاب
اريد الجواب ثم سلم الكتاب الى ابي عبيدة فقراه على المسلمين
اما بعد فانا ظننا ان عندكم عقل وتدبير وتدبر والحرب
وتستعينوا به على الامور والامر بخلاف ذلك لانكم في اول حربكم
لنا نزلتم وتفرقتم على ابواب المدينة فقلنا هذا اشد ما يكون
من الحصار واعظم ما تقدرون عليه من الاضرار لنا فلما كان
من الغد اقعدتم عن حربنا وابعثتم هولاء المساكين يكسرون
سلاحهم فليت شعري كم تصبر سيوفكم على قساوة حجارة صورنا
وقد بان لكم عجزكم وقلة تمييزكم في الحرب وملاقاة الرجال
والان فانا نشير عليكم بامر فيه الصلاح لنا ولكم بان تسيروا امامكم
الى الملك وتفتحوا ما بين ايديكم كما فتحتم ما وراء ظهوركم
واياكم واللجاج والبغي والفساد فانهما قاتلان لمن تبعهما وراجعان
على من بداهما ونحن نخرج اليكم صبيحة هذه الليلة والله
ينصر من يشا فلما قرا ابو عبيدة كتاب مريس على المسلمين
الى اخره استشار المسلمين فيما يصنع وكان قد حضر تلك الليلة
كبير من كبرا خثعم وسيد من ساداتها اسمه عطا بن عمرو
الخثعمي وكان كبير السن ذا راي سديد قد قاد الرجال وولي
امر العساكر وهزم الجيوش مرارا فلما سمع كتاب مريس
وثب قايما وقال لابي عبيدة اقسمت عليك برسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اسمعت مقالتي فان كان فيها صلاحا فالله وفقني لمقالتي
وايد المسلمين بها فقال ابو عبيدة قل يا ابن عمرو وفقك الله تعالى
فدنا منه وشاوره وقال اصلح الله الامير ان خبرك عند هولاء اعظم
شوكة واشد منعة ونصرة ورايي من كان قبله قد علم بفتوحك
لبعلبك وانك لابد تترك حصاره وتتولى قتاله فقد استغنى
بالعلوفة والطعام والة الحصار كلها وقد خزنوا فيها من الطعام
ما يكفيهم اعواما وان نحن حاصرناهم يطول بها الامر
كما طال بنا امرنا على دمشق والراي عندي انا نحتال بحيلة

ونخدعهم بخديعة فان تمت عليهم الحيلة ونفذت الخديعة فتحنا
المدينة عن قريب ان شا الله تعالى قال ابو عبيدة فما الحيلة عندك
قال الراي عندي ان نكتب الى هولاء القوم ونسال لهم ان يميرونا
بالزاد والميرة ونضمن لهم ان نرحل عنهم الى ان يفتح الله علينا
غير مدينتهم ثم نرجع اليهم وقد قل زادهم وانتشروا في بلادهم
وسوادهم وتفرقوا في انصارهم وتجاراتهم فنشن عليهم الغارة
فنهلك من ظهر منهم ويهون عليك امر من بقي وتحصن بحصن
مع قلة الزاد قال ابو عبيدة قد اصبت الراي اراد الله بك الخير
فاني سوف افعل ما ذكرت ونرجو من الله حسن التوفيق ثم ان
ابي عبيدة دعا بدواة وبياض وكتب الجواب بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فقد راينا في قولكم صلاحا لنا ولكم ولسنا ممن يريد
البغي والتكبر على احد من عباد الله عز وجل وقد علمتم ان عسكرنا
كثير وخيلنا وابلنا كثيرة ياكل بعضنا بعضا فان اردتم ان
نرحل عنكم فابعثوا ميرة خمسة ايام فانتم اعلم ان الطريق
التي بيننا وبين حلب بعيدة وما نلقى في طريقنا الا كل حصن منيع
وابواب حديد وبنيان مشيد فاذا انتم امرتمونا رحلنا عنكم الى
مدينة حلب واذا فتح الله علينا رجعنا اليكم كما زعمتم فاذا
فعلتم ذلك كان صلاحه لكم والسلام وسلم الكتاب
الى الرسول فلما قرا مريس كتاب ابي عبيدة فرح بذلك وجمع الروسا
والدهاقين وقال لهم ان العرب قد بعثوا اليكم يطلبوا منكم الزاد
ويرحلوا عنكم وقد رايت من الراي ان تزودوهم حتى يرحلوا
عنكم فان مثلهم كمثل السبع اذا رحل فريسته لم يتعن عنها
الى غيرها وهم قوم لحقهم على مدينتكم الجوع فاذا اشبعناهم
انصرفوا عنكم فقالوا ايها البطريق انا نخاف من العرب ان
ياخذوا الزاد ولا يرحلوا عنا قال فاني اخذ لكم منهم العهود
على ذلك انكم اذا امرتموهم ارتحلوا عنكم قالوا له افعل ما
بدا لك واستوثق لنا وكذلك قال فبعث مريس وجمع الاقسة
وامرهم ان يخرجوا الى المسلمين فياخذوا عليهم العهود
والمواثيق انهم اذا امرتموهم ارتحلوا عنكم فخرجت القساوسة

واقبلوا على ابي عبيدة رضي الله عنه واخذوا عليه العهد والميثاق ان
يرحل عنهم اذا هم اماروه وامار العسكر وانه يرحل عنهم فقالوا المسلمون
قد رضينا بذلك وتم الصلح على ذلك واخرجوا لهم ما ادخروه من الزاد
والعلوفة ودفعوا لهم من ذلك شيا عظيما فلما امتار العسكر خمسة
ايام اقبل عليهم ابو عبيدة وقال لهم يا اهل دين الصليب قد قبلنا ما
حملتم الينا طوعا فان رايتم ان تبيعونا من الزاد والعلوفة فافعلوا
فقالوا انا سنفعل فعندها نادى ابو عبيدة في عسكره يامر العرب
بشرا الزاد وليكثروا من ذلك فان امامكم طريق واسعة قليلة الزاد
فقالوا ايها الامير وبما نشتري من القوم وعلى ما نحمله قال ابو عبيدة
من كان معه شي قد اثقله من رحال الروم الذي غنمه من فضل الله تعالى
فليبع به الزاد والعلوفة قال الواقدي رضي الله عنه فقال حسان بن عوف
الغطفاني خفف الله عن ابي عبيدة كما خفف عنا ما نحمله من البسط والطنا فيس
مما كان قد اثقل دوابنا فاخذنا من القوم العلوفة وكانت العرب
تسمح لهم في البيع ويشترون منهم اهل حمص ما يسوى عشرين دينار
بدينارين ورغبوا في ذلك الرخيص ولم يزالوا كذلك ثلثة ايام
واهل حمص يستبشرون بميرة العرب منهم ورحيلهم عنهم وكان
للروم في عسكر المسلمين جواسيس وعيون تاخذ لهم الاخبار
فلما رات الجواسيس ان اهل حمص قد فتحوا مدينتهم فرجعوا الى انطاكية
فكلما جازوا بلدا او قرية من القرايا يقولون ان اهل حمص قد
دخلوا في طاعة الملك العرب وفتحوا مدينتهم صلحا فكان ذلك يعظم
على الروم ويزيدهم خوفا وذلك بتوفيق الله تعالى للمسلمين
وكانت الجواسيس اربعين رجلا فدخل منهم ثلثة فاشاعوا ذلك
فيها قال وسار ابو عبيدة من حمص حتى نزل على الرستن فراها
حصنا منيعا وما اهلها عبرا وهي محصنة بالرجال فبعث اليهم رسولا
يامرهم بالصلح وان يكونوا في ذمته فابوا عليه وقالوا انا لا نفعل ذلك
حتى نرا ما يكون من امرهم مع الملك وبعد ذلك يكون ما شا الله
قال ابو عبيدة فانا متوجهين الى بلد الملك نقاتله ومعنا رجالا قد اثقلتنا
وقد اشتهينا ان نودعها في مدينتكم الى وقت رجوعنا فاتوا الى بطريقهم
الوالي وكان اسمه لقيطا وشاوروه في ذلك فقال يا قوم اما الملوك

والعساكر يودع عند بعضهم بعضا وما يضرنا من ذلك شي فبعث
الى ابي عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة فنحن نقضيها ونريد منك
المراعاة لسوادنا حتى نرى ما يقتضي من امر الملك فقال ابو عبيدة نفعل
ذلك ان شا الله تعالى قال الواقدي رحمه الله تعالى بلغني عن ثابت بن
علقمة قال كنت فيمن حضر عند ابي عبيدة حين اراد ان
يودع رحاله لاهل الرستن وذلك انه دعى اهل الراي والمشورة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم اعلموا ان هذا حصنا منيعا وليس
لنا الى فتحه من سبيل الا الخداع واريد ان تجعل منكم عشرين رجلا في عشرين
صندوقا وتكون الاقفال عندكم من داخل الصناديق فاذا صرتم في المدينة
فثوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون ان شا الله تعالى فقال خالد بن
الوليد رضي الله عنه اذا عزمتم على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة ليكن اسفل
اسفل الصناديق انثى في ذكر من غير شي يمسكها فاذا حصلوا القوم
في وسط حصن هولا فليخرجوا يدا واحدة ويكبروا فان النصر مقرون
بالتكبير فاجابه ابو عبيدة الى ذلك واخذ صناديق الطعام المنتخبة
عند الروم فنقض اسافلها وجعلها ذكرا في انثى فاول من دخلها كان
ضرار بن الازور وعبد الرحمن بن مالك الاشتري وجعل عبد الله بن
بن جعفر الطيار الامير على العشرين فلما حصلت الصناديق اقفلها
لقيطا في قصره وارتحل ابو عبيدة رضي الله عنه حتى نزل بقرية يقال لها
السويدا فلما اظلم الليل بعث خالد بجيش الزحف ليشرف على الرستن
وينظر ما يكون من امر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر خالد
واصحابه من غير هرج وسار الى القنطرة واذا بالصياح من داخل المدينة
وكان من امر اصحابهم رضي الله عنهم انهم لما تركهم لقيطا في
دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته واهل بيته ليصلوا صلاة الشكر
وارتفعت اصواتهم بقراة الانجيل وسمعوا اصواتهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا من الصناديق وشدوا على انفسهم
مع قوة عزمهم واشهروا اسلاحهم وقبضوا على امراة لقيطا وجواره
وقالوا لهم اين مفاتيح الابواب فسلموهم اليهم فلما حصلوا في ايديهم
ثاروا بالتهليل والتكبير وكبسوا القوم على باب بيعتهم فلم يدعوا
احدا يخرج اليهم لا بقي بلا عدة وبعث عبد الله بن جعفر الطيار

ربيعة بن عامر والاصيد بن سلمة وعكرمة بن ابي جهل وعتبة بن العاص
والقارع بن حرملة وسلم اليهم المفاتيح وقال افتحوا الابواب وارفعوا اصو تكم
بالتهليل والتكبير فان اخوانكم حول البلد مكمنين فسار والخمسة
الى الباب القبلي وهو باب حمص ففتحوه ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير
واذا بعسكر الزحف على مقدمته خالد بن الوليد رضي الله عنه وقد
اجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمعوا اهل الرستن
اصوات اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلموا انهم في قبضتهم
وان مدينتهم قد اخذت من ايديهم فاستسلموا وخرجوا اليهم وقالوا
انا لا نقاتلكم ونحن الان اسراكم فاعدلوا فينا فانتم احب الينا
من قومنا ثم عرض عليهم خالد الاسلام فاسلم منهم قوم وبقي الاكثر
على دينهم يؤدوا الجزية واما نقيطا فانه قال لا اريد بديني بدلا
فقال خالد انا لا ناسي اليك فاخرج باهلك غدا وحدث قومك بعدلنا
ثم اخرجه وتوجه باهله الى حمص واعلم اهلها بفتح الرستن فصعب
عليهم وعلموا ان العرب تصبحهم بالغارة او تمسيهم اذ بعث
عبد الله بن جعفر الى ابي عبيدة يخبره بالفتح فسجد شكرا لله تعالى
وتقدم الف رجل من اليمن ووصاهم بحفظ الرستن وامر عليهم
هلال بن مرة اليشكري فلما استقر في الرستن لحق خالد بن الوليد
وعبد الله بن جعفر واصحابهم بعسكر ابي عبيدة وتوجهوا الى حماة
فنزلوا عليها صباحا وكانوا اهل حمص في صلح المسلمين كما ذكرنا
وكذلك اهل شيزر الا ان بطريقهم مات وبعث اليهم الملك
هرقل بطريقا جبارا اسمه نكس فنقض الصلح واذاق اهل شيزر
ضربا وكان جبارا يصادرهم ياخذ اموالهم ويحتج عليهم باكله وشربه
فلما الخبر بهم ابو عبيدة بعث خيلا من المسلمين جريدة امامه
الى شيزر فغارت الخيل على بلدهم ووقعت الضجة بشيزر وسمع
البطريق بضجيجهم فنزل اليهم من قلعته وظهر بشيزر بعد احتجابه
وجلس في بيعتهم المعظمة وجمع اليه الروسا وقال يا اهل شيزر
تعلمون ان الملك الرحيم استخلفني لحفظ مدينتكم والذب
عن حريمكم واولادكم واموالكم ثم فتح خزاين السلاح
وصفهم على السور وامرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك

اذا شرف

واذا شرف عليهم خالد واصحابه فنزل عليهم واشرف من بعده ابو عبيدة ويز يد
بن ابي سفيان وجميع المسلمين فلما نظروا اهل شيزر الى تواتر العساكر
وعظم الجيش فاهالهم ذلك وعظم عليهم وحارت ابصارهم قال الواقدي
فلما نزل ابو عبيدة كتب اليهم بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد يا اهل شيزر فان حصنكم ليس بامنع من حصن بعلبك ولا من
الرستن ولا من دمشق وبصرى وانت تعلم شدة اهل حمص وشجاعتهم
وقد صالحوا العرب فلما وصل الكتاب اليهم اعطوه لبطريقهم فقراه
وقال ما تقولون يا اهل شيزر فقالوا صدقت العرب ايها الصاحب فان
حصننا ليس بامنع من الحصون التي فتحوها العرب فكيف يمتنع عليهم
وهو حصن لطيف وان عصيت على القوم فانك معول على هلاكنا
وخراب مدينتنا قال وكثر بينهم الخطاب واقبل البطريق يسب القوم
ويلعنهم وامر بضربهم فلما نظروا الى ذلك غضبوا واشهروا السلاح
عليه وعلى غلمانه ووقع القتل في الفئتين ففرح المسلمون بذلك وقا لوا
اللهم اطرح باسهم بينهم ولم يزل اهل شيزر في القتال حتى نصروا
على البطريق وغلمانه فقتلوهم جميعا ثم خرجوا الى لقاء ابي عبيدة والمسلم
وهم رجالة بغير سلاح والاقسة بين ايديهم فلما وقفوا امام الامير
سلموا عليه وقالوا انا قتلنا بطريقنا وغلمانه في محبتكم فقال ابو عبيدة
يا اهل شيزر بيض الله وجوهكم وادر ارزاقكم قد كفيتمونا مونة
الحرب ثم قال للمسلمين الا ترون الى حسن طاعتهم وحسن فعالهم
ببطريقهم في محبتكم ودخول طاعتكم واني قد رايت من الراي
اني انعم على القوم فقالوا المسلمون نعم ما رايت حتى يصل ما تصنع بهم
الى غيرهم فيفتح الله تعالى علينا فاقبل ابو عبيدة على اهل شيزر وقال ابشروا
فلست اكره احدا منكم على دينه ولا اشق عليه في امره فمن احب منكم
الدخول في ملتنا فله ما لنا وعليه ما علينا والخراج موضوع عنكم سنتين
على من اقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنكم الخراج سنة
ففرحوا القوم بذلك وقالوا ايها الامير قد قبلناه وسمعنا واطعنا تك
وهذا قصر بطريقنا انت احق به وبما فيه وهو هدية منا اليك فدو
وما فيه ففرحوا المسلمون بذلك واقبلوا الى القصر واخذوا جميع ما
فيه من الاثاث والسلاح والاموال والانية فاخرج منه ابو عبيدة

الخمس وقسم الباقي على المسلمين بالسوية ثم نادى أبو عبيدة معاشر
المسلمين قد فتح الله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه وقد خرج جرا
أهل حمص الآن من ذمتكم ووفيتم لهم بما عاهدتم فارجعوا بنا إليهم
قال فاستوت العرب على متون خيولها وهموا بالسير إذ لاحت لهم غبرة
من ورائهم من وراء النهر المقلوب وهي مقبلة من طريق أنطاكية قد
أخذت عرضا فأسرعت الخيل إليها وإذا بقس عظيم من قساقسة الروم
ومعه مائة برذون موسقة بالأحمال ومن حولها مائة علج يحفظونها
ولم يكن القس علم بنزول المسلمين على شيزر قال الواقدي
فزعق بهم خالد وكبر وكبروا المسلمون وأخذوا بهم واستاقوا
براذينهم وأخذوا القس والعلوج أسارى ثم أقبل خالد على القس
وقال يا ويلك من أين أقبلت بهذه الأحمال فطمطم القس بالرومية
فلم يدر خالد ما يقول فأقبل على المسلمين وقال هل فيكم من يعرف
ما يقول هذا القس الميشوم فابتدر إليه رجل من أهل شيزر وقال أيها
الأمير يذكر أنه من القساقسة المعظمين عند الملك وقد نفذ معه هذه
الأحمال فيها ديباج مطلي مثقل ومشاد رومي ودنانير ابريسم
هدية منه إلى البطريق مرييس صاحب حمص فعندها أمر خالد بحل
الأحمال ففتحت فإذا فيها عشرة أحمال ديباج أبيض مرقوم بحامات
الذهب الأحمر وعشرة أحمال بقضبان الذهب وعشرين حملا من
المشاد والناطليقي وعشرة أحمال مملوة دنانير قيصرية وأخرجوا باقي
الأحمال وأخرجوا بسطا من الديباج الأخضر فيهم تصاوير بالبياض
نغنم المسلمون غنيمة لم يغنموا أمثالها وساق خالد الأحمال إلى أبي عبيدة
رضي الله عنهما قال عياض بن غنم الأشعري يذكر كذا إلا
أنه قال إن خالد لم يفتح الأحمال والرحال إلا بحضرة أبي عبيدة وجده
على نهر المقلوب مما يلي شيزر وتحته عباة وعلى رأسه مثلها تظله
من حر الشمس فأقبل خالد بالقس فأوقفه بين يدي أبي عبيدة
فقال ما هذا يا أبا سليمان قال أيها الأمير إنهم قوم من أنطاكية
ومعهم هدية إلى مرييس صاحب حمص من كلب الطاغية هرقل
قال وأعرض عليه الأحمال ففرح بها أبو عبيدة فرحا عظيما وقال
لقد كان فتح شيزر علينا مباركا ثم دعا بترجمان كان

معه لا يفارقه وقال له اسأل القس عن كلب الطاغية فقل هو في جمع
كثير أم لا قال فكلمه الترجمان ساعة فقال له القس قل للأمير كم
إن ملكنا بلغه أنكم فتحتم دمشق وبعلبك وحوسية وأنكم
لم تنزلوا على حمص فبعث معي هذه الهدية إلى مرييس وكتب إليه
يأمره بقتالكم ويوعده بورود العساكر إليه وأن الملك قد استنجد
فرج بكل من عبد الصليب وقد أجابه البرغل والروسية والسقالبة والا
والأرمن والدوقس والمغليط والكرج واليونان والقلمن والقرادية
وأهل جنوية وأهل رومية والقبط والنوبة والبجة وكل من حمل صليبا
وقد تحركت العساكر تورد على الملك من كل جانب قال فحدث
الترجمان بحديث القس لأبي عبيدة فأعرض على القس الإسلام
فقال القس قل للأمير البارحة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
وقد أسلمت على يديه فأعلم الترجمان بذلك لأبي عبيدة ففرح وجدد
القس إسلامه على يد أبي عبيدة قال وأعرضوا على العلوج الإسلام فأبوا
فضرب أعناقهم وسار أبو عبيدة متوجها نحو حمص وأول الخيل جريدة
في مقدمته فما شعروا أهل حمص إلا وأول الخيل قد غارت عليهم
فأن يجمعوا القوم إلى المدينة وغلقوا أبوابها وقالوا قد غدرت العرب بنا
قال ونزلوا المسلمون حول حمص ودار بأبوابها وقد نفذ الزاد من المدينة
ولكن أهلها قد خرجوا إلى تجاراتهم وطلب الميرة لأهلهم وقد تفرقوا
فلما نزل أبو عبيدة واستقر به المنزل دعا بالعبيد والموالي وأمرهم
أن يتفرقوا على الطرقات فكل من أصابوه قد خرج بتجارة أو بزاد
أخذوه ففعلوا العبيد ذلك وصعب على مرييس صاحب حمص ثم
كتب إلى أبي عبيدة أما بعد يا معشر العرب فأنا لا نعتبر
عنكم بالغدر ولا بنقض العهد ألستم صالحتمونا على الميرة فأمرناكم
وطلبتم منا البيع فبعناكم فلم نقضتم ما عاهدناكم عليه فكتب
إليه أبو عبيدة أن أرسل بالأساقفة والشمامسة والرهبان إلى حتى
أوقفهم على ما عاهدتكم عليه فيعلموكم أنا لا ننكث عهدا ولا
نغدر ولا مثلنا من يفعل ذلك أبدا فعند ذلك بعث إليهم مرييس
وأحضرهم وبعث بهم إلى أبي عبيدة ثم خرجوا إليه فقال لهم أبو
عبيدة ألم تعلموا أني عاهدتكم على أني منصرف عنكم حتى أفتح مدينة

من مدائن حلب ثم يكون الراي ان احببت رجعت اليكم او سرت
الى غيركم فالواثلي قال لهم قد فتح الله شيزر والرستن في اهون شي واقرب
وقت وقد غنمنا الله تعالى مال بطريقهم نكس ما الانو مليه في هذه المدة
وايسر الايام والان ولا عهد لكم عندي ولا صلحا الا ان تستانفوا او
تصلحوا على فتح المدينة على ان تكونوا في اماننا وذمتنا فقالوا انفسنا فسه
صدقتم ليس عليكم لوم وقد وفيتم بذلكم وقد بلغنا انكم ملكتم
الرستن وشيزر والخطا منا اذ لم نستوثق لانفسنا والان الامر مليك بطر بقيتا
فهلكن نرجع اليه ونعلمه ثم نمضوا من عنده الى مدينتهم ودعا
ابو عبيدة بالرجال وقال معاشر المسلمين خذوا اهبة الحرب والقتال
فان القوم بلا زاد ولا مدد ياتيهم من طاغيتهم فاستعينوا بالله عليهم
قال فلبسوا السلاح ودنوا من الابواب واجتمعوا اهل حمص الى بطريقهم مريس
وقالوا له ما عندك من الراي فقال الراي عندي ان نقاتلهم ولا نريهم
ضعفا قالوا فاين الزاد فقد نفد الزاد من مدينتنا وقد اخذه القوم
منا وما سمعنا مثل هذه الحيلة فقال لهم البطريق مريس يا لكم
تعجزون عن حرب عدوكم ولن يقتل منكم قتيلا ولا جريحا
ولم تصبكم شدة ولا جوعا وانما اصابوا منكم على غفلة
ولو دخلوا المدينة لما قدروا عليكم واقل الرجال على السور تكفي
القتال وعندي من الرجال والزاد ما يعم صغيركم وكبيركم
المدة الطويلة وما احسب ان الملك يغفل عنكم وسيبلغه خبركم
فيوجه العسكر اليكم قال الواقدي رضي الله عنه وكان عند الملك
في قصره جبا عظيما مملوا طعاما وكان ذلك الجب كبيرا مهولا
قال ففتحه مريس وفرقه على كبيرهم وصغيرهم وقد
انحشروا اليه اهل حمص جميعا فنفد نصف ما في البير وقال لهم
اقتنعوا بما اعطيتكم ثلثة ايام ونبرز الى الحرب فاخذوا
اهبتهم للحرب وانتخب منهم خمسة الاف رومي ممن يعرف
شجاعتهم ثم فتح خزانة جده جرجيس وفرق عليهم الدروع
والجواشن والقسي والنشاب والسهام المسمومة واقبل يحرضهم
على قتال المسلمين ويوعدهم بالامداد من الملك ثم ادعا
بالرهبان وقال خذوا اهبتكم وادعوا المسيح ينصرنا على العرب

فان دعاكم لا يرد قال فدخلوا كنيستهم المعظمة وهي ماوى
جرجس وهي الجامع اليوم وفتحوا الانجيل ونشروا المزامير وضجوا
بالهمهمة واخذوا بايديهم مباخر العود والند واقبلوا يبتهلون
بكفرهم وباتوا بقية ليلتهم فلما كان من الغد ارسل كل طايفة
الى باب من الابواب قال الواقدي رضي الله عنه ولقد بلغني ان
اللعين مريس دخل البيعة وقرب لها قربانا ثم دخل الى قصره وقدم
خنوصا مشويا فجعل ياكل منه ويشرب الخمر حتى فرغه وجعل
يتمشمش عظامه ووضع بين يديه الخمر في بواطي الفضة واتى بكاس
من الذهب فشرب منه حتى انقلبت عيناه في ام راسه ثم لبس ثوبا
من الحرير ولبس فوقه ديباجة خشبية بالقز والابريسم البلدي
وعلا ما بدرع وعلق في عنقه صليبا من الياقوت الاحمر وختم
شعره بخاتم الملك وطرح فوق شعره شمسة من الذهب وفي وسط
الشمسة مرجانة وتقلد بسيف من صنعة الهند وقدم اليه شهريا
كالطود العظيم ثم استوى عليها وخرج من قصره يطلب باب الرستن
واحاطت به الروم من كل جانب قال عمرو بن معن الاسدي
وكان ممن حضر فتوح الشام قال هكذا شهدنا مريس يوم خرج
الى لقانا ورايناه عليه يوم قتل وفتحت ابواب حمص وقد خرجوا القوم م
في عددهم وعديدهم وراياتهم وعقودهم بين يدي مريس خمسة
الاف علج من علوج حمص بالعدد وصفهم البطريق امام المدينة كانهم
سد من حديد وقد وطنوا انفسهم للموت دون اموالهم وتبادروا
اليهم المسلمين مثل الجراد المنتشر وحملوا عليهم العلوج كانهم
احجار ثابتة فعند ذلك صاح البطريق مريس فتبادرت اليه الروم
وصاح بعضهم ببعض وانكبوا على المسلمين وقد فشا القتل
والجراح فنظر امين الامة الى ذلك من هزيمة المسلمين فعظم عليه وصاح
برفيع صوته يا بني العربيات الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم
له ما بعده فاحملوا معي على بركة الله وعونه قال فتراجعوا المسلمين
وحملوا على اهل حمص حملة واحدة وتقدم خالد في اول الناس في جمع
بني مخزوم فجعل العرب القوم يضاربوا ضربا كالحريق في النار ووضعوا
المسلمون فيهم السيف والرماح وحمل ميسرة بن مسروق العبسي

في عبس واعلنوا بالتهليل والتكبير قال ونادت الروم بالعقلجين فمني القتل
فيهم فتراجعوا الى باب الغابية واحاطوا بالمسلمين وجثوا العلوج على الركب
واستتروا بالدرق واشرعوا النشاب فلما نظر خالد الى ذلك برز اليهم وهو
كأنه شعلة نار فجعل ينادي في اصحابه شدوا عليكم فانها واسع غنيمة الدنيا
والاخرة فبينما هو يحرض المسلمين على القتال اذ اقبل عليه عظيم من عظما الروم
وهو يهدر كالاسد فحمل على خالد فراغ عنه وداخله بالصمصام حتى اذا
هم ان يجعلها على راس العلج طارت من يده فطمع العلج في خالد وحمل عليه
فداخله خالد وشب بعضهما بعضا وتواخذوا جميعا على سروجهما
وضم خالد العلج الى صدره واختطفه بيده وكبس عليه بقوته فطحن
اضلاعه وارماه قتيلا واخذ خالد صمصامة العلج وهزها في كفه فطا
منها الشرار ووضع راسه في سرجه وصاح يا بني مخزوم وحرضهم على الحملة
فحملوا وغاصوا في الروم وضرب خالد فيهم يمينا وشمالا وهو ينادي فيهم
انا خالد بن الوليد ولم يزل كذلك حتى تعلقت الشمس في كبد السما
وحمي الدرع على جسده ثم خرج من المعركة وبنو مخزوم تتقاطر من خلفه
والدما على دروعهم وسواعدهم ووجوههم كانها شقايق الارجوان
وخالد ينشد ويقول ويل لجمع الروم في يوم شعب ... اذ رايت الحرب منها شي يشب
تراه في الحرب كنار تلتهب ... حتى تولوا الروم عنا بالعطب
قال فناداه ابو عبيدة لله درك يا ابا سليمان لقد جاهدت في الله حق جهاده
واما المرقال بن هشام بن عتبة بن ابي وقاص صاح يا بني زهرة وحمل
على الروم في ميمنتهم وحمل معه ميسرة بن مسروق بقومه بخالطوا
الميمنة وتشالقوا بالسيوف وصبروا على الحرب وحمل بعدهم قيس
بن هبيرة بن مكشوح المرادي في قومه في الميسرة فجعل يهبر الروم
بسيفه هبرا وحمل من بعده عكرمة بن ابي جهل ومن حوله جمع
من بني مخزوم وانغمس في جمع الروم فعندما حميت الحرب وتطلعت
انفس المومنين الى الشهادة وايقنوا بالسعادة فلم ير ايوم حمص
اقوى جلدا ولا احربا من بني مخزوم غير ان عكرمة بن ابي جهل
كان اشد باسا وهو يرقب الاسنة ويقصدها فقيل له اتق الله تعالى
وارفق بنفسك فقال يا قوم انا كنت اقاتل عن الاصنام فكيف اليوم
في طاعة الله ورسوله واني ارى الحور متشرفين الي لو بدرت واحدة

بمعصمها وبيدها منديل من السندس الاخضر وكاسا من الجوهر
وهي تنادي وتقول اسرع الرواح الينا فانا مشتاقون اليك ولقد
صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وعدنا ثم جعل يقول
حورية اراها سحبت رداها ... والنور قد يسطع من هواها
يا رب لا تحرمني ايا ... ها ثم اصلت سيفه وغاص في المشركين
ولم يزل يقاتل قتالا حتى عجبوا الروم من حسن صبره وقتاله فبينما
هو كذلك اذ قصده مريس البطريق وبيده حربة عظيمة تضي
وتلتهب فهزها في كفه ورماه بها فوقعت الحربة في قلبه
فانجدل قتيلا فلما نظر خالد الى قتل عكرمة بن عمه قد وقع الى الارض
اقبل حتى وقف عليه وبكا وقال ليت ابو حفصة يعني عمر نظر الى
بن عمي وميتته حتى يعلم انا اذ القينا العدو ركبنا الاسنة ركوبا
قال ولم يزالوا المسلمون في اهوال الحرب والقتال حتى هجم الليل
وتراجعت الروم الى مدينتهم وغلقوا الابواب وانصرف المسلمون
الى رحالهم وباتوا ليلتهم فلما اصبحوا وصلوا قال ابو عبيدة رضي الله عنه
معاشر المسلمين رحمكم الله لو تمنيتم اهل حمص بباسطوكم
ظاهر ولم ينتهكم لقصر مناكم فما بالكم بارك الله فيكم قد اصدرو كم
هولاء القوم القليلون بعد الطمع فيهم والامل لهزيمتهم والله وقتلهم
والله لقد البسكم الله عافية مجللة وسلامة سابغة وامنا واسعا
واظهركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع والقرب
فما هذا التقصير والله مطلع عليكم فقال له خالد ايها الامير
هولا فرسان الروم واشد الرجال وانت تعلم انه يكون اشد الحرب
على الفرسان لانهم يحامون عن الذراري والنسوان قال ابو
عبيدة فما الراي عندك يا ابا سليمان ارشدك الله تعالى قال خالد ايها
الامير اني رايت انا ننكشف للقوم وننهزم لهم وندع سوادنا
وابلنا فتتبعنا خيولهم وتتباعد عن مدينتهم وصاروا معنا في
البيدا عطفنا عليهم عطفة الاسد فمزقناهم حتى اذا لحقتهم
بواتر الطعن من رماحنا تنقطع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم
قال ابو عبيدة نعم الراي وتواعدوا المسلمون الكشف بين يدي
الروم وان يتركوا لهم سوادهم فلما اصبحوا القوم وفتحت الابواب

وبرزوا للقتال قال ووهم المسلمون التقصير والخوف منهم وطمعوا
في انفسهم وجعلوا ينحرفون عنهم حتى اذا اتضح النهار وانبسطت
الشمس وطاب الحرب طمعوا الروم في المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم
وشدوا عليهم فانهزمت العرب بين ايديهم وتركوا سوادهم قال الواقدي
حدثنا نوفل بن عامر قال حدثنا عرفجة بن حامد التميمي قال اخبرنا
سراقة بن قادم وكان ممن حضر يوم حمص قال فانهزمنا امام الروم
فتبعنا مريس في كبكبة من خيله وكانوا عشرة الاف فارس وكانوا
اشد الروم قال سراقة فانهزمنا امام القوم كاننا نطلب الرحالة
وجوسية وادركتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد طمعا في الزاد
والعلوفة والطعام وكان بحمص قس عظيم القدر كبير السن يعرف
ابواب الحيل والخداع وكان قد قرا التوراة والانجيل وكان قد ادرك
بعض من راى حواريي عيسى فلما اشرف ذلك القس على السور ونظر
الى العرب قد انهزموا وقد ملك سوادهم والنهب يعمل في رحالهم
جعل يصيح وينادي وحق الانجيل والمسيح انها الخديعة ومكيدة
من العرب وانه ايشام يوم على حمص واهلها يا ويلكم ان العرب
لا تسلم اهلها واولادها ولو قتلت عن بكرة ابيها قال الواقدي
وجعل القس يصيح واهل حمص قد وقعوا ينهبون الزاد والطعام
والبطريق مريس قد لج في طلب المسلمين بعشرة الاف فارس
حتى نادى ابو عبيدة برفيع صوته معاشر المسلمين الرجعة الرجعة
بارك الله فيكم ونصركم على عدوكم قال فلما سمعوا صوته عطفوا
على الروم كالسهام الراشقة او كالسباع الضارية كردوسا كردوسا
حتى احاطوا بالبطريق واصحابه من كل جانب وداروا بهم مثل
الحلقة واحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد العين وكانوا الروم
في وسطهم كالشامة البيضاء في الثور الاسود فعندها اخذت العلوج
قسيها ونثرت على العرب نشابها المسموم والعرب يكرون
عليهم كر الاسود ويحومون عليهم كما تحوم النسور فيصرعونهم
يمينا وشمالا حتى قتلوا اكثرهم قال عطية بن فهر الزبيدي
فلما نظرت الروم الى فعالهم بهم تكالبوا عليهم حتى اذا حمي
القتال ابتدر خالد من وسط المعمعة على فرس اشقر وثوب

احمر وعليه جوشن مذهب كان لصاحب بعلبك وهو يهدر
كالفحل الهائج وقد انتضى سيفه من غمده وهزه فتطاير منه الشرار
ولمع منه كضوء البرق ونادى برفيع صوته رحم الله امرا جرد سيفه
وقوى عزمه وعطل قناته وقاتل اعداءه ثم ارتجز يقول

اليوم يوم الكر والزبيدي والحز للاوداج والنحوري
انا الهمام البطل الهطوري جربني الرسول في الاموري

قال فعندما انتضت العرب السيوف وتساقطت على الروم كسقوط
العقبان ونادى ابو عبيدة ايها الناس قاتلوا عن حريمكم وسوادكم
وحاموا عن اهلكم واولادكم فان الله مطلع عليكم وناصركم
على عدوكم وكان معاذ بن جبل قد انفرد في خمسماية فارس
الى السواد فانقض على الروم فما شعروا والعلوج الروم ممن قد انغمس في
الغارة وحمل الزاد والرحال والامتعة الا والطعن قد اخذهم باسنة
الرماح كانما النار المضرمة ونادى معاذ بن جبل الباب كي لا
ينجي احدا من الروم برحالكم واولادكم قال فجعلوا المسلمون
يطلبون الباب وكانت العلوج اذا احست بهم رمت الرحال
وطلبت الهرب فيفلت منهم من يفلت ويقتل منهم من يقتل
قال مهند بن سيف الفزاري فوالله ما انفلت من العشرة الاف فارس
الذين كانوا مع مريس الا نيف على ماية فارس ثم اتبعنا القوم
الى الابواب فكانت اعظم المصيبة عليهم قتالنا على الابواب
لان اكثر الرجال من الاعوام وغيرهم كانوا خارج السور
قال سعيد بن زيد شهدت يوم حمص وكنت ممن اولع بعدد
القتلى فعددت الف وستماية قتيل من الروم غير جريح واسير
فقال ابو عبيدة فهل ترى قتل بطريقهم فقال سعيد ان يكن طاغية
القوم في القتلى فما قتله غيري فقال ابو عبيدة فكيف علمت انه قتيلك
قال لاني رايت رجلا طويلا ضخما بطينا احمر عظيم الخلقة
وعليه لامة صفتها كذا وكذا ريح المسك يفوح من ديباجه
وبيده عمود من الحديد وهو في وسط الروم كانه بعير فحملت عليه
وقلت في حملتي اللهم اني اقدم قربتك قبل ذنبي وغلبتك قبل
غلبتي اللهم اجعل قتله على يدي وارزقني اجره قال ابو عبيدة اخذت

سلبه يا سعيد قلت لا ولكن علامتي تلك كانت في كنانتي ابليتها
في قلبه فخر يهوي عن فرسه وتفرقوا عنه اصحابه فلحقته فضربته
ضربة وهو منكب على وجهه فنبلني في قلبه وضربني في حقويه قال ابو
عبيدة ادركوه رحمكم الله وسلموا الى سعيد سلبه ففعلوا المسلمون ذلك
قال ولما وضعت الحرب اوزارها اخذوا المسلمون الاسلاب والدروع
والسماري ومثلوا الكل امام ابي عبيدة ووقع الصياح والبكا في حمص
من النسوة واجتمعوا الرجال والمشايخ الى بيعتهم وتحدثوا مع الاقسة والرهبان
على ان يسلموا حمص الى المسلمين ثم خرجوا الى ابي عبيدة وصالحوه
على تسليم المدينة وان يكونوا تحت ذمتهم فقال ابو عبيدة انكم
تحت ذمتنا وصلحنا ولقد وجب علينا نصحكم وان نذب عنكم
ولكن لست ادخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين ملك
الروم واراد ان يكرموا المسلمين بالاقامة فنهاهم ابو عبيدة عن ذلك
ولم يدخل احد من المسلمين الا بعد وقعة اليرموك كل ذلك ليتقر بوا
المسلمين الى الروم بالعدل والمحبة والصحبة قال الواقدي حدثنا جرير
بن عون قال اخبرنا حميد الطويل قال حدثنا سنان بن راشد
اليربوعي قال حدثنا مسلمة بن جرير احد بني النجار وكان
ممن يعرف فتوح الشام فقال لما صالحنا اهل حمص بعد قتل مريس
خرجوا اهل حمص ودفنوا قتلاهم وافتقدنا الشهدا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدناهم مائتين وخمسة وثلاثين رجلا
كلهم من حمير وهمذان الا ثلثون رجل من اهل مكة ووادي نخلة
قال الواقدي رضي الله عنه واتصلت الاخبار بهرقل ان العرب قد
فتحوا حمص والرستن وقنسرين وقد اخذوا الفدية التي بعثها
للبطريق مريس فبلغ ذلك منه مادون النفس واقام ينتظر الجيوش
الى ان تقدم من اقصى البلاد لانه قد كان جميع من يحمل الصليب
فلما ضربت عليه الايام والليالي كان اول الجيش عنده بانطاكية
واخره على احد وعشرين فرسخا وانه بعث الجيوش الى مدينة
قيسارية ساحل الشام ليكونوا حفظة على صور وعكا ونابلس
وبيروت وطبريا وبعث جيشا اخر يحفظ القدس واقام ينتظر ماهان
الارمني ان يقدم مع الارمن حتى يقدمه على الجيوش جميعا

قال الواقدي رضي الله عنه وكان ماهان ملك الارمن بعد ايام قدم عليه
بجنوده وخرج الملك وارباب دولته الى لقايهم وترجل له ماهان
وجنوده وكفروا بين يديه ودعوا له وساروا الى الكنيسة وجلس
على منبر كفرهم ووقفت الملوك ورفعوا اصواتهم بالبكاء مما
وصل اليهم من فتح المسلمين لبلادهم فنهاهم الملك عن ذلك
وقال يا اهل دين الصليب قد حذرتكم من هولاء العرب وخوفتكم
منهم فلم تقبلوا فوحق ديني لا بد لهم ما يملكوا ما تحت سريري
وملكي فالان فالبكا لا يصلح الا للنسا وقد اجتمع لكم ما لم يقدر
عليه ملك من ملوك النصرانية وقد بذلت اموالي ورجالي كل ذلك
لاذب عنكم وعن دينكم وحريمكم فتوبوا الى الله وعليكم بالصبر
في القتال ولا تخاصموا بعضكم على بعض ولا تحاسدوا واياكم والعجب
والبطر فانهما ما نزلا بساحة قوم الا ونزل عليهم الخذلان واني
اسالكم عن شي واريد عنه الجواب فقالوا العظما من القوم
ايها الملك سل فقال انكم اكثر مددا واعز عددا واكبر
اجساما واعظم قوة فمن اين وقع بكم هذا الخذلان وقد كانت
دا الفرس والترك تهاب سطوتكم وتفزع من شدتكم وقد قصد
اليكم مرارا فرجعوا منكسرين وما غلبكم الا اضعف الخلق
عراة الاجسام جياع الاكباد لا عدة ولا سلاح وقد قتلوكم
على بصرى وحوران وغلبوكم وغلبوكم باجنادين ودمشق
وبعلبك وحمص قال فسكتوا القوم عنه فقام اليه قس عالم
في دينهم وقال ايها الملك لان قومنا بدلوا دينهم وغيروا
ملتهم وجحدوا ما جا به المسيح وظلموا بعضهم بعضا وليس
فيهم من يامر بمعروف ولا ينهى عن منكر وضيعوا اوقات
احش صلواتهم واكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشت بينهم المعاصي والفو
وهولاء العرب طايعين لربهم مؤتمرين بسنة نبيهم رهبان
بالليل صوام بالنهار ولا يفترون عن ذكر ربهم ولا من الصلاة
على نبيهم وليس فيهم من يتكبر ولا يتجبر بعضهم على بعض
شعارهم الصدق ودثارهم العبادة ان حملوا فلا يرجعوا
وان حملنا عليهم لا يولون الادبار قد علموا ان الدنيا تفنى وان

الاخرة هي دار البقا قال فلما سمع الملك ذلك من قول القس قال لهذا
نصرت العرب علينا لا محالة في ذلك اذا كان فعل قومنا ما ذكرت
فلا حاجة لي في نصرتهم واني قد عولت على ان اصرف هذا الجيش
الى بلادهم واخذ مالي واهلي واترك ارض انطاكية واخرج من
هذه المدينة الى القسطنطينية فاكون هنالك امينا من العرب قال
فلما سمعوا ذلك صعقوا بين يديه وقالوا ايها الملك لا تفعل ولا تخذل
دين المسيح فيطالبك به يوم القيامة وتعيرك الملوك وتستضعف
رايك وتشمت بنا الاعدا اذا انت خرجت من الشام ويسكنوا
العرب بعدنا وقد اجتمع لك الجيش الذي ما اجتمع لملك من ملوك
الدنيا مثله ونحن نلقا العرب ونصبر لقتالهم فلعل النصر ينزل
وان كان النصر لاعدائنا طلبنا نجاة انفسنا وقدم من شئت على هذه
الجيوش واتركنا لقتال العرب ثم عول على ان يبعث الجيوش
مع خمس ملوك من الروم فاول ما عقد لوا من الديباج المنسوج
بالذهب وعلى راس اللوا صليب من الجوهر وسلمه لقناطر ملك
لذقية وضم اليه مائة الف من الروسية والصقالبة ثم خلع عليه
وتوجه ثم عقد لوا اخر من الديباج الابيض فيه شمسات من
الذهب وعليه صليب من الزبرجد وسلمه الى جرجير ملك عمورية
وملورية وتلورية وخلع عليه وقال امرتك على مائة الف من روم
الروم والمحكوكة والقرادية ثم عقد لوا ثالثا من الدنستري
الملون وصليب من الذهب وسلمه الى الدريجان صاحب
قسطنطينية وامره على مائة الف عنان من الغليط والافرنج
والقلمن وخلع عليه ثم عقد لوا رابعا من الديباج الاسود موشح
باللولو وسلمه الى ابن اخته وهو قورين وامره على مائة الف
عنان من الروقيين والمغليط والارمن وخلع عليه وسوره
ومنطقه ثم عقد لوا خامسا مرصعا بالدر والجوهر والياقوت
الاحمر وسلمه الى ماهان الارمني وكان يحبه حبا شديدا
ويدله لانه كان من اهل الراي والتدبير والشجاعة قال
وكان قد قاتل مرارا لعسكر الفرس وهزمهم فلما عقد
له اللوا خلع عليه ما كان عليه من الثياب الملك وتوجه

قال فرح للكل بقولهم

ومنطقه وسوره وقلده بقلادة من الجوهر لا يتقلد بها الا الملوك
ثم قال له يا ماهان قد وليتك على هذا الجيش كله ولا امر على امرك
ولا حكم على حكمك ثم قال لقناطر وجرجير والدريجان
وقورين اعلموا ان صلبانكم تحت صليب ماهان وامركم اليه
ولا تصنعون امرا الا بمشورته ورايه واطلبوا العرب حيث كانوا
ولا تفشلوا وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم ثم
افترقوا على خمسة طرق فانكم ان اخذتم على طريق واحد لم
تسعكم ثم خلع على جبلة بن الايهم الغساني وضم اليه المتنصرة
من غسان ولخم وجذام وعاملة وتجيلة وقال كونوا على المقدمة
فان هلاك كل شي من جنسه والحديد يقطع الحديد ثم امر الاقسة
ان تعمدهم في المعمودية وتصلي عليهم حدثني نوفل بن
عدي تم الجزو الاول ويتلوه الجزو الثاني ان شا الله تعالى
والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على من لا نبي بعده
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل

دخل في ملك الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي
عفو ربه الكريم الوهاب العلي الرحمن احمد بن الحاج
عثمان الحلبي غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة
وذلك في ثلاثاء ربيع الاول من شهور سنة الف واثنين وثلاثين
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتحية
في قسطنطينية المحمية من رزيه

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم انثنى عبد الرحمن بسيفه ولحق بقيس بن هبيرة يريد ان يناوله السيف فلما نظرت
الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا انه يعاون قيسا على صاحبهم فخرج اليه
بطريق اخر ووقف معه ولم يرجع حين راى اثنان وجعل العلج الخارج يتكلم بكلام عظيم
لا يفهم المسلمون شيا منه فقال عبد الرحمن يا ويلك ما الذي تقول فما نعرف كلامك
فخرج اليه ترجمان وقال يا معشر العرب اليس قد ذكرتم انكم اصحاب نصفة قال عبد الرحمن
نعم قال الترجمان فما راينا من نصفتكم شيا يخرج فارسان منكم الى فارس فقال
عبد الرحمن انما خرجت اعطي صاحبي هذا سيفا وارجع عنه ولو خرج الينا منكم مائة
واحد منا ما ابر علينا ولا اعظم لدينا وها انتم ثلثة ونحن اثنان وصاحبي قد تعب فقف
وتفرج علي وانظر ما يكون مني ثم حمل عبد الرحمن على الذي كان يخاطبه وطعنه طعنة في
جنبه اخرج سنانه من قفاه فوقع صريعا فلما نظر العلجان الى صاحبهما صريعا حملا
على عبد الرحمن وقصدا اليه فعاونه قيس فقال عبد الرحمن سالتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ما تركتني اصطلي نارها فان قتلت كنت شريكي في الاجر واقرا عني نبيه
عليه السلام فتاخر قيس عنهما وقد عجب من فعاله وحمل عبد الرحمن على احد العلجين
وطعنه برمحه فاشتبك سنانه في درعه فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وانتضى سيفه
وضرب العلج ضربة طرحه نصفين ونظر الثالث الى عبد الرحمن وجراته فبقي حاير متعجب

من فعله

من فعله ونظر قيس الى البطريق وهو متحير باهت فتبين له فيه الغفلة فقال اما
يوفقك يا قيس وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها امته وسقط الى الارض صريعا
فلما نظرت الروم الى اصحابهم وما صنع بهم قال بعضهم لبعض ما هولاء الا شياطين قال
واخبر ماهان بفعالهم فقال ان الملك كان اخبر بهولاء القوم منكم ووحق المسيح
لقد اعلم ان لكم امرا قد نصروا هولاء عليكم به فان لم تطحنوهم بكثرتكم في قلتهم والا
فما تقوم لكم قايمة قال فاقبل اليه بطريق من البطارقة وسار ماهان في اذنه طويلا
ثم انزاح عنه وقد اصفر وجه ماهان وسكت فاستخبر ماهان عن ذلك وما حدثه
البطريق فلم يخبرهم قال فحدثني من راى ذلك قال لما اخبر ماهان عن ذلك
من خبر البطارقة الذين قتلوا وفيهم البطريق الاول وهو من الملكية قال ماهان ما
اظن الا انهم منصورون عليكم فقال البطريق ايها الملك القول كما تقول اعلم
اني رايت البارحة في منامي كان رجالا نزلوا من السماء الى الارض وهم على دواب
شهب وبلق وعليهم لامة السلاح فاحدقوا بهولاء العرب ونحن قيام بازايهم لا يخرج
من عسكرنا احد الا قتلوه حتى اتوا على اكثرنا قال فكسر بهذا الكلام قلب ماهان
فلم يرد جوابا فاجتمع القوم اليه يسالونه ما قال له البطريق فلم يخبرهم فلما الحوا عليه
السوال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا اهل هذا الدين انكم ان لم تقاتلوا انتم من
الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل اليكم ناصرا وان لله عليكم
الحجة البالغة ان بعث اليكم رسولا وانزل عليكم كتابا فلم يتبع رسولكم الدنيا وامركم

ان لا تتبعوها وفي كتابه لا تظلمون فان الله لا يحب الظالمين فلما خالفتموه نصر
اعداكم عليكم فما غدركم عند خالقكم وقد تركتم امر نبيكم وما انزل عليكم في
كتاب ربكم وهولاء العرب بازايكم يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم وانتم تعملون
بالمعاصي والذنوب ولا تفزعون من ربكم فان نزع الله سلطانكم من ايديكم واظهر عليكم
عدوكم فذلك بحرمته وعدله لانكم لا تامرون بمعروف ولا تنهون عن منكر قال فكان ماهان
قوى بكلامه هذا كلام البطريق الذي حدثه بما راى في النوم وامر ان لا يدفعه لاحد
واما قيس وعبد الرحمن لما قتلا الثلاثة نزل عبد الرحمن فاحاز سلاحهم واسلابهم
هو وقيس وعادا الى المسلمين ودفعا السلب لابي عبيدة فقال اهو لكما ومن قتل منكم
فارسا فله سلبه هكذا عهد الي امير المومنين عمر رضي الله عنه فاخذا السلب ووقف
قيس في موضعه الذي اقامه فيه خالد ورجع عبد الرحمن الى ميدان الحرب فجال
بين الصفين وكان قد ركب شهري البطريق الذي قتله فراه لا ينبعث بجنبه كما عهد
من خيل العرب فرجع فغير من تحته بفرسه وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم
وقتل منهم فارسين ورجع فحمل على القلب ثم انثنى نحو الميسرة فرشق بالسهام ورجع حتى
وقف في صدر الجيش وجعل يفزع الروم باسمه ويدعوهم الى البراز فخرج اليه علج من
علوج الروم فما جا امعه الا يسيرا حتى قتله وخرج اخر فقتله فقال خالد اللهم
ارعاه واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلا اليوم بقتال الروم وحده ثم صاح د
يا عبد الرحمن بحق شيبة ابي بكر وبعينه الا رجعت الى مكانك ودع اخوانك المسلمين

يقاتلون

يقاتلون فرجع الى مكانه حين اقسم عليه قال حزام بن قثم قلت لرجل ممن
شهد اليرموك اكانت النسا معكم يشهدن القتال قال نعم احداهن اسما زوجة
الزبير بن العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وام ابان زوجة عكرمة
وعزبة ابنة عامر مع زوجها سلمة بن عود ورملة ابنة طلحة ورعلة وامامه وزينب
وسلما وهند ونعم والعبدا ولبنا وامثالهن فلقد كن يقاتلن قتال الابر صبن بدالله
ورسوله وكان الرجال اذا راوا قتال النسا وبخ بعضهم بعضا فيقاتلوا قتال الموت
والجريم قال الواقدي رحمه الله فذكر لي من اثق به وحضر هذه السنين ووقعة
اليرموك قال كان اولها شر الحرق وكان كل يوم ياتي من القتال اصعب من اليوم
الاخر قال عمرو بن جرير فشهدت في اليرموك اول يوم حربا يسيرا وشهدنا في اليوم
الاخر حربا عسيرا وذلك ان ماهان امر عشرة من الصفوف ان تحمل على المسلمين د
وذلك بعد ان قتل عبد الرحمن من قتل قال فحمل المسلمون عليهم فالتقت الرجال بالرجال
ونظر ابو عبيدة رضي الله عنه الى ذلك وكان وافقا لم يحمل على عسكر ماهان وعلم ان
الامر سيصعب عليه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وجعل يقرا
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل ولم تزل الحرب بين القوم من ارتفاع الشمس في كبد السما حتى همت بالغروب
ولم ينفصل الجمعان حتى فرق بينهم الظلام فعندها افترقا من بعضهم بعضا
وما يعرف بعضهم بعضا الا بالشعار وخرجوا وكل قوم من العرب تهتف بشعارها وينادا د ن

بانبسا بهم ورجعت كل فيئة الى مكانها واستقبل المسلمين نساؤهم فجعلت المراة تمسح
وجه زوجها بمرطها وتقول له ابشر بالجنة يا ولي الله قال وبات المسلمون المسلمون
وهم فرحين ويتحارسون وارقدوا النيران وذلك ان القتل لم يبن اول يوم على
الفيئتين بل قتل من الروم بشر ومن المسلمين عشرة رجال رجلان من حضرموت احدهما
يقال له مازن والاخر قادم وثلثة من غسان وهم رافع ومحلي وحازم وواحد من الانصار
وهو عبد الله بن الاخرم وثلثة من بجيلة واخر من مراد يقال له سويد بن لاخي قيس
ابن هبيرة فحزن عليه قيس بن هبيرة حين فقده فلم يره فعلم انه مقتول فاخذ معه
قبسا من نار وخرج هو ورجال من قومه حتى اتوا موضع الوقعة واقبلوا يفتشون فلم
يروه فلما هم قيس بالرجوع اذ نظر الى نار قد اقبلت من جانب الروم تريد مكان الوقعة
يطلبون بطريقا لهم معظما عندهم قال قيس لقومه اخمدوا نيرانكم فوالله لاخذن
ثار ابن اخي من هؤلاء القوم قال فاخمدوا النيران ولصقوا بالارض بين القتلى وتاملوا
الروم واذا هم نحو المائة في آلة وعدة وكان قيس معه من قومه سبعة فقال له قومه
يا قيس ان القوم مائة ونحن سبعة وقد مسنا التعب قال قيس ارجعوا انتم على
اعقابكم فاني انا اطلب الموت لا اريد غيره او اخذ بالثار فعجبوا من قوله ووقفوا معه
وقفة الكرام واقبلت الاعلاج تخوض بين القتلى الى ان وقعوا بالعلج الذي قتله قيس
وهو الذي كان قد برز اولا فحملوه فلما ولوا يريدون عسكرهم صاح بهم قيس من ورائهم
وتابعه اصحابه بالصياح فرموا البطريق عن اكتافهم وذهلوا من الصيحة واتبعهم

المسلمون

المسلمون ووضعوا فيهم السيوف وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس اذا
ضرب فيهم بسيفه يقول هذا عن ابن اخي هذا عن ثاره فقتل بيده من القوم ستة
عشر رجلا وقتل اصحابه اكثر القوم وانفلت الباقون ولما فرغ قيس من القوم عاد نحو
عسكر الروم يطلب ابن اخيه فسمع انينا فاقبل نحوه واذا هو ابن ابن اخيه سويد
ابن همام بن هبيرة فلما نظر اليه عرفه فبكى وقال ما لك يا ابن اخي قال يا
عماه اني تبعت القوم فرجع الي واحد منهم فطعنني في صدري اخرج سنانه من ظهري
وانا قاسيت منها امرا عظيما وهؤلاء الحور العين جاءني ينتظرون خروج روحي
قال فبكا قيس وقال يا ابن اخي لكل اجل كتاب ولعل لك اجل قال هيهات
قرب والله الامر فقال له قيس فتقدر ان احملك على ظهري فتموت عند المسلمين
قال فاحتمله على ظهره واقبل الى عسكر المسلمين وقصد به رحله فسجاه فيه فسمع ابو
عبيدة بمجي قيس فجا اليه ونظر الى الغلام الذي جاد بنفسه فسلم عليه وجلس عند
راسه فبكا وبكا المسلمون فقال ابو عبيدة رضي الله عنه كيف تجدك يا ابن اخي قال بخير
وغفران جزا الله محمدا عنا خيرا فلقد صدقنا في قوله قال فبينما هو يخاطبه اذ خرجت
روحه رحمه الله قال وما برحنا حتى واريناه في حفرته واخبر قيس لابي عبيدة بمن
قتل من المشركين ففرح فرحا شديدا وعلم ان ذلك علامة النصر وبات الناس بقية
ليلتهم وهم يتلون القران ويسالون الله المعونة والنصر واما ماهان الارمني فانه لما
رجع الى عسكره اجتمع اليه البطارقة والملوك والقسيسون والرهبان وقدم الى ماهان

طعامه ومدّ سماطه فلم ياكل شيا مما وقع في قلبه من المنام الذي راه البطريق
فكان ماهان يودّ لو ترك الامر اليه لاداء الجزية ويصالح المسلمين ولكنه مغلوب
على رايه لمخالفة الروم له ولهرقل ايضا وذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا واقبلت
الملوك والاقسّة والمطارنة والرهبان على ماهان وقالوا ايها الملك قد امتنع
من الطعام فان كان ذلك من غم جرى من الحرب فان الحرب دول وسجال فيوم لك ويوم
عليك واعلم ايها الملك ان القوم منظفرون بنا وما هلاكهم الا ان نحمل عليهم
بجمعنا فلا نبقي منهم احدا قال ماهان ما اظن الا ان لكم شيا تصنعونه
من تغيير اديانكم والجور في سلطانكم فبهذا نصرت العرب عليكم فقام اليه رجل
من اهل دمشق وقال ايها الملك عشت الدهر اني امرؤ من اهل دينكم اخذ لي مايه راس
غنم وكان فيها ولدي يرعاها فضرب عظيم من عظما اصحابك اصحاب الفسطاط عليها
فاخذ منها حاجته واخذ بقيتها اصحابه فجاءت امراتي تشكو اليه انتهاب غنمي فلما
راها امرها فادخلت عليه فطال مكثها عنده فلما راى ذلك ابنها دنا من باب
الفسطاط واطلع فاذا هو يضاجع امه فصاح الغلام وجلب فامر البطريق بقتل الغلام
فقتل واقبلت اريد خلاص ولدي فامر بي فضربت بالسيف فالتقيت الضربة بيدي
فقطعها ثم اخرج يده فاذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان غضبا شديدا ثم قال
للمعاهدي هل تعرف هذا الرجل الذي فعل ذلك بك قال نعم هو هذا واومى بيده
الى البطريق وهو بين البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا فغضب البطريق وغضبت

البطارقة من اجله وما لوا على المعاهدي فضربوه بسيوفهم حتى مات وماهان
ينظر اليهم فزاد غضبا وقال اخذلتم وحق المسيح والصليب يا ويلكم كيف
ترجون النصر وانتم تفعلون هذا الفعال اما تخافون القصاص غدا لا جرم ان الله ينتقم
منكم وينزع عنكم صالح ما اعطاكم ويعطيه غيركم ممن يامر بالمعروف وينهى عن
المنكر وانتم الان عندي مثل الكلاب والحمير واشر من البهايم وسوف تزول عاجلا
عاقبة ظلمكم الى ما يوردكم والى مصير يصيركم ثم امر باصرافهم من عنده فلما
انصرف القوم من عنده لم يبق الا البطريق من البطارقة فقال ايها الملك والله
ان القول كما تقول وما اظن الا انا مغلوبون بظلمنا واعلم اني رايت في منامي كان رجالا
نزلوا من السماء على دواب شهب واحدقوا بهولاء العرب وعليهم كامل السلاح ونحن
وقوف بازايهم ننظر اليهم ولا يخرج منا احد الا قتلوه حتى اتوا على اكثرنا وذكر كما ذكر
البطريق الاول فاقبل ماهان يفكر طول الليلة ما يصنع في امر المسلمين فسنح له
رايه ان لا ينجز القتال بينه وبين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح عباء
المسلمون صفوفهم ونظروا واذا ليس للروم انزعاج في عسكرهم فعلموا ان لهم امرا فقال
ابو عبيدة دعوهم ولا تبغوا عليهم قال واجتمع البطارقة الى ماهان ومعهم الملوك
الاربعة وهم اصحاب الجيش وجاوا يستاذنون ماهان في الحرب فقال لهم ماهان وكيف
لي ان اقاتل بقوم يظلمون فان كنتم احرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم
فقالوا الزمنا الحرب ونحن عبيدك ومن يمينك لا نفارقهم حتى نغنيهم عن اخرهم ونخرجهم من الشام

الى بلادهم او يقتلونا فيشق بقولنا وانهض بنا اليهم واذا عزمت على القتال فدع كل
واحد منا بنوبته وعسكره ليقاتل كل واحد منا حتى يعرف من منا اشد ويضجر
المسلمون من المطاولة ويجمع عيالنا واطفالنا واموالنا في السفن فان كانت لنا على
العرب رددناهم الى منازلنا وان كانت للعرب علينا لحقوا ببلادهم وقومهم
ويملون الحرب بيننا في الاسبوع خمسة ايام ونستريح يومين ونرجوا ان ينفصل
الامر بيننا وبينهم في يوم او يومين فقال ماهان لعنه الله هذا هو الراى
ثم كتب الى هرقل اما بعد فنسال الله ان يهب الملك لجندك واهل بيتك النصر
ولاهل سلطانك العز ولاعدائك القهر وانك قد بعثتنا فيما لا يحصى من العدد
واني قد زمت على هولاء العرب فنزلت بساحتهم ومنيتهم واطمعتهم فلم يطمعون
وسالتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم الجعل على ان ينصرفوا فلم يفعلوا وقد فزع
جند الملك منهم فزعا شديدا وقد خشيت ان يكون الفشل قد عمهم والرعب قد
داخل قلوبهم وذلك لكثرة الظلم فيهم وقد جمعت اهل الراي من اصحابي وذوي
النصيحة للملك ولدينه وقد اجتمع راينا على النهوض اليهم بجمعنا في يوم واحد حتى
يحكم الله بيننا فان اظهر الله عدونا علينا فارض بقضاء الله واعلم ان الدنيا زايلة عنك
فلا تاسف على ما فاتك منها ولا تغبط منها على شي والحق بمعاقلك وبدار ملكك
بالقسطنطينية واحسن الى رعيتك يحسن الله اليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك
فانه لا يحب المتكبرين وقد عملت الحيلة في احضار امير القوم خالد ومنيته وارغبته

فما قبل

فما قبل ورايته على الحق مقيم فاردت ان افتك به فخفت عاقبة المكر وما نصروا
الا بالعدل واتباع نبيهم والسلام عليك ثم طوى الكتاب وبعث به الى هرقل مع
بعض اصحابه من العلوج قال الراوي لفتوح الشام واقام ماهان سبعة
ايام اخر من الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوهم وبعث ابو عبيدة برجل
من عيونه ينظر ما الذي اخر القوم عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد
واخبر ابا عبيدة ان ماهان قد كاتب الملك وهو ينتظر الجواب فقال خالد ايها
الامير والله ما تاخر ماهان عن قتالنا الا وقد حصل فزعنا في قلبه فازحف بنا
اليهم فقال ابو عبيدة يا خالد لا تعجل فالعجلة من الشيطان قال
الراوي وكان ابو عبيدة رضي الله عنه رجلا لين الجنبة فيه الرفق فلما كان في اليوم
الثامن نظر ماهان الى تلهف اصحابه على الحرب والقتال فعزم على ان يلقاهم
العرب فانتدب رجلا من لخم وقال اذهب الى العرب وتجسس اخبارهم وانظر ما
عندهم من خبرنا وكيف حرصهم على القتال وكيف اعمالهم وسيرهم وكيف هيبتنا
في قلوبهم قال فمضى اللخمي حتى دخل عسكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقام فيهم يوما وليلة يطوف في معسكرهم وليس احد من المسلمين ينكره لانه من
العرب وزيه زيهم فما راى بينهم عدوان ولا ظلم ولا احد يتعدى على احد وقصد
الى الموضع الذي فيه ابو عبيدة فنظر اليه فاذا انه اضعف ضعيف في العرب ساعة يجلس
على الارض وساعة ينام فاذا كان وقت الصلاة قام واسبغ الوضوء واذن المؤذن

وصلى بالناس فنظر اللخمي الى المسلمين يصنعون لصنعه فقال اللخمي ان هذه طاعة

حسنة يوشك انهم ينصرون ثم رجع الى عسكر ماهان وحدثه بالذي نظر من القوم

وعاين وقال ايها الملك اني جيتك من عند قوم رهبان بالليل ليوث بالنهار

لو سرق احدهم وكان اميرهم قطعوه ولو زنا رجموه لا يغلب هواهم على الحق بل الحق

لهم غالب وامرهم كاضعف من فيهم الا انه مطاع في امره بينهم ان قام قاموا وان

قعد قعدوا امانيهم القتال وشهوتهم النزال وما اخرهم عن القتال لكم الا لكون

البغي منكم اذا بدأتموهم فقال ماهان هولاء القوم منصورون علينا غير

اني قد وجدت حيلة اعملها عليهم فقال اللخمي وما الحيلة ايها الملك قال

ماهان اليس زعمت انهم لا يقاتلونك حتى نقاتلهم لنكون نحن الباغون قال نعم

قال فانا لا اطلب الحرب بل اطول الامر ثم ادهمهم على حين غفلة وهم دون عدة ولا

آلة فعسى ان اظفر بهم ثم ان ماهان جمع الملوك اليه والبطارقة وجعل يعقد لهم

الرايات والصلبان حتى عقد على مائة صليب تحت كل صليب عشرة الاف وكان اول

صليب عقد لقناطر وكان نظيره في المرتبة وامره ان يكون في الميمنة ثم عقد

للدريجان وضم اليه السكسكية واللان وجعله على الميسرة ثم عقد لقورين ابن اخت الملك

على الفرنج والهرقلية والقباصرة والبرغل وعقد لجرجير وضم اليه الارمن وعقد لجرجيس

على البحر والنوبة والروسية وعقد لجبلة وضم اليه المستنصرة من عاملة ولخم وجذام

وغسان وامره ان يكون على المقدمة وقال انتم عرب واعداونا عرب والحديد لا يقطع

الا بالجديد ثم فرق الاعلام في جنبات العسكر وصف عسكره ثلثين صفا وعباهم ولا

بقي احد يرى اولها من اخرها ولم يزل يعبي الصفوف والاعلام والصلبان والمجانيق الى

الصبح وقد فرغ من تعبيتهم وقد رتب طلايعهم ثم امر بمضربه فضرب له على جانب اليرموك

ليشرف على عسكره وعسكر المسلمين واوقف على ميمنته الفي فارس من حماة الروم في سابغ

السلاح والغي عن يساره وعليهم الديباج الاحمر المنسوج بالذهب ولا يرى منهم الا الحدق

وهم الملكية اصحاب السريرة وامرهم بالنقضة وقال لهم اني قد كدت العرب بهذه

الفعال لانكم على تعبية فاذا طلعت الشمس ورايتم المسلمين على غير التعبية للحرب

فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فما هم في عسكرنا الا كالشامة البيضا في جلد البعير

الاسود قال الواقدي رحمه الله هكذا سمعنا بادر بن غالب يذكره وكان

من المعمرين قال لما رتب ماهان عسكره كما في عسكرنا ولبس عندنا مما صنع الكافر خبر

قال وانشق الفجر فاذن المودنون وتقدم ابو عبيدة رضي الله عنه فصلى بالناس وهو لا يعلم

بمكيدة ماهان فقرى في اول ركعة والفجر وليال عشر الى قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد

فهتف بهم هاتف وهم في الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب الكعبة وما يبغى كيدهم

شيا وما اجرى الله هذه الاية على لسان اميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون

ذلك الهاتف عجبوا ثم قرا في الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله تعالى فدمدم

عليهم ربهم بذنبهم الاية واذا بالهاتف يقول تم الفال وصح الامر هذه علامة

النصر فلما فرغ ابو عبيدة رضي الله عنه من صلاته قال معاشر المسلمين هل سمعتم

من الهاتف ما سمعت قالوا نعم سمعنا قايلاً يقول كذى وكذى فقال ابو عبيدة
هذا والله هاتف النصر وبلوغ الامر فابشروا بنصر الله ومعونته فوالله لينزلنّ
الله عليهم وليسلّطنّ عليهم سوط عذاب كما انزل على القرون الاولى ثم قال ابو عبيدة
اعلموا معاشر الناس اني رايت البارحة في منامي رويا تدل على النصر على الاعداء
والمعونة من العلي الاعلى فقالوا اصلح الله الامير ما الذي رايت قال رايت
كاني واقف بازاء عدونا حتى اجتمعت بي رجال عليهم ثياب بيض لم ارى مثلها حسنا
لبياضها اشراق ونورها يغشا الابصار وعلى روسهم عمايم خضر وبايديهم
رايات صفر وهم على خيول شهب فلما اخذوا مصافهم حولي منهم من اعرف ومنهم
من لا اعرف وقالوا انقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم انتم الاعلون والله ناصركم
ودعوا برجال منكم وسقوهم بكاس كان معهم فيه شراب وكاني انظر الى عسكرنا
وقد دخل الى عسكر الروم فلما راونا ولوا بين ايدينا منهزمين فقال المسلمون
اصلح الله الامير هذه بشرى اقر الله لها عينك وبشرك بخير فقام رجل من خولان
وقال اصلح الله الامير رايت البارحة ايضا رويا فقال ابو عبيدة خيرا ان شا
الله فما الذي رايت رحمنا الله واياك قال رايت كانا خرجنا نحو عدونا فصافناهم
القتال واذا قد انقضت عليهم من السماء طيور بيض لها اجنحة خضر ومخالب
كمخالب النسور فجعلت تنقض عليهم كانقضاض العقبان فاذا حاذت الرجل منهم
ضربته ضربة فيقع قطعا ففرح المسلمون بتلك الرويا وقال بعضهم لبعض ابشروا

فقد امنكم

فقد امنكم الله وامدكم بالنصر وايدكم بملايكته تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر
وسُرّ ابو عبيدة وقال هذه رويا ان حسنتان وهي حق وتاويلها النصر واني
ارجوا من الله عافيته المتقين فقال له رجل من المسلمين ايها الامير فما وقوفنا
عنها ولا الكلاب الاعلاج واي شي انتظارك بالحرب وعدو الله قد اكادنا
بمطاولته وما تاخرنا الا البليته يريدان يوقعها بنا قال ابو عبيدة
ان الامر اقرب مما تظنون قال سعيد بن رفاعة وكنت رجلا ما قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نظرت اليه فلما اتانا داعي ابي بكر الصديق
رضي الله عنه واستنفرنا لقتال الروم فنفرت فيمن نفر وقدمت المدينة مع من
قدم من قومي ونظرت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس في محراب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلزمت الصلاة معه ولم اسر الى قتال الروم وشهدت
وقعة اليرموك مع ابي عبيدة وذلك اني كنت لا افارق ابا عبيدة اصلي معه بصلاته
وكان ابو عبيدة يصلي صلاة الصبح مغلسا قال سعيد بن رفاعة فصلى بنا غداة
الهاتف مغلسا ونحن قد فرحنا بالهاتف والرويا اذ سمعنا الاصوات قد
علت والزعقات من كل جانب قد ارتفعت يصفقون بالقتال وان الروم قد زحف
الينا فظن ابو عبيدة ان المسلمين قد لبسوا في وجه السحر فقام وقمنا وكان على
حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد اذ اقبل وهو ينادي النفير النفير حتى وقف
امام ابو عبيدة ومعه رجل من المتنصرة فقال ايها الامير ان ماهان كاد المسلمين

تخلف عن الحرب وها هو قد عبا عساكره وصف جيوشه وزحف الينا
زحف من يريد الهيبة علينا ونحن على غير اهبة ولا عدة وهذا الرجل قد اقبل
الينا راغب في الاسلام محذر لنا من باسه ويزعم ان ماهان قد زحف الينا بجيشه
وقدم جاميت البطارقه وقد اتفقوا انهم ان يقاتلونا كل يوم بملك من ملوكهم
بمن معه يوما وهذا اصعب القتال ونظر المسلمون الى رايات القوم تقرب
منهم والصلبان تدنوا فقال ابو عبيدة رضي الله عنه لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ثم قال ابن خالد بن الوليد فاجابه بالتلبية فقال له يا ابا سليمان
ابرز في ابطال المسلمين وصد عن الحرم الى ان ياخذ الرجال صفوفها قال
فصاح خالد رضي الله عنه اين هشام المرقال اين الزبير بن العوام اين عبد
الرحمن بن ابي بكر الصديق ه اين الفضل بن العباس ه اين يزيد بن ابي سفين ه
اين ربيعة بن عامر ه اين ميسرة بن مسروق ه اين ميسرة بن قيس ه اين انيس
الجهني ه اين صخر بن حرب الاموي ه اين عمرو ه اين عمار بن سلامة بن غنم ه
اين المقداد بن الاسود الكندي ه اين ابو ذر الغفاري ه اين عمرو بن معدي
كرب الزبيدي ه اين عمار بن ياسر ه اين ضرار بن الازور ه اين عامر بن الطفيل
اين ابان بن عثمان بن عفان ه وجعل خالد رضي الله عنه يدعو برجل بعد
رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد معه المواطن
المفضلة واصحاب المقدمة حتى دعا خمسماية رجل من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم وكل رجل منهم قد حبس نفسه في سبيل الله فجاوا الى خالد بجمعهم
واستقبلوا جيش الروم باسنة رماحهم واشتغلوا بالقتال واشعلوا نار
الحرب واشتغل ابو عبيدة بترتيب الصفوف وتعبية العسكر واقبل ابو سفين
الى ابي عبيدة وقال ايها الامير مر النسا يعلون هذا التل قال فامرهن بذلك
فعلون على التل وحصن انفسهن ومعهن الاطفال والبنات فقال لهن ابو عبيدة
خذن بايديكن اعمدة البيوت واجعلن الحجارة بين ايديكن وحرضن المومنين على القتال
فان كان الامر لنا فكن على ما انتن عليه وان رايتم احدا من المسلمين منهزما فاضربن
وجهه باعمدتكن وارجمنه بحجارتكن وادفعن اليه اولاده وقلن له قاتل عن اهلك وولدك
وعن بيضة الاسلام فقلن النسا ايها الامير ابشر بما يسرك منا قال
الواقدي ولما حصن ابو عبيدة النسا بالتل اقبل يعبي الجيش وقد ابتدر الناس للقتال
بعد ان عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وقدم اصحاب الرايات وكانت
راية المهاجرين صفرا ومنها بياض وخضرة وسواد وساير القبايل راياتهم مختلفة
وجعل المهاجرين والانصار في القلب واظهر المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره
ثلث صفوف صف فيه النبالة وصف فيه اصحاب السيوف والحجف وصف فيه
الرماحة اصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلثة فرق فجعلها في الثلاث صفوف
واستعمل عليهم ثلثة من فرسان المسلمين احدهم غياث بن حرملة والاخر سلمة بن
سيف والثالث القعقاع بن عمرو ووقف المسلمون تحت راياتهم ووقف ابو عبيدة

في القلب تحت رايته التي عقدها له ابو بكر الصديق رضي الله عنه يوم مسيره الى
الشام وهي راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرا التي شارك بها يوم خيبر قال ومع
خالد راية العقاب سودا وكان على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى جناح الميمنة
يزيد بن ابي سفين وعلى جناح الميسرة قيس بن هبيرة قال وكانت الازد ذلك
اليوم في القلب وحمير وهمدان ومذحج وخولان فلما ترتبت الصفوف سار ابو عبيدة بين
الصفوف وجعل يحرض المسلمين على القتال ويقول ان تنصروا الله ينصركم والزموا الصبر
فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومدفعة ولا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا
عن تعبيتكم ولا تخطوا خطوة واحدة الا وانتم تذكرون الله عز وجل ولا تبدؤوهم اليهم
بالقتال حتى يبدؤكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا
من ذكر الله عز وجل ولا تحدثوا احدا حتى امركم ثم رجع الى مقامه من القلب
فوقف فيه وخرج من بعده معاذ بن جبل فطاف محرضا للناس وهو يقول
يا اهل الدين ويا انصار الهدى والحق اعلموا رحمكم الله ان الاخرة لا تنال الا بالعمل
والنية ولا تدركوها بالمعصية والتمني ولا تنالوا الجنة الا بالعمل المرضي مع رحمة
الله ولا يوتي الله المغفرة والرحمة الواسعة الا للصابرين والصادقين الم تسمعوا قول الله
عز وجل وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون

فاستجيبوا

فاستجيبوا رحمكم الله من ان يراكم الله فارين من عدوكم وانتم في قبضته ليس لكم
ملجا من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك حتى رجع الى موقفه وخرج من بعده
سهل بن عمرو وجعل ايضا يمشي بين الصفوف ويقول ايها الناس غضوا ابصاركم
واجثوا على الركب وشرعوا الرماح فاذا حملوا عليكم فامهلوهم فاذا ركبوا
اطراف الاسنة فثبوا في وجوههم وثوب الاسد فوالذي يرضى الصدق ويثيب
عليه ويبغض الكذب ويجزي عليه لقد سمعت ان المسلمين سيفتحون هذه البلاد
مصرا مصرا وحصنا حصنا فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فانكم ان صدقتموهم
الشدة تطايروا من بين ايديكم تطاير اولاد الحجل من بدقنا مهلا ثم رجع الى موقفه
قال وخرج من بعده ابو سفين فطاف الصفوف وهو شاك في سلاحه وهو
يقول معاشر الناس انتم العرب الكرام والسادات العظام وقد اصبحتم في دار
الاعلاج منقطعين عن الاهل والوطن ووالله لا ينجيكم اليوم منهم الا الطعن
الصايب فبذلك تبلغون اربكم منهم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا ان الصبر
في مواطن الاباس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم فاصدقوهم القتال فان
النصر نزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وامصارهم واستعبدتم ابناهم ونساهم
وان وليتم فليس بين ايديكم الا مفاوز لا تقطع الا بالزاد الكثير والماء الغزير
وهولاء يرجعون الى دور وقصور فامتنعوا بسيوفكم وجاهدوا في الله حق جهاده
ولا تموتن الا وانتم مسلمون ثم خرج من بين الصفوف واقبل على النساء وهن على

التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهم من نسا المسلمين ومعهن
اولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النسا ناقصات
عقل ودين فكن ممن حفظن ادبانهن وقد من في ذلك النيه وحرصن ازواجكن
على القتال ومن رجع منهن ما فاحصبن وجهه بالحجارة واصرين جواده بالعمد
واجهرن اطفالكن حتى يرجع فوقفن النسا مستعدات متجردات متحزمات
باشعارهن ورجع ابو سفين الى موقفه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما
تريدون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجنة امامكم والشيطان والنار
وراكم واقبل حتى وقف في مكانه ولم تغن مكيدة ماهان شيا ورجعت الروم الى
ورايها حين نظروا خالدا قد زحف اليهم في الخمسماية فجاروا الذلك ورجعوا
فلما اصطفت الصفوف وعبا المسلمون كتايبهم صرخ ماهان بالروم وقال ما يوقفكم
عن قتال العرب ازحفوا اليهم فزحفت الروم الى المسلمين ونظر خالد الى جيش
عظيم عرمرم وسيوف تلمع وكان قد انفرد منهم ثلثون الفا من عظمايهم وحفروا لهم في
الميمنة حفاير ونزلوا فيها وشدوا ارجلهم بالسلاسل واقترنوا كل عشرة
في سلسلة النماسا للحفيظة وان لا يفروا وحلفوا بعيسى ومريم والصليب الاعظم
والقسيسين والرهبان والكنايس الاربع انهم لا ينهزموا ولا يولوا او يقتلون
العرب ويقتلون عن اخرهم فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيشه
الزحف يوشك ان يكون هذا يوم عظيم ثم قال اللهم ايد المسلمين بالنصر وافرغ عليهم

الصبر

الصبر ثم اقبل نحو ابي عبيدة وقال ايها الامير ان القوم قد اقترنوا في
السلاسل وقد زحفوا الينا بالعمد والقواضب ويوشك ان يكون يوما عظيما
فاقبل ابو عبيدة الى الناس وقال ان عدد القوم كثير وما يخلصكم الا الصبر ثم قال
لخالد ما الذي ترى من الراي يا ابا سليمان فقال خالد اعلم ان ماهان قد قدم
حامية اصحابه امام جيشه وصفهم بازاي المسلمين قال وكان ماهان قد قدم امامه
من ذكرت شجاعته وعرفت براعته واشتهر بالثبات في بلاد الروم وهم ماية الف
فلما راهم خالد شهد لهم انهم من اهل الشدة والباس فقال لابي عبيدة ارى من الراي
ان توقف مكانك الذي انت فيه سعيد بن زيد وتقف انت من ورايهم في ثلثماية فارس
من اصحابك فانه اذا علم المسلمون انك من ورايهم استحيوا من الله سبحانه ومنك فلا ينهزمون
قال فقبل ابو عبيدة من خالد ودعا بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو احد
العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله عنه فاوقفه مكانه ثم انتخب ابو عبيدة ثلثماية
فارس من فرسان اليمن وفيهم رجال من المهاجرين ووقف بهم من ورا الصف بحذاي
سعيد بن زيد قال حدثني ورقه بن مهلهل وكان صاحب راية ابي عبيدة
يوم اليرموك قال كان اول من استفتح الحرب يوم جيش السلاسل غلام من الازد حدث
السن فقال لابي عبيدة اني اريد ان اشفي قلبي واجاهد عدوي وعدو الاسلام
وابذل نفسي في الله فلعلي ارزق الشهادة فهل تاذن لي بذلك وان كانت لك حاجة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرني بها فبكى ابو عبيدة وقال اقرا محمدا عنا

السلام واخبره انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال فالوى الغلام الازدي
راس جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من علوج الروم تام من الرجال على فرس
اشهب فلما راه الغلام دلف نحوه وقد حبس نفسه في سبيل الله فلما قرب منه قال شعر

لا بد من ضرب وطعن صايب ... بكل لدن وحسام قاضب

وحمل كل واحد منهما على صاحبه فابدره الازدي بطعنة فجدله صريعا واخذ
عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من قومه ثم عاد ودعا البراز فخرج ثانيا فقتله
وثالثا ورابعا حتى خرج اليه الخامس فقتل الازدي رحمه الله فغضبت الازد عند
قتل صاحبهم ودنت من صفوف المشركين فعندها اقبلت الروم وزحفت كالجراد
المنتشر حتى حاطوهم من ميمنة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها نادى
ابو عبيدة رضي الله عنه بالمسلمين ان اعدا الله واعداكم قد تهيوا للحملة واعلموا ان
الله معكم ثم لحظ السما بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك
نوحد ولا نشرك بك شيا وان هولا الاعدا يكفرون بك فانصرنا عليهم اللهم
زلزل اقدامهم وارعب قلوبهم وانزل علينا السكينة والزمنا كلمة التقوى وامنا
عذابك يا من لا يخلف الميعاد ثم حملت ميسرة الروم على ميمنة المسلمين وذلك
ان ماهان الارمني بعث الى صاحب الميسرة الدرنجار يامره بالحملة على ميمنة المسلمين
قال فحمل على الميمنة وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وحمير وخولان فحملت عليهم
الروم حملة واحدة فصبر لهم المسلمون وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا

فحملت عليهم

فحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا لهم صبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فزل
المسلمون عن الميمنة وانكشفت طايفة من الناس وثبتت طايفة منهم ثباتا حسنا
وقاتلوهم تحت راياتهم وانكشفت زبيد يوميذ وهم في الميمنة وعليهم الحجاج (رايتهم)
ابن عبد يغوث قال لما انكشفت زبيد ابتدر اليهم عمرو بن معدي كرب وهو
المقدم عليهم والامير فيهم وهم يعظمونه لما سبق له من الشجاعة في الجاهلية
وكان يوم اليرموك قد مد له في عمره مائة وعشرون سنة الا ان همته الشجاعة
فلما نظر الى قومه قد انكشفوا صاح فيهم يا آل زبيد انفرون من الاعدا انفرون من شرب
كاس الردى اترضون لانفسكم بالعار والمذلة والشنار فما هذا الا زعاج من
طلاب الاعلاج اما علمتم ان الله مطلع على قلوب المجاهدين الصابرين فاذا نظر اليهم قد
لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا القضايه امدهم بنصره وايدهم بحسن فانتم تهربون من
الجنة ارضيتم بالعار وغضب الجبار فلما سمعت زبيد كلام سيدها عمرو بن معدي
كرب او الحجاج بن عبد يغوث والله اعلم ترجعوا عليه كعطفة الابل على اولادها
واجتمعوا من حوله وهم زهي على خمسمايه فارس وشدوا على الروم شدة واحدة وحملت
معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا على الروم حملة صعبة فازالوا الروم عن مواضعهم
وحملت دوس على المشركين مع ابي هريرة رضي الله عنه فهز رايته وجعل يحرض قومه على
القتال وجعل يقول يا ايها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين وجوار رب العالمين
في جنات النعيم وما من موطن احب الى الله من هذا الموطن الا وان الصابرين فضلهم

الله على غيره ممن لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس مقالة ابو هريرة طافوا به
وحملوا على الروم ودارت عليهم وتكاثفت جموع الروم على ميمنة المسلمين فالقوهم
الى القلب فصبر لهم المسلمون صبرا جميلا ودفعت عليهم كتيبة اخرى فانهزمت ميمنة
المسلمين راجعة على اعقابها والخيل تنكص باذنابها فخرجت راجعة منكشفة
كانكشاف الغنم بين يدي الاسد ونظرن النسوان الى خيول المسلمين منهزمة فنادت
النسا يا بنات العربيات دونكن والرجال ردوهم عن الهزيمة قالت سعيدة ابنة
عاصم الخولاني كنت في جملة النسا يوميذ على التل فلما انكشفت الميمنة صاحت
بنا عفيرة ابنة غفار وكانت من المترجلات البارزات فنادت بالنسا يا بنات
العربيات دونكن والرجال واحملن اولادكن على ايديكن واستقبلوهم بالصياح
والتحريض قال فاقبلن يرجمن وجوه الدواب بالحجارة وجعلت ابنة العاص تنادي
قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعلن النسا يقلن لبعولتهن لستم لنا ببعولة
ان لم تمنعونا من الاعلاج قال العباس بن سهل وكانت خولة ابنة الازور
وخولة ابنة ثعلبة الانصارية ولعوب ابنة ملك وسلما ابنة مالك وسلما
ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة ولبنا ابنة جرير وهي امام النسا
والمزهر بيدها وهي تقول   يا هاربا من نسوة ثقات
لهم جمال ولهم ثبات   تسلمهم طرا الى النهبات   تملك نواصيهم مع البنات
اعلاج سوء فسق عتاة   وجعلت تحرض على القتال فرجع المسلمون رجعة عظيمة عندما

سمعوا من

سمعوا من تحريض النسا وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها
نسا من المهاجرين والانصار وهن يضربن بمزاهرهن بين الصفوف ويحرضن المسلمين
على القتال وهي تقول الشعر الذي قالته يوم احد وهو

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق   مشي القطا الموافق   ان تقبلوا نعانق
او تدبروا نفارق   فراق غير وامق   هل من كريم عاشق   يحمي عن المعاشق

ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم الى اين تفرون من الله
ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى ابي سفين منهزما فضربت وجه حصانه بعمود ها
وقالت الى اين يا ابن صخر ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص عنك ما قد سلف
من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير بن العوام لما سمعت كلام
هند لابي سفين ذكرت يوم احد ونحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحرض
المشركين بهذا الشعر على قتال المسلمين فعجبت من ذلك قال فعطف ابو سفين عندما
سمع كلامها وعطف المسلمون معه ونظرت الى النسا وقد حملن معه فلقد رايتهن وهن
يسابقن المسلمين وهن بين ارجل الخيل ولقد رايت المراة منهن تقبل الى العلج العظيم
وهو على فرسه فتتعلق به ولا تفارقه حتى تنكسه عن الجواد ثم تقتله وتقول هذا علامة
نصر الله قال الزبير فحمل المسلمون حملة صعبة لا يريدون بها غير رضى الله
ورضى رسوله صلى الله عليه وسلم وقاتلت الازد مع ابي هريرة قتالا شديدا حتى فشى
فيهم القتل فاصيب منهم خلق كثير لانهم لقوا الصدمة بانفسهم فاستشهد

مالم يستشهد من غيرهم من القبايل قال سعيد بن زيد وكان القتال
في الميمنة شديدا تنهزم مرة وتعود مرة قال ونظر خالد الى الميمنة وقد مالت
الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم وهو في زهي عن ستة الاف فارس
وكبر وحمل على الروم فاثخن فيهم نكاية عظيمة حتى كشف اعدا الله عن الميمنة
والقلب وردهم على اعقابهم ثم زحف حتى رد الميمنة والقلب مواضعها ووقف
خالد امامهم نطارد من كان من الروم قريبا من المسلمين فانكسرت الروم امام خالد
كسرة عظيمة ونظر خالد الى فرسانهم فنادى يا اهل الاسلام والايمان ويا حملة القران
ويا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد ثبت في القوم كسرة ولم يبقى عند القوم
من الجلد والقتال الاما رايتم وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكرة شدوا
عليهم رحمكم الله فو الذي نفس خالد بيده اني لارجوا ان يمنحكم الله اكتافهم قال
فناداه المسلمون من كل جانب يا خالد احمل حتى نحمل قال فانتضى خالد سيفه وحمل
في اصحابه قال عبد الرحمن بن حميد كنت فيمن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت
الروم بين ايدينا وولت كما تولي الغنم من بين يدي الاسد واتبعوهم المسلمون وكانت
الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا واما المسلسلة فما برحوا من
مكانهم وكانوا يرمون بالنشاب وهم حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد امامنا
في حملته ونحن من ورايه وكان شعارنا يا محمد يا منصور امت امت فلم يزل خالد في
حملته الى ان وصل الى الدرنجار وكان قايما في موضعه الذي اقامه فيه ماهان ومعه

صليب من الجوهر واصحابه قيام ينتظرون ان يحمل فيحملون معه فلما وصلت خيل المسلمين
الى موضعه قالت له البطارقة ايها الملك اما ان تحمل فنحمل معك او تولي فقد
خالطتنا خيول العرب فقال لاصحابه ان يوم الشر لا احب ان اراه ولقد
احضرني الملك هذا الموقف وانا كاره له ولكن لفوا راسي ووجهي في ثوب حتى لا ارى
الحرب فلفوا راسه ووجهه في ثوب من الديباج والناس يقتتلون حتى انهزمت
الروم بين يدي المسلمين ووصلوا الى الدرنجار وراوه وهو ملفوف الراس فحمل عليه
ضرار بن الازور وطعنه طعنة فقتله قال الواقدي وكان من حسن صنع
الله بالمسلمين ان جرجير وقناطير اختلفا وتنازعا وكان جرجير في الميمنة في الارمن
وقناطير في الميسرة فقال جرجير لقناطير احمل على العرب ما هذا الوقوف فقال
له قناطير انا مرني ان احمل فقال جرجير وكيف لا امرك اما انا امير مثلك قال قناطير
كذبت انت امير وانا امير ولكني فوقك وقد امرت لي بالطاعة فاختلفا وغضب
جرجير من قول قناطير فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس
وخثعم وقضاعة وهم يوميذ فيما بين ميسرة المسلمين والقلب فكشفت الروم المسلمين
حتى زالت ميسرة المسلمين عن مصافها ولم يثبت منهم الا اصحاب الرايات فقاتلوا
من يليهم قتالا شديدا وركبت الروم اكتاف المسلمين المنهزمين الى ان دخلوا
معهم الى معسكرهم فاستقبلوهم النسا بالعمد يضربن وجوه الخيل ويرمونهم بالحجارة
وينادين بهم الى اين تنهزمون يا اهل الاسلام عن الامهات والاخوات والبنين والبنات

اتريدون ان تسلموهن للاعلاج قال منهاج الدوسي اقسم لقد كان النسا اشد
علينا غلظة من الروم فتراجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعض وتواصوا
بالحفاظ والصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة وقتامة بن اشيم امام المسلمين
يضرب في اعراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلث رماح وهو يقول

تساحل في جمع الكلاب النوابح واضربهم ضربا بحد الصفايح
وارضى رسول الله خير خلقه نبي الهدى المبعوث للدين ناصح

قال الواقدي رضي الله عنه ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر سيفا
او رمحا يقول من يعيرني سيفا او رمحا في سبيل الله وجزاوه على الله ثم نادى يا معاشر
فتيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر الصبر في الدنيا عز ومكرمة وفي الاخرة رحمة فارس
وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال فاجابه قومه
ونشطوا معه في القتال والضرب قال قتامة بن اشيم فما رايت مثل حملة قتامة
وقومه ولقد اختلطوا بعضنا ببعض قال ورجع خالد من حملته مع الفي فارس ووضعوا
السيف في الروم فقتلوهم قتلا ذريعا قال والقتل لا يسبين فيهم لكثرتهم واقبل
خالد من كرته والمسلمون يقولون جزا الله قتامة بن اشيم خيرا فلقد اغنا عنا
عنا جيشنا فلما سمع خالد ذلك اقبل اليه وقبل بين عينيه وقال يا قتامة جزاك الله
خيرا عن الاسلام فقال قتامة ايها الامير والله ما اريد غير الله والنجاة في وجه
الاخرة من عذاب النار والتمتع بالنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلت

زربعة

زربعة ابنة الحارث من التل وهي تقول ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت
يا ابن الوليد انت علمت العرب الفرار انما الرجال بامرآئها فان ثبتوا ثبتت الرجال
معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال لها خالد والله ما كنت في
المنهزمين وما كان يقاتل في الاعلاج الا انا فقالت قبح الله وجه عبد نظر الى وجه
اميره ثابت وهو منهزم قال الراوي ونظر ماهان الى الميمنة وقد
عركت عرك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال فعندها خرج علج من علوج
الروم من الميمنة وعليه سابغ السلاح كانه قطعة جبل على شهري عظيم الخلقة
فبرز بين الصفين وجال على شهريه وسال القتال فخرج اليه غلام من الازد فما
جال معه الا جولة حتى قتله العلج ثم دعا للبراز فهم ان يخرج اليه معاذ بن جبل رضي الله
عنه فقال له ابو عبيدة يا معاذ سالتك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا تثبت في مكانك والزم الراية فلزومك للراية احب الي من برازك لهذا العلج
فوقف معاذ بالراية ثم نادى معاشر المسلمين من اراد فرسا يركبه ويجاهد عليه
فهذا فرسي وسلاحي فاجابه ابنه عبد الرحمن وقال انا يا ابه وكان غلاما حين احتلم
ثم عمد الى السلاح فلبسه والى فرس ابيه فركبه وقال يا ابه اني خارج الى هذا العلج فان
صبرت له فلله المنة علي وان قتلني فعليك السلام وان كان لك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاجة فاوصني بها فقال معاذ يا بني اقرئه السلام وقل له جزاك الله
عن امتك خيرا ثم قال اخرج يا بني وفقنا الله واياك لما يحب ويرضى ثم خرج عبد الرحمن

الى العلج كانه شعلة نار وحمل على العلج وضربه بالسيف فنبا عنه ومال عليه العلج
بضربة على راسه فقطع العمامة وشجه شجة واضحة اسال دمه بها فلما نظر العلج الى
الدم يفور وظن انه قتله فتاخر الى ورايه لينظر كيف يسقط عن جواده الى الارض
فلما نظر عبد الرحمن الى العلج قد تاخر اشار راجعا نحو المسلمين فقال له معاذ
يا بني ما بك قال يا مولاي قتلني العلج قال معاذ يا بني وما الذي تريد من الدنيا ثم شد
جرحه واذا بها سالمة ثم ان العلج طغا وتمرد وحمل ثلاث حملات والارد تنزهه قال
ابو عبيدة من له منكم فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسي وكان من اصحاب الرايات
ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد راى يوم اليمامة في قتال مسيلمة بن
قيس كان امراة لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر اليه ولده فاسرع ليدخل
مكانا دخل ابوه ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يعلم احد تاويلها فقال
عامر بن الطفيل اما اني اعلم تاويلها قالوا وما ذلك يا عامر قال اولت اني اقتل
لان المراة التي ادخلتني فرجها هي الارض وان ابني سيصيبه جراحا ويوشك انه يلتقي
في قتال يوم اليمامة وابلى بلاء حسنا وسلم فلم يلحقه من الحرب اذى فلما كان في يوم
اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال البطريق وحمل اليه بعد ان اقلب ميمنة
الروم ميسرة والميسرة ميمنة ثم انثنى على البطريق كالصاعقة وطعنه وكانت قناته
قد شهدت معه وقايع الردة فاندق الرمح فرماه من يده واعتمد على سيفه وهزه
وضرب العلج على عاتقه خالط امعاه فانكس صريعا عن جواده فاسرع عامر بن الطفيل

الى سلبه

الى سلبه فاخذه ورمى به الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى راجعا نحو الروم وحمل على
الميمنة حملة وعلى الميسرة حملة وعلى القلب وطلب بحملته المتنصرة من لخم وجذام
اصحاب جبلة بن الايهم فقتل من العرب فارسا ودعا الى البراز فخرج اليه جبلة
وعليه دراعة من الديباج المثقل بالذهب ومن تحتها درع من دروع التبابعة وعليه
بيضة يلمع في شعاع الشمس كمقباس النيران ومن تحته فرس من نسل خيول عاد
وقال له من اي الناس انت قال انا من دوس انا عامر بن الطفيل فقال جبلة
انك من القرابة فابق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع فقال عامر قد
اخبرتك من انا ومن قبيلتي فانت من اي العرب قال انا من غسان وانا سيد اهلها
جميعا انا جبلة بن الايهم وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا
البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير في الشجاعة فعلمت انك كفو فخرجت
اليك لاقتلك واحظى بقتلك عند ماهان وهرقل قال عامر اما ما
ذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله اشد منعة وهو مهلك الجبابرة واما
قولك انك تحظى بقتلي عند ملككم فاني اطلب ان احظى بقتلك عند رب
العالمين وحمل عامر على جبلة وحمل جبلة عليه والتقيا بضربتين فخرجت ضربة
عامر غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطعت من قربه الى كتفه فسقط عامر
الى الارض قتيلا رحمه الله وجال جبلة على مصرعه وقد اعجب بنفسه وفرحت
الروم بفعاله وبما صنع وطلب جبلة البراز فخرج اليه ولد المقتول وهو جندب

ابن عامر وكانت معه الراية فاقبل بها الى ابي عبيدة وقال ايها الامير ان ابي
قد قتل واريد ان اخذ بثار ابي او الحق به فادفع رايتك الى من شئت من دوس فاخذ
ابو عبيدة الراية من يده فدفعها الى رجل من دوس يحملها وخرج جندب الى قتال جبلة
وهو يقول   شعر ابذل مهجتي ابدا لاني اريد الفوز من رب غفور
واضرب في العدى جهرا بسيفي واقتل كل جبار كفور
فان الخلد والجنات حق تباح لكل مقدام صبور
ودنا من جبلة وقاربه وصاح به انت يا قاتل ابي فاني قاتلك به فقال جبلة ومن
انت من المقتول قال انا ولده فقال له جبلة ما الذي حملكم على قتل انفسكم واولادكم
وقتل النفس مكروه محرم فقال له جندب ان قتل النفس في سبيل الله محمود
ينال به الجنة والدرجة العالية فقال جبلة اني لا اريد قتلك وانت غلام حدث
السن فارجع حتى يخرج غيرك قال جندب وكيف ارجع وانا المفجوع في ابيه والله لا
او اخذ بثاره او الحق به ثم حمل على جبلة وحمل جبلة عليه وجعلا يقتتلان وشخصت
نحوهما الابصار وطالت الاعناق ونظر جبلة الى الغلام وما ابدى من الشجاعة
فعلم انه شديد الباس صعب المراس فاخذ منه حذره واظهر له من باسه وغسان
ترمق صاحبها جبلة فنظروا الى الغلام وقد ظهر على صاحبهم وقاربه في الحرب
فقال بعضهم لبعض يا آل غسان ان هذا الغلام الذي قد ظهر على صاحبكم يجب فان
وابيتم وقد ظهر على سيدكم فانجدوه ولا تدعوه يقتل فانه ان وصل هذا الغلام

الى قتله

الى قتله فقد وصل الى عظيم فتناهب فرسان غسان للحملة نحوه ليستنقذوه
اذ همه امره ونظر المسلمون الى صاحبهم جندب وما اظهر من الشجاعة والشدة
ففرحوا بذلك ونظر الامير ابو عبيدة اليه وما يفعل فبدا وقال هكذا ايكون
من يبذل نفسه في سبيل الله اللهم لا تنس له فعاله قال جابر بن عبد الله
الانصاري رضي الله عنهما شهدت يوم اليرموك فما رايت غلاما كان انجب من
الدوسي وهو جندب بن عامر بن الطفيل رحمه الله لما برز الى جبلة بن الايهم غير انه
اذا جا الاجل لم ينفع شدة القتال ولا كثرة السلاح وذلك ان الغلام حمل على
جبلة وضربه ضربة اوهنه بها وضربه جبلة ضربة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة
والحقه الله بمنامه عامر وجا جبلة على مصرعهما فصاح به قومه ارجع ايها
السيد الى مقامك فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو معجب بصنعه حتى وقف
تحت صليبه قال وبعث اليه ماهان يشكره واصيب المسلمون في عامر بن الطفيل وولده
فعندها صاحت دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عامر وولده جندب
من اعداء الله فخرجت دوس الى القتال وساعدها الاوس على القتال والازد وكا نوا
حلفاؤهم وحملوا على غسان ولخم وجذام وتنادوا بالاشعار فعند ذلك صاح
ابو عبيدة بالمسلمين وقال يا ايها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم ورحمته
ومعانقة الحور العين في جنات النعيم فما من موطن احب الى الله من هذا الموطن
الاوان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم فلما سمعت الازد ذلك

حملوا مع دوس على المشركين حملة عظيمة وجعلوا ينادون بشعارهم ويقول في اخر ذلك
الجنة الجنة وصاحت ايضا دوس بشعارها يا آل دوس قال
الواقدي رحمه الله سألت رجلا لاعنه ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك قالوا
كان شعار ابي عبيدة امت امت قال وان ابا عبيدة نادى المهاجرين وجعل شعارهم
يا بني عبد الرحمن وامر الاوس ان ينادوا بشعارهم يا بني عبد الله وكان شعار
العرب يومئذ يا بني سليم وشعار عبس يا آل عبس وشعار الازد النصر
النصر وشعار خالد ومن معه يا حزب الله فهذه شعار المسلمين يوم اليرموك قال
ولما حملت دوس واتبعها مراد والازد فقصدت العرب من غسان وطلبت موضع
صليبهم وحرقتهم حرقة صعبة حتى وصلوا الى الصليب وطعن رجل منهم لحامل الصليب
الذي لغسان فارداه عن فرسه وسقط الصليب من يده منتكسا وكرت غسان
تريد اخذ الصليب فاقتتلوا عنده حتى قتل منهم خلق كثير وقتل من الازد
ودوس رجالا الا انهم كانوا في غسان مثل الشامة البيضا في جلد البعير الاسود
ثم خرجوا من وسط غسان قال الواقدي حدثني محمد بن عمرو بن حسان عن كعب
الاحبار قال ان الله عز وجل لنزان جا باجدهم الى اليرموك وقال الواقدي
سمعت من الثقات النقلة لهذه السيرة قال شهدت اليرموك فكان المسلمون
خمسة وعشرون الفا فسمع ابو الحارث قال يكذب من حدثك وانما المسلمين كانوا
يوم اليرموك احدا واربعين الفا وقد اثبت اليك ما سمعته ممن اثق اليه من الرواة

قال الواقدي

قال الواقدي وهذا اثبت الاقاويل لان المسلمين كانوا يوم اجنادين اثنين
وثلثين الفا ثم جاءت الامداد بعد ذلك وقال الواقدي حدثني ابن ابي سبرة عن
عبد الحميد بن سهيل عن جده قال لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس دوخت المشركين
دوخة عظيمة ودوخوهم المشركون وحملت قبايل من المسلمين معهم فانكشفت
المسلمون وكان صاحب لواء اليرموك عياض بن غنم وقد ولّا واللوا بيده فصاح
المسلمون انما ثبات القوم واهل الحرب بلواهم فابتدر لاخذه عمرو بن العاص رضي
الله عنه وخالد بن الوليد وكلاهما يتسابقان اليه فسبق لاخذه عمرو بن العاص
ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على يد المسلمين وقال ابن ابي سبرة لرجل
سمعه يقول ان عياض بن غنم انهزم باللوى يوم اليرموك فقال ابن ابي سبرة ان
عياض بن غنم كان من اشجع الناس قال حدثت ان عياض بن غنم لم يزل يوم اليرموك
بالراية ولكن المسلمين اضطربوا فتزحزح عن مكانه فصاح به ابو عبيدة ما هكذا
تفعل المجاهدين يا ابن غنم قال فرجع به الى مكانه ولم يزل به حتى فتح الله على المسلمين قال
الواقدي فذكرت هذا الحديث لعبد الله بن جعفر قال حدثني عبد الواحد بن ابي
عون عن موسى بن عمران قال ان عمرو بن العاص كان في قتال الشام صاحب الراية
يحملها فلما انهزم صاحب لواء المسلمين وهو عياض بن غنم انكشف بها فاخذها
عمرو بن العاص وكان عليها النسبة الطير من العلق يعني علق الدم وكان اليوم الثالث
من اليرموك يوما شديدا انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلث كرات وكل ذلك يردهم

النسا بالحجاره والعمد ويلوحن بالاطفال فيرجعوا للقتال قال واقبل الليل بسواده
والناس تحت الحرب والقتل في المشركين كثير وفي المسلمين قليل الا ان الجراح فيهم
فاشية من النشاب فلما ادلهم الليل بسواده رجعت الروم الى مواضعها وباتوا
تحت السلاح وكذلك المسلمون وما كان لهم همة الا الصلاه وبعد ذلك شدوا
الجراح وصلا بهم ابو عبيدة الصلاتين ثم قال ايها الناس رحمكم الله اذا عظم
البلا فانتظروا الفرج فانه ياتي من عند الله واضرموا نيرانكم وتحارسوا واظهروا
التكبير والتهليل وقام ابو عبيدة يمشي بين المسلمين وهو متكي على يد خالد
وجعل يتفقد الناس ويشد جراحاتهم بيده ويقول يا ايها الناس ان عدوكم يالم
كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فقال رجل من الازد يقال له صابر بن اوس
وكان قد قاتل ذلك اليوم قتالا شديدا في جملة الازد حين حملوا وبه اثنا عشر
جرحا منها ستة في بدنه وهو يئن من المها فلما سمع قول ابي عبيدة قال والله ما قاتلت
في طلب الحور ولا في طلب الجنة وانما قاتلت خوف النار قال وسار ابو عبيدة
مع خالد يتخلل خيام المسلمين طول ليلته حتى الصباح قال وانحازت الروم الى جانب
اليرموك مع ماهان فزجرهم وقال قد علمت ان هذا يكون منكم مما رايته من فشلكم لهم
وفزعكم من العرب الضعاف قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نبادرهم مبارزة
فان فينا فرسانا وشجعانا لم يقاتلوا وغدا نصدقهم الحرب فتكون لنا عليهم العاقبة
فسكت عن توبيخهم وامرهم ان يصلحوا سلاحهم وان ياخذوا اهبتهم وان يشدوا جراحهم

ففعلوا ما امرهم

ففعلوا ما امرهم وبات الفريقان يتحارسون الى الصباح وقد ارعبت قلوب الروم
والارمن لما راوا فيهم من كثرة القتلا واما المسلمون فانهم قوبون في ادبانهم وصحة
نياتهم فلما اصبح ابو عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الخوف واذا بالصلبان وقد بدرت والرايات
الروم قد طلعت في عدد الشوك كانهم لم يلاقوا عدوا ولا قتلا الا ووقفوا في مصافهم
ونصب لماهان سرير على الكثيب الذي كان يجلس عليه ويشرف منه على العسكرين
وامرهم ان يعبوا مصافهم وان لا يقاتلوا المسلمين الا ان قاتلوهم فاخذوا مصافهم
ولزموا راياتهم فلما نظر المسلمون الى سرعة الروم للقتال صاح كل امير برجاله
وحرضهم على القتال فانقلبوا من الصلاة الى الخيل وركبوا ولبسوا السلاح ورجع
كل امير الى مقامه من الحرب ووقف برايته وجعل كل امير يعظ قومه ويعدهم
من الله بالنصر وسار ابو عبيدة بين الصفوف وجعل يذكر لهم فضل الجهاد وما اعد
الله للمجاهدين والصابرين واقبل خالد يعبي الصفوف وخلف على النسا والاموال
والاثقال عمير بن سعيد الانصاري وهو من الاوس وكان على فرسان قريش وجعل
على الرجالة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقدم الرماة من مزينة والانصار وجعل
منهم خمسماية في الميمنة وخمسماية في الميسرة وخمسماية في القلب وطاف ابو عبيدة عليهم
وقال معاشر الرماة الزموا راياتكم فان رايتم القوم قد زحفوا الينا فارشقوهم بالنبال
واذكروا اسم الله عز وجل ولا تتركوها متفرقة ولتخرج سهامكم من قسيكم كانها من كبد
قوس واحدة وان هم زحفوا الينا فاثبتوا في اماكنكم حتى ياتيكم امري ففعلوا ما

امرهم به الامير ابو عبيدة وطاف خالد ايضا على اصحابه يشجعهم ويامرهم بالثبات
ثم رجع الى موقفه وقال يزيد بن ابي سفين يا ايها الناس اعلموا رحمكم الله انكم
بعين الله عز وجل وفي جهاد الله وهذا يوم له ما بعده من الايام والنصر ينزل مع
الصبر فاصبروا تؤجروا وتظفروا وتغنموا ثم عاد الى مقامه وتقدم شرحبيل بن
حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف بين الصفين وقال معاشر المسلمين
رحمكم الله عليكم بالسكينة والوقار واعلموا ان الله مطلع عليكم وناظر اليكم
واياكم والفزع فمن يكن الله معه فلا موهن له وهذا الموقف الذي انتم فيه احب المواقف
الى الله عز وجل فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال ثم رجع الى
مكانه وتقدم ابو سفين الى ولده يزيد والراية بيده وحوله اصحابه وقد عزم على الحمله
معهم فقال يا بني على ما ذا عولت قال على الحمله والجهاد فقال احسنت احسن الله
اليك فعليك بتقوى الله عز وجل والصبر فانه ليس احد بهذا الوادي يعني اليرموك الا
وهو ملتحف بالصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه واياك والجزع فما قضاه
قد امضاه واصبر مع اصحابك صبر اولي العزم من الرسل واياك ان يراك الله منهزما فتبوا
بغضب من الله عز وجل فقال يزيد سا صبر جهدي وطاقتي والله استاله معينا
وما صار اثم صاح يزيد برجاله وهز رايته وحمل على من يليه من العدو وقاتلوا قتال الاشد يدا
تعجب الناس منه ولم يزالوا الى ذلك حتى انكوا في العدو نكاية عظيمة وابلوا بلا حسنا
وكان قتالهم من جانب القلب فعند ذلك برز بطريق ذو جثه ومنعة وبيده رمح عليه

صليب من الذهب

صليب من الذهب وحوله زهى على عشرة الاف فارس من الروم فعطفوا على الميمنة
وكان فيها عمرو بن العاصي فرموا بعمرو ومن معه على اعقابهم حتى دخلت الروم اوايل
عسكر المسلمين مما يلي الميمنة وعمرو ومن معه يتراجعون على الروم فيكرون عليهم
ويرجعون حتى تكاثرت عليهم الروم فكشفوهم حتى الجوهم بالتل الذي عليه النسا
واحاطت الروم بالتل فصاحت امراة من نسا الانصار اين انصار الدين اين حماة
الاسلام قال وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته اسما ابنة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه تداوي عينه وكان رمدا اذ سمع صياح المراة اين انصار
الدين فقال يا اسما ما لهذه المراة تصيح فقالت عفيرة ابنة عفار يا ابن عمة رسول
الله انهزمت ميمنة المسلمين حتى الجوهم الينا واختلطوا بنا الاعلاج وهذه الانصارية
تستنصر بانصار الدين فقال الزبير اما والله من انصار الدين ولا يراني الله جالسا
بعد هذا ابدا ثم طرح الخرقة عن عينيه واستوى في متن جواده واخذ قناته بيده
وانحدر الى الروم كانه شبل منحدر وزعق بهم وانتمى باسمه وقال في حملته انا الزبير
ابن العوام انا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا متدارك ه
حتى ردهم على اعقابهم وخيلهم تتلاص باذنابها قال ليث بن جابر فلله در الزبير
لقد رد الروم بنفسه حين حمل عليهم وما كان معه من العرب غيري حتى الجاهم الى
معسكرهم وتراجعت خيل عمرو بن العاصي ورجاله وهو ينادي الرجعة الرجعة الجنه
الجنه يا اهل الاسلام الصبر الصبر ثم حمل عمرو ومن معه وحملوها بعد انهزامهم

قال الواقدي وحمل ايضا جرجير الارمني في ملتين الفا من الارمن على شرحبيل
فانكشف اصحابه ولم يثبت عنه لقتال الروم في عصبة من قومه دون الخمس مائة
فجعل شرحبيل يحمل على الارمن ثم يرجع وينادي يا اهل الاسلام افرار من الموت الصبر
الصبر فتراجع اصحابه اليه وحمل عند رجعتهم على الارمن فردوهم على اعقابهم
وجعلوا يضربون وجوههم بالسيوف حتى اصابوا من الارمن ما لم تصب الروم منهم
عند هزيمتهم ثم رجع شرحبيل الى مكانه ودار اصحابه به فاقبل يعنفهم بالعتاب
ويقول ما الذي اصابكم حتى انهزمتم امام هولاء العجم الغلف الكفرة وانتم الحماة
البررة اهل القران وعبدة الرحمن اما سمعتم ما قال تعالى في كتابه العزيز ومن يولهم
يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فية فقد با بغضب من الله اما
قوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله اين الجنة تهربون ثم نادي شرحبيل اين الشارون انفسهم من الله ابتغا مرضات
للموت تفرون ام من
الله اين المشتاقون الى جوار الله وجوار رسوله فقالوا يا صاحب رسول الله تلك زلة
كانت من الشيطان مثل يوم احد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل فجزاهم خيرا
ووقف في موقفه وكان موقفه مما يلي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقد لزموا موقفهم
التماسا للحفيظة قال ونظر قيس بن هبيرة واصحابه الى خروج خالد من وراء جموع
الروم ونادى هو واصحابه بشعارهم وكان شعارهم يومئذ يا نصر الله انزل يا محمد يا
منصور وكان هذا شعارهم يوم اليرموك وحمل خالد على الروم من ذات اليمين

وحمل قيس

وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا وجالت الروم جولة
منكرة فلله در الزبير بن العوام وهشام المرقال وخالد بن الوليد فلقد
حملوا حملة شديدة حتى قربوا من سرادق ماهان وخبا مه فلما نظر ماهان الى
ونواقعت الروم على سرادق ماهان صح
ذلك ولى عن سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فرجعوا يطلبون القتال
وصاح ابو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهم ينادون لا اله الا الله محمد
رسول الله يا محمد يا منصور امت امت يا نصر الله انزل وصكوهم صكة واحدة وقد
انزل الله النصر واقبلوا يقتلون الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون في حملتهم اذ
سمعوا قائلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله اقترب ايها الناس الثبات الثبات قال
عامر بن اسلم فتاملنا الصارخ واذا به ابو سفيان يحث رايه ابنه يزيد وشدد
الامر وشدت الامرا بجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن في الروم
اشد قتالا من اصحاب السلاسل فانهم ثبتوا في اماكنهم يمنعون من اتاهم واما
الرماة من الارمن فانهم كانوا في القلب من عسكر الروم وهم ما به الف رام وكانوا
اذا رشقوا نشابهم نحو المسلمين يسترون الشمس فلولا النصر والمعونة لكان المسلمون
يهلكون عن اخرهم وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك اكثرهم
قال وطلع علج من علوج الروم كانه نخلة باسقة وهو على شهري كانه قطعة جبل
وعليه زرد الحديد ودرع مذهب وعلى راسه بيضة تلمع مرصعة بالجواهر
وبيده رمح فجال العلج على شهريه واشهر نفسه وسال البراز فنظر المسلمون اليه

والى عظم خلقته فجعلوا ينظرون اليه فقال ابو عبيدة رضي الله عنه معاشر
المسلمين لا يهولنكم ما ترون من عظم خلقته فكم من عظيم الخلق لا قلب له فمن له
منكم واستعينوا بالله عليه فخرج اليه عبد من عبيد العرب وكان اسود اللون
بيده سيف وحجفة وهو راجل فلما ام ان يدنو من العلج صاح به مولاه وهو ذو
الكلاع الحميري فلما رده خرج مبادرا نحو العلج وجال جولة منكر وكان ذو
الكلاع من اهل الشجاعة فجال على العلج برمحه وجال العلج عليه وكلاهما مجال
ثم التقيا فتطاعنا طعانا شديدا حتى كلا من الطعان وانفصلا ساعة
ثم تجاذبا السيوف والتقيا فضرب ذو الكلاع ضربة وضربه العلج ضربة وكان
سيفه قاطعا وساعده قويا فقطع بضربته درقة ذو الكلاع ودرعه ووصلت
الى العضد الايسر فجرحه جرحا ابلغ فيه فتقلت يده عليه فلما نظر ذو الكلاع
الى ما قد لحقه من العلج عطف براس جواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذو الكلاع
وقد عطف راجعا فطمع فيه وصاح ببرذونه ليلحق به وكان فرس ذو الكلاع سابقا
فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين واتا الى راية قومه والدم يفور من الضربة فاجتمع اليه
فرسان حمير فقالوا اما ورائك ايها الامير فقال يا فرسان حمير اياكم والعجب ولا تتكلوا
في قتالكم على انفسكم ومنعة لباسكم ولكن اتكلوا على الله عز وجل قالوا وكيف
ذلك ايها السيد قال لاني رددت عبدي عن القتال شفقة عليه اذ ليس عليه
لامة وقلت انا افرس منه واجود عدة ولامة فصنع بي هذا الاقلف ما ترون ووالله

ما لحقني مثلها

ما لحقني مثلها في حرب قبل ذلك قط فشدت حمير جرحه ووقف ذو الكلاع
برايته فحملها له رجل من قومه فصاح ذو الكلاع يا رجال حمير ان كان سيدكم
قد رجع كليلا فما منكم من احد ياخذ له بالثار فبرز فارس من فرسان حمير وعليه
سابغ السلاح من اليمن كانه شعلة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال معه جولة عظيمة
وعطف الحميري على العلج بطعنة انبتها في صدره ارداه قتيلا وعجل الله به الى النار
وهم الحميري ان ينزل عن فرسه وياخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم فكشفوه
عنه فردهم الحميري صاغرين ثم رجع الى العلج فاخذ سلبه واقبل بالسلب الى
ابي عبيدة فاعطاه اياه فدفع ذلك السلب لقومه ورجع الى مقامه من القتال
فخرج اليه علج اخر فقتله واخر فقتله وخرج اليه علج رابع فقتل الحميري وهم العلج ان
ياخذ سلبه فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها في نحره فجدله صريعا
وعجل الله به الى النار وسقطا جميعا فصاحت البطارقة بعضها ببعض وهاموا
جموع المسلمين وكان ذلك البطريق الذي قتل بالنبلة من عظمائهم وقيل انه كان مقطع
نابلس فصاح ماهان بهم وسكنهم من اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان وكان
يقال له مرتولش وعليه لامة الملوك وقد اظهر ديباجه وجوهر في وسط منطقته
فجال بين الصفين واشهر سيفه وعرف باسمه وقال انا ملك اللان فلا يبرز الي
الا امير ثم خرج اليه شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده
الراية وعليه درع من فوقه كبر ممنطق بمنطقة من الادم على فرس اشهب فقال

ابو عبيدة من هذا الذي خرج الى هذا العلج قالوا شرحبيل فبعث اليه يقول له ادفع
الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما حدثه الرجل بقول ابي عبيدة دفع الراية له
وقال قف بها في موضع فان قدر الله على بقضا فسلم الراية للامير ابي عبيدة
يدفعها لمن يريد وان رجعت اخذتها فمسك الرجل الراية وخرج شرحبيل نحو العلج وهو
يقول   سأحمل في اللئام بني الاعادي   بكل مثقف لدن وجداد
فيا بؤسا لقيصر يوم ياتي   وجمع الروم شرد في البلاد
فسمع العلج شعر شرحبيل فلم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية فقال ما عرى ما
الذي تقول فقال شرحبيل كلاما تقوله العرب عند برازها تشجع بها انفسها وتثق
بوعد الله الذي وعده نبينا صلى الله عليه وسلم فقال وما وعدكم نبيكم قال
وعدنا ان الله يفتح لنا البلاد في الطول والعرض وملك العراق وخراسان وانا نقاتل
الترك والخزر واللان فنكون من الظافرين بهم بنصر الله لنا فقال العلج ان الله لا
ينصر من بغا وانتم تبغون علينا اذ تطلبون ما ليس لكم بحق قال شرحبيل بن حسنة
بل نحن قوم امرنا الله ان نفعل ذلك والارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة
للمتقين واني اراك تعرف بعض لغة العرب فلو تركت ما انت عليه من عبادة الصليب
ودخلت في دين الاسلام لكنت من اهل الجنة وسعدت سعادة الابد فقال
ملك اللان ما اترك دين سيدنا المسيح فقال شرحبيل صلى الله عليه وسلم ان دينه
حق ولا نقول انه صلب بل هو عبد الله ورسوله فقال العلج لست ارجع عن قولي ثم

استخرج

استخرج صليبا من عنقه فقبله وتركه بين عينيه واقبل يستنصر به فغضب شرحبيل
من فعاله وقال له ويلك تبا لك ولمن يقول بقولك ثم جال عليه واخذا في القتال
وجالا طويلا ولم يزالا في مجاولة ساعة حتى رمقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون
لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة المشرك وباسه وجودة
مراسه فاطرد بين يديه كالمنهزم فظن العلج انه منهزم فتبعه وقصر شرحبيل من سعي
جواده حتى اذا علم شرحبيل ان العلج قد قاربه فتل العنان وعطف بالقناة عليه يريد
ان يطعنه في نحره فراغ المشرك عن الطعنة وتجاسا لما ثم قال يا معاشر العرب لا تدعون
الخدعة والمكر فقال له شرحبيل صه يا ويلك اما علمت ان الحرب خدعة والمكر
راسها فقال العلج فما الذي نفعتك حيلتك ثم رجعا الى الحملة حتى انقطع السيفان
واعتنقا معانقة شديدة فكان المشرك اعظم جثة واشد منعة وكان شرحبيل
نحيف الجسد كثير الصيام فضغطه المشرك ضغطة اوهنه بها وهم ان يقتلعه من
سرجه والفريقان ينظران اليهما قال ضرار بن الازور فداخلني والله الغيظ
وقلت ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
الذي يمنعك من نصرته قال الراوي فخرج ضرار بن الازور نحوهما راجلا مسرعا على
قدميه كالضبية الخصا حتى قرب منهما وما يعلمان به جميعا وكان بيده خنجر فضرب
به العلج في ظهره اطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من يد
المشرك فقال خلص الله ضرار من هول يوم القيامة كما خلصني من ضغطة العلج

قال ولما سقط العلج عن ظهر جواده نزل اليه شرحبيل وضرار وسلباه ما كان عليه
من لامته والجواهر وركب ضرار جواده وانثنى هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنوا الشرحبيل
بالسلامة وشكروا ضرارا على فعله فقال ما اريد الشكر الا من الله تعالى قال
الراوي انه تسمع عن خالد بن الوليد رضي الله عنه انه كان في امارته لا يخمس السلب فلما
ولي ابو عبيدة برز رجل من المسلمين في امارته الى علج من الروم فقتله فبلغ سلبه اربعة
عشر الفا فاراد ان ياخذ اليه فقال خالد ايها الامير لا تاخذ منه شيئا فانها عهد
الى ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقبل قوله وتركه ثم امر ابو عبيدة فنادى في الناس
الا ومن قتل قتيلا فسلبه له فلما اخذ شرحبيل سلب العلج اليه نازعه ضرار وقال
ان السلب لي لاني قتلت العلج فقال شرحبيل بل انا قتلته قال فاختصما
الى ابي عبيدة فخاف ان يحكم فيه فلا يرضيا بحكمه فكتب الى امير المومنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يقول يا امير المومنين ان رجلا من المسلمين خرج الى البراز وقاتل
علجا من علوج الروم وبلغ معه في الحرب الى جهد وخرج آخر من المسلمين اعانه وقتل
العلج قال ولم يسمي الرجلين فالسلب لمن منهما فجا الجواب من عمر السلب للقاتل
فاخذ ابو عبيدة السلب من شرحبيل واعطاه لضرار فقال رجل لشرحبيل كيف
فاز ضرار بالسلب دونك قال ذلك فضل الله يوتيه من يشا قال فلما قتل ضرار ملك
اللان غضبت الروم وخرج منهم فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام
رضي الله عنه فقتله واخذ سلبه وبرز ثان فقتله الزبير واخذ سلبه وبرز ثالث

ورابع فقتلهم

ورابع فقتلهم واخذ سلبهم فقال خالد لابي عبيدة ان الزبير قد تجرد للروم وبذل
نفسه لله ولرسوله وانا نخاف عليه من التعب فصاح ابو عبيدة ما الزبير وعزم عليه
ان لا يخرج فرجع الزبير الى مقامه وخرج خامس من الروم فدعا البراز فخرج اليه خالد
فقتله وكان ملك الروسيه وهو زوج ابنة ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته
وعصابته ودرعه بخمسة عشر الفا واخبر ماهان بذلك فغضب وقال هذان
ملكان منا قد قتلا واني اظن المسيح لا ينصرنا ثم امر الرماة ان يرموا عن قوس واحد
فرموا سهامهم واطلقوها نحو المسلمين فوقعت كسقوط البرد فكثر القتل في المسلمين
والجراحات وعور من المسلمين سبعماية عين فسمي ذلك اليوم يوم التعوير وكان
فيمن اصيب بعينه المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد وابو سفين صخر بن حرب وراشد
ابن سعيد والعدة سبعماية عين في سبيل الله عز وجل فكان الرجل بعد ذلك يلقى
الرجل فيقول له ما الذي اصاب عينك فيقول الاخر لا تقل مصيبة بل منحة من الله تعالى
قال وعظم وقع السهام في عسكر المسلمين فما انت تسمع الا من يصيح ذهبت عيني واضطرب
المسلمون اضطرابا شديدا وحدثت اعنة الخيل راجعة على اعقابها ونظر ماهان
اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت
المسلسلة نحو جيش المسلمين وحمل قساطيره وجرجير وقورين فقال لهم ماهان اثبتوا
عن الحملة وارموا العرب بالنشاب فما لهم غيره فرادت الرماة في رميها وزحفت
المسلسلة بحديدها والبيارق تلمع في الف الدهال كمقابس النيران والحرب

دائرة على ساق قال عبادة بن عامر او سمرة بن عمرو فنظرت الى جيوش الروم
نحونا سائرة وفرسان المسلمين متأخرة وخيلهم تنكص بأذنابها فقلت لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم اللهم انزل علينا صبرك ونصرك الذي نصرتنا به في المواطن كلها ثم
صحت يا رجال حمير يا آل حمير تهربون من الجنة الى النار وما هذا الفرار اما تخافون العار
قال سمرة بن عامر فما اجابني منهم احد كأنهم صم لا يسمعون قال فقلت ان كانت قبيلتك
قد امتنعت عن الجواب فجعلت اهتف بقبائل العرب وكل قد شغل بنفسه عن الجواب
فجعلت اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل
النصر من السماء وذلك ان المسلمين انقلبوا اجمعين نحو تل النسا ولم يثبت غير اصحاب
الرايات قال عبد الله بن قرط شهدت قتال الشام كله فلم اشهد اشد
قتالا على المسلمين من ايام اليرموك ولم اشهد في اليرموك اشد من يوم التعوير ورجعت
خيل المسلمين على اعقابها وقاتلت الامرا بانفسها والرايات بايديهم حتى ان ابا عبيدة
ويزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاصي كانوا يقاتلون قتال الموت قال ونظرت
الى ضرار وشرحبيل وهاشم المرقال والمسيب بن نجبة وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق
والفضل بن العباس رضي الله عنهم قاتلوا قتالا عظيما قال عبد الله بن قرط فقلت في
نفسي وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى اسعدنا الله بجملة النسا اللاتي
شهدن المواطن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراوي وكان النسا شهدن
المواطن فيداوين الجراح ويسقين الرجال الما ويبرزن الى القتال فلم ار امرأة من نسا

قريش قاتلت

قريش قاتلت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في اليمامة مثل ما قاتلن نسا
قريش يوم اليرموك حين دهمهم القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف
ضربا وجيعا وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه وقامت الحرب على ساق وكان قد انضمت
الى نسا المهاجرين نسا من لخم وجذام من المؤمنات ولاحقن لا ثار فنادين النسا
باسمائهن وامهاتهن والقابهن وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد
ويلوحن بالاطفال وجعل بعضهن يقاتلن المشركين وبعضهن يقاتلن المسلمين حتى يرجعوا
الى القتال وبعضهن يسقين الما وبعضهن يشددن الجراح فاما من لم يحرض على
القتال فهند وضوء تحبالها وهن يقلن نحن بنات طارق نمشي على النمارق
الابيات فبينما هن يقاتلن وقد احمين الرجال حتى الهم من نسا لخم وجذام وخذلن
المسلمين فرجعت اليهم خولة ابنة الازور وام حكيم ابنة الحارث ولبنا ابنة سالم وسلمى ابنة
لؤي وجعلن يضربن وجوههن ويوبخهن بالعمد ويقلن لهن اخرجن من بيننا فانكن توهن جمعنا
فرجعن نسا لخم وجذام يقاتلن قتال الموت وقاتلت ام حكيم بالسيف امام الخيل بجلد
وجعلت ترد المشركين قال واقد بن ابي عون نظرت الى هند ابنة عتبة وبيدها سيف
من سيوف الهند وهي تضرب في المشركين وتنادي بعلو صوتها يا معاشر العرب اقصدوا
القلفان بالسيوف وما سمع يومئذ صوت احد من المسلمين الا صوت ابي سفيان واخذ
يعظهم يومئذ باعلا صوته ويقول يا معاشر المسلمين انه يوم من ايام الله فابلوا فيه
بلاء حسنا واما اسما ابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فانها اقرنت عنانها بعنان بعلها

الزبير بن العوام فما كان يضرب ضربة الا وهي تضرب مثلها وتراجع المسلمون الى
القتال حين نظروا الى النسا يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه نحن احق
بالحرب من النساء فلله در النسا يوم اليرموك فلقد دارت رحا الحرب عليهم قال
الواقدي فحدثت عن وقعة اليرموك في رجب سنة خمسة عشر من الهجرة قال وحملت
خولة اخت ضرار على علج من علوج الروم كان قد حمل عليها قال فاستقبلته وجعلت
تناوشه بالسيف حتى طار السيف من يدها وضربها العلج على قمتها بسيفه اسال دمها
وسقطت الى الارض فصاحت عفيرة ابنة عفار حين نظرت اليها صريعة ما دت تجع
والله ضرار ما اخته ثم حملت عفيرة على العلج وضربته ضربة ابانت راسه واقبلت عفيرة
نحو خولة ورفعت راسها والدم قد صبغ شعرها فقالت كيف انت فقالت انا بخير
ولكني الهن اني هالكة لا محاله فهل لك علم باخي ضرار فقالت ما رايته فقالت خولة
اللهم اجعلني فداه ولا يفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت بها ان تقوم فلم تفعل فما
كان غير بعيد حتى رايتها تدور وتسعى الرجال الما وكان ما بها اذى ونظر اليها اخوها
والضربة في راسها فقال لك قالت علج قتلته عفيرة ضربني فقال يا اختاه ابشري فقد
اخذت منهم الضربة مرارا وقتلت منهم اعدادا ولم تزل الحرب من اول النهار الى الليل
وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل ضرامه وابو عبيدة يقاتل براسه والامرا يفعلون
لفعله وقصد ابو عبيدة الى المسلمين وكان معه هاشم المرقال وبنو حمير ولخم وجذام
واصحاب ذي الكلاع الحميري وقد قتل يوم النعو بر من الروم اعوز الفا او يزيد قال

الراوي

الراوي وسمعت ابو هريرة رضي الله عنه يقول شهدت اليرموك وقتاله فلم ار يوما
اكثر عددا وجمعا من المشركين يوم اليرموك ولا رايت احدا اشد قتالا من خالد بن
الوليد فلقد رايته وعليه مصبغات او قال مقطعات خز وعليه درعان مضاعفان
ومغفر وبيضة فوق المغفر وهو على فرس اشقر وهو يقول يا ايها الناس اصنعوا كما اصنع
قال وبنوا ابيه من بني مخزوم من حوله والحارث بن هشام عن يمينه وخالد يومئذ رافع
صوته يقول يا بني المغيرة دونكم والجهاد وجعلوا يقتلوا الاعدا ثم حمل وجعل
يخرم حرمة الحرب يرمي تارة بالنبل وتارة بالرمح وتراجعت الناس وخالد ليس له هم
الا الجهاد يجزر الروم جزرا حتى انحطم في يده تسعة اسياف قال الراوي حدثني
من حضر وقعة اليرموك وشاهدها انا لكان بعدل قتال خالد مايه رجل من شجعان
العرب الا قبال وحماة الفرسان قال حازم وبرز من وسط الروم في قلب الوقعة اصحاب
الديباج والحرير والتخافيف على الخيل الشهب والبلق كانهم الجبال الراسية فلما
برزوا غاص خالد في وسط القتال وكروا كرة واحدة ورفعوا في اوساطهم صليبا
عظيما من الجوهر وحملت ميسرتهم على ميمنتنا ثم حملت ميمنتهم على ميسرتنا فنشونا
بين ايديهم كانا نعام في فلاة ونظر ابو عبيدة الى المسلمين وقد شردوا الى النساء
والنسا يضربن وجوههم فجعل يصيح بهم الله الله لا تسلموا الاسلام بهزيمتكم واتقوا الله
ربكم قال وكان بين يدي ابي عبيدة رجل من بني محارب يقال له نجم بن مفرج وكان
من خطبا العصر ومن افصح العرب لسانا واجراها جنانا واصدقها لسانا وكان رفيع الصوت

منذ نشا في محارب تفضل العرب الفصحا يسمعوا ما ينطق به من نثر ونظمه
قال ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي سمعته من الثقات الرواة لهذه
السير كلهم يقول ويحدث عن وقعة اليرموك قال ما رد الناس عن الهزيمة
بعد قضا الله ونصره الا كلام نجم بن مفرج وكان لا يتكلم الا بسجع يولفه بحسن نظمه ولقد
حفظنا منه يوم هزيمة اليرموك ما نحن نذكره عنه قال الواقدي فلم
يكن لي بد من ان اسطرها في فتوح الشام اذ النفوس تميل الى مثله قال ولقد بلغني ان
الفصحا المتاخرين مثل الاصمعي وابو عبيدة معمر انما نسجوا على منواله في حسن كلامه
فكان من جملة ما وعظ المسلمين به يوم اليرموك يوم هزيمتهم ان قال ايها الناس
هذا يوم له ما بعده وقد غابت عنكم قربه وبعده ولن تنال الجنة الا بالصبر على
المكاره وما لله لا يدخلها من هو في الجهاد كاره واعلا الدرجات درجة
الشهادة فارضوا عالم الغيب والشهادة ولله في عرض السموات والارض
جنة ولكنها بالمكاره وهذا الحرب قد قام على ساقه وبدى النفاق في
اسواقه واختفا نفاقه في انفاقه اما انتم اصحاب نبي العصر افبئستم
من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم وقدموا العزم بصفا
نياتكم واياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا غضب الجبار اما والذي قدر
الاقدار واجرى الفلك الدوار وكل شي عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور
العين بايديهم اباريق وكاس من معين فمن طلب دار البقا هان عليه اليوم

ما يلقا فصحبوا الطلب تنالوا اربكم وحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم
واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة واعتمدوا
يكتب لكم الاجر بشروا المومنين بحسن عملكم واياكم ان تضلوا عن السبيل
لا توافقوا الكفار في جهلهم واعدلوا عن طريق قولهم وفعلهم ووافقوا من سلف
من اسلافكم في فعلهم واسمعوا ما انزل الله من اجلهم وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ثم قال مبينا ن
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ثم بين من يعلم
السر المكنون فقال يعبدونني لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون سيروا فقد سبق المقربون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال وحمل خالد وهو
معلم بعصابة حمرا وهو يقرع الروم ما بسيفه ويقول انا خالد بن الوليد فبرز اليه بطريق
يقال له النسطور وعليه الديباج والحرير واقبل يدعوا خالدا الى برازه وجعل
يتطمطم وخالد في القتال لا يشعر به ولا يدري ما يقول قال فعطف خالد اليه
عند ما سمع صوته وهو يتطمطم والتقيا واقتتلا قتالا شديدا اعظم ما يكون فبينما
هما في جد القتال اذ كبا بخالد فرسه فوقع الفرس على يديه وهوى خالد لام راسه
قال ونظر الناس اليه وقد هوى فقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال وخالد يقول هي هي فعلاه البطريق بسيفه على ظهره فاوهن ظهره ولم يصنع سيفه

شيئا ونهض فرس خالد من عثرته وقد سقطت قلنسوته عن راسه فصاح قلنسوتي
فاخذها رجل من قومه من بني مخزوم فاعادها خالد على راسه فقيل له يا ابا سليمان
انت في هذا الحال من القتال وانت تقول قلنسوتي فقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما حلق راسه في حجة الوداع اخذت شعرات من ناصيته فقال لي
المصطفى صلى الله عليه وسلم ما تصنع يا خالد بهذه الشعرات فقلت اتبرك بها
يا رسول الله واستعين بها على قتال اعداي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد
لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها في مقدم قلنسوتي فلم القى جماعة قط وهي على
راسي الا هزمتهم كل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي
لم اعلم ان خالدا جرى له ذلك الا يوم اليمامة ويوم اليرموك قال وان خالدا شدها
على راسه بعصابة حمرا وحمل على البطريق اغني النسطور وعلاه بضربه على عاتقه ارداه
صريعا وهم ان يثني يحمل اصحابه واحاطوا اليهم فهلك بينهم وانكسر من بقي من ملوكهم
وكرهوا التقدم بعد ذلك ولقد بقي خالد بعد ذلك يدعوهم الى البراز فلم يخرج
اليه احد ولم يزل يضرب في الروم حتى كلت سواعده فاشفق عليه الحارث بن هشام
المخزومي فقال لابي عبيدة ايها الامير ان خالدا قد قضى ما يجب عليه وادى السيف
حقه فلو امرته ان يريح نفسه قال فمشا اليه ابو عبيدة وجعل يعزم عليه ان لا يتقدم
وسالة ان يمنعهم نفسه فقال له خالد ايها الامير اما انا فوالله لاطلبن الشهادة
بكل وجه فان اخطتني فالله يعلم نيتي وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وذلك ان

المسلمين

المسلمين اسعدوا خالدا في حملته وتراجعوا من بعد هزيمتهم والنسا امام الرجال
وهن يقلن قبح الله وجه من لا يقاتل عن اهله ولا يرغب في الثواب ولم تزل الحرب
بين الفريقين حتى انقلبت الروم على اعقابها وقد قتل منهم الكثير ووطيتهم الخيل
بحوافرها ولم تزل الحرب قايمة الى غروب الشمس وانفصلوا من بعضهم بعضا وقد افترشت
الارض بالقتلى والجراح فاشتبكت في العسكرين الا انه في الروم اكثر ورجع كل قوم في اصلاح
شانهم ومداواة جراحهم وكانت النسا لاصلاح الطعام وجميع ما يحتاج اليه الرجال
اصلحته النسا ولم يقل ابو عبيدة رضي الله عنه لاحد من اصحابه رايته ان يكون على
حرس المسلمين بل تولى الحرس بنفسه مع المهاجرين فبينما ابو عبيدة يدور اذ نظر الى
فارسين قد لقياه وهما يدوران بدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله
فقرب ابو عبيدة منهما فاذا احدهما الزبير بن العوام والاخر زوجته اسما ابنة ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الذي اخرجك قال احرس المسلمين وذلك ان اسما زوجتي قالت يا ابن عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابو عبيدة ان المسلمين يشتغلون في هذه الليلة عن الحرس فهل لك
ان تساعدني على حرس المسلمين هذه الليلة فاجبتها الى ذلك فشكرهم ابو عبيدة
واقسم عليه ان يرجع الى رحله فلم يفعل وكان الزبير وزوجته في تلك الليلة يطوفان
حول المسلمين الى الصباح قال الواقدي وسمعت من اروداه لهذه الفتوح
انه كان بعسكر الروم رجل من اهل حمص يقال له ابو الجعد وكان رييسا من روسا حمص

فلما اجتمع الروم الى اليرموك لقتال المسلمين نزلوا في الذراعة وكان ابو الجعد قد جعل
مسكنه هنالك لطيب هواها فنزل عسكر الروم عنده على الذراعة وكان فيها
عروس لابي الجعد وزوجته تزف عليه قال فتكفل ابو الجعد بانزالهم واطعامهم
فلما فرغ من جميع امورهم قالوا له هات امراتك الينا فلما سمع ذلك سبهم وشتمهم
فعند ذلك عمدوا الى العروس فعبثوا بها طول ليلتهم فصاح ابو الجعد ودعا
عليهم فقتلوا ولده فاقبلت ام الصبي فاخذت راس ولدها في خمارها واقبلت
الى ماهان مقدم الجيوش وشكت حالها اليه وقالت انظر ما صنع اصحابك بولدي
تحت يدي فلم يعب حالها ولم ياخذ لها بثار ولدها فقالت والله لينصرن العرب
عليكم ابدا ورجعت وهي تدعوا عليهم فما كان الا يسير حتى اهلكهم الله تعالى على
يد المسلمين فلما كان يوم اليرموك بعد قتل خالد النسطور اقبل ابو الجعد الى
عسكر المسلمين وقال لهم ان هذا الجيش النازل بازايكم جيش عظيم ولو سلموا
انفسهم للقتل ما فرغتم من قتلهم في المدة الطويلة فان كان لكم بكيد تظفرون
بهم ماذا تفعلون معي وتعطوني قالوا نعطيك كذا وكذا ولن نوزنك جزية ابدا لا
لك ولا لعقبك ونكتب لك بذلك عهدا قال الواقدي فلما استوثق ابو الجعد
من المسلمين مضا الى الروم وهم لا يعلمون بكيده فقال لهم انزلوا ها هنا وكان هنالك
ياقوصة قال والياقوصة واد عظيم فانزلهم على جنبها وقال لهم الزموا هذا
المكان فلما كان بعد التعوير جا ابو الجعد الى ابا عبيدة فوجده يطوف تلك الليلة

شتمهم

هو وجماعة

هو وجماعة من المهاجرين حول المسلمين فقال ما قعودكم قالوا وما نصنع فقال
اذا كان ليلة غد فاكثروا من النيران ثم رجع الى الروم ليتنصب عليهم فلما كان من
الليلة الثانية اوقد المسلمون اربع من عشرة الاف نار فلما اشتعلت النيران اقبل
اليهم ابو الجعد فقالوا له قد اشعلنا النيران كما امرت فما بعد ذلك قال
اريد خمسماية فارس من ابطالكم حتى اشير عليهم ما يصنعون قال الواقدي
فانحاز من المسلمين خمسماية فارس مثل عياض بن غنم والحارث بن هشام
وعياض بن طارق ورافع بن عميرة وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر بن الخطاب
وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ومثل هولاء رضي الله عنهم فلما اجتمعوا اخذهم
ابو الجعد على غير الجادة وقصد بهم عسكر الروم فلما كادوا ان يختلطوا بهم
اخذ ابو الجعد رجالا منهم ودلهم على المخاضة ولم يكن احد يعلم بها سواه ومن
سكن اليرموك وقال ناوشوهم الحرب ثم انهزموا ودعوني واياهم قال ففعلوا
ذلك وصاحوا وحملوا وجرت بينهم مناوشة ثم انهزموا امام الروم وطلبوا المخاضة
فعند ذلك صاح ابو الجعد برفيع صوته يا معاشر الروم دونكم ومن انهزم فهولاء
المسلمون قد انهزموا بالمكيدة وقد عولوا على الهرب قال فاقبلت الروم بعجلة يطلبون
ذلك حنقا فبعضهم ركب جواده عريانا وبعضهم راجلا وساروا في طلب المنهزمين
وابو الجعد يعدو بين ايديهم الى ان اوقفهم على الياقوصة وقال هذه المخاضة فدونكم
واياهم فاقبلوا يتهافتون في الما ويتساقطون تساقط الجراد حتى غرق منهم ما لا

يحمي بلسان فتسمته العرب بالباقوضة قال هذا ما جرا للروم ولا يعلم الآخر ما جرا على
للآخر حتى اصبحوا وراوا المسلمين في عسكرهم مقيمين فعلموا انهم قد اكبدوا في ليلتهم وقد
قل عددهم فقال بعضهم لبعض من كان الصايح البارحة فقالوا هو الرجل الذي عبثتم من وجهه
وقتلتم ولده وقد اخذ بثاره منكم قال واصبح ماهان وعلم حقيقة الحال وما نزل بهم
فعلم انه هالك وان العرب عليهم ظافرون فبعث الى قورين وقال ما ترى ان نصنع فقد
ظفرت العرب علينا وان حملوا علينا حملة واحدة لم يبق منا احد فهل لك ان
تسالهم ان يوخروا القتال حتى نعمل الحيلة في خلاص انفسنا فقال قورين افعل ما
بدا لك قال فدعا ماهان برجل من لخم وبعثه للمسلمين يقول لهم ان الحرب سجال
والدنيا دول وقد مكرتم بنا فلا تبغون فالبغي مصرعه واخروا الحرب عنا يومنا هذا
فاذا كان غدا كان الفصال بيننا وبينكم قال فاقبل اللخمي الى ابي عبيدة وبلغه الرسالة
فهم ان يجيبه فمنعه خالد عن ذلك وقال لا تفعل ايها الامير فما عند القوم خير
بعد هذا فقال ابو عبيدة للرسول ارجع الى صاحبك وقل له ما نوخر عنكم ذلك وانا
على عجل من امرنا فرجع الرسول الى ماهان واعلمه بجواب ابي عبيدة فعظم ذلك عليه
وكبر لديه وكفر ونخر وقال كنت اتربص بنفسي عنا رجوا بذلك الصلح فوحق الصليب لا برزن
اليهم غيري ثم صرخ بالروم واصحابه ومن كان يتكل عليه في الشدايد وامرهم ان ياخذوا
الاهبة للقتال قال فاستعدوا وخرج ماهان في مقدمة الجيش والصليب امامه
واذا المسلمون قد اخذوا مصافهم للقتال وقد ايقنوا بالنصر على عدوهم ووصف ابو عبيدة

اصحاب الرايات

اصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الخيل المعروفة بخيل الزحف وطلعت الشمس
فخرج جرجير وهو من الملوك المقدمين الجيوش ودعا للبراز وقال لا يبرز الي الا امير
الجيش فسمعه ابو عبيدة فسلم الراية لخالد وقال انت لها اهلا فان انا عدت من
قتال هذا البطريق فالراية لي وان هو قتلني فامسك امارتك حتى يرى عمر رايه
فقال خالد انا اقاتله دونك فقال ابو عبيدة لست افعل ولا بد لي من الخروج
اليه وانت شريكي في الاجر ثم برز ابو عبيدة وما احد من المسلمين الا وهو كاره لذلك
واقبلوا اسبانو فلح في الخروج فتركوه ورايه فلما قرب ابو عبيدة من جرجير وعاينه
قال انت امير هذا الجيش فقال ابو عبيدة نعم وقد اجبتك الى ما طلبت من امر البراز
بعد الم فدونك وعرصة الميدان فما بقي لهزيمتكم الآن اقتلك واقتل ماهان ان شا الله
فقال جرجير بل امة الصليب تغلبكم ثم حمل على ابي عبيدة وحمل ابو عبيدة عليه
وطال بينهما القتال وبقي خالد واقف ينظر الى ابي عبيدة ويدعو له بالسلامة
والنصر وكذلك المسلمين قال وانطرد جرجير امام ابي عبيدة واخذ في اعراض
الجيش وطلب في انطراده ميمنة المشركين وتبعه ابو عبيدة وهو مع ذلك واثق بالنصر
والسلامة وسار ابو عبيدة على اثره فعندها عطف عليه جرجير كالبرق والتقيا
بضربتين فكان ابو عبيدة السابق بضربته فوقعت على عاتق جرجير فخرجت
من علايقه فكبر عند ذلك ابو عبيدة وكبر المسلمون ووقف ابو عبيدة على مصرع جرجير
وجعل يتعجب من عظم خلقته ولم ياخذ شيا من سلبه فنادى به خالد لله درك ايها الامير

ارجع الى رايتك والزمها فقد قضيت ما عليك فلم يرجع فاقسم المسلمون عليه فرجع لمقامه عجب
واخذ الراية من خالد ونظر ماهان الى جرجير وقد قتل فعظم عليه ذلك لانه كان ركن
من اركانه فهم بالهروب ثم قال في نفسه ما يكون عذري عند الملك بل ابرز فان قتلت
فاكون قد استرحت من العار وان سلمت فكان لي عند الملك عذرا احسن ما اولي الدبر
قال فعلم رجاله انه يريد المبارزة بنفسه ثم اخذ عدته ولبس زينته وخرج كانه جبل
ذهب يلمع ثم التفت اليه البطارقة والقسيسين والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان اعلم جمع
منا ومنكم بهذا الامر واراد صلح القوم فخالفتموه وها انا ابرز بنفسي فتقدم اليه
بطريق من بطارقة السيرة وكان فيه نسك ودين وكان يعظم الكنايس والرهبان ويأكل
من طعامهم ويتبع ما فرض عليه في الانجيل وكان يقرب من جرجير في النسب فلما علم بقتلته
عظم ذلك عليه وقال وحق المسيح لابرزن الى المسلمين ولاخذن الثار فاما ان اجو بداو
اقتل قاتله ثم قال لماهان قد تعين علي الجهاد وان اودي فرض المسيح ولا بد من المبارزة
قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه سرجس وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد وسواعد
حديد وتقلد سيفه واعتقل رمحه فنظر اليه وعوذته الاقسة وبخروه بالبخور كانهم
واقبل اليه راهب عمورية فاعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب من ايام
المسيح تتوارثه الرهبان والاقسة ويتمسحون به وهو ينصرك فاخذه سرجس وخرج
ونادى ابا البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن
الازور كانه شعلة نار فلما قرب منه ونظر الى جثة البطريق وعظم خلقته هابه وندم

على الخروج

على الخروج ثم قال وما عسى ان يغني هذا اللباس ان حضر الاجل ثم رجع موليا فظن
المسلمون انه جزع فقال قايل منهم الان ضرار افقد الهوم من العلج وما عرفنا له مثل
ذلك قط وضرار لا يكلم احدا حتى سار الى خيمته ونزع ثيابه وبقي في سراويله
واخذ معه قوسه وتقلد سيفه وحجفته ثم عاد الى الحرب يروم قتال البطريق
فوجد ملك النخعي قد سبقه اليه وكان ملك من الخطاطة كان اذا ركب تسحب رجلاه
على الارض فنظر ضرار واذا ملك ينادي بالعلج تقدم يا عابد الصليب الى الرجل النجيب
وناصح الحبيب فلم يجبه العلج على كلامه مما داخله من فزعه فجال ملك عليه وكاره
وهم ان يطعنه وقد مد اليه رمحه فلم ير له مكانا يطعنه فيه مما عليه من لامته فقصد
جواده وطعنه في خاصرته اطلع الرمح من جانبه الاخر قال فنفر الجواد من حرارة
الطعنة وجعل يضرب بيديه ورجليه الارض وهم ملك باخراج الرمح فلم يقدر لانه
اشتبك في اضلاعه فانقصف الرمح وسقط الجواد بالبطريق وهو على ظهره ولم يقدر
البطريق ان يزول عن ظهره لانه مردف بزرد افين في السرج فنظر المسلمون الى ضرار وقد
اسرع اليه مثل الظبية حتى وصل الى العلج فقنعه بسيفه على قمته فشطرها واخذ سلبه
فاقبل اليه ملك فقال اما هذا يا ضرار شاركتني في صيدي فقال له انا ما اشركتك
وانما انا صاحبه وهو لي وقال ملك انا قتلت جواده قال ضرار رب شاة لقاعد اكل
غير جاهد فتبسم لها ملك وقال خذ صيدك هناك الله به قال ضرار انما انا مازح
في الكلام خذ اليك فوالله ما اخذ ضرار منه شيا وهو لك وانت احق به مني ثم اسرع في اخذ

سلبه وحمله على عاتقه وما كاد ان يحمله وهو ينصب عرقا قال زهير بن عابد
فلقد رايته وهو يستتر به وهو راجل وملك راكب حتى طرحه في رحله فقال ابو
عبيدة بابي وامي قوم وهبوا انفسهم لله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق
انقص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا يا اصحاب الملك
وبلغوا عني اني ما تركت جهدا في نصرة هذا الدين وحاميت عن الملك وقاتلت عن
نعمته وما اقدر ان اغالب رب السموات لانه قد ايد العرب ونصرهم علينا
وملكهم بلادنا والان فما لي وجه ارجع به الى الملك حتى اخرج الى الحرب وابرز الى
مقام الطعن والضرب وقد عزمت ان اسلم الصليب الى احدكم وابرز الى قتال
المسلمين فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لي وان رزقت النصر
واثرت في المسلمين اثرا رجعت شاكرا لما علم الملك اني لم اقصر عن نصرته ولم اولي مع من
ولي من رجاله قالوا ايها الملك لا تبرز الى الحرب حتى نخرج اليه قبلك فان قتلنا
اصنع بعدنا ما شيت قال فحلف ماهان بالكتابين الاربع انه لا يبرز احد قبله فلما
حلف امسكوا عن مراجعته ثم دعا بابن عم كان معه فدفع اليه الصليب وقال له
قف في مكاني وقدم لماهان عدته فافرغها عليه قال الواقدي بلغنا ان
ماهان قومت عدته التي كانت عليه بسبعين الفا لانها كلها مرصعة بالدر والياقوت
فلما عزم على الخروج تقدم اليه راهب من الرهبان فقال ايها الملك ما ارى لك
الى البراز من سبيل ولا احبه لك قال ولم قال لاني رايت لك رويا فارجع ودع غيرك

يبرز فقال

يبرز فقال ماهان لست افعل ذلك والقتل احب الي من العار قال فخرج وعوده
ودعواه وخرج ماهان الى القتال كانه جبل ذهب يشرق شعاعه واقبل حتى وقف
بين الصفين ودعا الى البراز وخوف بباسه فكان اول من عرفه خالد فقال هذا ماهان
صاحب القوم وبالله ما خرج وعندهم شي من الخير قال وماهان يرعب باسمه فخرج
اليه غلام من دوس وقال انا والله مشتاق الى الجنة وحمل على ماهان وقد صمم عليه
برمحه فضرب ماهان بيده الى عموده وكان من ذهب تحت فخذه وخفق به الدوسي خفقة
فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة قال ابو هريرة رضي الله عنه فنظرت الى الغلام
عندما سقط عن جواده وهو يشير باصبعه نحو السما ولم يهوله ما لحقه فعلمت ان ذلك
الفرح لما عاين من الحور العين وجال ماهان عليه وقوي قلبه وفرح بقتل الغلام ودعا
للبراز فتسارع المسلمون اليه وكل منهم يقول اللهم اجعل قتلته على يدي فكان اول من
برز له ملك النخعي وساواه في ميدانه فابتدر ماهان بالكلام وقال ايها العلج الجلف لا
تغتر بمن قتلته فانما صاحبنا اشتاق الى الجنة وما منا الا من هو مشتاق الى الجنة
فان اردت مجاورتنا في جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة او الجزية والا فانت هالك
لا محالة فقال ماهان انت صاحبي خالد قال لا انا ملك النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ماهان لست افعل ولا بد لي من الحرب ثم حمل على ملك وكان من اهل الشجاعة
واعتمد على عموده وثبت على البيضة التي على راس ملك فغاصت البيضة في جبهته فشتر
عينه لها فمن ذلك سمي الاشتر وهم ملك لعظم ما نزل به من ضربة ماهان على الرجوع ثم افكر

فيما قد عزم عليه من الفرار فصبر نفسه وعلم ان الله ناصره قال والدم يفور من ضربة
ماهان وعدو الله يظن انه قد قتل ملك الاشتر وهو يسطو متى يقع عن جواده واذا بملك
قد حمل عليه واخذته اصوات المسلمين يا ملك استعن بالله فانه يعينك قال ملك
فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضربته ضربة عظيمة
بسيفي فيه فتقطع غير موهنا فعلمت ان الاجل حصين فلما احس ماهان بالضربة ولى
هاربا على وجهه حتى دخل عسكره قال الواقدي فلما ولى ماهان بين يدي
ملك منهزما صاح خالد بالمسلمين يا اهل الصبر والباس احملوا على القوم ماداموا في دهشة
ثم حمل خالد بمن معه من جيشه وحملت الامرا بمن معها وتبعوهم المسلمون بالتكبير والتهليل
فصبر لهم الروم بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت الروم منهزمين
وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة زهي على مائة الف واسروا
اربعون الفا وغرق منهم في الياقوصة امم لا تحصى وتمزق بعضهم في الجبال والاودية وخيول
المسلمين ورائهم يأتون بهم اسارى ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون حتى مضى من
الليل الثلث فبعث ابو عبيدة الى الناس وقال اتركوهم الى الصباح فجعل
المسلمون يتراجعون وقد امتلت ايديهم بالغنايم والسرادقات وانية الذهب والفضة
والطنافس قال الواقدي ووكل ابو عبيدة بالغنايم من يجمعها وبات المسلمون
فرحين بنصر الله لهم حتى اذا اصبحوا واذا ليس للروم خبر وقد وقع اكثرهم في هوب
اليرموك قال حدثنا عامر بن اسلم قال اخبرنا نوفل بن عدي عن جابر بن نصر

عن حامد

عن حامد بن محمد قال اراد ابو عبيدة ان يحصي عدد القتلى فلم يقدر على ذلك الا
بالقصب فامر فقطع القصب من الوادي فجعل على كل مائة قصبة واذا القتلى مائة
الف وخمسة الاف والاسرى اربعون الفا وقتل من المسلمين اربعة الاف ونيف
ووجد ابو عبيدة روسا باليرموك فلم يعرف منهم احدا الا من المتنصرة ولا من المسلمين
فامر بها فغسلت ثم صلى عليها ثم قدموا القتلى وصلى عليهم وامر بدفنهم وانبثت
خيول المسلمين في طلبهم في الجبال والاودية فاذا هم براع فقد استقبلهم فقالوا امر
بك احد من الروم قال نعم مر بي بطريق ومعه زهي على اربعين الفا قال الواقدي
وكان ذلك ماهان لعنه الله قال فاتبعهم خالد وجعل يقفوا اثرهم ومعه عسكره
الزحف فادركهم على دمشق فلما اشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحمل خالد ووضع فيهم
السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة وكان ماهان قد ارجل عن جواده وقال انه ارجل
نفسه ليسلم فاقبل اليه رجل من المسلمين ليقتله فحامى عن نفسه فقتله الرجل
وكان القاتل النعمان بن جلهمة الازدي او عاصم بن جوال اليربوعي وقد اختلف الهما
قتل ماهان والله اعلم قال الواقدي وخرج اهل دمشق الى خالد رضي الله عنه وقالوا
نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم فقال خالد انتم على عهدكم ثم مضى في طلب الروم
يقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى الى ثنية العقاب فاقام بها يوما ثم عاد الى طريقه
الى نحو دمشق فنزل بها وبلغ ابا عبيدة ان خالدا على دمشق فسار حتى لحق به فيمن معه
من المسلمين قال والامرا في طلب الروم في كل جهة من الشام وجمع ابو عبيدة الغنايم

واخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتاب الفتح يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على نبيه المصطفى ورسوله المختار من ابي عبيده عامر
ابن الجراح الى امير المومنين عمر بن الخطاب اما بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا
هو واشكره مليا على ما اولانا من نعمه وخصنا به من كرمه ببركة نبي الرحمة وشفيع الامة
محمد صلى الله عليه وسلم واعلمك اني يا امير المومنين نزلت باليرموك ونزل ماهان بالقرب منا
ولم يرا المسلمون اكثر منهم جمعا ولا عددا ففض الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه
وفضله فقتلنا منهم زهي على مايه الف وخمسه الاف واسرنا اربعون الفا وقتل من
المسلمين اربعة الاف ختم الله لهم بالشهاده ووجدت روسا لم اعرف اصحابها فصليت
عليها ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم بن جوال اليربوعي وقد كان قبل ه ه
الوقعة نصب عليهم رجل منهم يقال له ابو الجعد من اهل حمص والقاهم في موضع من اليرموك
يقال له الياقوصة فغرق منهم ما لا يحصيه الا الله واما من قتل منهم في الاوديه والجبال
من المنهزمين وغيرهم فاخذت عددهم تسعون الفا وقد ملكنا الله اموالهم واحوالهم
وحصونهم وبلادهم وقد كتبت هذا الكتاب بعد الفتح من دمشق وقد جمعت الغنايم
وخمستها وانا منتظر امرك في الخمس والغنايم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى
جميع المسلمين ثم طوى الكتاب وختمه ودعا بحذيفة بن اليمان رضي الله عنه ودفع الكتاب
اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال يا حذيفة سر بكتاب الفتح والشهادة الى
امير المومنين واجرك على الله عز وجل فاخذ حذيفة الكتاب وسار والعشرة معه

يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من مدينه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الواقدي حدثني عبد الله بن عون المالكي عن ابيه قال لما هزم الله الروم في اليرموك وكان
من امرهم ما قدره الله عز وجل راى عمر رضي الله عنه تلك الليلة في منامه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس في الروضة ومعه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان عمر يسلم
عليهما ويقول يا رسول الله ان قلبي مشتغلا على المسلمين وما ادري ما صنع الله بهم مع اعداء لهم
وقد بلغني ان الروم في ثمان مايه الف فقال يا عمر ابشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم
عدوهم وقد قتل منهم كذا وكذا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين قال فلما
كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر واعلم المسلمين بما راى في نومه فاستبشر
المسلمون وفرحوا وعلموا ان الشيطان لا يتمثل في صورة النبي صلى الله عليه وسلم وورخوا
الهزيمة فكانت كما راى عمر رضي الله عنه قال فلما ورد حذيفة والعشرة معه بكتاب
ابي عبيدة بالفتح والبشارة فكان فيه كما اعلم المصطفى صلى الله عليه وسلم فسجد عمر رضي الله
عنه شكرا لله تعالى وقرى الكتاب على الناس فارتفعت اصوات المسلمين بالشكر
والثنا لله رب العالمين ثم قال عمر رضي الله عنه يا حذيفة فهل قسم ابو عبيدة
الغنايم فقال لا يا امير المومنين بل اخرج الخمس وهو منتظر امرك قال فدعا عمر بدواة
وبيضا وكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر
ابن الخطاب الى عامله بالشام سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على

نبيه صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين وانهزام عدوهم فاذا وصل
اليك كتابي هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل اهل السيف واعط كل ذي حق حقه
واشكر للمسلمين واحسن لاثرهم واشكر لهم صبرهم وفعالهم وانتم بموضعك حتى ياتيك
امري والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه
لحذيفة فسار به حتى ورد على ابي عبيدة فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين
وناوله كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما قراه على المسلمين امر بالغنايم
فجمعت بين يديه فجعل يقسمها على المسلمين فاصاب الفارس اربعة وعشرين الف مثقال
من ذهب وللراجل اثني عشر الفا وكذا من الفضة واعطا الفرس الهجين سهما والفرس
العربي سهمين فلم يقبلوا منه فكتب بذلك الى امير المومنين يعلمه باختلاف الناس
في القسمة بين العربي والهجين فكتب اليه عمر رضي الله عنه اما بعد فانك فعلت
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعدى في حكمك فاعطي الفرس العربي سهمين
والهجين سهما واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربي وهجن الهجين يوم خيبر
فجعل للعربي سهمين وللهجين سهما فلما ورد الكتاب الى ابي عبيدة وقراه على المسلمين
قال والله ما اراد ابو عبيدة ان يحقر رجلا منكم ولكن نتبع سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فلما قسم ابو عبيدة الغنايم على المسلمين قال له خالد ان رجلا من المسلمين
تشفع بي اليك ان تلحق فرسه الهجين بالعربي فابى ابو عبيدة وقال والله ان تسف
التراب احب الي من ذلك وروى عثمان بن عروة بن الزبير قال شهد جدي الزبير

ابن العوام

ابن العوام رضي الله عنه يوم اليرموك ومعه فرسان يتعاقب عليهما القتال يركب
هذا يوما وهذا يوما فلما كان يوم قسم الغنيمة اعطاه ابو عبيدة ثلثة اسهم ولفرسيه
سهمين فقال الزبير اما تصنع بي كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان
معي فرسان فاسهمني خمسة اسهم لفرسي اربعة اسهم واعطاني سهما فقال المقداد بن عمرو
وقد كنت انا وانت يوم بدر ومعنا فرسان فاعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما
سهما لفرسينا قال ابو عبيدة انك لصادق يا مقداد الا انه نسخ فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم بدر وخيبر واقبل جابر بن عبد الله الانصاري فشهد عند ابي عبيدة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطا الزبير بن العوام يوم خيبر خمسة اسهم قال
فاعطاه ابو عبيدة خمسة اسهم فلما فعل ذلك اتاه رجال من العرب ممن معه اربعة
افراس وخمسة افراس فقالوا الحقنا بالزبير قال فكتب الى عمر في ذلك فقال
صدق الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاه يوم خيبر خمسة اسهم فلا تعط
غيره مثله قال الواقدي بلغني انه لما هزم الله الروم في وقعة اليرموك على يد
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الخبر هرقل لهزيمة جيشه وقتل ماهان
قال قد علمت ان الامر يجري الى هذا ثم قام ينتظر ما يكون من المسلمين قال
الواقدي رضي الله عنه واما ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا على دمشق شهرا فجمع ابو
عبيدة امرا المسلمين اليه وقال ايها الناس اشيروا علي بما اصنع واين اتوجه فانه قد اتفق راي
على المسير اما الى قيسارية او الى بيت المقدس فما الذي ترون من الراي فقالوا انت الرجل

الامير وما نسير الى موضع الا ونحن امامك فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ايها الامير
اكتب الى امير المومنين بحيث امرك فاستعن بالله وسر اليه قال اصبت الراى يا معاذ
وفقنا الله واياك ثم كتب الى امير المومنين عمر يعلمه انه قد عزم على قيسارية او بيت المقدس
وانا انتظر ما تامرني به والسلام ونفذ الكتاب مع عرفجة بن ناصح وامره بالمسير فسار
حتى ورد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع الكتاب الى امير المومنين فقراه على
المسلمين واستشارهم في الامر فقال علي رضي الله عنه يا امير المومنين مر صاحبك ابا
عبيدة ان ينزل بجيوش المسلمين على بيت المقدس ويحدقوا بها ويقاتلون اهلها
فاذا فتح الله على المسلمين مدينة بيت المقدس صرف جيوشه الى قيسارية فانها تفتح
بعدها ان شا الله تعالى كذى اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت انت يا ابا الحسن ثم كتب كتابا فيه بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب الى عامله بالشام ابي عبيدة اما
بعد فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم وقد وصلني كتابك
تستشيرني الى اي ناحية تتوجه وقد اشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يدك والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة وامره ان يعجل بالمسير فسار عرفجة
حتى قدم على ابي عبيدة فوجده على باب الجابية فدفع اليه كتاب امير المومنين فقراه
ابو عبيدة على المسلمين ففرحوا بمسيرهم نحو بيت المقدس فعندها دعا ابو عبيدة يزيد

ابن ابي سفين

ابن ابي سفين وعقد له راية حمرا ودفعها اليه وضم اليه خمسة الاف فارس وسرحه الى
بيت المقدس ثم قال يا ابن ابي سفين ما علمتك الا ناصحا للمسلمين اذا اشرفت على بلد ايليا
فارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير واسالوا الله بجاه نبيه ومن سكنها من الانبيا
والصالحين ان يسهل فتحها على المسلمين فاخذ يزيد الراية وسار يريد بيت المقدس ثم
بشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد له راية سودا وسلمها
اليه وضم اليه خمسة الاف فارس من العرب وقال له سر بمن معك حتى تقدم بيت المقدس
وانزل بعسكرك عليها ولا تخلط اصحابك باصحاب يزيد ثم عقد راية ثالثة صفرا ودعا
لهاشم ثم ضم اليه خمسة الاف فارس من العرب وسرحه في اثر شرحبيل بن حسنة وقال
له انزل على حصنها بمعزل عن صاحبيك يعني يزيد وشرحبيل وعقد راية رابعة وسلمها
الى المسيب بن نجبة وقال الحق باصحابك بعد ان ضم اليه خمسة الاف فارس ثم عقد راية
خامسة وسلمها الى قيس بن هبيرة وضم اليه خمسة الاف فارس وعقد راية سادسة
ودفعها لعروة بن مهلهل وضم اليه خمسة الاف فارس قال الواقدي وكان جملة
من سرح ابو عبيدة الى بيت المقدس ثلثين الفا وساروا الامرا في ستة ايام كل يوم امير
ليرهبوا اعدا الله فكان اول من طلع عليهم يزيد بن ابي سفين والراية بيده فلما اشرف عليهم
كبر وكبر المسلمون فسمع اهل بيت المقدس ضجيج اصواتهم فتزعزعت قلوبهم وصعدوا اعلا
سور بلدهم فلما نظروا الى قلة اصحاب يزيد استحقروهم وظنوا ان ذلك جميع جيش
المسلمين فنزل يزيد باصحابه مما يلي باب اريحا واقبل في اليوم الثاني شرحبيل واقبل في اليوم

الثالث هشام المرقال واقبل في اليوم الرابع المسيب بن نجبة فنزل مما يلي الشمال
واقبل من بعده قيس بن هبيرة فنزل في قبلتها واقبل من بعده عروة بن مهلهل فنزل
مما يلي طريق الرملة تجاه محراب داود عليه السلام قال عامر بن عبد الله
ما نزل احد من المسلمين على بيت المقدس الا صلى وكبر ودعا بالنصر للمسلمين والظفر ولمن
فتحها على يديه قال واقام خالد وابو عبيدة ببقية الجيش والذراري والنسوان والسواد
وما انعم الله به على المسلمين من الماشية والمال ولم يبرح من مكانه واقام المسلمون ثلثة
ايام نزول على بيت المقدس لم يبادوهم الحرب وينتظرون منهم رسولا فلم يسالهم من اهلها
احدا الا انهم حصنوا سورهم بالمناجنيق والعرادات والسيوف والدرق والجواشن
والزينة الفاخرة قال المسيب بن نجبة ما نزلنا ببلد من بلاد الشام فرايناه
احسن زينة ولا اهبة من بيت المقدس وما نزلنا على قوم الا وتضعضعوا لنا ودخلهم
الهلع الا اهل ايليا فانا نزلنا بازاهم ثلثة ايام لم يكلمنا احد منهم غير ان حرسهم
من شديد وعدتهم كاملة فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن حسنة
ايها الامير هولاء القوم صم لا يسمعون ام بكم فلا يتكلمون ازحفوا بنا اليهم ونحمل
عليهم فلما كان في اليوم الرابع وقد صلى المسلمون صلاة الفجر فكان اول من ركب فرسه من الامراء
الى حرب اهل بيت المقدس يزيد بن ابي سفين فاشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم
وقد اخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون فوقف بازايهم بحيث يسمعون خطابه
وهم صموت فقال يزيد لترجمانه قل لهم امير العرب يقول لكم ما تقولون في الاجابة

الى دعوة

الى الدعوة الحق وكلمة الصدق وهي قول لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر لكم
ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماكم فان ابيتم فالصلح عن بلدكم كما صالح غيركم
ن ممن هو اعظم منكم عدة واشد منكم قوة فان ابيتم هاتين الخلتين حل بكم البوار وكان
مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان اليهم وقال من المخاطب عنكم فتكلم قس من
الاقسة عليه مدراع الشعر وقال للترجمان انا المخاطب عنهم فما الذي تريدون
فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى الدخول في دين
الاسلام فان ابيتم فصالحوهم عن بلدكم وانفسكم باداء الجزية عن يد وتسلم والا
مام فالقتال بيننا وبينكم قال فبلغ القس لاهل بيت المقدس ما قال لهم
الترجمان فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا انا لا نرجع عن دين العذرا البتول وان قتلنا اهون
من ذلك قال فبلغ الترجمان ليزيد ما قال القوم فمشا الى الامرا واخبرهم بجواب القوم
ثم قال اما استطاركم بهم فقال ان الامير ابا عبيدة ما امرنا بقتال القوم بل بالنزول
عليهم ولكن نكتب الى امين الامة فان امرنا بالزحف على القوم فعلنا فكتب يزيد الى
ابي عبيدة يعلمه بما كان من جواب اهل بيت المقدس فما الذي ترى فكتب ابو عبيدة اليهم
يامرهم بالقتال والزحف اليهم وانا في اثر الكتاب ونفذ ابو عبيدة الكتاب مع ميسرة
ابن ماضح قال فلما قرى المسلمون كتاب ابو عبيدة استبشروا وباتوا ينتظرون الصباح
قال الواقدي رحمه الله فبات القوم تلك الليلة كانهم ينتظرون قادما يقدم عليهم
من شدة الفرح بقتالهم اهل بيت المقدس وكل امير منهم يريد ان تفتح على يده قال فلما

اضا الفجر اذن المؤذنون وصلى المسلمون الفجر قال فقرا يزيد باصحابه يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فتفال
ان جميع الامرا الستة قرى كل واحد منهم باصحابه هذه الاية فكانهم كانوا على
ميعاد فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير يا خيل الله قال فاول من بدر للقتال
بنو حمير ورجال من اليمن وبرز المسلمون للحرب كانهم اسود ضاريه ونظر اليهم اهل
بيت المقدس وقد اشرفوا القتال لهم فاوتروا قسيهم ورشقوا المسلمين بها فكانت
كالجراد المنتشر فجعل المسلمون يلتقطونها بالدرق والحجف ولم تزل الحرب بينهم من
الغداة الى الغروب يقاتلون قتالا شديدا وليس يظهرون للمسلمين فزعا ولا جزعا
ولا يطمعونهم في بلدهم فلما غربت الشمس تراجع المسلمون الى معسكرهم وصلوا ما افرض الله
عليهم واخذوا في اصلاح شانهم فلما فرغوا من ذلك اوقدوا النيران واكثروا لمها
لان الحطب عندهم كثير فقوم يصلون وقوم يقرون وقوم يدعون ويتضرعون وقوم نيام لما
لحقهم من التعب والقتال فلما كان من الغد بكر المسلمون اليهم وابتدروا القتال وذكروا
الله كثيرا واثنوا عليه وتقدم رماة النبل واقبلوا يرمون قال الواقدي
ولم يزل المسلمون في القتال عشرة ايام واهل بيت المقدس يرون الفرح وانه ليس على قلوبهم
فزع منهم فلما كان في اليوم الحادي عشر اشرفت عليهم راية ابي عبيدة يحملها غلامه سالم
ومن ورائها فرسان المسلمين وابطال الموحدين وقد احدقوا بابي عبيدة رضي الله عنه
وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن ابي بكر عن يساره ومن ورائهم الذراري والنسوان والاموال

فضج المسلمون

فضج المسلمون ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير واجابتهم سائر القبائل ووقع الرعب
في قلوب اهل بيت المقدس وانقلبت كبراؤهم وبطارقتهم الى البيعة المعظمة عندهم وهي
قمامة فلما وقفوا بين يدي بطريقهم سلموا عليه وصفقوا بين يديه فقال ما هذه الضجة
التي اسمع فقالوا يا ابانا قد قدم امير القوم اليانا بقية الجيش فهذه الضجة من اجله
فلما سمع البترك ذلك منهم انخطف لونه وتغير وجهه وقال هي هي قالوا وما ذلك يا ابانا
فقال وحق الانجيل ان كان هو اميرهم فقد دنا هلاككم والسلام فقالوا وكيف
ذلك قال لانا نجد في العلوم التي ورثناها عن المتقدمين ان الذي يفتح الارض في
الطول والعرض هو الرجل الاسمر الاحور صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم فلا سبيل
لكم الى قتالهم ولا طاقة لكم بنزالهم ولا بد لي من ان اشرف عليه وانظر الى صفته فان
كان هو عملت في مصالحته واجبته الى ما يريد وان كان غيره لم اسلم اليه قط لان مدينتنا
لا تفتح الا على يد من ذكرت لكم والسلام ثم وثب قايما والقسوس والرهبان والشمامسة
من حوله وقد رفعوا الصلبان على راسه وفتحوا الانجيل بين يديه ودارت البطارقة
من حوله وصعدوا اعلى السور الى جهة الطريق الذي قدم منها ابو عبيدة فنظر الى
المسلمين وهم يسلمون على ابي عبيدة ويعظمونه ثم يرجعون الى القتال كانهم الاسود
الضاريه فنادى رجل من الروم ممن كان يمشي بين يدي البترك باذنه وقال يا معاشر
المسلمين كفوا عن القتال حتى نسالكم قال فامسك المسلمون عنهم فنادا ام الرجل
بلسان عربي اعلموا ان صفة الرجل الذي يفتح بلدنا هذه وجميع الارض عندنا فان كان هو

لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن فلسنا نكف عنكم ولا نسلم اليكم قال الواقدي
فلما سمع المسلمون كلام ترجمانهم اقبل نفر منهم الى ابي عبيدة وحدثوه بما سمعوه
فخرج ابو عبيدة رضي الله عنه اليهم الى ان حاذاهم ونظر اليه البطريق وحققه قال
ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا
اصواتهم واعلنوا بكفرهم واقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك
الى قمامة ولم يخاطب ابا عبيدة بل امر قومه بالحرب والقتال وعاد ابو عبيدة الى
اصحابه فقال له خالد ما الذي راه منك ومنهم ايها الامير فقال لا علم لي غير
اني خرجت اليهم كما رايت فاشرف علي شيطان من شياطينهم الذين يضلونهم فما هو الا
ان نظر الي حين صاحوا صيحة واحدة ثم ولوا عني ولم يكلموني فقال خالد يوشك ان يكون
لهم في ذلك راي نقف عليه بعد ذلك ان شاء الله ثم قال انصب عليهم الحرب وصاح
خالد وابو عبيدة بالمسلمين وامروهم بالقتال قال الواقدي وكان نزول
المسلمين على ايليا في ايام الشتاء والبرد وظنوا ان المسلمين لا يقدرون على المقام عليهم
قال وزحف المسلمون اليهم وحملوا على جرهم وقتالهم وبرزت النبالة من اهل اليمن
وهم اصحاب قسي الشوحط والنبع وبركوا لهم على الركب ورشقوهم بالنبال وكانت الروم
غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم بها حتى راوا النبل ينكسهم على رؤوسهم ويخرج من
وراء ظهورهم قال عون بن مهلهل فلله در عرب اليمن لقد رايتهم يرمون بالنبل
والروم يتهافتون من سورهم كالمطر فلما نظروا الى النبل وما تصنع بهم احترزوا

منها واستتروا

منها واستتروا بالجحف والجلود وغير ذلك مما يرد عنهم النبل قال ونظرت الى
ضرار بن الازور وقد اقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير على راسه صليب
من الجوهر وحوله الغلمان عليهم القراقط وبايديهم العمد والقسي الموتورة وهو يحرض
القوم على القتال قال عون بن مهلهل فنظرت الى ضرار وقد قصد الى نحوه
واختفى خلف حجر وحجفته بيده الى ان قرب من البرج الذي عليه البطريق ثم اطلق
نبلة اليه قال عون فنظرت الى النبلة وقد خرجت والبرج عال رفيع فقلت ما
يكون من هذه النبلة عند علو هذا الجدار وما تصنع في هذا العلج وعليه هذه
اللامة المانعة فاقسم لقد وقعت النبلة فيه فاردته الى اسفل حصنهم فسمعت للروم
صيحة عظيمة وجلبة هائلة فعلمت انه قد قتله بنبلته ولم يزل ابو عبيدة منازلا
لاهل بيت المقدس اربعة اشهر متوالية وما من يوم الا ويقاتلهم القتال الشديد
والمسلمون صابرون على البرد والمطر والثلج فلما نظر اهل بيت المقدس الى شدة الحصار
ولم تزل بهم المسلمون حتى قصد الروم الى قمامة ووقفوا بين يدي بتركهم وسجدوا له وعظموه
وقالوا ايا سيدهم قد دام حصار هؤلاء العرب ورجونا ان ياتينا مدد من الملك وقد
اشتغل عنا لا شك بنفسه لاجل هزيمة جيشه وما من يوم يمر علينا الا ويقتل
منا خلق كثير ومنهم ايضا الا انهم اشد للقتال منا والهم من يوم نزلوا علينا
لم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم احتقارا منا بهم والان برح الخفاء وعظم علينا
الامر وانا نريد منك ان تشرف على القوم وتنظر ما الذي يريدون منا ان كان امرهم

قريب اجبناهم الى ما يريدون وان كان صعب فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما
ان نقتل عن اخرنا واما انهزمهم عنا قال فاجابهم البترك الى ذلك واشتهر بلباسه
وصعد السور وحمل الصليب بين يديه واجتمع القسيسون والرهبان بايديهم الاناجيل
مفتحة والمجامر بالبخور واشرف البترك على الموضع الذي فيه ابو عبيدة ثم نادى منهم
رجل فصيح اللسان بالعربية وقال معاشر العرب ان عمدة دين النصرانية
وصاحب شريعتها قد اقبل يخاطبكم فليبدر الينا اميركم فاخبر ابو عبيدة بذلك
فقال والله ان لهم لامرا ثم قام ابو عبيدة يمشي اليهم ومعه جماعة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ ترجمانا فلما وقف بازائهم قال لهم الترجمان ما الذي
تريدون هذا امير العرب قد اقبل نحوكم قال البترك للترجمان قل لهم ما الذي تريدون
منا وهذه البلدة هي الارض المقدسة ومن قصدها بسوء يوشك ان الله يغضب
عليه ويهلكه فاخبر الترجمان لابي عبيدة بذلك فقال قل لهم نحن نعلم انها بلدة شريفة
ومنها اسري بنبينا صلى الله عليه وسلم وهي معدن الانبيا ونحن احق منكم بها ولا نزال
نقاتلكم عليها او يملكنا الله اياها كما ملكنا غيرها قال البترك فما الذي تريدون
منا قال ابو عبيدة ان الذي نريد منكم هي احد ثلث خصال اولها ان تقولوا لا اله الا الله
محمد رسول الله فان اجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا قال له البترك
انها الكلمة عظيمة ونحن قايلون بها غير ان نبيكم ما نقر انه رسول الينا فقال ابو عبيدة
كذبت يا عدو الله وانك لم توحد الله قط ولقد اخبرنا الله تعالى في كتابه انكم تقولون

ان المسيح

ان المسيح بن الله لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا
قال البترك فهذه خصلة لا نجيبكم اليها ابدا فما الخصلة الثانية قال ابو عبيدة
تصالحونا عن بلدكم وتؤدون الجزية لنا عن يد وانتم صاغرون كما اداها غيركم ممن
هو اشد منكم منعة قال البترك هذه اعظم علينا من الاولى وما كنا بالذي ندخل تحت
الذل والصغار ابدا قال ابو عبيدة فما نبرح نقاتلكم او يظفرنا الله بكم فنستعبد
نساءكم واولادكم ونقتل منكم من خالف كلمة الحق واعتكف على كلمة الكفر
فقال البترك فانا لا نسلم مدينتنا او نهلك عن اخرنا وكيف نسلمها وقد استعددنا
فيها الة الحصار وفيها العتق الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من
اهل المدن الذين اذعنوا لكم باداء الجزية فانما هم قوم غضب عليهم المسيح
فادخلهم تحت طاعتكم ونحن في بلدنا من اذا سال المسيح ودعاه اجاب دعوته قال
ابو عبيدة كذبت يا عدو الله ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام خلقه الله من تراب ثم قال كن فكان قال البترك فاني له ح
اقسم بالمسيح انكم لو اقمتم علينا عشرين سنة لما فتحتموها ابدا وانما يفتح بلدتنا
رجل نجد صفته في كتبنا ولسنا نرى الصفة معكم قال ابو عبيدة ما صفة من يفتح بلدكم
قال البترك لا نخبركم بصفته ولكنا نجد في كتبنا وما قراناه في علومنا انه يفتح هذه
المدينة صاحب لمحمد صلى الله عليه وسلم اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق
وهو رجل شديد لا ياخذه في الحق لومة لايم ولسنا نرى الصفة معكم قال ابو عبيدة الله

ذلك من كلام البطريق تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم اقبل عليه
وقال ان رايت ذلك الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا اعرفه وصفته عندنا وعدد سنينه
وايامه وآبايه قال ابو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا قال البطريق
فان كان الامر على ما ذكرت وقد علمت صدق قولنا فاحقن الدما وابعث الى صاحبك
باني كاذا راينا وتبينا معرفته ونعته فتحنا له المدينة واعطيناه الجزية قال ابو عبيدة
فاني سابعث اليه ان يسير الينا افتحبون القتال او الكف عنكم قال البطريق يا معشر
العرب انتم لا تدعون بغيكم وتجبركم فنحن قد صدقناكم في الكلام لحقن الدما وانتم
تابون الا القتال فقال ابو عبيدة لان ذلك اشهى الى قلوبنا من الحياة نرجو به الفوز
والغفران من ربنا ثم انصرف ابو عبيدة وامر الناس بالكف عن الحرب وجمع المسلمين
واعلمهم بمقالة البطريق فرفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا افعل ايها
الامير واكتب الى امير المومنين بذلك فلعله ان يصل الينا ويفتح هذه البلدة علينا
فعندها كتب ابو عبيدة بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر امير المومنين
من عامله ابي عبيدة اما بعد سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه
صلى الله عليه وسلم واعلم يا امير المومنين اني منازل اهل مدينة ايليا اقاتلهم كل يوم ويقاتلونا
ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة من البرد والامطار الا انهم صابرون على ذلك يرجون
رحمة الله عز وجل بذلك فلما كان في يوم كتبت اليك هذا الكتاب اشرف علينا
بطريقهم الذي يعظمونه وقال انه يجد في كتبهم انه لا يفتح بلدهم الا صاحب امرنا وانه

يعرفه بصفته وقد سالنا حقن الدماء حتى تسير الينا وتجد بنفسك فلعل الله ان
يفتح هذه البلدة على يديك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ثم طوى الكتاب وختمه
وقال معاشر المسلمين من ينطلق بها الى امير المومنين واجره على الله فاسرع
بالاجابة ميسرة بن مسروق العبسي وقال انا ايها الامير اكون الرسول وارجع مع عمر ان شا
الله تعالى فقال خذ الكتاب بارك الله فيك فاخذ ميسرة الكتاب واستوى على
ناقته ولم يزل يجد السير الى ان وصل الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلها
ليلا فقال والله لا انزل على احد من اهل المدينة ثم اناخ ناقته وعقلها ودخل
المسجد ونام وكان له ليال ما نام فاخذته عينه بعد ان سلم على قبر النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى قبر ابي بكر رضي الله عنه فما استيقظ الا لاذان عمر رضي الله عنه وكان
عمر يغلس بالاذان فلما اذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله قال ميسرة
فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الصبح فلما انحرف قمت اليه وسلمت عليه فلما
راني قال ميسرة ورب الكعبة ثم قال ما وراك يا ميسرة فقلت الخير والسلامة
يا امير المومنين ثم ناولته كتاب ابي عبيدة فقبله وقراه على المسلمين فاستبشروا به
وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب به الينا امين الامة فكان اول من تكلم عثمان بن عفان
رضي الله عنه وقال يا امير المومنين ان الله عز وجل قد اذل الروم واخرجهم من الشام ونصر
المسلمين عليهم وقد حاصروا اهل مدينة ايليا وضيقوا عليهم وهم في كل يوم يزدادون
ذلا وضعفا فان انت اقمت ولم تسر اليهم علموا انك مستخف بامرهم فلا يلبثوا الا يسيرا

حتى الصغر ويعطون الجزية فلما سمع عمر ذلك من كلام عثمان رضي الله عنهما جزاه خيرا
وقال هل عند احد منكم راي غير هذا فقال علي رضي الله عنه نعم عندي غير هذا الراي وانا
ابديه لك رحمك الله فقال عمر وما هو يا ابا الحسن فقال ان القوم قد سالوك
وفي سوالهم ذل وهو على المسلمين عز وفتح وقد اصاب المسلمين جهد عظيم من البرد
والقتال وطول المقام واني ارى ان سر فتح الله هذه المدينة على يديك وكان في مسيرك
الاجر العظيم في كل مخمصة وفي قطع كل واد حتى تقدم عليهم فاذا قدمت عليهم
كان لك وللمسلمين الامن والعافية ولست امن ان هم ايسوا منك ومن قبول الصلح
ان يتمسكوا بحصنهم وياتيهم المدد من بطارقتهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين
من ذلك هم وبلاء لان بيت المقدس عندهم معظم واليه يحجون فلا يتخلون عنه والصواب
المسير اليهم قال ففرح عمر بمشورة علي رضي الله عنهما وقال لقد احسن عثمان النظر
في المكيدة للعدو واحسن علي النظر للمسلمين فجزاهم الله خيرا ولست اخذ الا بمشورة
علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم ان عمر رضي الله عنه امر الناس
باخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فاسرع المسلمون الى ما امرهم به فعسكروا
خارج المدينة واتى عمر رضي الله عنه المسجد فصلى فيه ركعتين ثم قام الى قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسلم عليه واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وخرج
من المدينة واهلها يشيعونه ويودعونه وهو يومئذ على بعير له احمر وعليه غرارتان
في احدهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج

معه جماعة

معه جماعة من الصحابة كانوا قد شهدوا اليرموك ثم عادوا الى المدينة منهم الزبير بن
العوام وعبادة وسار عمر نحو الشام فكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلي الفجر
فاذا انفتل من صلاته يقبل على المسلمين بوجهه ويقول الحمد لله الذي اعزنا بالاسلام
واكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه السلام وهدانا من الضلالة وجمعنا
بعد الشتات على كلمة التقوى والف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في
بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعم واسالوه
المزيد منها والشكر عليها وعلى ما اصبحتم تتقلبون فيه من النعم السابغة والمنن
الظاهرة فان الله عز وجل يزيد المستزيدين والراغبين فيما لديه قال ثم ياخذ
الجفنة يملاها سويقا ويصب عليها من القربة ماء ويصف التمر حوله ويقول للمسلمين
كلوا هنيئا رحمكم الله ثم ياكل وياكل المسلمون معه ثم يرتحل فلم يزل كذلك في مسيره
قال عمرو بن مالك كنت مع عمر بن الخطاب حين سار الى الشام فمر على ماء لجذام وعليه
طائفة منهم نزول فنزل بالمسلمين عليه فبينما هو كذلك اذ اقبل اليه قوم من جذام
فقالوا يا امير المؤمنين ان عندنا رجلا له امراتين وهما اختان لام واب فغضب
عمر رضي الله عنه وقال علي به فاتي به اليه فقال له عمر ما هاتان المراتان قال
[illegible] زوجتي قال فهل بينهما قرابة قال نعم هما اختان لام واب قال عمر فما
[illegible] الست مسلم قال نعم قال عمر او ما علمت ان هذا عليك حرام بعد قول الله تعالى
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فقال الرجل والله ما علمت وما هما علي بحرام

فغضب عمر وقال له [illegible] والله انه لحرام عليك ولتخلين سبيل احداهما والا ضربت
عنقك قال له الرجل اتتحكم علي في زوجتي والله ان هذا دينا ما اصبت فيه
خيرا فقال له عمر ادن مني فدنا منه فخفقه راسه بالدرة خفقات وقال تسب
الاسلام يا عدو الله وعدو نفسه وهو الدين الذي ارتضاه الله لنبيه صلى الله عليه
وسلم خل ويلك سبيل احداهما والا جلدتك جلد المفتري قال الرجل فكيف اصنع
بهما وانا احبهما قال اقرع بينهما فمن وقعت عليها القرعة ثلثا فامسكها
عليك ثم التفت عمر اليه وقال له اسمع يا هذا الرجل وعي ما اقول لك انه من
دخل في ديننا ثم رجع عنه قتلناه واياك ان تفارق الاسلام وان بلغني انك خلوت
باخت امراتك رجمتك قال وسار عمر رضي الله عنه حتى مر على حي من
فاذا قوم قد اقيموا في الشمس يعذبون في الخراج فقال عمر ما بال هولاء قالوا ان
عليهم خراجا فهم يعذبون عليه قال فما يقولون قالوا ما نجد ما نودي فامر باطلاقهم
وقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الذين يعذبون الناس في الدنيا
يعذبهم الله يوم القيامة ثم سار حتى اذا كان بوادي القرى اخبروه ان شيخا له صديق
يوده فقال له صديقه هل لك ان تجعل لي من زوجتك نصيبا واكفيك رعي ابلك
وسقيها ولي فيها يوم وليلة ولك يوم وليلة فقال له الشيخ قد فعلت
ذلك ورضيت فلما بلغ عمر ذلك امر باحضارهما وقال يا ويلكما وما دينكما قالا
الاسلام فقال عمر فما هذا الذي بلغني عنكما فقالا وما هو فاخبرهم بما شيع

فقال له

فقال له الشيخ نعم قد كان ذلك فقال عمر وما علمتما ان هذا حرام في دين الاسلام
فقالا لا والله ما علمنا بذلك فقال عمر للشيخ ويحك وما دعاك الى ذلك قال انا
شيخ كبير وقد ضعفت ولم يكن لي ولد اثق به وقلت هذا يكفيني الرعي والسقي ويعينني
على زمني واجعل له نصيبا من زوجتي والآن اذ علمت انه حرام فلا افعله فقال له عمر
خذ بيد زوجتك ليس لاحد عليك سبيل ثم قال للشاب اياك ان تقرب منهما
فان بلغني ذلك عنك ضربت عنقك ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى اذا دنا من
اول الشام نظر الى كتيبة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير يا ابا عبد الله اسرع
وانظر ما هذه الخيل فاسرع الزبير اليها فلما قرب منها واذا هي خيل من اليمن
قد بعث بهم ابو عبيدة ياخذون له خبر عمر رضي الله عنه قال الزبير فسلموا علي فقالوا
يا فتى من اين اقبلتم فقلت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فكيف خلفتم
اهلها [illegible] انت بخير قالوا فما فعل عمر هل اتانا النبا وقدم علينا ام لا فقال الزبير
ومن انتم قالوا نحن قوم من اليمن بعثنا ابو عبيدة لناخذ له خبر عمر قال فرجع الزبير
الى عمر وحدثه فقال اصبت يا ابا عبد الله واقبل من بعدهم تبع آخر فسلموا علينا
وسالونا عن عمر فقال لهم عمر ها انا فما تريدون قالوا يا امير المومنين لقد ارقت
العيون وطالت الاعناق بالتطاول الى قدومك فلعل الله تعالى ان يفتح علينا بيت
المقدس قال ثم رجعوا على اعقابهم حتى اشرفوا على عسكر ابي عبيدة ونادوا برفيع
اصواتهم ابشروا معاشر المسلمين بقدوم امير المومنين عمر قال فارتج الناس وهموا ان

يركبوا الا استقبالة باجمعهم فقال ابو عبيدة عزيمة مني على رجل ان يخرج من
مركزه ثم سار ابو عبيدة في اناس من المهاجرين والانصار حتى اشرف ومن معه على
عمر رضي الله عنه قال ونظر عمر الى ابي عبيدة واذا هو على قلوص موطأة
له بعباة قطوانية وخطام قلوصه من شعر وابو عبيدة لابس سلاحه فلما نظر
ابو عبيدة رضي الله عنهما اناخ قلوصه واناخ عمر بعيره ونزلا ومد ابو عبيدة يده
فصافح عمر وعانقه وسلم بعضهما على بعض واقبل المسلمون يسلمون على عمر رجا
جميعا وجعلا يتسايران امام الناس وهما يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا ببيت
المقدس فلما نزل عمر صلى بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة بليغة وقال في
خطبته الحمد لله الحميد المجيد القوي المتين الفعال لما يريد ثم قال اما بعد
ان الله اكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد عليه السلام فازاح عنا الضلالة وجمعنا بعد
الفرقة والف بين قلوبنا بعد البغضاء فاحمدوه على هذه النعم تستوجبون منه
المزيد لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ثم قرأ من يهدي الله فهو المهتدي ومن
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا فلما تلا عمر هذه الاية قام قس من النصارى كان
جالسا بين يدي عمر رضي الله عنه فقال ان الله لا يضل احدا فلما ان كررها قال
عمر انظروا ان اعاد القول فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال عمر فامسك ومضى عمر
في خطبته وقال اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله عز وجل الذي يبقى ويفنى
ما سواه الذي بطاعته ينتفع اولياؤه وبمعصيته يشقى اعداؤه ايها الناس ادوا

زكاة اموالكم طيبة بها قلوبكم لا تريدون بها اجرا من مخلوق ولا شكرا وافهموا ما
توعظون به فان الكيس من احرز دينه وان السعيد من وعظ بغيره الا وان شر
الامور مبتدعاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم والزموها فان الاقتصاد في السنة
خير من الاجتهاد في البدعة والزموا القران فانكم تجدون فيه الشفاء والنور ايها
الناس انه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم وقال الزموا اصحابي
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لا
يستشهد ويحلف من لا يحلف فمن اراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان
الفذ مع الشيطان ولا يخلون احدكم بامراة اجنبية فانهن حبايل الشيطان
ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن والصلاة ثم الصلاة فلما فرغ من
خطبته جلس وجعل ابو عبيدة رضي الله عنه يحدثه بما لقي من الروم وعمر ينصت
له فتارة يبكي وتارة يضحك فلم يزل كذلك الى ان حضرت صلاة الظهر فقال
الناس يا امير المومنين مر بلالا فليوذن لنا وكان بلال مقيما ببلد فلسطين فلما
بلغه ان المسلمين قد نزلوا على بيت المقدس حضر اليهم وشهد القتال وحصار
بيت المقدس فلما بلغه ان عمر سار الى ابي عبيدة قدم حتى سلم على عمر وعظم
من قدره فلما حضرت صلاة الظهر سال المسلمون عمر ان يسال بلالا ان يوذن
قال فدعا به عمر رضي الله عنه وقال يا بلال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسالونك ان توذن لهم وتذكرهم اوقات نبيهم فقال بلال نعم فلما اذن بلال

الله اكبر الله اكبر خشعت جوارحهم واقشعرت جلودهم ابدانهم فلما قال اشهد
ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله بكا الناس بكا شديدا حتى كادت قلوبهم
ان تنصدع عند ذكر الله ورسوله وكاد بلال ان يقطع الاذان مما لقي الناس
من الخوف والبكاء عند ذكره للمصطفى صلى الله عليه وسلم فلما فرغ بلال صلى عمر
بالمسلمين فلما فرغ عمر من صلاته وجلس قال بلال يا امير المومنين ان امرا
اجنادنا الشام ياكلون لحم الطير والخبز النقي وما لا يلحقه ضعفا المسلمين
وما لا يناله ابدا فقال له يزيد بن ابي سفين يا امير المومنين ان بلادنا هذه
رخيص وانا النصيب ما قال بلال هاهنا بمثل ما صنعنا نقوت انفسنا في الحجاز
فقال عمر ان كان على ما ذكرت فكلوا هنيئا مريا ولست ابرح من مكاني هذا حتى تجمعوا
لي من في المنازل يعني ان تكتبوا الي فقرا المسلمين ممن في المدن والقرا بما فرض لكل
بيت ما يكفيهم من البر والشعير والعسل والزيت والعدس والخل وما لا بد لهم منه
ثم قال عمر هذا لكم من امرائكم غير ما ياتيكم مني من بيت مال المسلمين فان قطعه
عنكم امراؤكم فاعلموني حتى اعزلهم عنكم ثم امرهم بالرحيل فلما هم بالركوب على بعير
وعليه مرقعته وهي من الصوف فيها اربع عشر رقعة بعضها من ادم فقال له
المسلمون يا امير المومنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا فان ذلك اعظم
لهيبتك في قلوب اعدائك واقبلوا يسئلونه ويتلطفون به الى ان اجابهم الى ذلك
ونزع مرقعته ولبس ثيابا بياضا قال الزبير احسب انها كانت من ثياب مصر

تساوي

تساوي خمسة عشر درهما وطرح على كتفه منديلا من الكتان ليس بالجديد
ولا بالخلق ودفعه اليه ابو عبيدة وقدم اليه برذون من براذين الروم فلما صار
عمر في ظهره جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل عنه مسرعا وقال
اقيلوني عثرتي اقالكم الله عثراتكم يوم القيمة لقد كدت اهلك لما داخلني من
برذونكم المهملج وثوبكم البياض ثم ان عمر رضي الله عنه نزع ما كان قد لبسه ثم
عاد الى مرقعته قال الواقدي ها يوما يقرا فتوح بيت المقدس عند
قبر ابي حنيفة وكان يقري الفتوح على عبادة بن عون وكان من اهل الفضل
وكان يسجع كلامه فلما وصل الى ما ذكرناه من لبس عمر مرقعته قال فسجع
بما انا قايله قال الواقدي فقلت له قل ولا تخالف الصدق فهو في
النار فان الصدق امانة والكذب خيانة فقال لما لبس عمر مرقعته جعل يتبختر
في اسماله ويفتخر والكاينات تعجب من زهده وصبره عندها تزينت له الدنيا
بملابسها وقد ازدانت عنده مصايدها وبابها وتراءت له في حلل زينتها
بواسطة شرعة حدثان شينها وقد جعلت تاج شهواتها على قمة مفرق
واستراسند راحاتها والقت في حبله مراودته مطلقة اعنة الطمع في طلب
زوال مجاهدته معرضة ملابس جمالها على سيوف معارضته صاقلة مراة
تبرجها في عين مشاهدته واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته
بلذة ودادها ذريعة الى وصلته وعمر قد امسك عرى طاعته بيد عصمته

فلما نصبت له احابيل بلاها ولم تنج وقع في اشراك هواها اسمعت خطابا
في مغناها قد شغفها حبا انا النزاهها فقالت يا عمر قد وليت ارضي
ولا بد لك من القيام بغرضي فالولاية لا تقوم الا بالملابس الهنية والماكل
الشهية والظلم في الرعية قال عمر اذهبي فلست من رجالك ولا ممن
يقع في حبالك اما علمت اني قد تجردت لمعاندتك ولا حاجة في مشاهدتك
وها انا قد قمت على قدم وتجردت لاقامة دعوة سيد الامم حتى افتح بلاد
الروم والعجم ثم اشهر في وجهها صارم اجتهاده من معنى قوله تعالى وجاهدوا
في الله حق جهاده قال الواقدي رضي الله عنه فاستحسنت كلامه قال
وان عمر سار يريد العقبه الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين عليهم ثياب
الديباج مما اخذوا من اليرموك فامر عمر ان يحثا في وجوههم التراب وان يخرق
عليهم ثيابهم الديباج ولم يزل متعلق بالعقبة حتى اشرف على بيت المقدس فلما نظر
اليها قال الله اكبر الله اكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا
نصيرا ثم سار واستقبلة العشاير والقبايل واصحاب العقود وسار عمر حتى
نزل بموضع كان فيه ابو عبيدة نازلا فضربت له خيمة من شعر على التراب ثم قام فصلى
اربع ركعات قال وعلت للمسلمين ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير وسمع اهل
بيت المقدس الضجة والجلبة فقال لهم البترك يا ويلكم انظروا ما شان العرب
فقد ارتفعت لهم ضجة عظيمة من غير قتال فاشرف عليهم رجل من متنصرة العرب

وقال يا معاشر

وقال يا معاشر المسلمين اخبرونا ما قصتكم قالوا ان امير المومنين عمر قد قدم
علينا من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه الضجة من فرح المسلمين به قال
فرجع المتنصر فاعلم البترك بما قال المسلمون قال فاطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد
وقد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر قال لابي عبيدة يا عامر تقدم الى القوم واعلمهم
اني قد اتيت قال فخرج ابو عبيدة وصاح بهم وقال يا اهل هذه البلد ان صاحبنا
امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد اتانا فما تصنعون فيما قلتم قال فاعلموا
البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وحوله الرهبان والقسوس وقد حمل
بين يديه صليب عظيم لا يخرجه لاهل المدينة الا في عيدهم الكبير وسار معه
الناطليق وهو الوالي عليهم وهو يقول للبترك ان كنت تعرفه بصفته والا فلا
تفتح له ودعنا ودأب هولاء العرب ابدا اما نبيدهم واما يبيدونا فقال البترك
انا افعل ذلك وعلى على السور ووقف الناطليق الى جانبه والصليب امامه واشرف
على ابي عبيدة وقال ما شانك ايها الشيخ البهي فقال ابو عبيدة هذا امير المومنين
الذي ليس عليه امير قد اتانا فاخرجوا اليه واعتقدوا منه الامان وخذوا منه الذمام
واقروا له بالجزية قال له البترك يا ذا الرجل ان كان صاحبكم اتى وهو الذي ليس عليه
امير فقل له حتى يدنو منا فانا نعرفه بصفته وافردوه من بينكم وليقم بازاء الحصن
حتى نراه ان كان صاحبكم الذي نجد نعته في الانجيل نزلنا اليه واعتقدنا منه الامان والذمة
واقررنا له بالجزية وان كان غير الصفة التي نجد فما لكم عندنا غير القتال قال فرجع

ابو عبيدة الى عمر رضي الله عنه واخبره بما قال البترك فهم عمر بالقيام فقال له اصحابه
يا امير المومنين تخرج اليهم منفردا وليس عليك عدة للحرب غير هذه المرقعة وانا
نخشى عليك ان يكون منهم غدر ومكر فينالون منك قال عمر قل لن يصيبنا الا ما
كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون ثم امر ببعيره فقدم اليه فاستوى
في كوره وعليه مرقعته ليس عليه غيرها وعلى راسه قطعة عباة قطوانية قد
عصب بها راسه وليس معه غير ابي عبيدة سايرا بين يديه حتى قرب من الحصن
ووقف بازاء البترك والناطليق فتكلم ابو عبيدة وقال يا هولاء هذا امير المومنين
فحدق اليه البترك عينه فنظر اليه وزعق وقال بعلو صوته هذا والله الذي
نجد صفته في كتبنا ومن يكون فتح بلدنا على يديه لا محالة في ذلك ثم قال
لاهل بيت المقدس يا ويلكم انزلوا اليه واعتقدوا منه الامان والذمة هذا والله
صاحب محمد بن عبد الله قال فلما سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكان قد
ضاقت انفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى امير المومنين يسالونه
العهد والذمة ويقرون بالجزية فلما نظر اليهم عمر على تلك الحالة تواضع لله سبحانه
وخر ساجدا على قتب بعيره ثم اقبل عليهم وقال لهم ارجعوا الى بلدكم فلكم
الذمة والعهد ان سالتمونا واقررتم بالجزية لنا قال فرجع القوم الى حصنهم ولم
يغلقوا الباب ورجع عمر الى معسكره فبات فيه ليلته فلما كان من الغد قام
فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين واقام فيها الى يوم الجمعة وخط بها وخط محرابا

وهو موضع

وهو موضع مسجده ثم تقدم فصلى باصحابه الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان ابو الجعد
الذي نصب عليهم بالرمول كما ذكرنا عندهم لاجل اهله وماله فقالوا له ما
ترى في غدرنا لهولاء العرب اذا اشتغلوا بصلاتهم وسجدوا وليس معهم آلة الحرب
ولا ما يحترزون به فقال لهم صاحبهم ابو الجعد يا قوم لا تفعلوا ولا تغدروا
بهم فانكم ان فعلتم ذلك بهم اديلهم عليكم عند الغدر ولكن اتركوهم فان كانوا
اصحاب دنيا ولها يطلبون دون الاخرة اشرت عليكم بما تصنعون لهم فقالوا
له وما الذي نصنع قال ابو الجعد اظهروا لهولاء العرب ما لكم من الزينة ومتاع
الدنيا فان الدنيا وما فيها يصبو صاحبها عنها فان طلبها احد منهم بغدره
قد ونكم وما تريدون قال فاقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه من المال
والمتاع الحسن فاظهروه ووضعوه في طرق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون
ينظرون اليه في دخولهم وخروجهم ويتعجبون منه ويقولون الحمد لله الذي اورثنا
ديار قوم لهم مثل هذا ولو ان الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقا كافرا منها
شربة ماء قال عون بن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده على شيء
من متاعهم فقال ابو الجعد هولاء والله القوم الذين وصفهم الله في التوراة والانجيل
وانهم لا يزالون على الحق ولا يقوم بحربهم احد ما داموا على ما هم عليه قال
الواقدي واقام عمر رضي الله عنه في بيت المقدس عشرة ايام قال شهر بن حوشب
سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر رضي الله عنه لما صالح اهل بيت المقدس ودخلها

اقام بها عشرا فاقبلت نحوه وكنت في قرية من قرى فلسطين فقدمت عليه لاسلم
على يديه وذلك ان ابي كان اعلم الناس بما انزل الله على موسى بن عمران عليه السلام
وكان لي محبا وعلي مشفقا ولم يكتم عني شيا الا علمني اياه مما كان يعلم الناس فلما حضره
الموت دعاني اليه وقال لي يا بني انك تعلم اني ما ادخرت عنك شيا مما كنت اعلمه الا
اني خفت عليك ان يخرج بعض هولاء الكذابين فتتبعه وقد جعلت هاتين الورقتين
في هذه الكوة التي ترا فلا تعرض لهما ولا تنظر فيهما الا ان تسمع خبر نبي قد بعث في
اخر الزمان اسمه محمد صلى الله عليه وسلم فان يرد الله بك خيرا فانت تتبعه ثم مات
بعد وصيته اياي قال كعب فدفنته فلم يكن شي احب الي من ان ينقضي المأتم
حتى انظر ما في الورقتين فلما انقضى المأتم اتيت الى تلك الكوة ففتحتها واستخرجت الورقتين
ونشرتهما ونظرت ما فيهما واذا فيها مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم
النبيين لا نبي بعده مولده بمكة ودار هجرته طيبة الطيبة الامينة ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب امته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال السنتهم رطبة
بالتكبير والتهليل وهو منصور على كل من ناواه من اعدايه يغسلون فروجهم
ويستترون اوساطهم اناجيلهم في صدورهم وتراحمهم بينهم تراحم الانبيا بين الامم
وهم اول من يدخل الجنة يوم القيامة قال كعب الاحبار فلما قرات ذلك في
نفسي وهل علمني ابي شيا هو خير من ذلك ثم مكثت بعد وفاته ما شا الله الى ان بلغني ان
النبي قد ظهر بمكة وهو يظهر امره مرة بعد اخرى قلت هو والله لا محالة ولم ازل ابحث عن

امره حتى

امره حتى قيل لي انه قد خرج من مكة ونزل بيثرب فجعلت ارتقب امره حتى غزا
غزوات ونصر على اعدايه فتجهزت اريد المسير اليه فبلغني انه قد قبض صلى الله عليه وسلم
فقلت لعله ليس بالذي كنت انتظر حتى رايت في منامي كان ابواب السما قد فتحت (في نفسي)
والملايكة قد نزلت زمرا زمرا وقايل يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانقطع الوحي عن اهل الارض فرجعت الى دار قومي وجانا الخبر انه قد قام من بعده
خليفة من امته اسمه ابو بكر الصديق فقلت اقدم عليه فلم يلبث ان جانا جنوده
وجيوشه الى الشام ثم جانا وفاته ثم قيل انه قد استخلف عليهم رجل اسمه عمر فقلت
لا ادخل في هذا الدين حتى ارى حقيقته ولم ازل متوقفا حتى قدم عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الى بيت المقدس وصالح اهلها ونظرت الى وفايهم بعهدهم وما صنع الله باعدايهم
فعلمت انهم امة النبي الامي وحدثت نفسي بالدخول في دينهم فوالله اني ذات ليلة نايم على
سطحي فاذا انا برجل من المسلمين يقرا يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على اعقابها او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت قال كعب الاحبار فلما سمعت هذه الاية خفت والله ان لا اصبح
حتى يحول وجهي فما كان شي احب الي من الصباح ان يرد فلما اصبحت غدوت من منزلي
وسالت عن عمر بن الخطاب فقيل انه في بيت المقدس مقيم فقصدت اليه فاذا به قد
صلى باصحابه صلاة الفجر عند الصخرة فاقبلت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال
من انت يا هذا فقلت انا كعب الاحبار واني قد جيت اريد الاسلام والدخول فيه فاني

وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم واسمه في الكتب المنزله ان الله تعالى اوحى اليه الى موسى
يا موسى اني ما خلقت خلقا اكرم علي من محمد لولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا سما
ولا ارضا امته خير الامم دينه خير الاديان ابعثه في اخر الزمان امته مرحومة وهو نبي
الرحمة وهو النبي الامي التهامي القرشي الرحيم بالمومنين الشديد على الكافرين سريرته
مثل علانيته وقوله لا يخالف فعاله القريب والبعيد عنده سوا اصحابه منه الحمدون
متواصلون فقال عمر حقا ما تقول يا كعب قال كعب اي والذي يسمع ما اقول ويعلم
ما تخفي الصدور فقال عمر الحمد لله الذي اكرمنا واعزنا وشرفنا ورحمنا برحمته
التي وسعت كل شي وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك الان بالدخول في ديننا اذ
فقال كعب يا امير المومنين في كتابكم الذي انزل عليكم ذكر دينكم قال عمر نعم ثم قرا
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك
واله ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرا ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم قرا افغير دين الله يبغون وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون ثم قرى ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين ثم قرى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ثم قرى وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم
ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل قال كعب الاحبار فلما سمعت ذلك قلت

يا امير المومنين

يا امير المومنين انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح عمر باسلام
كعب الاحبار ثم قال هل لك ان تسير معي الى المدينة فتزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وتتمتع بزيارته فقلت نعم يا امير المومنين قال فارتحل عمر رضي الله عنه بعد ان كتب
لاهل بيت المقدس عهدا واقرهم في بلدهم على الجزيه وسار عمر بعسكره الى الجابية
واقام بها ودون الدواوين واخذ الخمس الذي لله عز وجل ثم قسم الشام قسمين فاعطى
ابا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وامره بالمسير الى حلب وان يقاتل اهلها
حتى يفتحها الله على يده واعطى فلسطين وارض القدس والساحل ليزيد بن ابي سفيان
وجعل ابا عبيدة واليا عليه وامر يزيد ان يحارب قيسارية الى ان يفتحها الله على يده
وكان اكثر الاجناد الى ابي عبيدة مع خالد وسير بعمرو بن العاصي الى مصر واستعمل — قد اعطاه
على فتح حمص عمير بن سعيد الانصاري ثم سار عمر يريد المدينة واخذ اعباه معه
وكان الناس بالمدينة يظنون ان عمر بن الخطاب يقيم بالشام لما يرى من كثرة خيره
وطيبه ورخص اسعاره ومما يخبرون عنها انها بلاد الانبيا وهي الارض المقدسة وفيها
المحشر فبقي الناس متطاولون للخبر ويخرجون في كل وقت ينتظرونه حتى قدم عليهم
عمر رضي الله عنه وارتجت المدينة يوم قدومه وهنوه المسلمون بما فتح الله على يديه
فاول ما بدا بالمسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر الصديق رضي الله
عنه ثم صلى ركعتين ودعا بكعب الاحبار فقال حدث المسلمين بما رايته في التورية
فحدثهم فازدادوا ايمانا قال الواقدي حدثني احمد بن الحسين بن العباس

المعروف بابن سفين قال اخبرنا ابو جعفر احمد بن عبيد بن ناصح عمن حدثه وتقدم
ذكرهم واسماؤهم في اول السنين وحديث القوم يزيد بعضه على بعض والله بعيد ما
من الزيادة والنقصان لان الصدق امانة والكذب خيانة قال الواقدي والله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت في خبر هذا الفتوح الا الصدق
وما اخذته الا عن قاعدة الصدق لابينه فضايل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجهادهم واجتهادهم حتى ارغم بذلك اهل الرفض الجاحد عن السنة والرفض اذ لولاهم
بمشية الله سبحانه وتعالى لم تكن البلاد للمسلمين ولا انتشر علم هذا الدين فلله درهم
لقد جاهدوا وصبروا وثبتوا لقتال العدو وبذلوا اجسادهم وما قصروا حتى زجروا
الاعدا عن شركهم ونهبوا المشركين واذلوا كسرى وقيصر والجلندي بن كركر
حتى علا الاسلام وظهر وذل الكفر وتقهقر فلهذا نزل فيهم من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قال الواقدي
رحمه الله وذلك انه لما بعث عمر رضي الله عنه امير الشام ابا عبيدة الى حلب وانطاكية
والمعرات وما يليهم من الحصون وبعث عمرو بن العاص الى مصر وبعث يزيد بن ابي
سفين الى ساحل الشام فنازلها وكانت قيسارية اهلة بالخلق كثيرة الجند وكان
عليها قسطنطين بن هرقل ومعه ثمانون الفا من الروم والعرب المتنصرة فلما نظر
قسطنطين الى نزول يزيد عليه بعث الى ابيه يستنجد على المسلمين فبعث اليه هرقل
صاحب مرعش لاون في عشرين الفا من ابطال الروم ونفذ له المراكب بالازواد والعلوفة

فلما نظر

فلما نظر يزيد بن ابي سفين الى ذلك وان لا مقدرة له على قيسارية كتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد بن ابي سفين عامله على بعض الشام
الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي
على نبيه اما بعد يا امير المؤمنين فاني نازلت اهل قيسارية وهي مدينة اهلة بالخلق
كثيرة الجند وليس لي سبيل اليها وان قسطنطين بن هرقل قد استنجد بابيه
وقد انجده بصاحب مرعش وهو لاون في عشرين الفا والمراكب ترد عليه في كل يوم
بالعلوفة والطعام واريد النجدة والسلام وبعث الكتاب الى عامر مع سالم بن حميد
فلما ورد المدينة سلم الكتاب الى عمر فقراه على المسلمين فلما اتى على اخره تفكر في
امر يزيد وما دفعه اليه واذا قد قدم علي كرم الله وجهه فقام اليه عمر وعانقه
ثم جلسا فقال علي يا امير المؤمنين كيف حالك فقال عمر انا بخير من الله عز وجل وانا
اسال له المعونة فيما ولاني والله لو ضاعت شاة في الفرات لاخذ بها عمر وهذا كتاب
يزيد بن ابي سفين من على قيسارية الشام يطلب مني النجدة فقال علي لا تغتم على
المسلمين ولا تحزن فان الله عز وجل سيفتحها عليك وغما عليهم فانجده بما قدرت
عليه فكتب عمر الى ابي عبيدة يامره ان ينجد يزيد ونفذ اليه الكتاب قال
الواقدي وكان مع ابي عبيدة عشرون الفا ومع يزيد ستة الاف ومع عمرو بن العاص
تسعة الاف قال فلما وصل كتاب عمر الى ابي عبيدة نفذ الى يزيد ثلثة الاف مع
حرب بن عدي وبقي ابو عبيدة في سبعة عشر الفا لانهم من اليمن وذلك ان ابا عبيدة

كان قد صالح اهل قنسرين والحاضر عنوة على خمسة الاف اوقية من الذهب ومثلها
من الفضة والفي ثوب من اصناف الديباج وخمسماية وقر من التين والزبيب فلما تم صلحهم
وجبوا ما ضمنوا من مدينتهم وحاضرهم كتب لهم الكتاب وشرط عليهم الشروط ودخل
ابو عبيدة وخالد في خاصتهم من سادات المسلمين الى المدينة فخطوا بها مسجدا وبلغ
ذلك اهل حلب من صلح قنسرين ومسير العرب اليهم فاضطربوا لذلك اضطرابا شديدا
وكان عليهم بطريقان اخوين من ام واب وكانا في القلعة ولم تكن يومئذ المدينة محيطة
بالقلعة وانما كانت المدينة منفردة بذاتها وكان البطريقان يقال لاحدهما
يوحنا والاخر يوقنا وكان ابوهما ملك البلد واعمالها وضياعه ورساتيقه الى حدود
الدروب الى حد الفراة وقد ملك حلب سنين لا ينازعه منازع وكان هرقل طاغية
الروم قد اقطعه اياها كل ذلك فزعا من شره وعظيم مكره وكانت ملوك الروم
تهابه وتوقره ولا تجاريه كل ذلك ابقا على ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد ازعج
ملك رومية واعمالها الى ان لا يجلس في المملكة لكثرة شره وتدبيره وشدة بني عمه
فلما نزل ال العواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها وانبسط في البلاد
فلما هلك ملك الامر من بعده ولداه وكان الكبير يوقنا وكان شجاعا بطلا
جامعا للاموال مقداما في الحرب لا يصطلى بناره وكان اخوه يوحنا لينا وكان قد زهد
في الملك وترهب وكان اعلم اهل زمانه وانه لما بلغه ان ابا عبيدة قد قصد اليهم
قال لاخيه يوقنا على ماذا عولت قال على قتال العرب ولا ادعهم يقربون من ارضنا

وبلدنا واري

وبلدنا واري العرب اني لست كمن لاقوا من بطارقة الشام ولا غيرهم فقال له اخوه
يوحنا وكان قد درس الانجيل وقرا المزامير وليس له همة الا عمارة الكنايس وبناء الاديرة
وتشييد الصوامع وكسوة الشمامسة والقسوس والرهبان والقيام بامر دينهم
فلما بلغ هذين الاخوين فتح الحاضر عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلون عليها
وخيلهم تضرب الى المعرات والعواصم والبقاع الى حد الفراة اقبل يوحنا على اخيه
يوقنا وكان الاكبر فقال له يا اخي اني اريد ان اخلو بك الليلة اشاورك واطلعك
على راي اشرف على رايك قال نعم فلما اجتمعا وجن الليل وكان اجتماعهما في دار
كانت لابيهما في القلعة فلما جلسا للمشورة اقبل يوقنا على اخيه يوحنا وقال يا
اخي الامر الى ما نزل ما الملوك من هولاء العرب الجياع الاجلاد العراة الاجساد وما
حل باهل الشام منهم من القتل والنهب واخذ الاموال فهذا وما نزلوا على مدينة
من مداين الشام الا فتحوها وملكوا اهلها فما ترى ان نصنع في امرهم فكاني بهم وقد
اشرفوا علينا فقال يوحنا يا اخي اذ قد استشرتني في امرك فاني انصحك ولا
اغشك ان قبلت النصيحة وان كنت اصغر منك سنا واقل منك بالحروب بصيرة
فوحق المسيح لان قبلت نصيحتي ليعلون امرك وتسلم لك مملكتك ونفسك قال مشورتي
له يوقنا ما علمناك الا نصاحا فما عندك من الراي قال الراي عندي ان ترسل
رسولا الى العرب وان شيت ان اكون انا رسولك اليهم فتبذل لهم شيا من المال
وتسال لهم الصلح وتتفق معهم على مال معلوم تدفعه اليهم في كل عام ما دامت الغلبة

لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام اخيه يوحنا اقبل عليه وقد استوثق غضبا
وقال فحق المسيح ما اعجز رايك انما ولدتك امك راهبا وقسا ولم تلدك ملكا
ولا محاربا والذهبان لا قلوب لهم لان اكلهم العدس والزيت والبقل ولا ياكلون اللحم
ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بملاقاة الرجال واما انا فملك بن
ملك وليس بيني وبينهم الا الحرب ولا تنسبني الملوك الى العجز ويلك كيف نسلم
ملكا للعرب ونعطيهم القياد من انفسنا من غير حرب ولا لقاء فلما سمع يوحنا
ذلك من اخيه تبسم من كلامه تبسم المتعجب وقال له يا اخي وحق المسيح اني اظن ان
اجلك قد اقترب لانك صاحب بغي تحب سفك الدما وقتل النفس وما اظن جموعك
باكثر من جموع الملك هرقل الذي جمعها في اليرموك مع ماهان ويوم اجنادين
وهولاء القوم قد دبل لهم علينا فاتق الله ولا تغر في قتلك فلما سمع يوقنا كلام اخيه
داخله الغضب وقال قد اكثرت الكلام واطنبت في مدحك للعرب واني لست
كمن لا قوة من هذه الجموع التي ذكرتها ولا اقاس بهم ومع ذلك فما اعلم ان احدا من اهل
المدن وغيرهم سلم بلده عنوة او صلحا قبل ان يقاتل او يتبين له عذر في القتال
ويبذل المجهود من نفسه وانما جمعت الاموال من بعد ابي لادفع بها الاذى عني
واني مجمع على قتال العرب ومحاربتهم فان ظفرني الصليب بهم واعانني المسيح عليهم
طلبت العرب الى ان ادخل خلفهم الحجاز واستود على سائر الملوك وارجع الى الشام
ملكا ولا اقدر هرقل ينازعني وان هزمتني العرب طلعت الى قلعتي هذه ولزمتها

فاني قد

فاني قد اوعيت فيها من الازواد والاطعمة ما يكفيني طول دهري والوذ منها عزيزا
الى ان اموت ولا القي بنفسي الى العرب ولا ابذل اموالي من غير سبب فلا تعاودني في شي من
امر العرب بكلام تدعوني فيه الى الصلح الا امطش بك قبلهم قال الواقدي
واحتوى الشيطان على قلبه وقد سول له سوء عمله فلما سمع يوحنا كلام اخيه يوقنا
قال له كلامك علي حرام ابدا حتى ترجع الى الراي وتنتهي الى قولي ثم قام عنه مغضبا
فلما كان من الغد جمع يوقنا جميع من كان لجا اليه من العساكر ومن المتنصرة وغيرهم
وعرضهم على نفسه فمن اراد سلاحا اعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون عليهم
امر العرب ويقول انما هم قليل وليس بالكثير لان جموعهم قد افترقت منهم على قيسارية
الشام ومنهم من توجه الى مصر قال الواقدي وعزم يوقنا على قتال المسلمين
قبل ان يصلوا اليه والى بلده ثم عمد الى بطريق من بطارقته اسمه لداكس وضم اليه خمسة
الاف فارس ووكله بحفظ بلده وان يذب عنه من غارة وسار يوقنا بمن معه يريد
يريد ان يلقا جيش ابي عبيدة وهو يومئذ في اثني عشر الف مدرع غير من كان بغير
لبس ونشرت امامه الاعلام والصليب الذي يعظمه امامه وكان صليبا من الجوهر
ومن حوله الف غلام عليهم ثياب الديباج المنسوجة بقضبان الذهب قال
مصعب بن ثعلبة الكندي واقام ابو عبيدة على مدينة قنسرين بعد ان فتحها بالصلح حتى
اتاه البريد بكتاب عمر رضي الله عنه يامره ان يبعث الى يزيد جيشا فبعث اليه ثلثة الاف
فارس وعول ابو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل يقال له كعب بن ضمرة الضمري

وكان بطلا مجاربا شديد الباس عظيم الاخلاص وكان اذا ثبت على وجه الارض
للقتال لا يهاب المحافل قلت عليه او كثرت فضم اليه الف فارس من بني عمه وسرحه
على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيشا لا تطيقه واحترس في امر هذا العلج
واعرف خبره وانا راحل من ورائك فسار كعب يريد حلب وكان يوقنا قد قدم
امام عسكره عيونا ياتونه بالاخبار فوردت عليه جواسيسه تخبره ان خيول المسلمين
قد اتت تريد بلده وتروم قتاله فقال لهم فكم اتت العرب فقالوا في الف فارس
وها هم نزول على ستة اميال من بلدك قال فكمن لهم يوقنا كمينا ثم سار اليهم بجيشه حتى
اشرف على المسلمين وهم نزول في اماكنهم على نهر من الماء يسقون خيولهم ويسبغون الوضوء
فبينما هم كذلك اذ اشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته فلما اشرف على المسلمين
والصليب امامه نادى المسلمون بعضهم بعضا واستووا في متن خيولهم وركب كعب بن
ضمرة فرسه وسبق في اوايل قومه واشرف على جيش يوقنا وحزر الجيش انه في ستة
الاف فارس وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف في الكمين فلما
نظر كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى اصحابه وقال يا اجواد بني الرحمن اني نظرت
عسكرهم وخبرتهم وهم ستة الاف فارس وهم لكم مغنم انما يقاتل واحد منكم لستة
نفر قالوا اي والله واقبل يشجع بعضهم بعضا وقربت الخيل من الخيل وصاح يوقنا
برجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وامرهم بالحملة على المسلمين فحملوا باجمعهم على المسلمين
وحمل المسلمون عليهم والتقا الجمعان واشتبك الحرب وقاتل المسلمون قتال الموت

وقد ايقنوا

وقد ايقنوا بالغنيمة والظفر اذ طلع عليهم كمين المشركين طلع من ورايهم وانكب
اصحاب الكمين بالحملة على المسلمين قال مسعود بن عون شهدت الخيل التي
بعثها ابو عبيدة على مقدمته مع كعب بن ضمرة وكنا لا نظن للمشركين كمينا فطلع
من وراء ظهورنا فاذا باصوات حوافر الخيل قد ارتفعت فما شعرنا الا والخيل قد اكبت
علينا فايقنا بالهلكة بعد ان كنا موقنين بالظفر وصرنا في وسط عسكر الاعلاج
فلم يكن لنا بد من القتال فافترق المسلمون ثلث فرق فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت
لقتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة وقد صبرت لقتال البطريق يوقنا ومن معه
قال مسعود بن عون فلله در رجال كنت معهم يوميذ لقد قاتلوا قتالا شديدا
وابلوا بلاء حسنا ووهبوا انفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل في
مقام واحد وعمل اهل الكمين عملا عظيما وكعب قلق على المسلمين يجاهد عنهم وهو
يجول بالراية وينادي يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل معاشر المسلمين اثبتوا انما هي ساعة
ويأتي النصر من عند الله وانتم الاعلون فجعل المسلمون يقبلون اليه حتى اجتمعوا حوله
فنظر اليهم والجراح فاشية فيهم وقد قتل من المسلمين مائة وسبعون رجلا فاما
الاعيان منهم فهم عباد بن عاصم وذفر بن عامر من بني بياضة وحازم بن شهاب
وسهيل بن اشيم قال مسعود بن عون فوالله لقد تاسفنا على قتل هولاء وعلى
سعد بن مفلح مولا ابي ساعدة وكان ممن شهد يوم السلاسل وتوسل بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشهد قتال اليمامة مع خالد في ايام ابي بكر الصديق رضي الله عنه

ووجدنا فيه اربعين ضربة كلها في صدره ولم نجد واحدة في ظهره فكانت الاعيان
اربعة عشر رجلا الا ان الرجل ما قتل حتى قتل اعدادا من المشركين وظهر القتل
في المشركين ونظروا الى ثبات المسلمين على قلة عددهم وما يهولهم من قتل منهم فهموا
ان ينهزموا فثبتهم يوقنا وقال لهم يا ويلكم ما العرب الا مثل الذباب ان ضربت
ولت وان تركت طمعت ولما نظر يوقنا الى من قتل تحت رايته اغتم غما شديدا
فنزل عن فرسه ولبس درعا فوق درعه وشد وسطه بمنطقته ومسح وجه فرسه ومنا حي
وقد كان شهد معه المواطن وجاهد عليه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
قد سماه الهطال فقال يا هطال هذا يوم ملك المجود دعا فيه فاثبت للقتال في
طاعة ربك ثم استوى على متنه ووقف امام المسلمين ينظر الى القتلى وهو مفتكر في
امره والراية بيده وهو ينتظر قدوم ابي عبيدة او جيشا او طليعة تقدم عليه فلم ير
لذلك اثرا وذلك ان ابا عبيدة قطعه عن المسير في اثره انه لما سار يوقنا الى حرب
المسلمين اجتمع المشايخ والرؤساء من اهل حلب بعضهم الى بعض وقالوا يا قوم انكم تعلمون
ان هولاء العرب قد اطاعهم اهل دين الصليب ودخلوا في ذمتهم ومنهم من قد رجع
الى دينهم ومن فاتهم خسر فهل لكم ان تسيروا الى امير العرب ونسأله الصلح لنا ونصالحه
على مدينتنا وندفع اليه ما احب من اموالنا فان ظفر المسلمون بالبطريق يوقنا نكون
نحن امنون من باسهم وان صالح يوقنا القوم نكون نحن قد سبقناه الى صلحهم وان
يغلب ورجع سالما لم نعلمه بصلحنا واتفق رايهم على ذلك فخرج منهم ثلثون رجلا من رؤسائهم
وسلكوا

وسلكوا الطريق على غير طريق يوقنا حتى اشرفوا على عسكر ابي عبيدة وصوبوا الى قنسرين وهو
عازم على الرحيل فلما اشرف الثلثون رجلا على المسلمين نادوا الغوث الغوث وكانت
العرب قد علمت هذه الكلمة ان معناها الامان وكان عمر رضي الله عنه قد بلغه ذلك
فكتب الى عماله بالشام انه قد بلغني ان الغوث بالرومية هو الامان فمن سمع منكم احدا
يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل فيطالبكم الله يوم القيامة وعمر منه بري فكانت
العرب يعرفونها فلما سمعها المسلمون اسرعوا اليهم واوقفوهم بين يدي ابي عبيدة
فقال خالد يوشك ان يكون هولاء قوم يطلبون الصلح والامان لانفسهم ولاهل
حلب قال ابو عبيدة ارجوا ان يكون هذا ان شا الله تعالى وان صالحوني صالحتهم هذا
وهو لا يعلم بما اصحابه فيه وكان قدومهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه ومنهم رجال
قيام في صلاتهم يتلون القران فجعل بعضهم يقول لبعض لهذه الفعال نصروا علينا
فلما سمع الترجمان مقالتهم اخبر ابا عبيدة بذلك وما قد تناجوا به بينهم فقال ابو
عبيدة انا قوم سبقت لنا العناية من خالقنا وانا رجال لا نريد بدين الله ورسوله
بدلا ولا نخرج من قتال الاعداء فاخبرهم الترجمان بذلك ثم قال لهم من انتم فقالوا
نحن سكان حلب من تجارها وسوقتها ورؤسائها وقد جينا لكم نطلب الصلح منكم
فقال لهم ابو عبيدة وكيف نصالحكم وقد بلغني ان بطريقكم قد صمم على قتالنا
وقد حصن قلعته وجعل فيها ما يقوته سنين واتخذ الجند واكثر من ذلك وما
لكم عندنا صلح قالوا ايها الامير ان صاحبنا خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم

قال ابو عبيدة ومتى خرج قالوا سحيرا وخرجنا نحن من بعده وسلكنا طريقا غير
طريقه وانا نرجوا انه هالك لا محالة لانه قد ركب غارب البغي ولم يرضى بالصلح وقد
اطاع هواه ومن اطاع هواه وقع في شباك الردى فلما سمع ابو عبيدة بخروجه خاف
على طليعته منه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هلك والله كعب ومن
معه ثم اطرق الى الارض فقال شيوخ اهل حلب للترجمان كلم لنا الامير في
الصلح قال فكلمه فقال ابو عبيدة ويحكم ما لكم عندي صلح قال فخاف الشيوخ على انفسهم
وقالوا انه قد اجتمع الينا من القرايا والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا
لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها وعشنا في ظلكم ايام عدلكم وان انتم ابيتم
ذلك تفرق الناس عنكم وطلبوا اقاصي بلادهم وشاع الخبر انكم لا تصالحون فلا
يصالحكم احد قال فاعلم الترجمان ابا عبيدة بما قالوا فجعل ينظر اليهم واذا قد برز من
القوم رجل دحداح من الرجال احمر الوجه وكان حكيما من حكمائهم فصيحا بلسان العرب
فقال ايها الامير اسمع ما القيه اليك من العلم الذي انزله الله في الصحف على انبيائه
فقال ابو عبيدة قل نسمع فان كان حقا عملنا به وان كان غير ذلك لم نستمعه ولم نعمل
به فقال الرجل ايها الامير ان الله سبحانه انزل على انبيائه انا الرب الرحيم خلقت الرحمة
واسكنتها قلوب المؤمنين واني لا ارحم من لا يرحم فمن احسن احسنت اليه ومن تجاوز
تجاوزت عنه ومن عفا عفوت عنه ومن طلبني وجدني ومن اغاث ملهوفا امنته يوم
القيامة وبسطت له في رزقه وباركت له في عمره وكثرت له اهله ونصرته على عدوه

ومن شكر

ومن شكر المحسن على احسانه فقد شكرني وانا قد اتيناك ملهوفين خائفين فاقل
عثرتنا وامن روعتنا واحسن الينا فبكى ابو عبيدة من قوله وقرى ان الله يحب
المحسنين ثم قال بهذا والله ارسل نبينا الى جميع الخلق ثم اقبل على المسلمين
وهم من حوله وفيهم الرؤسا من المهاجرين والانصار وقال ان هولاء اهل سوقة وصنايع
وهم مستضعفون وقد رايت ان نحسن اليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم فانه متى
كانت المدينة في ايدينا والسوقة معنا فانهم يعينونا بالميرة والعلوفة ويعلمونا
بما يعزم عليه عدونا ويكونوا عيونا لنا فقال رجل من المسلمين اصلح الله الامير
ان مدينة القوم بالقرب من القلعة ولا نامن من القوم ان يدلوا على عوراتنا وينبئوهم العدو
باحوالنا وما اظن القوم الا ليخدعونا الا ترى الى بطريقهم خرج يبتغي قتالنا وحربنا
فكيف يطلب هولاء الصلح منا ولا شك انهم قد مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من
المسلمين قال ابو عبيدة ايها الرجل احسن ظنك بالله وثق به فان الله لا
يخذلنا ولا يسلط علينا عدونا فرحم الله من قال خيرا او صمت وانا اشرط عليهم
النصيحة للمسلمين في صلحهم لنا ثم اقبل ابو عبيدة على القوم وقال اني اريد ان تبذلوا
في صلحكم لنا ما بذله اهل قنسرين قالوا ايها الامير ان قنسرين اقدم من مدينتنا
واكثر جمعا ومدينتنا قليلة الناس لجور صاحبنا لانه قد اخذ اموالنا وغلالنا
وصعد بها الى القلعة وبقي عندنا الضعفا ومن لا مال له وانا نسألك ان ترفق
بنا وتعدل فينا قال ابو عبيدة فما الذي تريدون ان تبذلوا في صلحكم قالوا نعطي

نصف ما اعطي اهل قنسرين قال ابو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على انا اذا نزلنا بساحتكم
اعنتمونا بالميرة وتبيعون وتشترون في معسكرنا ولا تكتمونا خبرا تعلمونه من امر عدونا
ولا تتركون جاسوسا يتجسس علينا وان رجع بطريقكم منهزما تمنعونه ان يصعد الى
قلعته قالوا ايها الامير اما ان نمنع البطريق ان يصعد الى قلعته فما نجد الى هذا سبيل
ولا نقول لك الا ما نفعله لان هذا ما لنا به طاقة ولا بمن معه من اعوانه وجنده
قال ابو عبيدة فلا تمنعوه من الصعود وعليكم عهود الله والايمان المؤكدة بالتغليظ
ان تقولوا هذا القول بنيته وتوفون لنا بكل ما شرطته عليكم قال فحلفهم بالايمان
التي يعرفونها فحلف القوم عن رجالهم وابنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر اهاليهم
فانعموا بذلك فقال لهم ابو عبيدة انكم قد حلفتم وقبلنا ايمانكم فمتى اصبنا احدا
منكم قد حلف وعلم من البطريق علما ولم يخبرنا به فقد وجب عليه القتل واخذنا
ماله وولده حلال لنا لا يطالبنا الله بذمته ومتى نقضتم ما شرطناه عليكم فلا عهد
لكم علينا ولا ذمة لكم ولنا عليكم الجزية من العام المقبل قال سعد بن
عامر فرضوا اهل حلب بما شرط عليهم ابو عبيدة واخذ عهدهم وكتب اسماءهم وعزموا
على الانصراف الى بلدهم فقال ابو عبيدة على رسلكم حتى ابعث معكم من يشيعكم نسخة انصراف
الى اماكنكم فقد وجب علينا حفظكم الى ان تعودوا الى اماكنكم فقال له الرجل
الدحداح ايها الامير انا نرجع من الطريق التي اتينا منها وما نريد احدا فتركهم ابو
عبيدة وبات ليلته قلقا على كعب بن ضمرة ومن معه قال الواقدي ورجع

القوم من

القوم من ليلتهم الى المدينة فانفجر لهم الفجر ولم يصلوا فلما اشرفوا على حلب نظر اليهم
بعض الاعلاج من اصحاب يوقنا وهم راجعون فاقبل اليهم وسالهم من اين اقبلتم وما
صنعتم فظنوا انه من اهل حلب فاخبروه بصلحهم مع ابي عبيدة فتركهم العلج ومضى
وان القوم وصلوا فاستقبلهم اهل حلب وسالوهم فاخبروهم بالصلح ففرحوا
بذلك قال واقبل ذلك العلج حتى اشرف على يوقنا وهو منازل لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احاط بهم وهو يظن ان الله قد ملكهم ويتوقع بهم
الصباح اذ اشرف عليه العلج فقال ايها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك
قال وما ذاك يا ويلك قال ان اهل بلدك قد صالحوا العرب وكانك بهم وقد ملكوا
القلعة واخذوا الاموال وقتلوا الرجال فلما سمع يوقنا ما اخبره العلج خشي على
قلعته ان يملكوها في غيبته فانفسح ما كان يومله من اصحاب ابي عبيدة رضي الله عنه لكعب
ابن ضمرة ومن معه وكان قد قتل من المسلمين مائة ونيف وكعب قد اجهد نفسه في الحرب
وعلموا انهم هلكى لا محالة قال كعب وليت ذلك اليوم صاحب الحرب وانا
اثبتهم واتلقا الحرب بنفسي اقاتل عنهم واذا اجهدني القتال وهكتني الحرب انحيت
الى اصحابي وانا مع ذلك اتوقع فرجا من الله سبحانه وتعالى وارتقب راية ابي عبيدة ان
تطلع فبعد علينا ذلك ولم تزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم
الثاني فاقسم بالله ان كان احد منا صلى ولا وصل الى زاد يأكله ولا ماء يشربه وانا
ارتقب طريق قنسرين ان تطلع راية الاسلام منها وما ارى لها اثرا اذ نظرت الى

جيش العدو وقد اضطرب من جوانبه وقد علت لهم ضجة وجلبة فقلت ما هذا
الا ان مددا قد لحقهم من بلدهم او من الملك فالتجيت الى كلمة الشدايد لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم قال كعب بن ضمرة فو عيش رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما قلت الكلمة حتى رايت جيش العدو وقد انكشف عنا على عقبه فقلت الحمد
لله حمد الشاكرين وانا اظن ان صايحا صاح بهم من السما او ملايكة نزلت عليهم كيوم
بدر فلم ار لهم اثرا قال كعب فهممت ان اتبعهم فصاح بي المسلمون الى اين يا كعب ارجع
الينا اما كفاك ما نحن فيه اوطي بنا الارض وارحنا مما نحن فيه من التعب والنصب
وادي بنا فرضنا وارح خيولنا فما رد الله عنا هولاء القوم الا بمشيته وقدرته فنزل
كعب مكانه وشربوا الما واسبغوا الوضو وصلوا اما فاتهم واكلوا ازوادهم واستقبلوا
الراحة قال الواقدي وامطا خبر كعب على ابي عبيدة فلما صلى صلاة الصبح
انفتل من صلاته واقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالدا وقال يا ابا سليمان ان
اخاك ابا عبيدة ما رقد البارحة غما على كعب ومن معه وان كان يجب الشكر علينا
بما فتح الله علينا وان النفس تحدثني ان الذين مع كعب قد ذهبوا وقتلوا لما اخبروني
هولاء الذين سالونا الصلح ان صاحبهم يوقنا قد سار اليهم ولم ار لهم خبرا واظن انه لقي
اصحابنا فقاتلهم وقد قتلوا عن اخرهم فقال له خالد واني والله مثلك ما نمت
البارحة من الغم عليهم فما الذي عزمت ان تصنع قال على الرحيل ثم امر الناس بالاهبة
فارتحل المسلمون وساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة

ابو عبيدة فما كان غير بعيد حتى اشرف خالد على المسلمين وهم نيام وقد اقاموا لهم
ديدبانا يحرسهم فلما اشرف عليهم خالد والراية بيده نظر اليها الديدبان صاح
بالمسلمين النفير النفير يا انصار الدين فثاروا من مضاجعهم كانهم اسود ضارية
واستووا في ظهور خيولهم واستقبلوا صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض
ابشروا هذه راية المسلمين يحملها خالد بن الوليد قال واشرف خالد عليهم وسلم
المسلمون بعضهم على بعض واقبل ابو عبيدة فلما نظر الى كعب وهو سالم حمد الله واثنى
عليه ونظر الى موضع المعركة والقتال واذا القتلى مطرحين فلما نظر ابو عبيدة
الى ذلك عاد فرحه ترحا واسترجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم عاد كعبا وقال يا كعب كيف قتل اصحابك هولاء ومن لقيكم فاخبره كعب بقتال
يوقنا وانه اشرف هو وجميع من معه من المسلمين على الهلاك حتى لم يبق فيهم حراك فهم
كذلك اذ انقلبوا راجعين عنا بغير قتال فقال ابو عبيدة سبحان الله مسبب الاسباب
ليت ابا عبيدة قتل امامهم ولم يقتلوا تحت رايته ثم امر المسلمين ان يحفروا لهم
حفايرا ثم جمعهم وصلى عليهم صلاة واحدة وامرهم فدفنوا باسلابهم ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله تعالى الشهدا الذين قتلوا في سبيل الله
يوم القيامة ودماوهم على نحورهم اللون لون الدم والريح ريح المسك فيدخلهم
الجنة بغير حساب فلما واروهم في حفرهم قال ابو عبيدة لخالد ان كان عدو الله
يوقنا قد رجع الى بلده وعلم بصلح القوم لنا فسيلقا اهل البلد منه تعبا شديدا

فالحق بهم فقد وجب علينا ان نذب عنهم لانهم تحت ذمتنا قال فارتحل ابو عبيدة
من ساعته يريد حلب فلما ورد عليها راى البطريق وجنوده قد احدقوا باهل حلب
وهو يريد قتلهم وقال يا ويلكم صالحتم العرب عن انفسكم وصرتم لهم عونا
علينا قالوا قد فعلنا ذلك لانا علمنا نعلم انهم قوم منصورون قال يا ويلكم
ان المسيح لا يرضى بفعلكم وحق المسيح لاقتلنكم عن اخركم او تخرجون معي الى قتال
العرب وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق واخرجوا الى من سعا في هذه
الامور حتى ابدا بهم قال فلم يطلعوه عليهم فقال لعبيده ادخلوا عليهم واتوني بهم
حتى اقتلهم فقد اخبرني فلان البطريق بهم لانه لقيهم وعرفني بهم فهجموا العبيد عليهم
وجعلوا يقتلوهم على فرشهم وابواب منازلهم فسمع اخوه يوحنا الضجة وهو في القلعة
فنزل الى اخيه ونظر اليه يقتل اهل البلد وقد قتل منهم ثلثمائة فصاح به على رسلك
ولا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد نهانا عن قتل عدونا فكيف من هو على ديننا قال
يوقنا لاخيه انهم قد صالحوا العرب على البلد وصاروا لهم عونا علينا فقال يوحنا
وما عليهم من ذلك وانما ارادوا لهم الصلاح لانهم ليسوا اهل حرب وقتال فقال
يوقنا وحق الصليب لا ابقيت منهم احدا وانت اول من ابطش به لانك حملتهم على الصلح
ثم قبض على اخيه وجرد سيفه ليعلوه فلما نظر يوحنا الى ذلك علم انه هالك فرفع
راسه الى السماء وقال اللهم اشهد علي اني مسلم اليك مخالف لدين هولاء القوم وانا
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وان المسيح روح الله وكلمته ثم قال لاخيه

اصنع الآن

اصنع الآن ما انت صانعه فان كنت قاتلي فاني صائر الى جنات النعيم قال فورد على
البطريق من اسلام اخيه موردا عظيما ومن صلح اهل بلده وفزع المسلمين ما حمله على ان
رماه بالسيف عن جسده رحمه الله وانتدب لقتل اهل المدينة وهم يستغيثون اليه
فلا يغيثهم ويسالونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبة وقد اخذوا
البلد من جنباته وقد يئس اهل حلب من نفوسهم واذا بالفرج قد اتاهم والمعونة قد
ادركتهم اذ اشرفت رايات الاسلام عليهم ومن حولهم ابطال الموحدين وهم ينادون
بكلمة التوحيد يقدمهم خالد بن الوليد والى جانبه ابو عبيدة فلما نظر خالد الى اهل
المدينة ولهم ضجيج بالصياح والبكا قال لابي عبيدة ايها الامير ذهب اهل صلحك
وذمامك كما ذكرت ثم صاح خالد بجواده والراية بيده وزعق بالقوم في حملته وقال
انفرجوا يا معاشر الاعلاج عن اهل صلحنا ثم اجاد فيهم الطعن وحمل اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبذلوا السيف في الاعلاج فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى قلعته
مع جملة بطارقته قال محصن بن عنزة العدوي فرج الله عن قلب ابي عبيدة كما
فرج عن قلوبنا بقتل الاعلاج في يوم حلب فمن لجا الى القلعة سلم ومن طلب الهرب الى
البر قتل قال محصن وكان جملة من قتل يوقنا من اهل حلب ثلثمائة وقتلنا نحن من اصحابه
ثلثة الاف فارس فكانت وقعة عجيبة فرح لها المسلمون فلما قتل من قتل وفرج الله عن
اهل حلب ما يجدون واخبروا الى ابي عبيدة كيف قتل يوقنا لاخيه يوحنا وبقصتهم كلها
قال الواقدي ولما سلم يوقنا من سيوف المسلمين ودخل الى قلعته مع اصحابه

استعدّ للحصار ونصب المنجنيقات والعرّادات ونشر السلاح على الأسوار وصنع
آلة الحصار وأمّا أهل حلب فإنهم أخرجوا إلى أبي عبيدة أربعين أسيرًا من البطارقة
فقال أبو عبيدة للترجمان قل لهم لأيّ شيء أسرتموهم قالوا لأنهم من أصحاب يوقنا
هربوا إلينا فلم نرَ أن نخفيهم عنك لأنّهم ليس معنا في الصلح قال فاعرض عليهم الإسلام
فأسلم منهم سبعة وأمّا الباقون فأبوا فضرب رقابهم وقال أبو عبيدة لقد نصحتم في صلحكم
وسترون منّا ما يسرّكم ولكم ما لنا وعليكم ما علينا وهذا بطريقكم قد تحصّن في
هذه القلعة أتعرفون لها عورة تدلّونا عليها حتى نقاتلهم منها فإن فتحها الله علينا
جعلنا لكم معنا غنيمة فقالوا أيّها الأمير والله ما نعرف لها عورة وإنّ يوقنا قد تحرّز
طرقاتها وقطع مسالكها وعمّر محاجّها وهذا ما لا نعلم فيها فعندها وثب إلى
أبي عبيدة رجل من المسلمين وقال أصلح الله الأمير انظر هؤلاء القوم وإن كانوا من
حزبنا إليهم ينصحونا ويدلّونا على عورة قومهم لا والله لا يفعلون ذلك أبدًا فعندها أقبل
أبو عبيدة على خالد والمسلمين وقال أشيروا عليّ رحمكم الله فأقبل عليه ذلك الرجل وكان
اسمه يونس بن عمرو وكان رجلًا بصيرًا بالشام ومدنه وقد دار في جميع الشام وكان لا
يخفى عليه المسالك من طرق الشام سهله وجبله ووعره فقال أصلح الله الأمير أتكلّم بما
أعرف من البلد وما عندي من الرأي قال له أبو عبيدة تكلّم يا ابن عمرو فأنت عندنا ناصح
للمسلمين فقال أصلح الله الأمير اعلم أنّ الله عزّ وجلّ قد فتح على يديك غلبة الشام وقتل طاغية
الكفر وحاميته وإنّ بقايا عساكرهم من وراء الدروب والدروب في جبال ومضايق ووعر

والقوم

والقوم قد رعبت قلوبهم بما قد أباده الله عزّ وجلّ منهم فليس لهم قلوب يقاتلون
بها المسلمين بحاصر هذه القلعة وبثّ الخيل وشنّ الغارات في بقايا البلاد
وشاطئ الفرات وأمرهم أن يبعدوا في الغارة فما لهم زاد يقوم بهم فتبسّم خالد من
كلامه وقال هذا والله هو الرأي وأنا أشير عليك بمشورة أخرى نزحف
نحو القلعة فلعلّ الله أن يفتحها في وقتنا هذا فإنّي أخشى أن يطول بنا المقام عليها
أن تعطف علينا جيوش الروم مرّة أخرى فيحولون بيننا وبينها قال أبو عبيدة يا أبا سليمان
لقد أشرت فأحسنت ثمّ أمر أبو عبيدة بالزحف على القلعة فترجّلت الفرسان عن
خيولهم وتجرّدت من ثيابها واختلط العبيد والسادات واعترت القبائل وانتسبت
العشائر وتجاوبوا بالأشعار وتداعوا بالأنساب قال مسروق بن مالك فوالله
ما رأيت في قتال الشام في حصونهم يومًا كان أعظم من ذلك اليوم ولقد كنّا نشبّه دوران
الحرب كدوران الرحى المعتصم ما دارت عليه ولقد برزنا إليهم في أوّل حربهم وقد تبادرت
أبطال اليمن وسادات ربيعة ومضر بعضهم بعضًا وجعلوا يطلبون إلى القلعة
في طريق حيث لا طريق فإذا علوا نحوها أخذتهم الحجارة من كلّ مكان ورمونا
بالمنجنيقات والعرّادات وكنت أنا وأصحابي أقرب الناس إلى الأرض فاستغثنا راجعين على
أعقابنا ونحن ندفع بعضنا بعضًا لا نظنّ أن ينجو منّا أحد ووقعت الخذلة في المسلمين
وشدخت الحجارة خلقًا كثيرًا فقتلت بعضًا وبعضًا أزمنته وكان من جملة من
قتل يوم قلعة حلب بالحجارة عامر بن الأشلع ومالك بن خزيمة وحسّان بن حنظلة

وكان جملة من قتل ذلك اليوم اربعة من بني ربيعة ورجلا من آل عامر ورجلا
من بني كلاب وسبعة من بني عدي قال مسروق بن مالك فوالله لقد كنا نرى بعد
ذلك بشيزر خلقا كثيرا عرجا هذا من رجله وهذا اشل من يده نعرفهم يوم
الوقعة بحلب فعندها نصب ابو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادي بالمسلمين
اجتمعوا الي رحمكم الله حتى اذا اجتمعوا من حوله قال ايها الناس انكم قاتلتموهم اليوم
على غرة فادفنوا الشهدا وشدوا جراحكم فانتدب المسلمون يدفنون الشهدا وقد
فرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال لهم يوقنا ان العرب لا تدنوا الى
القلعة بعد هذا اليوم ابدا وحق المسيح لاكيدنهم ثم لاهبطن الى عسكرهم
قال الواقدي وسمعنا من الثقات النقلة ان يوقنا انتخب الفين
من جبابرة قومه وشجعانهم وابطالهم وقال لهم انزلوا من سر عين ويكون بعضكم يحمي بعضا
ومثلوا على طرف من اطراف عسكر القوم اذا خمدت نيرانهم فاغتنموا غرتهم
وامرهم بالنزول ليلا فنزلوا من القلعة وبدا المقدم عليهم عينه الى عسكر المسلمين
والنيران تتاجج في جوانبه فجعل يدور حول المسلمين حتى طرف معسكرهم وقد
خمدت نيرانهم وكان القوم من بادية اليمن مثل مراد وبني كعب قال عبد الله بن
صفوان وكانت تلك الليلة غارين من عددنا امنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا
فلم نشعر الا بطماطم الروم وقد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم وقد اعلنوا السرح
بينهم لا نعلم ما يقولون ووضعوا فينا السيف فكان النجيب منا من استوى على ظهر

فرسه وطلب

فرسه وطلب النجاة وهو لا يدري من اين ذهب ولا كيف يتخلص وقد وقعت الجفلة
في عسكر المسلمين والقوم ينادون النفير النفير ذهبنا ورب الكعبة وهم يسرعون
الى خيمة ابي عبيدة وينادون ايها الامير كبسنا يوقنا بعسكره واصحابه فعندها
ركب ابو عبيدة في الرجال وجعل يدور حول العسكر ونظر صاحب الروم الى
العرب وقد لحقته فصاح باصحابه من كان اخذ شيا فليتركه وليطلب نجاة
نفسه قال عبد الله بن صفوان فاخذوا من رجالنا خلقا كثيرا نحوا
من الخمسين رجلا من اخلاط اليمن واكثرهم من حمير واقبل القوم يحمي بعضهم بعضا
يطلبون القلعة فلما نظر الى ذلك خالد حمل في عصابته فاقتطع من الروم على
زهي على مائة رجل ووضع فيهم السيف فلما وصل اصحاب يوقنا الى القلعة فتح
لهم وادخلهم فلما اضا الصبح وطلعت الشمس دعا يوقنا بالخمسين اسيرا وهم موثوقون
كتافا فقدمهم الى موضع ينظر المسلمون اليهم وامر عبيده ان يضربوا اعناقهم
والمسلمون ينظرون اليهم ويسمعون اصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله
حتى قتلوا عن اخرهم فلما نظر ابو عبيدة الى ذلك امر مناديا ينادي في عسكره
عزيمة من الله ورسوله ومن الامير ابي عبيدة على رجل وكل حرسه لغيره ولكن
كل رجل منكم حارسا لنفسه ولا يتكل بعضكم على بعض فاخذ القوم حذرهم واقبل
يوقنا يدبر مكيدة اخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم انهم محاصرون ومع ذلك فان
جواسيسه تاتيه بالاخبار في الليل والنهار وكان اعظم جواسيسه متنصر

العرب غيرهم يحسنون بالرومية فبينما يوقنا ذات يوم في قلعته وحوله البطارقة
وقد اضر بهم الحصار واضر ما عليهم اهل المدينة لا ينظرون الى رجل من اصحابه الا
اخذوه وسلموه للمسلمين فهو كذلك بينما هو واصحابه في امره وكيف الحيلة الى مكيدة
يكيد بها المسلمين اذ اقبل اليه جاسوس من عيونه وقال ايها الملك ان اردت ان عيونه
تكيد العرب فهذا يومك ووقتك فقال يوقنا وكيف ذلك وما عندك من الخبر
قال له ان علافة لهم قد خرجوا الى وادي وطنان وقد صالحوا اهله وعلوفة العرب
وميرتهم منهم وقد رايت لهم جمالا وبغالا ومعها طايفة منهم عليهم الفرا الخلقة
وبايديهم الرماح المشعثة وهم يقصدون القرى في طلب العلوفة والزاد وهم قوم
قليلون وليس هم في كثرة فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه اختار الف رجل
من اصحابه من سادات قومه وقال لهم اصلحوا شانكم وحق المسيح لاضيقن على العرب
مسالكهم ولاقطعن عليهم طرقاتهم فلما اقبل الليل واظلم الافق فتح لهم باب السر
وسار الجاسوس امامهم حتى استقاموا على الطريق وجعلوا يسيرون تحت ستور
الظلام فبينما هم كذلك اذا هم براع ومعه سرح من البقر يريد بها من بلد الى بلد
اخر وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما نظروا اليه اسرعوا نحوه وقالوا له احسست
باحد من العرب قال نعم قد مضوا والشمس قد اصفرت وهم نحو من مايه رجل على
خيول مسرعة ومعهم جمال وبغال يريدون عليها الميرة من هذا الوادي قال فكيف سلمت
منهم بقراته قال ان اهل هذا الوادي في صلحهم فلسنا نخاف منهم فقال له المقدم لقد

القيت الى

القيت الى من صلح اهل هذا الوادي ما لم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح بما فعلتم
تقووا العرب علينا فاخبرني على اي طريق اخذت العرب قال ها هنا واومأ بيده
الى المشرق فسار البطريق ومن معه ولم يعرض لصاحب البقر حتى اذا قارب الصبح
اشرف على خيل المسلمين وكان عليها امير يقال له مناوش بن ضحاك فلما نظر
مناوش الى الخيل مقبلة عليهم اقبل على المسلمين وقال لهم يا بني العرب يات هذا
بطريق من بطارقة الروم قد اقبل اليكم فدونكم والجهاد والصبر على الشدة لتنالوا
الجنة ثم حمل عليهم فركبهم العدو بخيله ورجله فشد المسلمون عليهم واقتتلوا
قتالا شديدا وقتل مناوش وعيلان وكان جملة من قتل من المايه ثلثين رجلا وملكت
الروم ما كان مع المسلمين من الدواب والابل ورجع المسلمون منهزمين فعند ذلك اقبل
البطريق على اصحابه وقال ارموا الاحمال عن هذه الطوال الاعناق يعني الجمال واعقروها
بالاسنة وخذوا هذه الدواب بما عليها تكون لكم ميرة واطلبوا الجبل واختفوا
عن اعين العرب والا الساعة تطلع عليكم خيول كالريح فتدهمكم حتى اذا جنا
الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها فعندها حملت الروم على الابل فالقوا ما عليها
وعقروها بالاسنة وعطفوا بالدواب نحو الجبل والتجوا الى قرية فاقاموا بقية
نهارهم يرتقبون الليل ليرجعوا الى القلعة وجعلوا لهم ديدبانا يحرسهم من العرب
قال معود بن صباح وكنت في الخيل يومئذ لما قتل عمي مناوش ونحن
في قلة وقد دهمتنا خيل الروم فلما نظرنا الى كثرتهم وشدة باسهم مع قلة عددنا

أخذنا لانفسنا ورجعنا الى ورائنا واشرفنا على المسلمين والخيل تتقاطر
في اثرنا فبدر الينا ابو عبيدة وقال ما وراكم قلنا الحرب العوان قتل والله
مناوش وقتل خلق كثير من فوارس طي وزبيد واخذ ما كان معنا من الزاد
والدواب فقال ابو عبيدة من ذا الذي دهاكم وقد حاصر الله الروم فما
يجسر احد منهم يخرج قالوا لا علم لنا غير انا راينا بطريقا عظيما قد اشرف علينا
في عدة حسنة وخيول كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عددهم ولا نعلم من
اين اتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرين فاصيب اميرنا وقتلت رجالنا واخذ
ما كان معنا من الدواب والزاد والعلوفة فلما سمع ابو عبيدة ذلك دعا خالد اليه
وقال انت لها يا ابا سليمان انت لها ولمثلها واني واثق بالله وبك خذ معك من
المسلمين من اردت وسر حتى تشرف على موضع المعركة واقف اثارهم واطلبهم حيث
كانوا فلعلك ان تقع بهم وتاخذ بثار المسلمين واعلم اننا قد صالحنا اهل هذا
الوادي وانا لا ننقض عهدا ولا نحل عقدا ان يكون القوم قد مكروا بنا فنجد
الى قتلهم سبيلا فاتق الله فيهم سر رحمك الله قال فاسرع خالد الى
خيمته فلبس لامته وركب جواده وهم بالمسير وحده فقال له ابو عبيدة الى اين
يا ابا سليمان قال اسارع الى ما امرتني به قال فخذ معك من المسلمين من اردت فقال
خالد انا امضي وحدي فقال ابو عبيدة كيف تمضي وحدك وعدوك في كثرة من العدد
قال وكم يكون العدد الفا او الفين انا لهم بعون الله لكفو فقال ابو عبيدة انك لذلك

فاخذ خالد رجالا منهم ضرار بن الازور وربيعة بن عامر وسار بمن معه حتى اتى الى
موضع المعركة فراوا القتلى مطرحين وراوا حولهم اهل الوادي وهم يبكون خوفا
على انفسهم وديارهم وان العرب يطلبوهم لهم فلما اطلع عليهم خالد تصارخ القوم
في وجهه والقوا انفسهم بين يديه فقال خالد لترجمانه ما يقولون هؤلاء القوم قال
الترجمان ان القوم يقولون انا بريئون من دماء اصحابكم ونحن في صلحكم فاستحلفهم
خالد انهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له قال فمن ذا الذي وقع باصحابنا قالوا بطريق
من اصحاب بوقنا في الف فارس من اشد قومه وان له في عسكركم عيونا يعرفونه
بالاخبار قال خالد ففي اي طريق سلك قالوا هذه الطريق المتعالي
وراينا هم وهم يطلبون الجبل فقال خالد لاصحابه ان القوم قد علموا ان لا بد
لخيلنا ان تطلبهم وقد تغالوا عن طريقكم حتى يجن عليهم الليل فيرجعون الى قلعتهم
قال ثم سار خالد في طلبهم وقد اخذ معه رجلا من المعاهدين يدله ويقفو اثرهم
فلما حصل في الطريق قال للمعاهدي هل لهم طريق الى قلعتهم غير هذه قال لا فاكمن
فانك تظفر بهم فنزل خالد ومن معه في الوادي وهم يرقبون الطريق فلما مضى من الليل
هزيع اذا احسوا بوقع حوافر الخيل في الظلام والبطريق امامهم والخيل من ورائه وهو
يزجرهم ويستحثهم في المسير فعندها صاح خالد من مكمنه صيحة شديدة كانه
الاسد وخرج عليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان لخالد طلب غير
بطريقهم المقدم وظن انه بوقنا فضربه ضربة رماه بها لسفين ووضع المسلمون

السيف فيهم وجعلوا يطلبونهم وهم في القرب منهم فلم ينج منهم احد واحازوا
القتلى ودوابهم ورجعوا الى ابي عبيدة فوجدوه وهو متشوف الى قدوم المسلمين
فلما اشرف خالد ومن معه معهم الاسارى والسلب الكثير هللوا وكبروا واجابهم
ابو عبيدة وجميع المسلمين بالتهليل والتكبير وقدم خالد ومعه ازيد من
ثلثمائة بيسير ودون القتلى سبع مائة دابر او دونها فاعرض عليهم ابو عبيدة الاسلام
فابوا وقالوا نحن نعطيك الفدا فقال خالد الصواب عندي ضرب رقابهم بمشهد
من اهل القلعة فتوهن بذلك عدو الله وعدو المسلمين فلما سمع ابو عبيدة من خالد
كلامه امر بضرب رقابهم فضربت رقابهم ويوقنا واصحابه ينظرون الى ذلك
فلما ضربت رقابهم قال خالد لابي عبيدة انا كنا نظن انا محاصرون القوم واذا
هم بخلاف ذلك يترقبون غفلتنا وينتظرون غرتنا وياخذون رجالنا ودوابنا والصواب
ان تامر رجالك بالاهبة والتيقظ وتجعل عليهم الحرس في كل طريق ولا تمكنهم ان
يخرجوا من قلعتهم وضيق عليهم ما استطعت فقال ابو عبيدة جزاك الله خيرا
يا ابا سليمان عن مشورتك فلما كان من الغد صلى ابو عبيدة بالناس صلاة الصبح انفتل
الى المسلمين ودعا بعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وضرار بن الازور وسعيد
ابن عمرو وقيس بن هبيرة وميسرة ثم فرقهم من حول القلعة وامرهم بحفظ الطرق
والمسالك على يوقنا حتى لو طار طاير اليها اقتنصوه واقام القوم على حصار القلعة
فلما طال عليهم ذلك ضجر ابو عبيدة لطول مقامه وامر الناس بالرحيل عنهم وعزم

ان يتباعد

ان يتباعد عنهم من القلعة فيرجوا منهم غفلة ينتهزها منهم قال فبعد عن المدينة
اميال وهو يريد حيلة يصل بها الى القلعة قال ويوقنا لا ينزل ولا يفتح
له بابا فانفكر ابو عبيدة عليه وقال لخالد وقد اتى اليه يا ابا سليمان اظن ان
جواسيس عدو الله تصل اليه اخبارنا واني اقسم عليك الا جلت في عسكرنا جولة
واختبرت امر الناس فلعلك تقع بجواسيس عدو الله قال فركب خالد وامر الناس
يدورون في معسكرهم وهو معهم بنفسه وامرهم بالقبض على من انكروا عليه فبينما
خالد في طوفاته اذ نظر الى رجل من العرب وهو جالس وبين يديه فروة يفليها فجعل
خالد يلاحظه فاستراب به وانكره فاقبل اليه وسلم عليه وقال ممن اي الناس
انت يا اخا العرب قال انا من اليمن قال من اهلها فاراد ان ينتمي الى غير قبيلته فجرا
الحق على لسانه وقال انا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه وقال يا عدو الله انت
من متنصرة العرب وانت عين لعدونا فقال انما انا من متنصرة العرب وانما انا مسلم فاقبل
به خالد رضي الله عنه الى ابي عبيدة وقال ايها الامير قد رابني امر هذا لاني ما رايته
قط الا يومي هذا وقد ذكر انه من غسان ولا شك انه من عباد الصليب فقال
ابو عبيدة اختبره يا ابا سليمان قال وكيف اختبره قال بالقران والصلوة فان اجابك
والا وهو متنصر فقال خالد يا اخا العرب قم فصلي ركعتين واجهر فيهما بالقراءة
فلم يدر ما قال له فقال خالد انت والله عين علينا ثم استخبره عن شانه فاقر انه
عين عليهم فقال خالد انت وحدك فقال لا نحن ثلثة وانا احدهم والاثنان قد

عادوا الى القلعة يخبروا يوقنا بخبركم وانا متخلف لانظر ما يكون منكم
فقال ابو عبيدة اخبرني ايما احب اليك القتل او الاسلام فليس بعدهما شي
قال الغساني انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم رجع ابو
عبيدة الى حلب ولم يزل بها محاصرا اربعة اشهر وقيل خمسة اشهر ما من
يوم الا ويلقا المسلمون فيه حربا عظيما وابطا كتاب ابو عبيدة عن امير المومنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب الى ابي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب الى عامله ابي عبيدة
سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه يا ابا عبيدة
لو علمت ما عندي من ابطا كتابك وانقطاع خبرك وقد كثر لذلك قلقي على
اخواني المسلمين وما لي ليل ولا نهار الا وقلبي عندك ومعك فاذا لم ياتي منك خبر
ولا رسول فان عقلي طاير وفكري حاير وكانك لا تكتب الى الا بفتح او غنيمة واعلم يا ابا
عبيدة وان كنت نايا عنكم فاني داع لكم ولو عليكم كالمراة الحنينة على ولدها فاذا
قرات كتابي هذا فكن للمسلمين عضدا والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة
الله وبركاته وبعث الكتاب فلما ورد الكتاب على ابي عبيدة وقراه قال معاشر
المسلمين ان امير المومنين داعيا لكم وراضيا عنكم فان الله عز وجل ينصركم على
عدوكم ثم كتب جواب كتاب امير المومنين بسم الله الرحمن الرحيم من عامله على الشام
ابي عبيدة عامر بن الجراح لعبد الله امير المومنين عمر بن الخطاب سلام عليك فاني احمد الله

الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه واعلم يا امير المومنين ان الله تعالى وله الحمد قد فتح على
ايدينا قنسرين وقد شننا الغارات على العواصم والمعرات وقد الحق الله مدينة
حلب صلحا وقد عصى من في قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقهم يوقنا وقد كادنا
مرارا وقتل منا رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه ثم ذكر من قتل والله
من وراه بالمرصاد وقد اردت الرحيل عن محاصرتهم الى البلاد التي ما بين انطاكية
وحلب وانا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى من عندك من المسلمين ورحمة الله
وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه وبعث به مع رجلين من اصحابه احدهما عبد الله بن قرط
والاخر جعد بن خبيران فجعلا يسيران سيرا حثيثا ليلا ونهارا واخذا على طريق
هيت العتيقة حتى قطعا ارض خفان الى اصكاصكة وهي حصون العرب قريبة من تيما
فلما وصلا اليها عارضهما فارس على فرس وعليه درع سابغ وبيضة تلمع عاديه متقلد
قتاله ح برمحه كانه قد برز الى عدوه وقاصد الى قاتله فلما نظرهما قصدهما فقال عبد الله
ابن قرط لجعد يا ويلك اما ترا هذا الفارس قد عارضنا في مثل هذا المكان على
هذه الحالة فقال له جعد وما عسى ان نخوف من فرسان العرب ورجالها وليس في
البيدا احد ممن رفع عهدا ولا ضرب ونبذا الا وهو معنا في شريعة محمد صلى الله عليه
وسلم فلما قرب الفارس منهما سلم عليهما وقال من اين اقبلتما والى اين قصدتما فقالا
له اما نحن فرسولان من الامير ابي عبيدة الى امير المومنين عمر فمن انت ايها الرجل
قال انا هلال بن بدر الطاي فقالا له ما لنا نرى عليك لامة الحرب قال اني خرجت في

طوايف من قومي وجماعة من اصحابي يريدا الشام للجهاد لكتاب ورد علينا من عمر
رضي الله عنه فلما رايتهما قصدتكما لانظر ما قضيتكما ولي اصحاب من وراي مقبلين
ثم سلما عليه وسارا واذا الخيل قد اشرفت والابل تتبع هلال بن بدر الى ان لحقوه
واخبرهم بقصة صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وسار القوم
يريدون الشام واما عبد الله وجعفر فانهما وصلا الى مدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسلما على عمر وعلى المسلمين وناولا لعمر الكتاب فلما قراه استبشر ورفع يديه وقال
اللهم الق الناس شرا ثم امر مناديه ان ينادي في الناس الصلاة جامعة فلما اجتمع المسلمون
قرئ عليهم كتاب ابي عبيدة فما استتم قراته حتى قدم عليه ركب من حضرموت واقاصي
اليمن يسالونه ان يبعثهم الى الشام فقال لهم عمر كم انتم بارك الله فيكم قالوا نحن زهاء على
اربع مائة فارس وثلثمائة مطية مردوفين ومعنا اناس يمشون على اقدامهم لا دواب لهم
فان حضر امير المومنين ركابا نحمل عليه رجالنا نصل الى عدونا فقال لهم عمر وكم يبلغ الذين
معكم قالوا اربعون ومائة رجل قال عرب ام موالي قالوا عرب وموالي اذنوا لهم
ساداتهم في الجهاد فعندها دعا عمر رضي الله عنه بعبد الله ابنه وقال امض الى مال
الصدقات فات القوم بسبعين راحلة ليعتقبوا عليها وحملوا ازوادهم ومبرتهم على
ظهورها فاسرع عبد الله فاتى بسبعين بعيرا وسلمها اليهم وقال لهم جدوا السير
رحمكم الله الى اخوانكم واسرعوا الى حرب عدوكم ثم كتب الى ابي عبيدة اما بعد فقد
ورد كتابك مع رسولك فسرني ما سمعت من الفتح ولمن قبله الله تعالى من الشهداء

واما ما ذكرت

واما ما ذكرت من انصراف اهل البلاد التي بين حلب وانطاكية وترك اهل القلعة
ومن فيها فيها هذا براي انه ترك رجلا قد اخذت دياره وملكت مدينته ثم
ترحل عنه فيبلغ الخبر الى جميع النواحي انك لم تقدر عليه ولا وصلت اليه فيضعف
ذكرك ويعلو ذكره بما صنع ويطمع من لم يطمع ويجتري عليك اجناد الروم
وخاصتهم وعامتهم وترجع اليك الجيوش وتجانب ملوكها في امرك فاياك ان تبرح
في مجاهدته حتى يقتله الله ويسلم اليك ان شاء الله فبث الخيل في السهل والسعة واكفها
عن المضايق والاوعار وشن الغارات من المعرات الى حدود الفراه ومن صالحك
منهم فاقبل صلحه ومن سالمك سالمه والله خليفتي عليك وعلى جميع المسلمين وقد نفذت
كتابي اليك ومعه عصبة من طي وحضرموت ممن وهب نفسه لله ورغب في الجهاد
في سبيل الله تعالى وهم عرب وموالي وفرسان ورجال والمدد باتيك متواتر ان شاء الله
ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لعبد الله بن قرط ومعه جعفر وجعل القوم يجدون السير
ومعهم الوافدين فسار الجيش وسار عبد الله وجعفر وجعلوا يجدون السير ومع ذلك
يسالون عبد الله وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلدان وقتال الروم الى ان سالوهم
عن مستقر المسلمين واين معسكرهم فقال عبد الله بن قرط ان جميع المسلمين مع اميرهم
محاصرين لقلعة حلب فيها عظيم من عظماء الروم ومعه اعلاج له من اصحابه وقد تحصن
في راس قلعته قالوا له يا ابن قرط ما لهولاء لم يدخلوا في حلب من صالح من اصحابهم فقال
لهم يا معاشر العرب انا لم نر بعد وقعة اليرموك رجلا هو اشجع من هذا فلقد قاتل

رجالا وجدلا ابطالا لاوانه ليغار على اطراف العسكر في وقت غفلاتهم فيقتل رجالهم
وينهب رحالهم ويرجع الى قلعته وربما يسري في سواد الليل في طلب العلافة
ونحن لا نعلم به فيقع بهم فيقتلهم ويأخذ دوابهم وجميع ازوادهم ثم يعود الى قلعته
وذلك ان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون حذرون قال وكان فيمن سمع
كلامه وفهم خطابه مولا من موالي بني طريف من ملوك كندة يقال له دامس ويكنا بابي
الهول مشهور باسمه وكنيته وكان اسود نصاص كانه النخلة السحوق واذا ركب الفرس
العالي من الخيل تخط رجليه على الارض واذا ركب البعير العالي البازل يقارب
ركبتاه ركبتي البعير وكان فارسا شجاعا مقداما قد شاع ذكره ونما امره وعلا
قدره في بلاد كندة واودية حضرموت وقد اخاف البادية وانتهب اموال الحاضرة
وكان مع ذلك لا يدركه الخيل العتاق وكان اذا ادركته العرب في ايديها تتعجب
من صولته وشجاعته وجرائه فلما سمع دامس بذكر يوقنا وما يفعل بالمسلمين كاد
يتميز غيظا وقال لعبد الله بن قرط ابشر يا اخا العرب فوالله لاجهدن
ان يجعل الله منيته على يدي فلما سمع عبد الله كلام دامس جعل ينظر اليه شزرا وقال
يا ابن السوداء لقد منتك نفسك اما لا لا تبلغها وشيا لا تدركه يا ويحك الم تسمع
ان فرسان المسلمين وابطال الموحدين باجمعهم له محاصرون ولاصحابه منازلون ومع
ذلك لا يقدر احد منه شيء وقد اباد ملوك الروم فلما سمع دامس ذلك من كلام
عبد الله بن قرط غضب غضبا شديدا وقال والله لولا ما يلزمني لك من اخوة الاسلام

لبدات بك

لبدات بك قبله فاحذر ان تزدري بالرجال فان احببت ان تعرفني فاسأل عني
من حضر من اهلي وما قد تقدم من فعالي الذي من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور
ومن عساكر قاتلتها وجماعة فرقتها ومحافل بددتها وغارة شننتها واهوال
ركبتها ورجال قتلتها وفلاة قطعتها وكل ذلك لا يؤخذ مني ثار ولا يقفا لي
اثار ولا يضام لي جار ولا يلحقني عار لاني عبد الله كرار غير فرار ثم تركه مغضبا وسار امام
الناس وان قوما من العرب قالوا لعبد الله يا اخا العرب ارفق بنفسك فانك وايم الله
مخاطب لرجل يقرب عليه البعيد ويهون عليه الامر الشديد وانه لجلد جليد
لا تهوله الرجال ولا تفزعه الابطال ان كان في حرب كان اولها يدرك ما يطلب ولا
يفوته ما يهرب فقال عبد الله لقد كثر وصفكم واطنبتم في نعتكم وارجوا ان يجعل
الله عنده خيرا وفرجا للمسلمين ثم اخذ القوم يجدون في السير حتى قدموا على ابي عبيدة
رضي الله عنه وهو منازل لاهل القلعة محاصر ليوقنا وقد احاط المسلمون بالقلعة
من كل جانب فلما اشرف القوم باجمعهم اخذوا في زينتهم وجردوا سيوفهم واشهروا
سلاحهم ونشروا راياتهم وكبروا باجمعهم وصلوا على نبيهم واجابهم اهل العسكر
بالتكبير من كل جانب واستقبلهم ابو عبيدة وسلم عليهم وانزل كل قوم على بني عمهم
وعشيرتهم وان يوقنا مع ذلك في كل ليلة ينبسط اليهم برجاله ويناوشهم الحرب وذلك
انه كان لا يقاتلهم نهارا ولا يخرج من قلعته الا ليلا وكان اكثر خروجه في وقت غفلات
المسلمين فلما بات القادمون في تلك الليلة نظرت طي وسنبس ونبهان ولخم وحضرموت

الى شدة الحرس وضجة المسلمين اقبل دامس على اهله الذين نزل عليهم من بني طريف
وقال لهم انتم والله هم المحاصرون لا محالة فقالوا وكيف ذلك قال لبن عدوكم في
راس قلعته وانتم في فضا من الارض مطمئنين لا عدو يغير بكم ولا عسكر بازايكم يغير عليكم
فما هذا الخوف وما هذا القلق قالوا له يا ابا الهول ان صاحب هذه القلعة على مشوم
يترقب غفلاتنا ويغار على معسكرنا فيقتل رجالنا ويأتينا من مامننا قال
فبينما دامس يخاطب قومه واذا بالضجة قد وقعت في طرف عسكر المسلمين وجلبة
عظيمة فوثب دامس وانتضى سيفه وتنكب حجفته وطلب الناحية التي سمع فيها
الصوت حتى بلغ اليه فاذا هو ببوقنا في خمس مائة فارس وقد وجد غرة من المسلمين
فلما نظر دامس الى الروم وقع في اوساطهم وهو يقول ———

انا ابو الهول واسمي دامس   ليث هزبر بطل ممارس   الدي في جمعهم وداعس

قال وجعل يضرب في اعراضهم بسيفه ومعه طايفة من بني طريف من شجعانهم وفرسانهم
فلما راى بوقنا ما نزل به تقهقر الى ورايه وقد قتل من رجاله ما يناهز ووامس يطردهم
كذا ويتبعهم الى راس القلعة وكذا من ورايه فناداهم ابو عبيدة عزيمة مني عليكم ان لا
يتبعهم احد منكم في ظلمة الليل فقال الناس لابي الهول الامير يعزم عليك وعلينا
بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله ورجع القوم الى رحالهم وقد ابلت كنده
بلا احسنا والناس قد فرحوا بمن قتل من الروم فلما اصبح الناس اجتمعوا الى الصلاة
مع ابي عبيدة فلما قضيت الصلاة تفرق الناس ولم يبق الا نفر يسير من امرا المسلمين

وردوشاهم

وردوشاهم يحضر الى عبيدة فجعلوا ايتذاكرون ليلتهم فقال خالد اصلح الله الامير
لقد رايت البارحة كنده وقد ابلت بلا احسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت ابطالها
وازالت عنا جمية القوم فقال ابو عبيدة صدقت والله يا ابا سليمان لقد اسعدت
الناس كنده بشبانها ورجالها ولقد سمعتهم يقولون احسن دامس اجاد ابا الهول
فقام الى ابي عبيدة رجل من روساء كنده يقال له سراقة بن مرداس الكندي فقال اصلح الله
الامير ان دامس هو ابو الهول وهو مولى لبني طريف قدم مع هذا الوفد الذي ورد بالامس
الينا وهو رجل يزعج الرجال ويقتل الابطال ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع
ولا يصعب عليه غارة قال ——— ابو عبيدة لخالد اما تسمع كلام سراقة بن مرداس
في عبدهم دامس فقال خالد اصلح الله الامير يوشك انه صادق في قوله ولقد سمعت بذكره
وحدثت عن شجاعته ولقد اخبرني رجل يقال له معمر بن عنترة المهري ان دامس هذا
غار عليهم وحده وهم على ساحل البحر وهم في سبعين رجلا من آل مهرة وكان دامس هذا
يطلبهم من اجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون منه ومن شدته وباسه وكانوا مع
ذلك يقصدون بامواله ودوابهم الى اطراف الجبال وسواحل البحر حذرا من مكره وكان مع
ذلك يسال عن اخبارهم ويتطلع لاثارهم فلما علم بنزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه
للغارة عليهم فتثاقلوا ولم ينفر احد منهم معه وكان مع ذلك خبيرا بالبلد سهله وجبله
وبحره فلما ايس من قومه دخل الى خبايه واحتمل رزمة على عاتقه فلما نظر اهل الحي من
مواليه وعبيدهم الى دامس وقد اخرج من خبايه الرزمة اقبل اليه نفر منهم وقالوا له يا ابا الهول

وما الذي تراه معك فقال لهم يا قوم اني اريد الغارة على بني الشعرا واخذ الثار
والشرف العالي فقال له مشيخة الحي ما راينا اعجب من امرك وانت تعلم ان بني الشعرا هم
سبعون رجلا فمن يريد ان يغار عليهم ياخذ معه شيا ابا فما سمعنا هذا الا منك هذه
الساعة وانا نراك تقصد حوكا وكانت هذه حود امة لبني جساس من الحضارمة وكانت
بقرية من قرا حضرموت يقال لها السقله وكان دامس يهواها وكان كلما ياخذ من
الاموال والابل والخيل يدفعها اليها لا يعظم عليه لكثرته وكان لا يرضى لها بالقليل
فظن القوم انه ماضي اليها فقال لهم وايم الله انه باطل ما تظنون وسوف تعلمون اني ما
اقول الا الحق اليقين فرجع القوم وتركوه وحده قال فسار حتى اتى مراعي قومه فاخذ راحلة
من ابلهم فرحلها واخذ سيفه وجحفته بين يديه ووطى بالرزمة تحته على كورها وجعل
يسير بقية يومه حتى اذا كان في اخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الاودية فابركها وحل
رحلها وعقلها بزمامها ثم تركها ترعى وهي معقولة ثم تشرف بين حجرين وكان قريبا
من الحي وهو يخاف ان ينذر به احد فلما مضى عليه نهاره واقبل ليله اقبل الى راحلته فابركها
ورحلها واستوى على كورها وسار حتى علا نشزا من الارض مشرف على الحي وكان في
ذلك النشز شجر من الطلح فابرك ناقته وقد لزم سيفه ليلا تعي فيسمع القوم رغاها
فلما عقلها عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها ازرا واخذ اغصانا من تلك الشجرة واخذ منها
عيدانا على قدر قامة الرجل وياتي بالعود فينصبه ويشده بالحجارة ثم يطرح عليه ازارا ولم
يزل حتى اقام اربعين عودا وجعلها صفا واحدا محاذي وجه ابواب البيوت والاخبية ثم

ارتقب

ارتقب الصبح حتى اسفر واخترط سيفه وتنكب جحفته واتشح بازار احمر ارجواني ثم
هبط من ذلك النشز الذي فرق فيه الثياب على الاعواد وقصد الحي ودار حول اخبا ٣٣
وتفكر في امرهم وكيف يحتال وقد مضى الليل وطلع الفجر ثم سار الى نحو الساحل وسيفه
مسلول وجحفته بيده فلما قرب منهم صاح بهم دونا هلا لا ابا لكم انا ابو الهول ولقد
صبحتكم بالويل واخذتم من البر والبحر ثم جعل ينادي يا ال طريف يا ال كندة فلما وقع
صوته في اسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم واجفل القوم من بين يديه من
البيوت هاربين الى الساحل نحو الجبل وهو من خلفهم فلما راوه وحده شجع بعضهم
بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه وطمعوا فيه فلما وجدوا في طلبه جعل يكر عليهم ويرجع
منهم ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظروا الى شدة باسه وعظم مراسه وحملاته ارادوا
ان يسبقوه الى النشز ليعلوا عليه فلما نظر اليهم قد قاربوا الاعواد التي قد اصلح عليها
الازر خاف ان ينظروا اليها فيطمعوا فيه ويعفوا على مكره فانبسط في السعي
حتى سبقهم وصار امامهم ثم اقبل على الاعواد كانه يخاطبها وهو يقول يا ال كندة
يا ال طريف اياكم القوم فصدنكم الرجال فاحملوا عليهم فمد القوم ابصارهم عند
صياحه الى اعلا النشز فنظروا الى الاعواد عليها الثياب فلم يشكوا انهم رجال
فانقضوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادي عليهم يا قوم اقسمت عليكم ان يبرح رجل
منكم من مكانه ويزل من موضعه فانا اكفيكم مؤنة القوم فرجعت اليهم ناكصين على
اعقابهم هذا قد اردف زوجته وهذا قد اردف ولده وهذا امته وهذا ابنا قد ر

عليه من اثاث بيته ورجع ابو الهول الى الحي فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان
والمشايخ والعجايز فامر العبيد ان تركب الجمال ففعلوا ذلك وحمل كل ما في الحي
وسار بعد ان كشف بعض العبيد في الحي يريد قومه فلما استقام على الجادة تاخر
عنهم ومر كالريح العاصف واخذ الاذن عن العبيد ولحقهم وسار حتى ورد حي
قومه فاعجب منه العرب من فعله فلما سمع ابو عبيدة ذلك من كلام خالد
اقبل على سراقة بن مرداس الكندي وقال له ادع لنا عبدكم حتى انظر اليه واسمع كلامه
فما كان غير بعيد حتى اتى به سراقة الى ابي عبيدة فقال له انت دامس قال نعم اصلح
الله الامير فقال له لقد بلغني عنك عجايب وانت وايم الله لها اهل الا انك جزت من
الرجال واعلمك انك وقومك تقاتلون في بلاد سهلة لا تعرفون الجبال ولا القلاع
ولقد اقتحمت البارحة اثار اعداء الله اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا
البطريق يوقنا فقال له دامس اصلح الله الامير لقد عرفت على الرهن واخذت اموالهم
وان جبالهم منيفة شامخة رفيعة ذات وعر ومجر وما هذا الجبل بامنع من تلك
الجبال فقال ابو عبيدة فاني اراك نجيبا فهل حدثتك نفسك في امر هذه القلعة
بشي قال دامس اصلح الله الامير اعلم اني لما قدمت عليك في الوفد رايت في طريقي
رؤيا فقال ابو عبيدة وما الذي رايت اراك الله خيرا قال رايت كاني سائر في وطاة
من الارض وانا مجد لطلب قومي وكاني قد انقطعت عنهم وكانهم قد سبقوني الى
غارة ارادوها على قوم فبينما انا مجد في سيري اذ اشرفت عليهم واذا هم حايرون

لايستقدمون

لا يستقدمون ولا يستاخرون فناديتهم يا قوم ما شانكم واي شي منعكم عن مسيركم فقال
لي القوم اما ترى هذا الجبل كيف عرض لنا في اخر هذه الطريق ليس لنا عنه منفذ
ولا مطلع فقلت على ما يسلكم الا ترون الى هذه الفرجة في هذا الجبل فقالوا هيهات
لا طريق فيه فقلت ولم ذلك فقالوا لان فيه ثعبان عظيم لا يمر به احد الا اهلكه
وقد قتل رجالا وجدل ابطالا فقلت لهم يا قوم لم لا تهجموا عليه باجمعكم فقالوا
انا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من فمه ولا سبيل لنا عليه فقلت لهم فالتمسوا
طريقا من وراء ظهره فقالوا انا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم ثم التمست
لي موضعا فلم اجد الا مكانا ضيقا صعبا حرجا فاقتحمته فما سلكته الا بعد المشقة
واتيت الى الثعبان من ورايه فقتلته ثم اشرفت الى قومي فاتبعوا اثري فما وصلوا الي الا
بعد الجهد وهم امنون من عدوهم ثم استيقظت فوجدت روحي وانا فرح مسرور
فقال ابو عبيدة خيرا رايت وخيرا يكون ان شا الله يا دامس اما تفسير رؤياك هذه فانها
للمسلمين بشارة ولعدونا خسارة فقال له دامس وما ذاك ايها الامير ثم ان ابا عبيدة
قام قايما على قدميه ونادي برفيع صوته الله اكبر الله اكبر فتح الله ونصر وجا بالظفر
الا ومن كان منا دانيا فليسمع ان تفسير رؤيا دامس عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن اذكر
فاقبل المسلمون يهرعون نحوه فرحين ولما يقول مستمعين فلما اجتمعوا اليه وصاروا بين
يديه قال الحمد لله وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا معاشر المسلمين ان الله سبحانه
وتعالى وله الحمد قد وعدنا في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الغلبة على الاعداء

والظفر بالمراد وما كان الله ليخلف وعده رسله واني نذرت ان فتح الله هذه
القلعة على يدي ان اصنع من البر ما استطعت والان قد هجس في نفسي ووقع في قلبي
انا ظافر بهذه القلعة ومن فيها ان شا الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ودلني على ذلك تاويل رؤيا هذا الغلام ثم قبض بكفه على يد دامس وقال رحمك الله حدث
اخوانك بما رايت في نومك فقال دامس اعلموا معاشر المسلمين اني رايت في منامي كذا
وكذا وجعل يقص عليهم الرويا الى اخرها فلما فرغ منها اقبل المسلمون على ابي عبيدة وقالوا
اصلح الله الامير قد سمعنا قوله فما تاويل ذلك فقال ابو عبيدة اعلموا رحمكم الله ان
ان الجبل الذي ذكر انه راه على الباب شامخا شديد الامتناع فذلك دين الاسلام وسنة
نبينا محمد عليه الصلاة والسلام واما الثعبان الذي راه وقتله فذلك امر
يحب الله ان يكون على يديه يفتح الله به عز الاسلام قال ففرح المسلمون بتاويل ابي عبيدة
ثم قالوا ايها الامير فما الذي تامرنا قال امركم بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكايد للاعداء
ارجعوا الان اكرمكم الله ورعاكم الى رحالكم واصلحوا ما تحتاجون اليه من الة حربكم فاني امدكم
غداة غد الى اعدائكم الا ان يجد لي راي غير هذا فاني لست ادع الاجتهاد في الراي
والمشاورة لمن اثق برايه من المسلمين فقالوا باجمعهم وفق الله الامير وظفرك بعدوك
انه سميع الدعا فقال لهم انشا فتفرقوا باجمعهم الى رحالهم فجعل هذا يحد سيفه
وهذا يصلح قوسه وهذا يتقلد درعه وهذا يتعاهد فرسه ولم يزالوا على ذلك بقية
يومهم وليلتهم فلما اصبحوا دعا ابو عبيدة بدامس وقال ايها العبد المجتهد

ماذا تراه

ماذا تراه في امر هذه القلعة وما الذي عندك من الحيلة فقال دامس اعلم ايها
الامير انها قلعة منيعة شامخة حصينة تعجز الوافد وتمنع الطالب لا يقدر اهلها
مجاورها ولا تضيق صدورهم من قتال غير اني قد عرفت في حيلة احتال لها وارجوا
ان يتم ذلك عليهم فيكون فيه بوارهم وهلاكهم بمشية الله وعونه وبايدهم فقال ابو عبيدة
وما هي يا دامس قال اصلح الله الامير انت تعلم ما في اذاعة السر من الشر ومن كتم سره
كانت الخيرة في يده ويقال ان دامسا هو اول من تكلم بهذه الكلمة فمرت مثلا فقال ابو
عبيدة ما الذي تشير اليه وتعتمد في امرك عليه قال ترحل بعسكرك وجملة
من معك من اصحابك حتى تنزل بازاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص واعمل انا في ذلك
الحيلة وارجوا ان يتمها الله عز وجل ان شا الله فامر ابو عبيدة مناديه ينادي في
عسكره بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا واظهروا سلاحهم
ورهبوا على اعداء الله قال فاشرفت عليهم جماعة من الروم فنظروا الى جمعهم
فهالهم ذلك والقى الله الرعب في قلوبهم فاضطربوا لذلك ومشا الاكابر بعضهم الى بعض
وجعلوا يتشاورون فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال اخرون بل نقعد في قلعتنا
فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رايهم على القتال من فوق القلعة فصعدوا على الابراج
وجعلوا يرجمون المسلمين بالحجارة والسهام واقاموا على ذلك يقاتلون ليلا ونهارا ثم
كفوا عن قتالهم واقام المسلمون بازاء القلعة سبعة واربعين يوما ودامس مع ذلك يعمل
فيهم كل حيلة فما وصل اليهم بسوء فلما كان بعد سبعة واربعين يوما اقبل دامس على ابي عبيدة

وقال ايها الامير قد جهدت في كل حيلة على اعداء الله فما وجدت الى ذلك من
سبيل وقد فكرت في شي وارجوا به من الله الظفر والظهور على اعدآينا فقال ابو
عبيدة وما الذي دبرت قال تضيف الي من قومك من صناديدهم ثلثين رجلاً
وتامرهم بالطاعة وترك الخلاف فيما آمرهم به وافعله واراه قال ابو عبيدة سافعل
ذلك ثم ضم اليه ثلثون رجلاً من فرسان المسلمين وفتاكهم حتى اذا حضروا اقبل ابو
عبيدة عليهم وقال لهم معاشر المسلمين قد امرت دامسا عليكم وامرتكم له بالسمع
والطاعة والقبول لامره واعلموا رحمكم الله اني ما امرته عليكم لانه اجل منكم حسبا ونسبا
ولا اعظم مركبا ولا اشد باسا ولا اكثر مراسا فلا يقولن احدكم في نفسه اني امرت عليكم
عبدا احتقارا بكم وبالله لحلفت مجتهدا لولا ما يلزمني من تدبير هذا العسكر لكنت انا
اول من ينطلق معه وانا ارجوا من الله ان يفتح على ايديكم هذه القلعة فاقبلوا عليه بجمعهم
وقالوا اصلح الله الامير ما نشك في اعطايك لنا ومعرفتك بسابقتنا ولقد كان كلامك
الاول اثر في نفوسنا وها نحن لك وبين يديك فلو امرت علينا علجا القلف لم نخرج
لك من راي اذ علمنا انه انما تريد نفعا للمسلمين فالسمع والطاعة لله ثم لك ايها
الامير ولمن وليت علينا كاينا من كان من الناس ففرح ابو عبيدة بمقالتهم ووثق بكلامهم
وجزاهم خيرا واوسعهم شكرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله ان نفسي تحدثني ان الله يفتح هذه
القلعة على يد هذا العبد لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا معه وثقوا
بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى مولاه على سادات

العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم اقبل على دامس وقال يا دامس ما الذي
يجب بعد هذا قال ترتحل بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ
فتنزل باصحابك وتامرهم بقلة الحركة والتخفي ما استطاعوا ويكون لك رجلان
تثق بشدتهما ونجحهما للمسلمين يتجسسان عن اخبارنا واثارنا من غير ان يعلم بهما
احد ويكونان بغير سلاح الا الخناجر فاذا هما عاينا منا الظهور على اعداينا
والظفر يريدهما ان يلحقا بك فيبشراك بذلك لتلحق بنا ان شا الله وليكونا مفترقا ن
ولا يكونا في موضع واحد فان ذلك اسلم لهما قال ثم ان دامسا اقبل على
اصحابه الثلاثين وقد ولي عليهم وقال يا فتيان العرب امضوا بنا رحمكم الله حتى نكمن في بعض
هذه الجبال ما دام الناس متشرفين للرحيل وتشرف الروم عليهم فينظرون الى رحيلهم
فلا يتفق لنا ان نطلب مكمنا اذا اشرفوا من حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وحجفته
ففعلوا ذلك فلما تكاملوا بين يديه وثب فلبس لامته واخذ مزاده وخرج بهم حتى اذا
فارق العسكر جعلوا يخفون اشخاصهم ويسيرون حتى اتى بهم بطن الوادي مغارة فامرهم
بالدخول فدخلوا وجلس على باب المغارة قال الواقدي وان ابا عبيدة
امر الناس بالرحيل بعد ان رتب الرجال كما وصف له دامس وارتحل المسلمون ولهم ضجة
عظيمة وزعقة هايلة فاشرف عليهم اهل القلعة فنظروا اليهم يرحلون ففرحوا بذلك
وتواطنوا ابنيتهم وسروا سرورا عظيما وقالوا ان العرب قد رحلوا عنا واخذت الروم
في الزعقات والصرخات على المسلمين يهزؤون بهم ويتعطعطون عليهم من ورائهم حتى لم

يبق احد من المسلمين الا ارتحل وسار ابو عبيدة باصحابه حتى غابوا عن حلب فعند
ذلك اقبلت الروم الى بطريقهم وقالوا ايها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج الى العرب
فقد رحلوا فلعلنا نقتل منهم ونأسر فنهاهم عن ذلك ولم يزل القوم كذلك بقية
يومهم الى ان كان صلاة العتمة اقبل دامس على اصحابه وقال من ينهض منكم الى القلعة فلعله يأتينا
بخبر منها او يقدر لنا على رجل ياسره فياتينا به لناخذ منه خبرا فلم يجبه من القوم
احد فاعاد القول ثانيا فلم يجبه احد فقال لهم انا اعلم ان ما في الجماعة الا من هو
ضنين بنفسه كاره للموت وانا لكم الفدا فانظروا كيف تكونون ثم تركهم ومضى فغاب ساعة
واذا به قد اتى ومعه علج فقال لهم يا فتيان العرب دونكم فاسألوه فكلمه المسلمون فجعل يكلمهم
وهم لا يفقهون ما يقول فقال دامس على رسلكم ثم غاب غير بعيد حتى اتاهم بعلج اخر
فسالوه فجعل يتكلم بكلام صاحبه فلم يدروا ما يقول فقال على رسلكم ثم غاب غير بعيد
وعاد ومعه اربعة اخر فسالوهم فلم يفقهوا ما يقولون ثم تركهم واتاهم بثلاثة اخر
فلم يكن فيهم من يعرف بلغة العرب فقال دامس لعن الله هذه الوجوه ما اوحش لغتكم واكثر
طمطمتكم وغاب عنهم الى ان مضى من الليل النصف ولم يات فقلق اصحابه عليه قلقا شديدا
وقال بعضهم لبعض انا نظن ان دامسا فطن به فقتل او اسر ومالوا في ذكره وهم القوم
ان يرجعوا الى معسكرهم فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم دامس ومعه يقود رجلا من الروم فتواثبوا
اليه وقبلوه وسالوه عن ابطايه وقالوا له يا دامس لقد حدثتنا انفسنا بالعظايم وصعب
علينا ابطاوك فما الذي اخرك فقال دامس اعلموا رحمكم الله اني لما فارقتكم سرت حتى قربت

من سور القوم

من سور القوم وكمنت لهم وجعلوا يمرون وهم يطمطمون بلغاتهم وانا لا اعرض لهم كل
ذلك اطلب من يتكلم بالعربية فلم ارى احدا حتى ايست وهممت بالرجوع خايبا اذ
سمعت صوت هدة شديدة قد وقعت من اعلا السور فاسرعت اليها لانظر ما هي فاذا انا
بهذا الرجل وقد القا بنفسه من القلعة الى اسفل السور فبادرت اليه واخذته واتيت
به اليكم فانظروا ما هو وقد بوامنه وكلموه فلم يخاطبهم الا بلغته واذا به قد انفتلت رجله
وانفتحت جبهته فقال لهم دامس اعلموا ان له شان من الشان واني اظن انه هارب من القوم
وليس فيكم من يفهم ما يقول ولكن على رسلكم فانا اتيكم بمن يتكلم بالعربية واسرع دامس
من عندهم فلم يكن الا قليلا واذا به وقد عاد ومعه رجل قد ربط عمامته في عنقه وهو يقوده
حتى مثله بين يدي اصحابه فقالوا له من المدينة انت ام من القلعة قال بل من اهل القلعة
فقال له دامس انت من الروم قال لا ولكني من العرب المتنصرة فقال يا هذا هل لك ان تطلعنا
على عورة من عورات هذه القلعة ونحن نطلق لك السبيل ولا يعرض لك احد منا بسوء فقال يا هولا
لو عرفت لما وسعني في ديني ولا رايت ان ادلكم علينا لا وحق السيد المسيح عليه السلام قال
احده فاغتاظ دامس منه وقال له فاسال هولاء الاسرى هل فيهم من اهل الربض فان بيننا وبينهم
صلح قال فسالهم بالرومية ثم قال له دامس لم يكن فيهم احد من اهل الربض بل هم من اهل القلعة
وانا بهم عارف فقال له دامس فاسال لنا هذا الرجل لم طرح نفسه من السور وما دعاه الى
ذلك قال فسأله ثم اقبل على دامس وقال انه يقول ان الملك يوقنا غضب على اهل الربض
لاجل اصلحهم لكم وبعث يتهددهم فلما انصرفت العرب نزل يوقنا فجمع روسانا وصعد بنا

القلعة وطلب منا من المال ما لا نقدر عليه فلما نظرت الى ما نزل بنا هربت والقيت
بنفسي من القلعة اطلب الفرج وانجو من العقوبة فلم اشعر الا وانت قد قبضت علي
وانا من اهل الرقة فان كنتم من العرب فانا في ذمامكم وامانكم فلا تقتلوني ولا تغدرون وان كنتم
من غيرهم فاطلبوا مني ما احببتم فقال له دامس قل له نحن من العرب فلا باس عليك واراد
دامس ان يرى الرقي ما يفعل باعدايه فاخرج الرومي والمتنصر فضرب رقابهم ولم يدع غير
الرقي ثم اطلقه وعمد دامس الى مزوده فاستخرج منه جلد ماعز فالقاه على ظهره واستخرج
كعكا يابسا وقال لاصحابه بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا عليه واخفوا امركم فاني معول
على فتح هذه القلعة الليلة ان شا الله فقالوا يا دامس سر ولا قوة الا بالله ثم قام القوم د
مسرعين وتقدمهم دامس وبعث رجلين من اصحابه يعلمان ابا عبيدة بشانهم ويقولان له يبعث
لنا الخيل عند طلوع الشمس قال فانطلق الرجلان وصعد دامس بمن معه يخفون امرهم تحت
ظلام الليل ودامس على المقدمة يتجسس لهم الاخبار وهو يمشي على اربع والجلد على ظهره وكلما
حس بحس قرط من الكعك كانه كلب يقرط قرطا والمسلمون من وراه يختفون تارة ويظهرون
تارة ويمشون تارة ويستترون بالحجارة تارة فلم يزالوا كذلك حتى قاربوا القلعة فسمعوا
اصوات الحراس وزعقات الرجال من اعلاها والحرس شديد فجعل دامس يدور بهم
الى ان اتى الى بعض الابرجة فاذا هو بحارس البرج قد نام وليس في السور اقرب من ذلك
البرج فقال دامس لاصحابه انتم ترون الى هذه القلعة وعلوها وتحصنها وليس فيها حيلة
لشدة الحرس وتيقظ الروم فما الذي ترون ان اصنع بها وكيف الحيلة عندكم في الصعود

اليها الى

اليها الى ان نحصل في وسطها فقال له القوم يا دامس انت الامير قد امرك علينا وانت
اجرا منا وانا لك وبين يديك فما رايت فيه صلاح للمسلمين فلا نتاخر عنه والله
ان قتل نفوسنا وفنا ارواحنا اهون علينا من الرجوع بغير فايدة فمنك الامر ومنا
السمع والطاعة وليس منا من يتاخر عنك ولا نموت الا تحت ظلال السيوف في طاعة الله
ورضا اخواننا المسلمين فقال دامس شكر الله لكم فعلكم ورزقكم النصر على اعدايكم فاذا كان
هذا نيتكم فاطلبوا السور والرقوا به قال دامس وكنا ثمانية وعشرين رجلا فلما صرنا عند
السور التزقنا به قال دامس فيكم من يقدر على الصعود الى هذه القلعة قلنا وكيف لنا
بذلك فقال على رسلكم ثم انه اختار منهم سبعة رجال كالاسود الضارية لو كلفوا
حمل البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ثم انه اخذ واحدا على منكبيه وهو جالس وامره
ان يمسك الجدار بيديه ويطرح قوته عليه فلما فعل ذلك امر الاخر فعلا على منكب صاحبه
وان يجلس جالسا ثم امر الاخر ان يفعل كذلك ولم يزل يجلس كل واحد على منكبي صاحبه حتى
اذا علم ان السبعة قد جلس كل واحد منهم على منكبي صاحبه امر الاعلا منهم ان يقوم قايما
ويطرح حبله على الجدار فلما قام الاول قام الثاني ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس ثم السادس
وكل واحد منهم قد طرح حبله على الجدار ثم قام دامس اخرهم واذا الاعلا قد وصل الى شرافات
السور وتعلق بها ثم استوى على السور ونظر داخله ونظر الى حارس ذلك البرج نايما
وهو ثمل من الخمر فاخذ بيديه ورجليه فرما به من اعلا البرج الى اسفله فلما وصل قطعة
المسلمون قطعا واصاب صاحبان له وهما نيام فذبحهما بخنجره والقاهما الى اصحابه ثم القى

فتح قلعة حلب

عمامته الى صاحبه الذي كان قايما على منكبه فتعلق بها وجبذه اليه فحصل معه على السور
وجعلا يفعلان كذلك باصحابهما الى ان مضى الامر الى دامس فدلوا عمايمهم وتعاونوا
عليه حتى صار معظمهم على السور ثم قال انبطحوا على ممشى السور ولا يتحرك احد منكم حتى اعرف
لكم خبر القوم ثم اقبل متسترا على وسط القلعة واذا هو بسادتهم وروسايهم جلوس في
مجلس لهم وبين ايديهم بواطي الذهب والفضة وبوقنا جالس في وسطهم على بساط من
الديباج الاحمر منسوج بالذهب وعليه بدنة من اللولو الرطب معتصب بعصابة من الجوهر
والقوم ياكلون ويشربون والمسك يذر عليهم فاقبل دامس على اصحابه وقال اعلموا ان القوم
خلو عظيم وان نحن هجمنا عليهم لم نامن الغلبة من كثرتهم ولكنا نذرهم في اكلهم وشربهم
واذا كان وقت السحر هجمنا عليهم مستبوقنا فان ظفرنا بهم واذلهم الله على ايدينا فهو الذي نريد
وان كان غير ذلك كان قريبا من الصباح ولا شك ان الرجلين قد اعلما الامير ابا عبيدة بامرنا
فيبعث لنا خيلا ورجلا فقالوا اما نخالف لك امرا وقد حصلنا في قلعة هولاء الاعلاج
وليس والله نجينا الا شدة العزم والحزم فلما سمع ذلك منهم قال على رسلكم فلعلي اقتل
البواب قال وكان للقلعة بابان بينهما دهليز يغلق البابان من داخله والرجالة
هنالك بالعدد والسلاح كل ليلة تبيت ثلثة بالنوبة فلما اقبل دامس الى الباب
اصابه مغلقا من داخله فعظم ذلك عليه ثم قصد الى ركن الباب فاقتلع منه حجرا
عظيما ودخل من موضع الحجر فاذا هو بالقوم رقود فعاجلهم بالذبح ثم فتح البابين
اللذين احدهما الى داخل القلعة والاخر الى خارجها ثم نزل الى البابين مردودين وخرج راجعا

الى اصحابه

الى اصحابه وقد صار يخبر اقفال الاصحابه باقتحام العرب الاوائل قد فتحت لكم الباب
وقتلت من كان هنالك من الرجال فدونكم والباب فاستبقوا اليه وخذوا عليهم فان
القوم حصيد اسيافكم ان شا الله وطعمة خناجركم فقام القوم واخترطوا اسيافهم
وتنكبوا احجفهم وجعلوا الجفون اشخاصهم ويكتمون امرهم فلما وصلوا الى باب القلعة
باجمعهم واخذ كل واحد منهم مكانه نذرت بهم الروم ووقع الصايح وقصدتهم الابطال
وجاتهم الاقيال وصاحت الروم واماه كيف تمت هذه الحيلة علينا وصرخ بهم
بوقنا من كل جانب واختلطت الروم القواضب قال وعلا التكبير من اصحاب ابي عبيدة
رضي الله عنهم قال ابن اوس لقد قاتلت الرجال وقابلت الاقيال فلم ار
وكثر اقيادا ولا اشد باسا ولا اقوى مراسا ذلك اليوم من دامس ولقد عددنا في بدنه
بعد انفصال الناس من الوقعة ثلثة وسبعين ضربة فبينما نحن في اشد القتال واعظم
الحرب وقد جرحت رجالنا واشرفنا على الهلاك وكلنا يحامي عن بعضنا بعضا وايقنا
انا هلكنا كبدا واحدة ونحن يومئذ ثمانية وعشرون رجلا فقتل منا اوس بن عامر
المخزومي وابو ماجد بن سراقة الحميري والقارع بن المسيب وضرار بن مرداد العنوي
والربيع بن جابر وهلال بن يعرب وامية بن فادح الدارمي والاسود بن ملاهب الحضرمي
وكان ممن شهد الحديبية وتبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي
ولقد حدثني نوفل بن سالم عن جده عويلم وكان ممن حصل مع دامس في قلعة حلب قال
قال لي نوفل عن جده يحدثه قال لما قتل منا ثمانية من اصحابنا وبقي منا عشرون رجلا وتكاثرت

الروم علينا في ازيد من اربعة الاف لابس ونحن ايس ما كنا اذا اشرف علينا خالد بن الوليد
رضي الله عنه في الف فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان الامير ابا عبيدة
رضي الله عنه كان قلقا علينا متشوقا الى اخبارنا وكان قد التقى خالدا بالقرب منا فاول
من لقيه الرجلان فعرفاه صعودنا الى القلعة فاقبل الينا مسرعا فوجدنا في القتال
الشديد فلما وقع الصايح بقدوم خالد بن الوليد رضي الله عنه نصايحت الروم وانجلوا
عنا وصعدوا اعلى السور ونشرفوا على الخيل التي فيها خالد قال اوس فلما سمعنا
تكبير المسلمين قويت قلوبنا واشتد باسنا على قتال عدونا وضربناهم ضربا وثيقا وصعد
الينا خلق كثير من المسلمين فلما نظرت الروم الى ذلك علموا انه لا طاقة لهم بنا فالقوا
سلاحهم وصاحوا الغوث الغوث ثم كفوا انفسهم فكف المسلمون عنهم القتال فبينما
هم كذلك اذا اشرف عليهم ابو عبيدة في فرسان المسلمين فاخبروه جماعة ان الروم يطلبوا
الامان وان الناس قد دفعوا السيف عنهم الى ان يأتي فترى رايك فيهم فقال ابو عبيدة
وفقوا وارشدوا ثم امر باحضارهم جميعا ونسايهم واعرض عليهم الاسلام فكان اول من
اجاب الى الاسلام يوقنا رضي الله عنه وجماعة من ساداتهم فرد عليهم اموالهم واهاليهم
ثم استبقا منهم اكثر وفلاحين فمن عليهم وعفا عنهم واخذ عليهم العهود والمواثيق
ان لا يعرضوا لاحد من المسلمين الاخبر ثم اطلق شيوخهم وعجايزهم فانطلقوا يؤمون
الدروب واخرج المسلمون من القلعة من الذهب والفضة واواني الذهب والفضة ما لا يقع
عليه عدد فاخرج منه الخمس وفرق الباقي على المسلمين قال واخذ الناس في حديث دامس وحيلته

وعجايبه

وعجايبه وعالجوا اجراحاته واقاموا في موضعهم ذلك حتى برى دامس ومن كان قد جرح معه
ثم ان ابا عبيدة دعا المسلمين اليه وشاورهم وقال ان الله قد فتح هذه القلعة فلله الحمد والمنة
وما بقي لنا موضع نقصده الا انطاكية فهي دار ملكهم وكرسي عزهم وفيها البقية ملوكهم
مع الملك هرقل فما ترون من الراي الرشيد فقام اليه يوقنا وقال بلسان عربي مبين
ايها الامير ان الله قد ايدكم ونصركم وظفركم بعدوكم وما ذاك الا ان دينكم الحق وهو الدين
القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهود في الانجيل وهو لا محالة الذي بشر به المسيح
عيسى بن مريم لا شك فيه ولا مرية وهو الفارق الذي يفرق بين الحق والباطل وهو النبي
اليتيم الذي يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه افهل كان ذلك قال ابو عبيدة نعم هو والله
نبينا والان يا يوقنا قد حرت في امرك بالامس تقاتلنا وتكبس عسكرنا وتقطع الطريق على
علافتنا ثم تقول الان هذه المقالة ولقد بلغني عنك انك كنت لا تفهم بالعربية شيا
فمن اين لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله العجب من هذا ايها الامير قال
نعم فقال يوقنا اني كنت البارحة متفكرا في امركم وكيف نصرتم علينا وانكم امة
اضعف منكم عند نا فنمت فرايت شخصا الصا من القمر فسالت عنه فقيل هذا محمد صلى
الله عليه وسلم فكاني اقول ان كان نبيا حقا فليسال ربه ان يعلمني العربية فكانه يشير
الي فاستيقضت وانا اتكلم بالعربية ثم قمت الى منزل اخي يوحنا وفتحت خزانة كتبه
فطالعت فيها فوجدت في بعض كتبه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من امره وان
ابغض الناس اليه اليهود الا ان ذلك قال ابو عبيدة نعم كانت اليهود تطلبه اشد الطلب حتى

نصر عليهم واخذ حصونهم وقتل ابطالهم فقال يوقنا ووجدت في سيرته وجميل
صفاته واخباره ان الله كان يوصيه على اصحابه وعلى من اتبعه وكان يعينه على المسكين
واليتيم اكان ذلك قال ابو عبيدة نعم اما وصيته له على اصحابه فقد قال له واخفض
جناحك للمؤمنين وقال له في حق المسكين واليتيم الم يجدك يتيما فاوى ووجدك لمن اتبعك من م
ضالا فهدى ووجدك عايلا فاغنى فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا تنهر فقال
يوقنا وكيف يصفه بالضلال وهو عنده معظم فقال ابو عبيدة رضي الله
عنه معناه ووجدك ضالا في تيه محبتنا فهديناك الى مشاهدتنا وايضا سهل لك
الوصول الى منازل المكاشفة ووفقك للوقوف في مقام المشاهدة وايضا وجدك
ضالا في بحار الطلب على مراكب الطرب فاواك الى سواحل الحق وقربك الى ظل حقايق
الصدق اما علمت يا عبد الله انه لا كنز عند المومن اوفا من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا
حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العقل ولا رفيق اشوم من الجهل ولا شرف اعز
من التقوى ولا كرم اوفر من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلا من
الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دوا الين من الرفق ولا دا اوجع من الخوف ولا
رسول اعدل من الحق ولا دليل اوضح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنا اشقا
من الجمع ولا حياة اطمع من العافية ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع
ولا زهد اخير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غايب اقرب من الموت فلما سمع
يوقنا هذا الكلام من ابي عبيدة تهلل وجهه وقال هكذا والله قرات البارحة في كتاب

كان لاخي

كان لاخي يوحنا وبذكر انها وجدت على حاشية التوراة وفي انجيل مرقس والان قد
رسخ دينكم في قلبي وعلمت انه الحق وساقاتل اعداكم وامحو اما سلف فقال ابو عبيدة
يا عبد الله دلنا الى ابن نسطير فقال يوقنا اعلم ايها الامير ان حصن اعزاز حصن مانع قوي
بالرجال والعدد والزاد وعليه ابن عم لي اسمه دادريس بن حرقياس وهو ذو شدة
وباس وقوة ومراس وان انتم تركتموه ومضيتم الى ناحية اخرى او الى انطاكية غار على
حلب وقنسرين واذاقهم شرا قال ابو عبيدة يا عبد الله فكيف الحيلة عليه فقال يوقنا
ايها الامير اني قد دبرت حيلة وارجو من الله تعالى ان يتمها فقال ابو عبيدة قل يا عبد الله
انطق الله لسانك بالصواب فقال يوقنا قد رايت من الراي ان اركب جوادي وتضم الي
مائة فارس من المسلمين وتلبس عليهم زي الروم ولباسهم وانقدم لهم ثم تنفذ اميرا من
العرب معه الف فارس على اخفاف الخيل وانا في المقدمة مع المايه فارس على مسيرة فرسخ كانا
هاربين منكم والاخر في طلبنا فاذا اشرفنا على اعزاز يلتقي العيون فاذا نظر الينا صاحبها
دادريس لا بد ان ينزل الينا ويتلقانا فان سالني اخبرته اني اسلمت زورا ثم هربت وقد
خرجت العرب في طلبي فانه اذا سمع ذلك صعد بنا الى القلعة وليكن صاحبك مكمن
بالقرب منا في قرية اسمها [illegible] فاذا كان نصف الليل ثرنا في وسط الحصن ووضعنا السيف
في اعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر لحقنا صاحبك بمن معه فلما سمع ابو عبيدة ذلك
استشار خالدا ومعاذا رضي الله عنهما في ذلك فقالا له يا امين الامة انه راي سديد
ان لم يغدر هذا الرجل ويرجع الى دينه فقال ابو عبيدة ان نيتك لسليم صادق فقال يوقنا

والله اني ما رجعت عن ديني الى دينكم الا وقد ذهب ما كنت اعظم من الصور
والصلبان وما بقي في قلبي الا محبة دين الله عز وجل الذي لا اله الا هو ومحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي رايته وعاينته فان كنتم ممن يطمع في ظننا فلا تتركوني لما ذكرت
فقال ابو عبيدة يا عبد الله ان انت نصحت المسلمين ولم تغدر بهم كان الله لك معينا
في كل ما تحاوله فاتبع الصدق وتجوابه فان ديننا ما بني الا على الصدق فعليك باتباع
سنة اخوانك المسلمين وما يعتمد عليه المومنون واعلم ان المومن الصادق قوته
ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه اينما وقد فلا يحزنك ما نزلت من ملكك وزينتك
رحمك وان الذي تركت فان والذي انت تطلبه باق لان نعيم الدنيا يفنا ونعيم الاخرة
خير وابقا واعلم انك في يومك هذا عاري من الذنوب كيوم ولدتك امك لان التوبة
تجب ما قبلها كذلك الايمان يجب ما قبله واعلم ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر
والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرة والقران حديثه والرب انيسه والذكر
رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحيا شعاره والجوع ادمه والحكمة كلامه والتراب
فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله
والعبادة حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا ان المسيح عليه السلام قال عجبت لثلثة
غافل وليس بمغفول عنه ومومل دنيا والموت يطلبه وبان قصرا والقبر مسكنه وقد
قال نبينا عليه الصلاة والسلام من اعطى اربعة اعطى اربعة وتفسير ذلك من كتاب الله
عز وجل من اعطى الذكر ذكره الله لان الله عز وجل يقول اذكروني اذكركم ومن اعطى الدعا

اعطى الاجابه

اعطى الاجابه لان الله عز وجل يقول ادعوني استجب لكم ومن اعطى الشكر اعطى الزيادة
لان الله عز وجل يقول ولين شكرتم لازيدنكم ومن اعطى الاستغفار اعطى المغفرة
لان الله عز وجل يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا قال حدثنا عامر
ابن قبيصة اليشكري قال اخبرنا يونس بن عبد الاعلى قراة عليه قال حدثنا شهر
ابن حوشب عن جده عامر بن اوس قال كنت فيمن شهد فتوح الشام وحضرت قنسرين
وحلب مع ابي عبيدة رضي الله عنه ولقد كنت اما اصحب الروم الذين دخلوا في ديننا فلم
ار فيهم اشد اجتهادا ولا اخلص نية ولا ابلغ في الجهاد ولا اعظم في قتال الروم من
يوقنا رحمه الله والله لقد نصح المسلمين وجاهد في المشركين وارضا رب العالمين ولقد فعل
في الروم ما لم يفعله احد من ابنا جنسه قال الواقدي ولما وعظ ابو عبيدة
ليوقنا وفرغ من ذلك ضم اليه مائة رجل من المسلمين والبسهم زي الروم قال وكل عشرة
من قبيلة قال والقبايل طي ولهد وخزاعة وشنبس ونمير والحضارمة
وحمير وباهله وتميم ومراد وترك على كل عشرة نقيبا فاما نقيب طي
فخزعل بن عاصم وعلى لهد من بن مزاحم وعلى خزاعة سالم بن عدي وعلى شنبس
مسرور بن سنان وعلى نمير اسيد بن دارم وعلى الحضارمة ماجد بن عمير
وعلى حمير ملكهم ذو الكلاع وعلى باهلة شبيب بن فادح وعلى تميم سعيد بن جبير
وعلى مراد ملك بن عياض قال فلما رتب ابو عبيدة هذا الترتيب قال اعلموا
رحمكم الله اني مرسلكم مع هذا العبد الذي وهب نفسه لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم

وكل طايفة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له واطيعوا امادام في مرضاة
الله عز وجل قال فلبسوا وركبوا وسار يوقنا على المقدمة وعليه زيه فلما بعد بفرسخ
بعث ابو عبيدة ملك بن الحارث الاشتر النخعي وضم اليه الف فارس من قومه وقال
يا ابن الحارث سر في اثر هذا العبد وانظر ما يؤول من امره فاذا قربت من اعزاز اكمن
الى وقت السحر ثم تظاهر لاخوانك سر وفقك الله وارشدك قال فسار ملك
ابن الحرث على مقدمة الالف وسار والبقية يومهم اجمع وقد جن عليهم الليل وهم
في قرية صر فوجدوها خالية من السكان فكمنوا هنالك واما ما كان من يوقنا فانه اخذ
على غير طريق الجادة وسار مع المائة طالبا اعزاز قال الواقدي ولقد حدثني
السري بن مازن عن جده خزعل بن عاصم قال كنت في خيل يوقنا لما وجهنا ابو عبيدة
رضي الله عنه الى اعزاز قال لما اشرفنا على اعزاز اقبل علينا يوقنا وقال يا فتيان
العرب قد سارفنا بلد العدو فاياكم ان يتكلم احد منكم فان لغتكم لا تخفى على الروم واذا
رايتموني قد بطشت بصاحب هذه البلدة فثوروا على اسم الله تعالى قال وسار يوقنا
وليس عنده خبر من موارد القدر قال حدثني سليم بن عبد الله اليشكري
قال حدثني نعيم بن عبد الرحمن المدني وكان من كتب فتوح الشام قال اخبرني الاكوع بن
عباد المازني قال كنت مع ملك بن الحارث في خيله الالف فارس حين سرنا في اثر يوقنا
حتى اذا اقبلنا القرية منتظرين الصباح واذا بخيل يجتبر من ورائنا قال فرابنا ما لنا
وقد سلك عنا وقصد الحصن فغاب عنه بعيد وعاد ومعه رجل من العرب وقد اقبل

به بين يديه

به بين يديه فلما توسط به الكمين قال يا فتيان العرب اسمعوا ما يقول هذا الرجل
فقالوا وما الذي يقول قال اسالوه فانه يخبركم فسالوه وقالوا له من اي الناس
انت قال من غسان من بني عم جبلة بن الايهم فقال له ملك وما اسمك قال
اسمي طارق بن سنان فقال يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا امرا تعرفه من اعدائنا
فقال والله لا اكتمكم امرا اعرفه ولكن خذوا على انفسكم قبل قدوم عدوكم فقال له
ملك وكيف ذلك فقال لانكم جئتم تريدون خديعة عدوكم وقد مكر بكم فقال
له مالك وكيف ذلك قال لان البارحة ورد عليه جاسوس من عندكم وهو عصمة بن
عرفطة التيمي وقد كان يسمع منا ما تناجيتم به من الحيلة التي دبرها يوقنا على صاحب اعزاز
فلما سمع الجاسوس منكم ذلك كتب رقعة وربطها في ذنب حمامة كانت عنده في ظاهر
عسكركم وارسله الى صاحب اعزاز اليوم قبل صلاة ظهركم فلما قراه بعثني الى صاحب
الراوندان وهو لوقا بن شامس يستنجده عليكم وقد مضيت اليه بالرسالة وقد قدم
في خمس مائة فارس وكانكم به وقد وصل اليكم فتاهبوا له قال الواقدي
واما ما كان من يوقنا فانه سار حتى ورد حصن اعزاز فوجد صاحبها ادريس قد اخذ
على نفسه وحصن قلعته وحذر رجاله والبسهم وصفهم خارج الحصن وكان اللعين
بركب في ثلثه الاف فارس من الروم وفي الف من العرب المتنصرة سوى من جاء اليه من
اهل سواد بلده فلما قدم يوقنا لم يوهمه شي من امره بل استقبله وترجل له واقبل
اليه كانه يقبل ركابه وفي يده سكين امضى من القضا فقطع بها حزام السرج ثم نتر يوقنا

نتن واذا به علي ام راسه واطبقت الاربعة الالف فارس والرجاله علي اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمهلوهم حتى اخذوهم قبضا بالكف وشدوهم
بالوثاق وبصق دادرس في وجه يوقنا وقال لقد غضب عليك المسيح اذ فارقت دينه
ورجعت مع اعدايه وحق المسيح لابد ان ابعث بك الى الملك الرحيم فيصلبك على
باب انطاكية بعد ان اضرب رقاب هولاء العرب ثم صعد بهم الى قلعته قال
الراوي ومن خيرة الله تعالى للمسلمين ان الجاسوس لم يكن في مطالعته لصاحب اعزاز
بمسير ملك النخعي في الالف فارس واما ما كان من ملك الاشتر فانه لما سمع قول المتنصر
طارق اخذ على نفسه هو واصحابه واستوثقوا من المتنصر واقاموا ينتظرون صاحب
الراوندان فلما مضى من الليل هزيع سمعوا قعقعة اللجم فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا
الكمين فعند ذلك اطبقوا عليهم وصار كل اثنين على فارس من الروم فاخذوهم قبضا
باليد ثم اوثقوهم واخذوا البابهم فلبسوها ورفعوا راياتهم وصلبانهم والتفت ملك
الاشتر الى المتنصر وقال له يا هذا هل لك ان ترجع الى دين الله عز وجل ودين نبيه صلى الله
عليه وسلم فيمحا عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتصبح لنا من جملة الاخوان فقال
والله ان قلبي في دينكم وعندكم وانا كنت اول من اسلم على يد عمر رضي الله عنه مع ملكنا
جبلة بن الايهم وقد سمعنا عن محمد صلى الله عليه وسلم انه قال من بدل منكم دينه فاقتلوه
فقال له ملك النخعي لقد صدقت في قولك ولكن نسخ هذا الخبر بقول الله عز وجل
الا من تاب وامن ولقد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشي قاتل عمه حمزة رضي الله عنه

وانزلت فيه

وانزلت فيه ايات فلما سمع الغساني ذلك قال انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فلما اسلم قال له ملك النخعي قبل الله توبتك وثبت ايمانك ثم قال يا عبد الله
انا نريد منك الان ان تذهب الى صاحب اعزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندان
الى نصرته فقال سافعل ذلك وان كنت في شك من امري فنفذ معي رجلا يسمع كلامي
قال والليل قد انتصف والحرس شديد وابواب القلعة مغلقة وانا احاطهم من شفير
الخندق قال فنفذ معه ملك بن عمه راشد بن مغيث ووصاه ان يكون مستيقظا
وسارا اجتمعا الى اعزاز فوجدا الحرس شديدا والروم تضرب بقرونها وبوقاتها والصوت
عال في وسط القلعة فقال طارق لراشد بن عم ملك اما وحق ابي ما هذا الا صوت
قتال وحرب ثم نصتا واذا الامر على ما قال طارق بن شيبان وكان الاصل في ذلك
ابنا لصاحب اعزاز وكان اسمه لوقا وكان ابوه دادرس يبعثه في كل وقت الى يوقنا بالهدايا
والتحف وكان يقيم عند يوقنا في القلعة الشهر والاثنين وانه حضر عنده في عيد
الصليب مرة في البيعة وكان قد راى ابنة يوقنا في جواريها وخدامها فوقعت بقلبه واحبها
حبا شديدا وكتم امره حتى عاد الى اعزاز وشكا حاله الى امه فقالت انا اخاطب
اباك في ذلك وامره ان يبعث الى صاحب حلب يزوجك بابنته فاشتغلت قلوبهم
بمسير المسلمين الى قنسرين وحلب فلما قدم يوقنا وكان من امره ما كان وقبض عليه
ابن عمه دادرس وعلى الماية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقاهم في دار ولده
ووصاه عليهم فقال الغلام وحق ديني ان هذا البطريق يوقنا اعلم من ابي بالاديان ○

ولولا انه راى الحق مع هولاء العرب لما اتبعهم وايضا ان جيوش الملك ما قامت بهم
وان الله قد نصرهم على ضعفهم وقلبي متعلق بابنته واني ارى من الراي الرشيد ان احل
هولاء القوم من الوثاق وارجع الى دينهم فهو الحق وانال بذلك الفوز والمنا واتزوج بابنته
فلما حدثته نفسه بذلك اقبل الى يوقنا وجلس بين يديه وقال يا عم اني عولت على اني
احلك من وثاقك واحل اصحابك هولاء وقد اخترتكم عن ابي واهلي وملكي وانت تعلم
ان فراق الاهل صعب ولكن الايمان اوقع من الكفر وقد علمت ان دين هولاء
القوم هو الدين الصحيح ولكن على شرط تزوجني بابنتك والمهر الذي تاخذ مني هو عتقك
وعتق اصحابك فقال يوقنا يا بني ان كنت معولا على الاسلام فلا يكون لاجل غرض من اغراض
الدنيا ولكن لله خالصا فعسى ان الله يثيبك على ما تفعله وانا ان شا الله ابلغك ما تريد
وتنال عز الدنيا والاخرة فقال لوقا انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله ثم حل يوقنا واصحابه من الشد وناولهم سلاحهم وقال ثوروا على اسم الله وها انا
امضي الى عند ابي فانه قد نام وهو ثمل من الخمر فاقتله في رضى الله ثم اسرع الى دار امارة
ابيه فوجد اباه بلا راس ووجد امه واخوانه عنده فقال من فعل هذا بابي فقالوا
لم نخبر فقال ولم ذلك فقالوا اردنا بذلك وجه الله سبحانه وتعالى وقد سمعناك وما
تحدثت به مع يوقنا واصحابه فخفنا عليك ان لا يتم لك ما تريد ويبلغ خبرك لابيك
فيقتلك فبطشنا به قبلك ففرح لوقا بذلك ورجع الى يوقنا واصحابه واعلمهم بما
جرى فرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا

السيف

فتح حصن اعزاز

السيف في الروم ووقع الصايح في الحصن وتبادرت الروم تقاتل قتال الحريم قال
وفي تلك الساعة قدم طارق بن شيبان وابن عم ملك الاشتر فلما انتصتا وتحققا
امر القتال عادا الى ملك وحدثاه بما سمعا في اعزاز فقال لاصحابه اركضوا الخيل
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فركضوا الخيل الى ان وردوا باب اعزاز ولحقهم
بهم الغلام لاون بن دادرس فامر غلمانه ان يفتحوا باب الحصن ففعلوا ذلك بعد ان قال
لهم هذا صاحب الاوبدان قد اقبل لنصرتنا فلما حصل ملك في القلعة وهي قلعة اعزاز
ومن معه اعلنوا بالتهليل والتكبير ونظر اهل اعزاز الى ما حل بهم وانهم هلكى لا محالة
رموا السلاح وصاحوا الغوث الغوث فرفع ملك عنهم السيف واخذ جميع ما في
الحصن والاسرى وشكر يوقنا ولمن كان معه فقال اشكر الله وهذا الغلام ثم حدثه
بامره فقال ملك النخعي اذا اراد الله امرا بلغه وهيا اسبابه قال حدثنا
الواقدي عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير قال سالت ابا لبابة بن المنذر
وكان ممن حضر فتوح اعزاز كيف كان سبب قتل دادرس فانبئنا بهذا الحديث
وادريه صحة فقال لما وضعت الحرب اوزارها وضم ملك النخعي الاسرى والغنايم من
المال والاثاث وامر باخراج ذلك كله الى ظاهر اعزاز ووكل به قيس بن سعد وكان
ممن حضر اليرموك واصابته فيه سهم فعوره فلما لم يبق احد باعزاز قام ملك يمشي في الحصن
ويتفقد فراى دادرس مقتولا فقال مالك من قتل هذا قال لاون قتله
اخي لوقا وهو ابن مني سنا فامر مالك باحضاره فاحضر وقال له لم قتلته وهو ابوك وما

سمعنا ان ولدا قتل اباه من الروم فقال حملني على ذلك محبة دينكم وذلك ان في بيعة
هذا الحصن قسا من المعمرين كان يقرأ عليه الانجيل واني في بعض الايام عنده في
البيعة وليس عنده غيري فقلت له يا ابانا الا ترى الى الشام كيف استولت عليه العرب
وملكوا الشام وهزموا جيوش الملك هرقل وما كنا نظن ان العرب تقدر على هذا
لانه ليس في الامم اضعف منهم وان الله قد نصرهم على ضعفهم فهل قرات ذلك في كتب
الروم وملاحم اليونان فقال نعم قراناه ذلك ولقد اخبرنا الملك هرقل بذلك قبل
وقوع هذا الامر وقد جمع اليه الملوك والاساقفة والبطارقة واخبرهم ان العرب لا
بد لهم ان تملك ما تحت سريري وقد بلغنا عن نبي القوم انه قال زويت لي الارض
فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فقلت له يا ابانا
ما تقول في نبي القوم فقال لي يا بني في كتبنا ان الله يبعث نبيا من الحجاز وقد بشر
به المسيح ولا ندري اهو هذا ام لا فعلمت انه يكتم عني الامر مخافة ان اذيعه عنه فكتمت
الامر الى البارحة فلما رايت يوقنا واصحابه اسرى قلت هذا يوقنا قد قتل اخيه
يوحنا وعاند العرب وقاتلهم ثم رجع الى دينهم وما ذلك الا انه علم الحق مع هولاء العرب
فقلت اقتل ابي واخلص يوقنا ومن معه وارجع الى دينهم فهو الحق لا شك فيه فلما نام ابي وهو
ثمل من الخمر قتلته وسرت الى خلاص يوقنا ومن معه فوجدت اخي لاون قد سبقني الى
ذلك فقال له ملك النخعي يا غلام لم فعلت ذلك قال محبة لدينكم ولنبيكم وانا اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال ملك فعلك الله ووفقك

ثم خرج

ثم خرج ملك من الحصن وولاه لسعد بن عمرو الغنوي وترك معه المائة الذين كانوا مع يوقنا
قال الواقدي حدثني عبد الملك بن محمد عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد
الواحد بن ابي عون عن موسى بن عمران اليشكري عن حميد الطويل هكذا حدثني عبد الله
ابن قرط الازدي ان اعزاز كان فتحها هكذي والذي ذكر ان المراة وبناتها قتلوا ادادرس
لم يصح ذلك ثم ان ملك النخعي بعد ان ولى على اعزاز سعد بن عمرو اراد ان يرحل الى
الى حلب بما معه من الغنائم ثم اعرض سبي اعزاز فكان الف رجل من شباب الروم و
ومائتان وخمسة واربعون رجلا من الشيوخ والرهبان والف امراة قال ونظر ملك
الى شيخ من الرهبان مليح الشيبة واضح الهيبة فقال ان صدقني حزري فهذا القس الذي
حدثني عنه لوقا اخو لاون ثم دعا به وقال اهذا الذي حدثتني بحديثه قال نعم فقال له
يا هذا ان كنت من علماء اهل دينك فكيف تكتم الحق فقال والله ما كتمته عن مستحقه
ولكني خفت من الروم ان يقتلوني لان الحق ثقيل فقال ملك ارجع الى ديننا فقال
القس لست ارجع الى دينكم الا ان سالتكم عن مسايل وجدتها في الانجيل الجليل لوقا فقال
له مالك الاشتر هات مسايلك لاسمعها قال فلما اراد القس ان يتكلم وقع الصايح
من اعلا القلعة فارتاع المسلمون لذلك ووثب مالك الاشتر لينظر ما بالمسلمين واذا ان
الروم قد غدرت بهم واذا الجماعة من المسلمين يقولون خذوا على انفسكم فانا نرى غبرة
على طريق منبج ونواحيه ولا ندري ما تحتها قال فركب مالك ومن معه واقبلوا ينظرون نحو
الغبرة واذا بالغبرة قد انجلت وخرج من تحتها خيول المسلمين وامامهم الشبابا والاهوال

وهم في الف فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمهم الفضل بن العباس
رضي الله عنهما وقد بعثه ابو عبيدة حتى غار على منبج وجسرها وبزاعة ورستاقها فوقع
التهليل من الفئتين وسلم ملك على الفضل بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
بعضهم على بعض وسال الفضل الملك عن قصته فحدثه بان الله تعالى قد فتح اعزاز واذل من
فيها وحدثه بما كان من حديث المسلمين ويوقنا وما منعني عن الرحيل الى حلب الا هذا
القس وسواله فقال الفضل ايها القس قل ما انت قايل فقال اخبرني اي شي
خلق الله من مخلوقاته قبل السموات والارض فقال له الفضل اول ما خلق الله اللوح المحفوظ
والقلم ويقال العرش والكرسي ويقال الوقت والزمان ويقال العدد والحساب ويقال
خلق اولا جوهرة فصيرها ماء ثم خلق منه العرش لقوله عز وجل وكان عرشه على الماء ويقال
خلق اولا العقل لانه اراد ان ينتفع الخلق بعقله وانه نظر الى الما نظرة فارتفع منه دخان
فخلق منه السماء ثم خلق من زبده الارض وقيل اول ما خلق الله نورا وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار
به فانكرت الظلمة واقر النور فخلق الجنة من النور لرضايه عنه والنار من الظلمة لسخطه
عليها وخلق ارواح السعدا من النور وارواح الاشقيا من الظلمة لاجل ذلك يرجع كل
واحد منهما الى مستقره ويقال اول ما خلق الله نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت
ومالت فصيرها الفا فجعلها مبتدى كتابا فسبحان من الف كتابه من نقطة وخلق خلقه من
نطفة ثم يميتهم بقبضة ثم يحييهم بنفخة قال فلما سمع قس اعزاز ذلك من كلام الفضل قال
اشهد ان هذا هو العلم الذي استاثر به انبياءه وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

واشهد ان محمدا

واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال فلما نظر اهل اعزاز الى قسيسهم قد اسلم اسلموا عن اخرهم
الا القليل قال الواقدي حدثني عامر بن يحيى عن اسيد بن مسلم عن دارم
ابن عياش عن جده قال لما اسلم اهل اعزاز باسلام قسيسهم عول الفضل وملكه على المسير
الى حلب فقال يوقنا اما والله مالي وجه اقابل به المسلمين لاني كنت قلت قولا ودبرت
حيلة فلم تتم على اعدا الله واني معول بالمسير الى انطاكية فلعل الله تعالى ينصرني ويظفرني بالاعداء
فقال له الفضل ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شي فلا
تحمل على قلبك فقال والله الذي انا على دينه لا رجعت الا بامر يبيض الله به وجهي عند المسلمين
ثم نظر الى ما بين من بني عمه واهل بيته ممن رسخ الاسلام في قلوبهم قد تبعوا الفضل فاخذهم
يوقنا وسار بهم يريد انطاكية فلما كان من الليل سار بهم يوقنا فلما مضى ربع من الليل اخذ
اربعة من بني عمه وقال للباقين خذوا على غير هذه الطريق على طريق عم وارتاح كانكم قد هربتم
من العرب وامضي انا وهولاء الاربعة على هذه الطريق وهو الطريق القاصد الى حارم
ونجتمع بانطاكية ان شا الله تعالى قال ففعل القوم ذلك ولم يزل يسير بمن معه حتى وصلوا
دير سمعان المشرف على البحر الاسود فوجدوا اهناك خيلا ورجالا يحفظون الطرقات
فلما نظروا الى يوقنا ومن معه بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم فقال يوقنا انا
صاحب حلب وقد هربت من العرب فوكل به صاحب الحرس فرسانا من اصحابه وقال
اوقفوهم بين يدي الملك قال فاخذوهم واتوا بهم الى الملك فوجدوه في كنيسته
القسيان وهو يصلي فوقفوا حتى فرغ الملك من صلاته فاوقفوا يوقنا بين يديه فسجد

له يوقنا فقالوا له ان صاحب الحرس عند دير سمعان قد وجد بصولاي الى الملك وهذا بطريق
يزعم انه يوقنا صاحب حلب فلما سمع هرقل ذلك التفت اليه وقال انت يوقنا قال نعم
يا عظيم الروم ثم بكا فقال له ما الذي يبكيك وقد بلغني انك قد رجعت على دين العرب
فقال ايها الملك لقد بلغك الحق في ذلك ولكني لم اسلم الا لاكيد القوم واتخلص من
شرهم ومن كربه منظرهم ونتن روايحهم واني قلت لهم انا اسلم اعزاز اليكم واقتل
داذرس صاحبها واخذت منهم ماية سيد من ساداتهم وسرت بهم وامرت اميرهم
ان يبعث لي الفا منهم حتى اذا حصلت في اعزاز انصب عليهم واحصلهم في الحصن وانفذ
الكل اليك فعجل علينا داذرس ولم يدري ما اضمرنا ووثق بكلام جاسوسه فقبض علينا
ولما نصبت العرب على الحصن باعزاز ووضعوا السيف في اهلها فعند ذلك قتل لوقا
اباه وحمل العرب وحلني في الجملة فلما اشتغلوا اما وسعي في ديني الان اهرب اليك ولولا محبتي
في ديني ما كنت بالذي اقتل اخي يوحنا واصبر على قتال العرب وحصارهم سنة كاملة
قال واعانته البطارقة والملوك وقالوا صدق يوقنا وما فينا اخلص من قلبه وليس فينا
مثله فقال يوقنا ايها الملك سيظهر لك فعلي وعملي وجهادي قال فاهتز الملك من قوله
وخلع عليه ما كان يلبسه من زي المملكة وسواره ومنطقه وتوجه وقال ان كانت حلب قد
اخذ منك فاني اوليك على انطاكية فانت اسكندرها ودمستقها يعني شحنها وواليها اخذت
قال فبينما نريد الملك وداعاه فبينما هو كذلك واذا الموكل بجسر الحديد قد وجد اليه
يقول له ايها الملك انه قد قدم علينا ماية بطريق يزعمون انهم من حلب من بيت واحد

من الدوسية

من الدوسية من بني عم يوقنا وقد هربوا من العرب فلما سمع الملك ذلك قال ليوقنا
اركب ايها الدمستق واشرف على هولاء القوم فان كانوا بنو عمك فاهلا بهم فاضممهم
اليك وليكونوا في ركابك وان كان غير ذلك فاتني بهم لارى فيهم رايي واياك ان يكونوا
من قبل العرب ممن رجع على دينهم من اهل الرستن وحماه وحمص وجوسيه وبعلبك ودمشق
وحوران فقال يوقنا نعم ايها الملك ثم ركب وركبت معه الهرقلية والسرية اصحاب
السرير ووصلوا الى جسر الحديد فوقفوا هنالك وامر بالماية ان تعرض عليه فلما راهم
رحب بهم ونظروا اليه في حشمته وخلعة الملك عليه فترجلوا له ومشوا بين يديه وباسوا
ركابه فقال لهم كيف سلمتم من العرب وخلصتم من ايديهم فقالوا انا خرجنا مع اميرهم
واغرنا على منبج ورعاغة فلما رجعنا نريد حلب اخذنا طريقا على حصن اعزاز
فوجدناها قد ملكت فلما كان الليل هربنا قال وحجاب الملك يسمعون ذلك من
امرهم قال فامرهم يوقنا بالركوب فركبوا وسار بهم الى الملك فحدثه الحجاب بما سمعوا
فخلع عليهم الملك وانزلهم منازلهم واعطا يوقنا دارا بازاء قصره فقال يوقنا ايها
الملك انت تعلم ان هذه الدنيا لا يدوم نعيمها وان المسيح شبهها بالجيفة وطلابها
بمنزلة الكلاب يتجاذبونها كما روي ان المسيح راى طيرا حسنا مزينا بكل زينة
فنزع جلده فراه اقبح شي فقال من انت قال انا الدنيا ظاهري مليح وباطني قبيح وانما
ضربت لك هذا المثل ايها الملك لتعلم انه ما خلا جسد من حسد واذا اقبلت الدنيا
على احد كثر حساده واخاف من الحساد ان يتكلموا في عرضي ويرموني بما لا افعله من القبح

فان كان قلب الملك ينفر مني فليولي غيري هذا الامر ولست ابرح من ركاب الملك
فقال له هرقل ايها الدمستق ما وليتك هذا الامر الا وقلبي يثق بك ومن تكلم فيك
بشي سلمته اليك تفعل فيه ما اردت فباس يوقنا الارض بين يدي الملك واراد الخروج
الى خدمته التي ولي عليها واذا بخيل البريد قد اقبلت الى الملك من مرعش يذكرون انهم
رسل من ابنة الملك زيتونة وانها خايفة من العرب وهي تريد القدوم عليك لترى
ما يؤول من امرك وانها تسالك جيشا تسيره اليك قال فلما سمع الملك ذلك قال
ليس لها غير الدمستق يوقنا قال فباس يوقنا يد الملك وقال السمع والطاعة لامرك
قال وضم اليه الملك الفي فارس من المدبجة والقياصرة فسار يوقنا بالالفين ومايتان
من اصحابه وقد رفع صليب الملك على راسه وجنبوا بين يديه الجنايب وعليها الالباس
الحسنة وساروا وجدوا السير حتى وصلوا الى مرعش واخذ ابنة الملك زيتونة وهي
الصغرى وكان الملك قد ولاها على تلك الارض وزوجها بنسطور بن جارس وكانوا
يسمونه سيف النصرانية لشجاعته وكان قد مات على اليرموك من جراحات اصابته
قال الواقدي فلما اخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب بها انطاكية اخذ
طريقه على الجادة العظمى لعله يلتقي باحد من جواسيس المسلمين او باحد من المعاهدين
فيبعث معه الخبر الى ابي عبيدة وانه قد تمكن من انطاكية فلما كان في بعض الليالي وقد اشرف
بابنة الملك على مرج الديباج وذلك في نصف الليل واذا بخيول الروم قد حددت
اذانها واذا بالخيل التي على المقدمة اعني الطوالع قد عادت في سرعة البرق فقال

يوقنا ما وراكم

يوقنا ما وراكم فقالوا ايها الدمستق العظيم انا اشرفنا على وسط المرج ونظرنا واذا
بعسكر نازل فتجسسنا عليهم واذا هم عرب وهم نيام وخيولهم تاكل علافها ولسنا
نشك انهم من المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك قال لاصحابه خذوا على انفسكم وايقظوا خواطركم
وانجوا دينكم وجاهدوا عدوكم وقاتلوا عن حرمة الملك ولا تسلموها الاعدايه

اعدائكم

وكونوا خير جند قاتلوا عن نعمة صاحبهم واذا اشتبكت الحرب بيننا وبينهم فاعتمدوا
على الاسر واياكم القتل واعلموا ان العرب مع اميرها لا بد لهم من قصد الملك والمصاف
معه فان اسر منا احد كان لنا من يفاديه وقد وجد في كتاب فوجانس الحكيم من نظر
في عاقبة زمانه وشح بوشاح امانه ومن اهمل امره ضاق صدره ومن اكثر الغدر
حل به الامر سيروا على بركة المسيح وعونه قال فشرعوا الاسنة وارخوا
الاعنة وقصدوا من في المرج فلما احس بهم اهل الحرس ايقظوا اصحابهم وقالوا انا
نسمع قعقعة اللجم ودوي حوافر الخيل ولا ندري ممن القوم قال فاستيقظ القوم
وركبوا واستقبلوا يوقنا وصاحوا احنا ومريم من انتم ادجروا وانجزوا فلما سمع يوقنا
قولهم قال من انتم فقالوا نحن اصحاب الملك الرحيم هرقل ورجاله نحن عرب جبلة بن الايهم
الغساني سيد اليمن ومقدمنا ولده الهايم فلما سمع يوقنا ذلك ترجل اعطا ماله وسلم
عليه وسلمت الروم على المتنصرة وقال الهايم بن جبلة ليوقنا من اين طريقك قال
من مرعش وقد جيت بابنة الملك فمن اين جيتم انتم قال من البرية والعمق حملت
ميرة لاهلها فلما رجعت اريد الملك عبرت بمرج دابق فالتقيت بكتيبة من الفرسان

وهم زهي على مايتي فارس وهم بزينا فلما شارفناهم بدروا الينا بعزم جليد وحرب
شديد واذا مقدمهم لا يصطلا بناره فلقد ابادمنا رجالا وجدل ابطالا ونحن
في الف فارس فما كان بيننا الا كالنار في الحطب فما زلنا نكر عليهم ويكروا علينا
حتى اسرنا المايتي فارس بعد ان قتل الرجل منهم الفارس منا والفارس اعدادا وبقي
اميرهم الى اخر القوم فقصد نا جواده بالسهام فقتلناه فلما وقع هاجمناه فاخذناه
اسيرا واستخبرنا القوم واذا هم من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومقدمهم ضرار بن
الازور وها هو معنا نسير به الى الملك قال فاوى يوقنا الفرح وقال وحق ديني لقد
فزت بالفخر العميم يا بشرى يا سرك لهذا الغلام فلقد بلغني عنه ما فعل في ابطال الشام
وفرسان الروم ثم سار القوم يريدون انطاكية قال حدثنا الربيع بن
عاصم قال اخبرنا مروان بن قادم عن زايدة بن معمر قال واخبرنا بشار بن عوف عن
صالح بن عبد الله عن جده مسروق قال الواقدي وحدثني بهذا الحديث عباد بن
مازن عن عمران بن الحصين قال لما فتح المسلمون اعزاز وترك مالك النخعي عليها سعد
ابن عمرو والنقيا بالفضل بن العباس رضي الله عنهما ورجع المسلمون بالغنايم الى حلب
واستبشر ابو عبيدة بسلامة المسلمين وفتوح اعزاز وسال عن يوقنا فحدثه ملك في
السر بقصته وانه قد مضا الى انطاكية لينصب على كلب الروم ولم يكن له وجه يعود به
اليك فقال ابو عبيدة اللهم انصره وظفره ثم كتب الى امير المومنين عمر كتابا يقول فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة عامر بن الجراح الى امير المومنين عمر بن الخطاب سلام

عليك فاني

عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو واصلي على نبيه اما بعد فان لله علينا
منن يستوجب بها الحمد من جميع المسلمين اذ فتح علينا ما استصعب من قلاع
الكفار واذل لنا ملوكهم واورثنا ارضهم وديارهم وان الله سبحانه وتعالى قد فتح علينا
قلعة حلب واردفها باعزاز وان البطريق يوقنا قد اسلم وحسن اسلامه وقد رجع
عونا للمسلمين على الكافرين وقد كتبت لك هذا الكتاب ونحن معولون على المسير
الى انطاكية نقصد طاغية الروم فما بقي سواه خصما لاعداينا ونحن طامعون فيه
واخذ سرير الملك وكنوزه كما وعد نا نبينا صلى الله عليه وسلم فزودنا منك بالدعا
فانه سلاح المومنين ودمار الكافرين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله
وبركاته ثم استخرج الخمس وسلمه الى رباح بن غانم البشكري وضم اليه مايه فارس من
الانصار فيهم قتادة بن معمر وسلمة بن الاكوع وعدي بن بشار وجابر بن عبد الله ومثل
هولاء السادات رضي الله عنهم فاخذوا الخمس وساروا ثم ان ابا عبيدة دعا ضرار بن الازور
وضم اليه مايتي فارس وامره ان يقصد شمالي الشام ويشن الغارة على الروم فركب ضرار
ومن معه وسار معهم سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار يسير بمن
معه وقد قدم رجلا من المعاهدين يدلهم فلما وصل الى مرج دابق قال لهم المعاهدي علقوا
على خيولكم واستريحوا ساعة فان بلد العدو قريب منكم فاذا كان وقت السحر غرتم عليهم
قال فنزلوا هنالك وعلقوا على خيولهم وناموا فما شعروا الا والهايم بن جبلة قد كبسهم
فلما وقع الصايح ركب ضرار جواده ومعه مايه كانوا بالقرب منه واما المايه الاخرى فانهم

ما استيقظوا الا وقد داستهم الخيل بسنابكها ونفرت خيلهم وقت الصايح
فقاتلوا رجالة وما وصل اليهم عدوهم حتى قتل كل واحد منهم خصمه ثم استرداه
المايه واما ضرار فانه صاح باصحابه وقال يا فتيان العرب هولاء اعداوكم قد هاجموكم
على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه افضل الساعات عند الله تعالى فقدموا
عزمكم ولا تفشلوا فانتم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت ظلال
السيوف وقد قال الله تعالى كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
قال تميم بن عامر وكان في جملة من حضر معنا في يوم مرج دابق ربيعة بن ابي عوف وهو الشاعر
وكان ربيعة من افصح العرب وكان اذا تكلم على البديهة يحير سامعه من حسن ما يتكلم به وكان
يصغي الى سجعه ويحفظه عنه فلما سمع ضرارا وهو يحرضنا برز من اوساطنا وقال يا
فتيان ربيعة ومضر هذا يوم له ما بعده . وقد عاينتم قربه وبعده ولن تنال الجنة
الا بالصبر على المكاره وتالله لا يدخلها من هو في الجهاد كاره ولله في عرض السموات
والارض جنة ولكنها محفوفة بالمكاره واعلا الدرجات درجة الشهادة فارضوا عالم
الغيب والشهادة فهذا الجهاد قد قام على ساقه وبدا النفاق في اسواقه واختفا
نفاقه في انفاقه اما انتم اصحاب نبي العصر اقتبستم من الثبات والنصر بشروا
روح المصطفى بثباتكم وقدموا العزم بصفايا نياتكم واياكم تولون الادبار ٥
فتستوجبون غضب الجبار واعلموا ان الصبر والثبات جندان منصوران فمن طلب
دار البقا هان عليه اليوم ما يلقاه صححوا طلبكم تنالوا اربكم وحققوا املكم

تنالوا بغيتكم

تنالوا بغيتكم واطعنوا النحور تنالوا الحور وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة
واعتمدوا الصبر تنالوا النصر واياكم ان توافقوا الكفار في جهلهم . واعدلوا
عن قولهم قال العالم بفعلهم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ثم قال معلنا وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ثم بين من يعلم السر المكنون فقال يعبدونني
لا يشركون بي شيا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق
المفردون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن الا وانتم مسلمون قال تميم بن عامر والله لقد هشت انفسنا
لقوله وحملنا على المتنصرة وضرار امامنا وهو يقول ٥

الا فاحملوا نحو الكلاب الكواذب وردوا سيوفا من دماء الكتايب
وذبوا عن الدين المعظم في الورى وارضوا اله الخلق رب المواهب
فمن كان منكم يبتغي عتق رقه من النار في يوم الجزاء والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم ويرضي رسولا صادقا غير كاذب

قال ثم حمل ضرار ونحن من وراه وبذلنا اسيافنا وانفسنا في المتنصرة وجرى لنا من الحرب ما
لا يوصف وضراره كالنار في الحطب والهايم بن جبلة يتعجب من حملاته وضرباته فامر قومه
ان يقصدوا جواده باسنتهم وسهامهم ففعلوا ذلك فانصرع الجواد ووقع ضرار عن ظهره
وتكاثرت عليه المتنصرة فاخذوه وشدوه كتافا واخذوا بقية اصحابه رشادو ابو بدون

انطاكية فالتقوا بنو قنا وابنة الملك كما ذكرنا قال الواقدي ولقد حدثني
معمر بن رواحة عن موسى بن القاسم عن حرام بن عمرو عن ابن المنكدر ان سفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع ضرار بن الازور اسيرا فلما كان الليل انطلق
هاربا يلتمس الوصول الى ابي عبيدة فاذا هو باسد قد عارضه فقال يا ابا الحارث
انا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من امري كذا وكذا فاقبل الاسد
يبصبص بذنبه حتى قام الى جانبه واشار براسه الى فسرت وهو الى جانبي حتى اتيت
مواضع صلحنا ثم تركني ومضى قال رحمه الله وتوصل سفينة الى الجيش وحدث
المسلمين باسر ضرار فصعب ذلك على المسلمين وبكا ابو عبيدة وخالد على اسر ضرار
والمسلمين وقال ابو عبيدة لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبلغ الخبر لاخته
خولة فقالت انا لله وانا اليه راجعون يا ابن امي ليت شعري اني السلاسل اوثقوك
ام بالحديد قيدوك يا ابن امي ليت شعري اني البيدا طرحوك ليت شعري بالسنان
طعنوك ام بالسيف ذبحوك ثم قالت

الا مخبر بعد الفراق يخبرنا فماذا الذي يا قوم اشغلهم عنا
ولو كنت ادري انه اخر النوى لكنا وقفنا للوداع وودعنا
الا يا غراب البين هل انت مخبري وهل بقدوم الغايبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو بقربهم وكلهم تزهوا وكانوا كما كنا
الا قاتل الله النوى ما امره وتبا له ماذا يريد النوى منا

ذكرت ليالينا

ذكرت لياليناونحن جماعة فقرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم لقمنا خفافا للمطايا وقبلنا
ولم انس اذ قالوا ضرار امكبل نركناه في ارض العدو وودعنا
فما هذه الايام الا معارة وما نحن الا شبه لفظ بلا معنا
ارى القلب لا يختار في الناس غيرهم اذا ما ذكرهم ذا الرجز اوانا
سلام على الاحباب في كل ساعة وان بعدوا عنا وان قربوا منا
قال الواقدي رحمه الله ولقد بلغني عن واحد بن عون انه قال اجتمع النسا اللاتي
العربيات ممن اسرها اشبين معضار في بيت خولة ابنة الازور وفي جملتهن مزروعة
ابنة عملوق الحميرية وكانت من افصح اهل زمانها وكان ولدها صابر بن اوس فيمن اسر
فجعلت تندب ولدها وتقول

ايا ولدي قد زاد قلبي تلهبا وقد احرقت مني الشؤون المدامع
وقد اضرمت نار المصيبة شعلة وقد حميت مني الحشا والاضالع
واسال عنك الركب هل يخبروني بحالك كيما تستكن المراضع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق ولا فيهم من قال انك راجع
فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي فقلبي مصدوع وطرفي دامع
وفكري مقسوم وعقلي موله ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فان تك حيا اصمت لله حجة وان تكن الاخرى فما الحر جازع

فقالت لهم سلمى ابنة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات
الحمد امركن الله سبحانه انما امركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر اما سمعتم ما
قال الله جل جلاله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وفي ثواب الله عوض
مما اصبتن به وفيما استقر عندكن من نفاد الدنيا غنا عما فجعتن به قال فسكتن
عن البكاء وتعزين قال الواقدي رحمه ولما ورد الخمس على عمر بن الخطاب رضي الله
امير المومنين
عنه وكتاب ابي عبيدة مع رباح بن غانم قال فلما قدم المدينة وقع الصايح بقدومه
فاجتمع الناس الى المسجد ليسمعوا اما تجدد من امر حلب فلما قدم رباح سلم على
امير المومنين واعرض عليه الخمس وسلم اليه الكتاب فلما قراه على المسلمين ضجوا بالتهليل
والتكبير وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كتب الى ابي عبيدة يامره بالمسير
الى انطاكية ولا يصده عن ذلك شي قال الواقدي اخبرني مازن بن عبد
ربه عن ملك بن اسيد عن جده مروان بن الحرث ان الجواب لما ورد على ابي عبيدة
سار من يومه يطلب انطاكية واماماه زمن امره يوقنا والهايم بن جبله فالهما سارا
الى انطاكية وسبق البشير الى الملك بقدوم ابنته والهايم بن جبله والماينا اسير
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الملك بالبيع فزينت واظهرت الروم ذهبها
ودفعت الصدقات والخلع على فقرا الروم وخرج موكب الملك الى لقاهم مع ابن اخته
وهو فورس ودخل القوم في زيهم وقد ترجلت الملكية والسرية بين يدي ابنة الملك

وخرج كل

وخرج كل من في انطاكية وكان لهم يوم مشهود وقدموا اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم امامهم وهم مشدودون بالقد والروم تسبهم وتبصق في وجوههم وقد
دارت بهم رجال الهايم وزفت ابنة الملك الى قصر ابيها ودخلوا على الملك وصفقوا له
وخلع على الهايم ويوقنا وعلى كبار اصحابهم وامر باصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمثلوا بين يديه وهم في القد فلما وقفوا بين يديه صاحت بهم الحجاب والبطارقة
الارض للملك فلم يلتفتوا اليهم ولا ردوا عليهم فقال لهم الحاجب الكبير ستروز
ما منعكم ان تعظموا اسباط الملك بالسجود بين يديه فقال ضرار بن الازور لا نرى
السجود لمخلوق وقد نهانا نبينا عن ذلك قال الواقدي وحدثني سهل
ابن قادم عن السليل بن حازم عن الحكم قال لما وقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين يدي هرقل خاطبهم من غير ترجمان واراد الملك بذلك ان يسمع بطارقته
وحجابه ما كان قد حدثهم حين بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه
جمعهم اليه وقال هذا هو النبي المبعوث الذي بشر به المسيح وهو صاحب الوقت ولا
بد لدينه ان يظهر حتى يملا المشرق والمغرب ثم دعاهم لاداء الجزية فارادوا قتله
فاراد يومه ذلك ان يبين لهم حقيقة قوله وانه ما اراد بذلك الا اصلاح حالهم فقال
للصحابة من يخاطبني منكم عما اساله من العلم فاشاروا الى قيس بن عامر الانصاري وكان
شيخا معمرا قد شهد جميع احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته فقال الملك
قل ما انت قابله فقال هرقل كيف نزل عليه الوحي في اول مبتدا امره قال قيس سالت

هذا السؤال لنبينا صلى الله عليه وسلم رجل من اهل مكة اسمه الحارث بن هشام
فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا
ياتي مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فينفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا
يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عايشة ولقد كان ياتي عليه في اليوم
الشديد البرد فينفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا واول ما بدي به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرويا الصالحة في النوم وكان لا يرى رويا الا جات مثل فلق الصبح
ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حرا فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد فلم يزل كذلك
حتى جاه الحق وهو في غار حرا فجاه الملك فقال اقرا فقال ما انا بقاري قال فاخذني
فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري قال فاخذني
فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقاري فاخذني
الثالثة وغطني ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرا وربك الاكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فواده فدخل
على خديجة واخبرها وقال لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما
يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين
على نوايب الحق وذكر الحديث ولقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا
امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا وهو
جالس على كرسي بين السما والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني فانزل الله عز وجل

يا ايها

يا ايها المزمل الى قوله تعالى واهجرهم حمي الوحي وتتابع ولقد كنت يقول قيس
ابن عامر الملك الروم يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد اذ دخل رجل
على جمل فاناخه على باب المسجد ثم عقله وقال ايكم محمد قال والنبي صلى الله عليه وسلم
متكي بين الظهرانا فقلنا هذا الرجل الابيض المتكي فقال له الرجل يا محمد فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم قد اجبتك فقال اني مسايلك ومشدد عليك في المسالة
فلا تجد علي في نفسك فقال اسال عما بدا لك فقال اسالك بربك الله ارسلك
فقال اللهم نعم فقال اسالك بربك الله امرك ان نصلي الصلوات الخمس في اليوم و
والليلة قال اللهم نعم قال اسالك بربك الله امرك ان نصوم هذا الشهر في كل
سنة قال اللهم نعم قال اسالك بربك الله امرك ان تاخذ الصدقة من اغنيانا و
وتردها في فقرانا قال اللهم نعم قال الرجل امنت بما جيت به وانا رسول
من وراي قومي وانا ضمام بن ثعلبة احد بني سعد بن بكر قال اهرقل بحق دينك ما
الذي رايت من معجزاته قال كنت معه في سفر فاقبل اعرابي فدنا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم هل لك ان تشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله قال ومن يشهد لك على ما تقول قال هذه السلمة يعني الشجرة فدعاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطي الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فقالت انت محمد رسول الله صلى الله عليك ثم رجعت
الى منبتها فقال له هرقل انا نجد في علمنا ان الرجل من امته اذا عمل حسنة كتبها

الله عنده عشر حسنات واذا عمل سيئة كتبها الله عنه سيئة واحدة فقال
قيس بن عامر هذه والله صفة امة نبينا صلى الله عليه وسلم لان في كتابنا الذي
هو القران من جا بالحسنة فله عشر امثالها ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
فقال الملك اعلم ان النبي الذي بشر به المسيح هو الشاهد في الدنيا والشاهد
على الناس يوم القيامة فقال قيس هذه والله صفة نبينا صلى الله عليه وسلم هو
الشاهد في الدنيا لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا واما شهادته العقبا
قول الله عز وجل في كتابنا وجينا بك شهيدا على هولاء فقال هرقل ان الذي
وصفت لك يامر الله العباد ان يصلوا عليه في حياته وبعد وفاته فقال قيس
هذه والله صفة نبينا قال الله تعالى في كتابنا الذي هو القران ان الله وملايكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال هرقل ان النبي الذي
وصفه المسيح يعرج به الى السما ويخاطب العلي الاعلا فقال قيس هذه صفة نبينا
قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله قال هرقل لقد رايت في الانجيل ان النبي الذي وصفت لك
يامر الناس بصيام رمضان قال قيس هذه صفة نبينا قال الله تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القران قال قيس وكان بترك الروم يسمع كلامنا وهو راس دينهم فقال
ايها الملك ان النبي الذي ذكرت لم يبعث بعد فقال له ضرار بن الازور كذبت هذه اللحية
الخنزيرية يا كلب الروم وانه هو النبي المبعوث المشهور وهو نبينا لكن حجاب الكفر

منعلم عن معرفته فقال هرقل لقد اسات الادب اذ احرقت بعميد ديننا فمن انت
فقال قيس هذا ضرار بن الازور فقال الملك اهذا الذي يبلغني عنه انه يقاتل مرة
راجلا ومرة فارسا ومرة عاري الجسد قال نعم قال الواقدي ولقد بلغني
ان البترك لما سمع اخراق ضرار به اورى الحرد والغضب وقام من حضرة الملك قال
فغضبت البطارقة والحجاب لغضب البترك فلما نظر هرقل الى غضبهم خاف على نفسه
منهم فقال قطعوه باسيافكم قال فاخذته السيوف من كل جانب ونالته ضربات
الهلاك فضربوه اربع عشر ضربة الا انها غير قاتلة لما يريد الله عز وجل فلما راى البترك
ذلك جلس وقال اقطعوا لسانه فلما سمع يوقنا ذلك قال لولده وكان من حمله
المانه والله لا اترك هذا اللعين يتمكن من رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتقدم وباس الارض وقال ايها الملك ليس هذا من الصواب وان من الراي ترك
هذا الغلام فان عاش الى صبيحة غد اخرجناه الى باب المدينة وضربنا عنقه فنشفي بذلك
صدور الروم اذ على قلوبهم ما لا يوصف من قتله لابايهم وابنايهم واذا بلغ الخبر للعرب
فنوهنهم بذلك قال وانما اراد يوقنا بذلك خلاص ضرار وقال اذا بات ليلته انكسر
عنه غيظ الروم قال فاستصوب الملك رايه وقال ليوقنا ولولده خذاه اليكما فاحفظاه
الليلة قال فاخذاه واتيا به الى دارهما واعتبرا جراحه واذا بالضربات لم تقطع
عرقا ولا عصبا لطفا من الله تعالى به فخيطا جراحاته وحطا فيها الدوا واطعماه واسقياه
الشراب ففتح ضرار عينيه ولم يكن له علم ان يوقنا قد قدم بنصب على الروم وانما ظن انه قد ارتد

فقال ان كنتما كافرين فلقد سحركما الله لي حتى داويتماما ما ألم من بدني وان كنتما مومنين
فمرحبا بكما وهنيا لكما ولعل الله تعالى ببركتكما يجمع شملي بعجوز في الحجاز قد اعلها الصياح
والبكا تدعو البلا ليلا ونهارا ولقد كانت تحسب لي هذا الحساب لاني بقية من بقي
لها من الاحباب ولي اخية في عسكرنا وقد خفي عليها امري فان قدرتما بلغا اختي سلامي
واعلماها بمقامي وكيف كان للكافرين كلامي فهي تعلم اني وتخاطبها بامري قال ثم صبر الى
الليل وقال والله اكتبا عني لاختي ثم انشا يقول

ألا ايها الشخصان بالله بلغا سلامي الى اطلال مكة والحجر
فلقيتما ما عشتما الف نعمة بعز واقبال يدوم مع النصر
ولا ضاع عند الله ما تصنعانه فقد خف عني ما لقيت من الضر
بصنعكما بي نلت خيرا وراحة كذلك فعل الخير بين الورى يجري
وبلي بيت الله موتي وانما تركت عجوزا في المهامه والقفر
ضعيفة حيل ليس فيها جلادة على نايبات الحادثات التي تطري
معودة سكنى القفار مقيمة على الشيح والقيصوم والعشب والزهر
وكنت لها ركنا بعيد رجالها واكرم لها جهدي وان مسني فقر
واطعمها من صيد قفري اذا ابتا من الوحش واليربوع والضب والعفر
واحمي حماها ان يضام ولم ازل لها ناصرا في موقف البشر والعسر
واني اردت الله لا شي غيره وجاهدت في جيش الملاعين بالسمر

وارضيت

وارضيت خير الخلق اعني محمدا العلي انال الفوز في موقف الحشر
فمن خاف يوم الحشر ارضى الاهه وقاتل ابنا الصليب ذوي الكفر
لذلك اختي جاهدت كل كافر وما برحت بالطعن في الكر والفر
تقول وقد جا الفراق بانه الا يا اخي ما لي على البين من صبر
الا يا اخي هذا الفراق فمن لنا بحسن رجوع قادم منك بالبشر
اذا سافر الانسان من ارض اهله فاما رجوع او هلال الى الدهر
الا بلغاها عن اخيها تحية وقولا غريبا مات في بلد الكفر
جريح طريح بالسيوف مقطع على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
الا يا حمامات الاراك تحملي رسالة صب لا يفيق من السكر
حمايم نجد بلغي قول شيق الى عسكر الاسلام والساده الغر
وقولي ضرارا في القيود مكبل بعيد من الاوطان في بلد وعر
حمايم نجد اسمعي قول مفرد غريب كئيب وهو في ذلة الاسر
وان سالت عني الاخية خبري بان دموعي كالسحاب وكالقطر
حمايم نجد خبري الاخت انني قتلت بحد المرهفات من البتر
حمايم نجد غردي عند موطني وقولي ضرار قد تحن الى الوكر
حمايم نجد ابن خيامنا فقولي لذاك الدهر يسر اعلى عسر
وقولي لهم ان الاسير بحرقة له علة بين الجوانح والصدر

له من عداد العمر عشر وسبعة وواحدة بعد الحساب بلا نكر
وفي خده خال بمحنة مدامع على فقد اوطان وكسر بلا جبر
مضى شابا رايبغي الجهاد بنزعة فوافاه ابنا اللئام على غدر
الا فادفناني بارك الله فيكما الا واكتبا هذا الغريب على قبري
الا يا حمامات الحطيم وزمزم الا خبري امي وذلي على امري
عسى تسمح الايام منها بزورة لقبر غريب لا يزاد من الذكر

قال ولما كتب يوقنا عن ضرار هذه الابيات ختمه وسلمه الى رجل يثق به وبعثه الى المسلمين
قال الواقدي حدثني جابر بن عمران الدوسي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
كنا في عسكر ابي عبيدة ونحن في ارض يقال لها البلاط اذ جاء معن بن اوس من ال مخزوم وقد
تركه ابو عبيدة على المقدمة فجاء برجل من الروم وقد طلى لابي عبيدة خذ هذا العلج فهو
يزعم انه رسول اليك فاستخبره ابو عبيدة فقال انا رسول صاحب اليك فقال ممن
فقال من اسير لكم بانطاكية اسمه ضرار فاخذه ابو عبيدة وقراه على الناس فبكوا
وبلغ الخبر الى اخته خولة فاتت ابا عبيدة وقالت يا امين الامة تسمعني ابيات اخي
فقرا عليها بعضها قال فاسترجعت وقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله
لاخذن بثاره قال الواقدي وحفظ الناس ابيات ضرار وتداولوها
بينهم فكان اشد الناس عليه حزنا خالد بن الوليد قال الواقدي حدثني عبد الملك بن محمد
عن ابيه عن حسان بن كعب عن عبد الرحمن بن ابي عوف عن جماعة من المسلمين قالوا

ان اهل

ان اهل حاذم والراوندان ومعرة وارتاح وما سوى ذلك من قورص وباشوطا فتح
المسلمون حصونهم صلحا ولم يزل ابو عبيدة بالمسلمين حتى نزل على جسر الحديد وبلغ
الخبر الى هرقل فتمكن الخوف من قلبه وامر بطارقته التاهب لقتال العرب
ونصب سرادقه قدام باب جسر الحديد وضربت الملوك خيامها وفساطيطها وفتح
الملك خزاين السلاح وفرقها على رجاله وابطاله وخلع على يوقنا وقال ايها الدمستق
الدمستق قد فعل هذا
قد وليتك على جيشي هذا كله فكن مدبره ثم سلم اليه صليبا من الجوهر كان في بيعة
القسيان لا يظهره الا في يوم عظيم وقال ايها الصليب امامك واعتمد عليه فهو
ينصرك فاخذه يوقنا وسلمه الى ولده وامره ان يحمله بين يديه ثم ان الملك هرقل لما
خلع على يوقنا ركب الى الكنيسة القسيان وركب معه الملوك والحجاب حتى يصلوا صلاة
النصر فلما صلوا وجلس الملك ودارت به الحجاب امر بالماني اسير من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يوتى لهم ليقربهم قربانا فباس يوقنا الارض وقال ما عظيم
الروم ما ولاك الله على البلاد والعباد الا وقد علم ان عقلك يحتمل ذلك وقد قال
ديسقوريس الحكيم ان العقل مرقاه جليل وصاحبه نبيل لانه غذا الاجسام ومصباح
الاوهام واعلم ان العرب قد قصدتنا بعددها وعددها ولا بد لنا من القتال ولا
ندري على من الدايرة فان قتلت هولاء العرب ووقع احد منا بايديهم لا يبقون عليه
والصواب تركهم الى ان نرى ما يول من امرهم فان اسروا من اصحاب الملك احد
وجدنا من نفادي فقال ارباب الدولة لقد صدق ايها الملك يوقنا في قوله فتكلم

البترك وقال أيها الملك مر بإخراجهم الى هذه الكنيسة فانها احسن كنايسنا
وقد احتفلت بالنساء والبنات وتعرض عليهم النصرانية فانهم اذا نظروا الى نسائنا
وحسنهن وجمالهن وطيب رايحتهن فلعل ان تميل انفسهم الى الدنيا وزينتها فيرجعون
الى ديننا ويكون بذلك وهنا للمسلمين فامر الملك باحضارهم فحضروا فلما توسطوا البيعة
رفعت الاقسة اصواتها بقراة الانجيل واطلقوا البخور وبرزن النساء في حليهن وجمالهن
فرفع المسلمون اصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا
بعيدا وخسروا خسرانا مبينا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله وكان في الصحابة
رجل من اليمن من فصحايهم وعلمايهم ممن تعلم كتب الحميرية واطلع على الكتب السالفة
وكان اسمه رفاعة بن زهير يقول الشعر وينظم القول وانه لما نظر الى الكنيسة واهلة
ما فعل الكفرة وراهم يعظمون الصلبان ويسجدون للصور قال الله اكبر الله اكبر لا اله الا
الله محمد رسول الله كذب اصحاب الشيطان ولا اله الا الرحمن الذي ليس في عدد محسوب
ولا الى شي منسوب وانه فرد ليس له ضد ولا ند اوجد الموجودات وصور المصنوعات
وخلق المخلوقات ودبر امر الكاينات اول لا مبدا لوجوده اخر لا عدم لشهوده لا
يموت ولا يفنى ولا يزول ولا يبلى لا شريك له ولا وزير ولا صاحبة له ولا مشير له ليس كمثله
شي وهو السميع البصير قال فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت القسوس بعضها اليها
اليه فاشارت حجاب الملك اليهم ان يتركوه فافترقوا عنه فقال له الملك يا اخا العرب
ما اسمك فقال ايها الملك وما الذي تريد من اسمي ولست من جنسكم فتستخبرني

فقال البترك

فقال البترك ايها الملك ليس هو من جنسنا ولا له علم ولا خبرة بالحكمة فنسأله
وانما هو بدوي بادي تعلم سكنى القفار وصحبة الاشرار والحكمة من بلادنا ظهرت
وفي حكمايها اشتهرت نبعت من اليونانيين ووعاها صدور السريانيين ومن اين للعرب
حكمة يتوارثونها او علوم يتدارسونها وانما الفضايل كلها في علمايها والعدل في ملوكها
فمنا الاسكندر وبطليموس ومودبوس ونوسطينوس وارموبل ودردبوس وانطبس
ونالينوس واشنيطس وانطميس وارجانس وشرجس وهو الذي بنى راس العين ورشولس
واسطانس وفيثاغورس التوحيدي وهو الذي بنى انطاكية وسقيلوس وارميا وكان نبيا
ملكا وبلينوس وهو الذي بنى انطاكية وطاطاغوس وهو الذي بنى الرها ومنبج والطبيس
وكان كاهنا وهو الذي اخبر ملك زمانه انه يولد له مولود يخاطب الرب ويكون له شان
ونبا عظيم ويهلك على يديه فبالاخرة هو فرعون ومنا فنطس حكيم ومعناه بحر العلوم
ومنا دمنيوا وهو الذي بنى ارومية الكبرى وبابتها شمس ومنا سطابنوس وهو واضع
الكتاب الاول الذي فيه صورة الارض بجبالها وبحارها وبنيانها وحيواناتها ووصف
امة كل اقليم بالوانهم وخواصهم ووصف ما في كل اقليم من معدن ذهب وفضة او جوهر
واحصى عيون الارض جميعها باسمايها وكذلك جبالها واوديتها وشعابها وعجايبها
ومنا لبيودوادرس ودوبيس الحكيم الذي بنى هيكل اسكندرية قبل بنا الاسكندر من العكتب
الرومي وهو الذي يقول في كتابه حشرني الله مع الذين يقول الله لهم في المعاد ادبروا مع ابليس
وجنوده الى النار ان لم تطهر نفسك ايها المسكين الناظر في كتابي والقاري لا دابي من ادناس الدنيا

الدنيا وشهواتها المطلقة للنفوس المعمية للحس الروحاني النوراني لترتقا الى عالم د
عليين فانظر في الحكمة فانها سلم العالم الروحاني فمن عدمها فقد عدم القرب الى
باريه ومصوره ومنشيه قال الواقدي وانما تكلم البترك بهذا الكلام بين
هرقل طعنا في العرب ليسمع جبلة بن الايهم وكان حاضرا وكان سبب العداوة بينهما
ان البترك كان قد بنا ديرا عظيما وجعل له عيدا في السنة تقصد اليه الروم من كل
مكان بالنذورة والاموال والستورة والشمع وكان ذلك كله برسم البترك فاعطا
الملك لجبلة بن الايهم تلك الارض فتغلب على الدير وبنا حوله مدينة وسماها
باسمه وهي جبلة الان قال حدثنا سليمان بن عامر بن منصور الحوفي قال
حدثنا حجاج بن جريج قال اخبرني عمرو بن يحيى بن عمارة بن ابي حسن رحمهم الله
قال انه لما سمع رفاعة بن زهير قول البترك تبرم من قوله وقال ايها البطريق لقد مدحت
قوما ما لهم الى الفضل من سبيل ولا فيهم فاضل ولا نبيل الامر وحد الملك الجليل
الذي ليس له مثيل ولا عديل وانما الفضل لولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل الذي
بنا البيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام ومنهم التبابعة الاقيال د
والحماة الاشبال الذين ملكوا الارض في الطول والعرض منهم الملك الصعب
ذو الايد وهو الاسكندر الذي ملك غربي الدنيا ودخل الظلمات ودخلت في طاعته
اهل الارض وبلغ مغرب الشمس ومطلعها واذل ملوكهم وجعل له منهم اعوانا وجندا
وسماه الله ذا القرنين ومنا شعبان بن يعرب بن قحطان وشداد بن عاد وهذان بن شدكشد

ومسيعان

ومسيعان بن الكثير بن نوح والهميشع بن باحور وعاد بن رقيم وهاويل بن عثمان د
وكان يتكلم بالجملة ومنا جاموش بن جلهم بن سباسيه بن عجلان بن يافث بن نوح
وثمود بن كنعان بن ماربع بن كنعان ومنا سبا بن يشجب وهو اول متوج منا ثم ولي من
بعده ولده حمير ثم منا تبع وهو متوج ثم وائل بن حمير متوج ثم ملك بن حمير ثم عامر بن
عبد ماليل بن جرهم بن قحطان ثم منا نبي الله حنظلة بن صفوان نبي اهل الرس ثم منا نفيله
ابن عبد المدان بن خشرم ثم قحطان بن هود النبي عليه السلام عاش خمسمايه سنة
وهو الذي بنا المصانع واستخرج الكنوز وقاد الجيوش وورثه الله عز وجل علم نبيه حنظلة
ابن صفوان وقد ختم الله شرفنا ورفع قدرنا اذ جعل محمدا صلى الله عليه وسلم منا
فنحن السادة وانتم العبيد قال حدثنا سفين بن عبد ربه قال اخبرنا
رحيم قال حدثنا الوليد قال حدثنا ابن زياد عن حرام بن حكيم قال بلغني ان هذا الرجل
رفاعة بن زهير الجهني انه كان عالما بانساب العرب واخبارهم وملوكهم وكان قد طالع
كتب هود وصالح وحنظلة عليهم السلام قال فلما تكلم في حضرة الملك هرقل بهذا
الكلام اراد البترك ان يجيبه بسوال يلقيه اليه فقال يا الهمم العاليه والقرايح الزكيه
تصل القلوب الى نسيم هوا العقل الروحاني وترقا في ملكوت الضيا والصور الخفيه
الغايبة عن الابصار المختلطه بالاقطار وترقا في رياضات الالباب المصفاه من الادناس
وبالافكار النورانيه بصفو الكدر الاخلاق المختلطه بالافكار من الهياكل الجثمانية د
فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الارواح عيش الابد الذي لا يصل اليه انحلال ولا

اضمحلالا فحينئذ يلحق العنصر بالعنصر وتتحد الصفو بالصفو والكدر الى الكدر فقال
رفاعة بن زهير ما اصبت ايها البطريق في مقالتك قال ولم قال كيف تركن القلوب
الى عالم الغيوب وقد حجب عنها صواب المصيب ام كيف تتخلص الصفو من الكدر بغير
تهذيب وكيف تلحق الافكار غوامض الاسرار وهي في حجب الاغترار اذا تناهت
الاهوال في معارفها وقربت الهمم من مواضعها وعادت الفكرة الى عناصرها
وعادت متحركات الفطن الى مساكنها وعاليات الاذهان الى اماكنها وتجاوزت الاشكال
عن الاشكال بلطيف ما ثبت الهوى فيها وانكبت مشرفة على هيبا كلها من اقطار عناصرها
وعادت متحركات الفطن ثم قال ايها البطريق وهذا كلام العرب الذي زعمت
ان الحكمة ليست من اخلاقهم ولا يباع في اسواقهم ولقد كان ملك من ملوك اليمن اسمه
سيف بن ذي يزن الذي بشر بنبينا يتكلم بغوامض العلوم ويحبر في السجع والمنثور
والمنظوم انطق على لسانه بالحكمة ووشح بوشاح شكل النعمة ومن جملة ما قال
فصيح من فصحائنا اسمه قس بن ساعدة الايادي ومن جملة ما قال من فضله ونطق به من قوله
هذه الابيات قال عبد العزيز بن يحيى بن يوسف ولقد ادعاها الحلاج
وليست من قوله وانما استشهد بها في بعض احواله وهي هذه

الا اننا من معشر سبقت لهم ايادٍ من الحسنى فعوفوا من الجهل
ولم ينظروا يوما الى ذات محرم ولا عرفوا الا التقية في العقل
دعينا من التوحيد والعقل شاهد عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل

تعاين ما فوق

تعاين ما فوق السماوات كلها معاينة الاشخاص بالجوهر المجلي
ونعلم ما كنا ومن اين بدوننا وما يحن بالتصوير في عالم الشكل
وانا وان كنا على مركب الثرى فارواحنا في عالم النور تستعلي
وما صعدت كي تجتني وانما دنت ذاتها بالنور في العالم العقلي
فلم ترض بالدنيا مقاما واثرت حقيقة ممثول وجل عن المثل

قال حدثنا ابو زرعة قال حدثنا محمد بن سعيد قال اخبرنا ابن ابي شيبة عن عبد الله
ابن عيسى عن امية بن هند عن عبد الله بن ربيعة قال قلت لرفاعة بن زهير لما خلص
من قبضة الروم يا عم كيف كان البطريق يفهم ما تقول ونفهم ما يقول قال يا بني ما رايت
افصح من اللعين بكلام العربية ولقد سالته عن ذلك ليوقفنا قال وما علمت ان ملوك
الروم والبطارقة لا يستقيم ملكهم الا ان يتكلموا بكلام العرب اذ هم مجاورون لهم
بالحجاز قال ولما حدث رفاعة للمسلمين بمناظرته للبترك كتبها اكثر الناس قال محمد
ابن عمر الواقدي وكان لرفاعة بن زهير الجهني ولد عاق فلما حضر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كنيسة القسيسان واشتغل رفاعة مع البترك في المناظرة اقبل
ولده عامر يحدق النظر في البيعة والى زينتها وصورها ويتامل الى نسائها وزهر
فبادر الى تقبيل الصلبان واشرك بالله سبحانه فلما نظر ابوه رفاعة اليه بكى وقال
يا ويلك الكفر بعد ايمان يا ويلك طردت عن باب الرحمن يا ويلك لقد رغبت بالملك
الديان يا طريد القدرة يا من غيب عن الحضرة يا ويلك كيف كفرت بصاحب العلى

والله ما بكائي عليك من فراقك الدنيا لان فراق الدنيا لابد منه وانما بكائي من فراقك في الاخرة اذا سلكت انت في طريق وانا في طريق اذا مضيت الى دار الابالسة وحشرت مع هولاء الرهبان والشمامسة وتكون في طبقة النار السادسة وانا امضي مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الى دار فيها الارواح مستانسة يا بني لا تطلب الحياة الدنيا يا بني لا تختر على الاخرة شهوات تفنا يا بني واخجلي من فعالك اذا وقفت بين يدي العلي الاعلى يا بني لقد فضحت شيبة ابيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى يا بني لقد خاب املي فيك والرجا يا بني كيف طابت قلبك ان تتبرى من محمد المصطفى يا بني ممن تطلب الشفاعة غدا ثم قال

ابني غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم ... ابني صرت الى الشقا من بعد كونك في النعيم
ابني ما تخشى العذاب اذا عبرت على الجحيم ... ما تستحي من احمد يوم القيامة والخصوم
اما ابوك فقد غدا من اجل كفرك في هموم ... ابن المفر اذا دعاك الله في اليوم العظيم
ويقول يا عبدي كفرت بواحد صمد قديم ... اما ابوك فانه يبقا على عيش مقيم
اسالك يا ولدي بما قد كان في الزمن القديم ... من حنتي وتعطفي حال الرضاعة والفطيم
الا رجعت الى الذي غطاك بالستر العظيم

فقال يا ابه قد اسبل الحجاب واغلق الباب قال فامر الملك هرقل بحل من وثاقه وامر به الى اماكن المعمودية ودارت به الاقسة والشمامسة وتصرف ووقعت عليه الخلع من جميع البطارقة والملوك ووهب له الملك مركوبا وجارية ومنزلا وضمه الى اصحاب جبلة

ابنا الايهم ثم قال البترك يا هولا ما يمنعكم ان تعودوا الى ديننا كما فعل صاحبكم فقالوا يمنعنا من ذلك صحة ديننا وثبات يقيننا وما كنا بالذي يتبدل بالايمان كفرا ولو قطعنا بالصوارم ضربا فقال البترك لقد طردكم المسيح من بابه وابعدكم من جنابه فقال رفاعة بن زهير الله يعلم اينا المطرود ومن منا من رحمته المبعود فقال هرقل يا معاشر العرب قد وصل الينا ان خليفتكم يلبس مرقعة وقد وصل اليه من اموالنا وذخايرنا ما يكل الوصف عنه فما منعه ان يتزيا بزي الملوك فقال رفاعة بن زهير يمنعه من ذلك طلب الاخرة والفزع من جبار الجبابرة فقال هرقل ما صفة دار امارته قال مبنية بالطين قال فمن حجابه قال ذوي الشيبا من الفقرا والمساكين قال فما بساطه قال العدل والتمكين قال فما سريره قال العفة واليقين قال فما خزاينه قال ثقته برب العالمين قال فمن جنده قال ابطال الموحدين اما علمت ايها الملك ان جماعة قالوا يا عمر قد ملكت كنوز القياصرة وذللت البطارقة والاكاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة قال انتم تريدون زينة ظاهرة وانا اريد رضي رب الاولى والاخرة لاجرم لما ابدا هذا القول واضمر اشار منادي القدرة الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال فامر بهم الملك فاعيدوا الى السجن ثم خرج من كنيسة القسيان الى العسكر ليتشرف عليه فرا الخيام والسرادقات والبطارقة والملوك قد ضربوا فساطيطهم وسرادقاتهم وبازا السرادق كنيسة من الخشب كانوا

بتنافسون في صنعها تكون معهم لاستفارهم وفي عساكرهم قال واراد الملك ان يدخل
الى انطاكيه بعد ان اشرف على معسكره واذا بفوارس نزلت اليه فقال الحاجب
والشرطيه ما وراكم قالوا قد ملك جسر الحديد وحصلت العرب معنا قال فايقن
الملك بزوال ملكه وقال كيف اخذت العرب البرجين وفيهما ثلثمايه من البطارقه فقالوا
ايها الملك المقدم هو الذي سلم اليهم قال الواقدي وكان من حسن صنع الله
تعالى بالمسلمين ان حاجب الملك كان كل يوم يمضي بموكبه الى الجسر ويوصي من في
البرجين بالحفظ وشدة الحرس قال واته في بعض الايام مضا على حسب عادته ليشرف
عليهم فوجدهم يشربون وليس عندهم حفظ فاخذهم وضربهم كل واحد خمسين مقرعه
وهم بقتل مقدمهم ثم امسك عنه خيفة من عتب الملك له ثم تركهم وعاد قال
والحقد في صدورهم فلما قدم ابو عبيدة والمسلمون اخذوا منهم امانا وفتحوا لهم الباب
فدخل جيش المسلمين قال فدخل الملك الى سرادقه وامر الملوك والبطارقة
ان يلبسوا سلاحهم ويتاهبوا للحرب ففعلوا ذلك قال حدثنا ياسر
ابن عبد الرحمن قال اخبرنا منازل بن قراف الصيدلاني وكان اعرف الناس بفتوح الشام
قال بلغني انه لما صار المسلمون بارض انطاكية قال ابو عبيدة لخالد رضي الله عنهما يا ابا سليمان
قد صرنا في بلد كلب الروم والساعة تشرف على عساكره فما ترى من الراي فقال خالد
يا امين الامة انت تعلم ان الله سبحانه وتعالى يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل والان مر اصحابك ان يتاهبوا ويلبسوا ويظهروا زينة الاسلام

وفوق الايمان وتعقد كل امير بجيش ولتكن الكتايب يتلوا بعضها بعضا وليشهروا راياتهم
ويظهروا سلاحهم قال ففعل ابو عبيدة ذلك فاول ما عقد راية لسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل رضي الله عنه وضم اليه ثلثة الاف فارس وسيره على المقدمة ثم عقد راية
اخرى وسلمها الى رافع بن عميرة الطاي وضم اليه الفي فارس ثم بعثه في اثر سعيد ثم
عقد راية ثالثة وسلمها الى ميسرة بن مسروق العبسي وضم اليه ثلثة الاف فارس
وبعثه في اثر رافع ثم عقد راية رابعة وسلمها لمالك بن الحارث النخعي وضم اليه ثلثة
الاف فارس ثم بعثه في اثر ميسرة بن مسروق ثم عقد راية خامسة وسلمها الى
خالد بن الوليد وهي راية العقاب التي عقدها له ابو بكر الصديق رضي الله عنه فسار
خالد في جيش الزحف وسار في اثر مالك النخعي قال فلما بعد خالد رحل ابو عبيدة في
اثره ببقية الجيش ودار بموكبه عمرو بن معدي كرب وذو الكلاع الحميري وعبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله بن عمر بن الخطاب وابان بن عثمان بن عفان والفضل
ابن العباس وابو سفين صخر بن حرب وراشد بن سعيد ومثل هولاء السادات رضي الله
عنهم وسار من وراءه النسوة الذين لهم الاسرى بانطاكيه وفيهن خولة ابنة الازور وعفيرة
ابنة غفار ومزروعة ابنة عملوق الحميرية وام ابان ابنة عتبة قال وليس فيهن اشد
حزنا من خولة ابنة الازور قال الواقدي ومما بلغني انها قالت في اسر اخيها

ابعد اخي يلذ النوم عيني وكيف ينام مقروح الجفون ٥
سابكي ما حييت على شقيقي اعز علي من عيني اليمين ٥

فلواني لحقت به قتيلاً لهان وانه غير المهين

وكنت الى السلو ارى طريقا واعلق منه بالحبل المتين

وانا معشر امن مات منا فليس يموت موت المستكين

وانف ان يقاد مني ضراد ولم يقصم عرى الحرب الزبون

وقالوا لم بكا فقلت مهلاً الا ابكي وقد قطعوا وتيني

قال وسار ابو عبيدة رضي الله عنه في موكبه كما ذكرنا فبينما الروم في معسكرهم اذ وقع الصايح بقدوم المسلمين فركبوا خيولهم وصفوا صفوفهم فاول من اشرف عليهم براياته كان سعيد بن زيد ثم طلع من بعده رافع بن عميرة ثم قدمت الامرا في اثر بعضها بعضا قال ثم طلع خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم طلع من بعدهم ابو عبيدة في موكبه فنزل كل امير بقومه عزلة عن صاحبه فلما نظر الملك الى جيش المسلمين وقد نزل بفنايه ترك على حفظ الجيش حاجبه الكبير نسطاروس وكان شجاعا بطلا ثم دخل الملك الى البيعة القسيان وجمع الملوك والبطارقة والسريرية والحجاب اليه وقام فيهم خطيبا وقال يا اهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد قرب ما حذرتكم منه من زوال ملككم وذهاب عزكم من ارض سورية وقد كنت حذرتكم من هذا المقام فلم تقبلوا مني واردتم قتلي وهولاء القوم فقد دخلوا ابدا رملككم ورماح عزكم فقاتلوا عن حريمكم واموالكم وانفسكم واياكم والكسل ولا يلحقكم في الجهاد فشل فقد جاهدت عنكم جهدي وانفقت خزايني واموالي ورجالي عن دينكم وملككم فلم تسعدني سعادة ولا ادركت من هولاء القوم

اراده

اراده فان انتم فشلتم وتقاعستم ولم تجردوا لهولاء القوم عن سيف العزم والا كان العار عليكم والاذية تصل اليكم ابن اباوكم ومن سلف من اخوانكم ما نواكرا ما غير لبابهم وسكنت ديارهم العرب الطغام فحلا بيتكم صيروها جوامع وملكوا معاقلكم واستولوا على حصونكم ومداينكم وقد مضا ما مضا فاستانفوا الامر وقاتلوا فكم هلك من الامم قبلكم على حماية ملكهم والغيرة على حرمهم ولقد كانت حكمتي انبحت لكم ان تنسجوا على منوال المصالحة بينكم وبين هولاء العرب فابيتم ذلك لان ظلمة جهلكم لم تقبل نور الحكمة اما علمتم انه وجد لوح من الحجر الاخضر على قبر بطيما وث تلميذ افلاطون حياة القلوب ونعيم الاذهان ونزهة النفوس وانوار العقول من لم يكن حكيما لم يزل سفيها من تدبر نظر ومن نظر عرف ومن عرف عمل ومن عمل نقح ذهنه وهذب عقله ومن هذب عقله صفت نفسه فقام اليه جبلة بن الايهم وقال يا عظيم الروم انما قتال هولا القوم لكون خليفتهم عمر بالمدينة فلو اذنت لي لبعثت رجلا من ال غسان فكان يغتاله بالقتل فاذا سمعوا بقتله ولوا عنا ولو كان سبب فنايهم وانتزاع الشام من ايديهم فقال هرقل هذا امر لا يبلغ امله ولا ينقص عن احد اجله لان الاجال مقدره والانفاس مقدره ولكن هو شي تطيب النفوس عند سماعه فافعل ما اردت قال فبعث جبلة برجل من قومه يقال له واثق بن مسافر نحو المدينة فلما وصلها دخلها ليلا وكان مقداما في الحرب ووعده بالاموال والعطايا ان هو قتل عمر فلما كان من الغداة صلى عمر رضي الله عنه بالناس صلاة الصبح ثم خرج الى ظاهر المدينة ليتنسم الاخبار

[illegible]

اخبار المجاهدين بالشام فسبقه المنتصر وجلس له باعلا شجرة في طريقه واستتر
باغصانها وان عمر رضي الله عنه اقام بظاهر المدينة حتى اشتد الرمضاء ثم عاد وحده
وقرب من الشجرة التي فيها المنتصر فاستظل بها ونام فلما نام هم المنتصر بالنزول اليه بعد
ان جرد خنجره واذا باسد قد اقبل فطاف حول عمر رضي الله عنه وجلس قدميه واقام
يحرسه حتى استيقظ ثم تركه ومضى فنزل المنتصر من الشجرة وباس يد عمر وقال
يا عمر وليت فعدلت ثم نمت فامنت بابي وامي من الحابنات تحفظه
والسباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم حدثه بامره واسلم على يده قال
حدثني ابو محمد قال اخبرني ابي قال حدثنا حسان قال حدثنا السري بن يحيى قال
الواقدي وحدثني مسهر بن عباس عن من حدثه عن نزول ابي عبيدة بجيش المسلمين
على انطاكية قال لما وعظ هرقل قومه بكنيسة القسيان واستحلفهم ان لا يهزموا
او يموتوا ابدا واحدة فحلفوا ثم خرج الملك الى عسكره ورفعت الصلبان وقرات
القسوس والرهبان وارتفع الضجيج من اهل الكفر والطغيان وزحفوا للقتال
فعندها رتب ابو عبيدة رضي الله عنه المسلمين واوقف كل امير في مركزه ونشرت رايات
الاسلام ووقف ابو عبيدة في موكبه واشار الى ربيعة بن معمر وكان شاعرا فصيحا اديبا
لا يتكلم الا بالكلام المنظوم فقال يا ربيعة فوق سهام وعظك الى قلوب المومنين
وحرض المجاهدين على المشركين قال فتقدم ربيعة امام الصفوف وكان جهوري الصوت
يسمع البعيد والقريب فقال ايها الناس الى متى هذه المهلة فتاهبوا للحملة

فهذه طيور الادواح قد عولت على فراق اقفاص الاشباح وقد اذنت الى
باريها واجابت صوت مناديها وها هي تخاطبنا بلسان اشارة القضاء عن نطق
عبارتها ما هذا التوقف عن بذل انفسكم وقد اشتراها مويدكم
اخلدتم الى حب الحياة الفانية والانفس الواهية وهذه اوقاتكم بالنصر
موذنة وهممكم عن طلب زينة الدنيا متحيدة والمواعظ الصادقة جلاء
الجنوم مفتتة اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وهذه طوالع
سعودنا بالاقبال طالعة وسحب امالنا بالتاييد بانعة فلله در قوم لقد
مجرا زهرت نجوم المحبة في افلاك سعدهم وبلغ التشوق في سما شرفهم واشرقت
شموس المعرفة في مشارق عشقهم فلما هموا بالحملة وحققوا وقدموا هم
النفوس الى رضا القدوس واستبقوا وزاحم بعضهم بعضا ولم يرفقوا فنودوا
من صفا سرائرهم من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر قال الواقدي حدثني من اثق اليه انه لما وعظهم ربيعة
بسجعه فكان اول من خرج للبراز من الروم شجاعهم نسطاروس بن رمند وهو
كانه برج حديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج اليه دامس ابو الهول مولى
طريف الفاتح لقلعة حلب وهو يومئذ فارس فحمل بعضهما على بعض فلما اشتعلت نار
الحرب بينهما عثر جواد دامس وسقط عن ظهره فمال عليه نسطاروس فاخذه اسيرا
ونفذه حقيرا الى سرادقه ثم رجع الى ميدانه وقد صعب على المسلمين اسر دامس ولما

رجع نسطاروس وطلب البراز خرج اليه الفحجال بن حسان وكان يشبه خالد بن الوليد
في ركبته وصفته فلما برز قال قايل من الروم ممن شاهد قتال خالد في المواطن وعرفه
هذا فارس المسلمين الذي فتح بلادنا فتطاول كل من في جيش انطاليه ينظرون اليه
في المبارزة وهم يظنون انه خالد بن الوليد قال وازدحمت الخيل وتقطعت حبال
السرادقات وكان من جملة ما تقطع سرادق نسطاروس المبارز ووقع عمده
على صادبونسطاروس وشريك فخاف الفراشون ان هو عاد ورأى سرادقه على تلك
الحالة قتلهم ولم يجدوا احدا يعينهم على رفع السرادق لان كل من في العسكر مشتغل
بالنظر الى نسطاروس وخصمه فاتفق رأي الفراشين وكانوا ثلثة على حل دامس وقالوا
نحن نحلك من وثاقك وتعيننا على رفع عمود هذا السرادق واذا جا البطريق سالناه
فيك فيخلي سبيلك على شرط انا نردك الى الاسر فقال نعم فحلوه من وثاقه فلما
وجد الراحة هجم عليهم واخذ واحدا بيمينه والاخر بشماله وصفق بهما الثالث
فدوخه ووقع من شدة الصدمة وضرب احدهما بالاخر فقتلهما وتم على الثالث فقتله
ثم فتح صندوقا من الصناديق واذا فيه ثياب زينة نسطاروس فلبسها وركب فرسا
من خيول نسطاروس ونكد وجهه وقصد عسكر المتنصرة ووقف بازا جازم بن عم
جبلة وقد قدمه جبلة على عساكر المتنصرة وجبلة ووالده ووجوه بني عمه واقفين
في موكب الملك قال الواقدي ولم يزل القتال بين نسطاروس والفحجال
الى ان تعب الجوادان من الكر والفر فلم يقدر احد منهم على خصمه فافترقا وعاد نسطاروس

يطلب سرادقه ليستريح من التعب فوجد سرادقه على تلك الحالة والفراشين
قتلى ونظر فلم ير دامسا فعلم ان الحيلة من تحت يده فمضى الى الملك واعلمه
بذلك فقال وحق ديني ما هؤلاء العرب الا شياطين وماج العسكر بصنع
ابي الهول وقالوا اما قصد الا عسكر المتنصرة لانه من جنسهم قال ونظر دامس
الى العسكر وضجته فعلم ان ذلك من سببه فانتضى سيفه من غمده على حين غفلة
وكان قد اخذ السيف من سرادق نسطاروس وكان سيفا ماضيا وضرب به جازم
ابن عم جبلة فابان راسه عن جسده قال وبهتت المتنصرة من فعله وامسك
الله ايدي بني غسان عنه فنجا بدهشة القوم واطلق عنان جواده وطلب عسكر
المسلمين فلما نظروه وقع التكبير والتهليل ووقف امام ابو عبيدة وسلم عليه وحدثه
بحديثه مع القوم فقال لا شلت يداك قال وسمع الملك هرقل وجبلة بقتل
ابن عمه جازم فغضب وقال للملك يا عظيم الروم انا لا نقدر على الصبر ولا
بد لنا من الحملة على هؤلاء الذين تعدوا طورهم وجهلوا قدرهم فهم الملك ان
يامر بطارقته وحجابه بالحملة واذا قد اقبلت خيل تركض اليه قال فلما راهم
قالوا ايها الملك قد قدم الى نصرتك الملك طالوتس بن بسطانوس صاحب رومية
الكبرا وباسم حلي ستمية وكان قد وضع فيها هيكلا عظيما يسمى ابا سوفنا وصورته
من نحاس مطلي بالذهب وله سبعة ابواب من الذهب وعلى كل باب هيكل ممدود
على راسه رجل بيده عدة الواح من الذهب في كل عام يعملوا احدها على الكلّه

تلقا الشمس فينظر كاهن ذلك الهيكل في ذلك اللوح فيعلم به ما يجرى في الاقليم
المختص بذلك اللوح وكذلك كل هيكل من تلك السبعة فيعلمون اهل رومية
ما يجرى في العالم بعلوم حكمايهم وفي وسط تلك الهياكل قبة مثمنة على اعمدة من
نحاس مطلية بالذهب الاحمر يحوطها سور عال واسها صورة من حجر لا يعلم ما
هو بل لونه اسود منقط ببياض فاذا كان اوان استوا الزيتون في مشارق الارض
ومغاربها سمعوا منه صوتا هايلا تكاد العقول تنفطر منه فاذا كان من غد يقبل
من افاق الارض زرازير وفي مناقيرها وارجلها الزيتون فتلقيه على راس ذلك الشخص
فلا تزال كذلك حتى يمتلى ذلك القبة ان العظيم من الزيتون فيعصرون منه ما يكفيهم
لعامهم ذلك وكان داخل الهيكل الاعظم بيت مقفل لم يفتح منذ بنيت رومية
ولما اراد قلنطانوس الملك النهوض لنصرة قليطس وهو هرقل احتاج الى المال لينفق
في عسكره فاتا الى البيت وهم بفتحه فقال عطماوس وهو خادم الهياكل ايها الملك
ان هذا البيت منذ قفل سبع مايه سنة وذلك من قبل ظهور المسيح بمايه وسبعين سنة
وما احد يلي هذه الهياكل الا يوصي على هذا البيت ان لا يفتح فلا تزيل حكمه قد اشتهاها
من كان قبلك من الحكماء والملوك ولقد بنا هذه المدينه واسس هذه الهياكل وهذا
البيت جدك رمينوا ابن قطماوس وبقي في ملكه فيما بلغنا ثلثمايه سنة وكان يوصي
على هذا البيت ثم ولي ابوك سطانيوس فعمر ثلثمايه وسبعين سنة ثم وصى عليه
كوصية ابيه ولك انت في هذا الملك مائة سنة فلا تزيل حكمة استنسوها

وطلا السم

وطلا السم صنعوها قال فاخذه اللجاج في فتحه فلما فتحه لم يجد فيه شيا الا ما
كان بالبيوت صورة بيت المقدس ومدن الشام وصفة ملوكه وعددهم وفي اخرهم
صورة قليطس وهو هرقل وكانه ينظر الى لوح بين يديه وفي اللوح مكتوب باليوناني
يا طالب العلم عليك بكثرة القراة فيه فانه كلما تكرر مرور النكتة على مسامع متعلمها
كان ذلك اشد لقوته واحكم لتصرفه اذ العلوم كلها انما تستخرج بالعقل والقياس
والقياس انما يكون بكثرة الرياضة فيه والعلم مطية التدبير والتدبير موضع
العلم والعلم موضع والعقل هو المتمم لاشكال العلوم وقد راينا في الحكم والاسرار
الخفية ان سحاب العمايه وظلل الضلاله اذا خيمت على صفحات الارض خرج مصباح
الهدايه من ارض تهامة فيذهب بظلام الجهل المظلم الحسي ويدعوا الناس بدينه لتوحيد
الصانع وهو صاحب الجمل الازرق فيذهب بالاديان والملل ونطق دعوته السهل
والجبل فاذا علت لطافة نوره على كل كثيف وانتقلت روحه الى العالم الروحاني ولي
بعده رجل يخيف الصورة قلبه منور بنور الصدق يشيد ملته ويصدق شريعته
وويل للشام ما يحل بها من الرجل الاحور الذاهب بملك قيصر هو الرجل الكثيفة
صولته المربعة صورته العدل صفته والحق منهجه بدينه من قعته وسيفه
درته في ايامه تذهب الدول وتحول وتضمحل الاكاسرة وتزول واوان ذلك اذا
فتح هذا البيت المصون وتصور الحكمة المحوط بالنعمة فطوبا لمن رسخت الحكمة في قلبه
واشرقت مصابيحها في صميم لبه واتبع الحق وعرفه وجانب الباطل وخالفه قال فلما

قرا فلنطانوس ما في اللوح اخذه التعجب وقال لغطماوس صاحب الهياكل والقيم بامرها
ايها الاب الشفيق ما تقول في هذه الحكمة قال ايها الملك وما عسى ان اقول في حكمة
وضعها العلماء وتكلمت بها الحكماء وانما العلوم غامضة تصل الى الحس الجوهري بنور
العقل واني ارى دولة قلبطس قد وها عمودها وانهدت قبة ملكه من شوربه وانتقل
ملك الروم الى القسطنطينية وبذلك اخبر مهرارس الحكيم في كتابه الذي صنعه
وسماه اسلادوس يعني جواهر الحكم ومن حكمته اذا ظهر نور الدرة اليتيمة المصفاة
من الادناس من جبال فاران تصفوا الاذهان المظلمة بنور حكمته وصرفت الظلمة
المتكاثفة في سما الجهل بقوة عزيمته ودعا الناس الى لطيف دعوته وقادهم بازمة لطافته
وعلوا على الافلاك وذل الارض ابليا من صولته صاحبه الموشح بوشاح الهيبة المتوج بتاج
الفضل صاحب فتوح الارض ومذل ملوكها العدل قسطاطه والمرفعه لباسه وفي زمانه
ينكس الصليب وتخرب الهياكل وتبدد المذابح وتذل بنو اماء المعمودية فلا نجاه من صولته
الا باتباع شريعة صاحبه قال فلما سمع فلنطانوس ذلك من القيم بامر الهياكل
ابا شيوفيا كتم الامر في نفسه وقال لا بد لي من النظر الى العرب والمسير الى نصرة الملك
وقد وصلني كتاب البترك اسطوليس القيم بشريعة المسيح وقد ندبني الى نصرة الدين
فان ما خرت احرمني ثم اختار من جيش رومية ثلاثين الفا وهم الكراجية وولا على منصبه
ولده اسقيلوس المثلث للنعمة واستخرج من بيت الحكمة رايات الاسكندر اليوناني وكانت
منسوجة بالذهب واللولو وهي التي نشرها يوم فتح الواجات من ارض بالبوش وهي ارض مصر

ولما مات ردها الى عمه ماليس وكانت لا تنشر الا يومان في السنة يوم عيد الصليب
ويوم الشعانين ولما دفعت على راس فلنطانوس سار حتى ورد انطاكيه ونزل على باب
داوس معناه باب فارس فلما رات العرب استثقلوا هذه الكلمة فسالوا ما معناها
فقيل فارس فسموه باب فارس قال وركب هرقل في موكبه الى لقايه وضرب
سرادقه بازاء سرادقات الملك وفرحت الروم وتفالت وضربت الاجراس وخفقت
النواقيس ووقعت الضجة من جيوش الملك وارتفعت اصوات العوام بانطاكيه وتحير
المسلمون عند شدة اصوات القوم واذا عيون الى عبيدة وهم المعاهدين قد اقبلوا
اليه من عسكر الروم تخبروه بقدوم فلنطانوس ملك رومية فرفع ابو عبيدة يديه وقال
اللهم ان اعداك يستنصرون علينا بكثرة عددهم وتزايد مددهم اللهم شتت كلمتهم ودمر
جيوشهم وزلزل اقدامهم واجعل كلمتنا العليا وكلمتهم السفلى وانصرنا بنصرك نبيك
يوم الاحزاب اللهم انا ندراك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم قال وامن المسلمون
قال حدثنا ابراهيم بن العلا قال اخبرنا ابو يوسف الكندي عن ابي جعفر
الرازي عن الربيع بن انس قال اخبرني حفص بن ميسرة بن مسروق قال لي يا عم لما قدم
فلنطانوس ملك رومية بجنوده خاف المسلمون ولكن الله ثبتهم وان ابا عبيدة بعث
معاذ بن جبل ومعه ثلاثة الاف فارس من طي وقال يا صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الروم قد تجمعت من سواحل الشام لنصرة دينها فالهن وشن الغارة على بلاد
السواحل واحتفظ بالمسلمين ولا يفوت الناس من قبلك الاخبار قال فسار معاذ رضي الله عنه

وشن الغارة على جبلة واللاذقية فاحتوش اموالها واخذ غنايمها ووجد على
باب جبلة والبها عنان بن جرهم الغساني بن عم جبلة ومعه الف دابة محملة
برا وشعيرا لعسكر الملك وقد جمعها من طرابلس وعكة وصور ومن بلاد قيسارية
وقد بعثها قسطنطين بن هرقل مع حاجبه الى ابيه فلما وصلت الى مدينة جبلة
سلمها للمتنصر وعاد فوقع بها معاذ بن جبل وهي على باب المدينة وهم ينتظرون
عسكر الملك ليسيرها الى انطاكية فاخذها معاذ بن جبل ورجع قافلا الى عسكر
المسلمين بما معه من الاموال والبغال والميرة فارتفع ضجيج المسلمين بالتهليل والتكبير
وسمع الملك ضجيج الموحدين فتفقدوا سببه ليخبره واله الخبر وغابوا غير بعيد
واتوه بالخبر فصعب عليه اخذ الميرة التي كان يعتمد عليها لعسكره وقال لبطارقته
ما بقي بيننا وبين هولاء العرب الا المصاف ويعطي الله النصر لمن يشا ثم نفذ الى اصحاب الرايات
والعقود والبطارقة والهرقلية والقياصرة والارمن يامرهم بالتاهب وركب هرقل
والى جانبه فلطانوس صاحب رومية وصاحب مرعش وصاحب قلعة اسحابرنس وهي
قلعة الروم وصاحب طرسوس وصاحب المصيصة وصاحب انطالية وساير الملوك وجبلة
ابن الايهم الغساني قال الواقدي واقبل يوقنا يرتب الصفوف ويعبيها
تعبية الحرب فلما وقف كل ملك تحت رايته بجيشه وكل بطريق باصحابه فاراد فلطانوس
ملك رومية ان يتقرب الى هرقل بمبارزة العرب فصقع على قربوس سرجه للملك وقال انما
نزلت ملكي واقبلت الى خدمتك من ما يلي فرنج والذي لا احد مثلك ورضي للمسيح وكل

من بين

من بين يديك من الحجاب وغيرهم قد قاتلوا وجاهدوا واريد ان ابرز اليوم الى هولاء
العرب واشفي فوادك وفوادي منهم فاراد الملك ان يطيب قلبه وقال الزم مكانك
ولا تخرق بحشمة الملوك فانت اقدم في المملكة مني ودع غيرك يكون لهذا الامر فما
بلغ في شان العرب ان تخرج انت اليهم بنفسك فقال فلطانوس ايها الملك اي حشمة
بقيت لنا مع هولاء العرب وقد اهملوا امرنا واذلوا عز ديننا والجهاد مفترض
على الصغير والكبير منا اما علمت ايها الملك انه من نظر في الدنيا بعين المحبة
جذبته همة الشهوات الى الغلو في محبتها والتعلق بزخارفها فاذا فعل ذلك لبس
غيم كثافة الجهل على صفح صدره فمنعه ذلك عن طلب معاده ومن بادر الى طاعة
خالقه بترك شهواته ارتقا الى دار دار القدس في محل الانس ولما علم القديم الازل
بركون انفسكم المحجوبة بحجاب الغفلة الى طلب ما يفنا سلط عليكم اضعف امة فزحزحتكم
عن دياركم وابعدتكم عن اوطانكم وما ذلك الا لخلودكم الى علما الاهواء الجاذبة الى
مهاويكم الى درك ادراك المهالك لانكم حكمتم بغير الحق وجرتم على الرعية بطلبكم
منهم ما ليس لكم بحق من الجور في اخذ اموالهم وفساد احوالهم وكثر الزنا واتباع
الخنا فلاجل ذلك لم تنصروا وكانت دايرة السو عليكم فتكلم حاجب الملك وهو
الحاجب الكبير سرور وصاح عليه وقال ايها الشيخ لا تحمل على قلب الملك من
العتب ما لا يطيق فقد وعظ اكثر منك فلم يسمع قوله قال الواقدي فصعب
على فلطانوس صياح الحاجب عليه وكتم الامر الى الليل فلما مضى هزيع منه دعا

بحجابه وخواص قومه ممن يموتون لموته ويحيون بحياته وقال ادعيتم ان ابن عم على
حاجب فليطس ويوحنى بين الملوك وانتم تعلمون ان بيتي اعظم من بيته ونسبي اعلا
من نسبه وملكي اقدم من ملكه ولقد قال اسنبس حكيم بلاد الكبير المشهور
بحكمته لا تسعا بقدمك لمن يراك دونه فتصغر عنده واجعل عزة نفسك في مقابلة
كبريا عجبه فان عزة النفوس تقابل حياة الملوك ولا تصنع صنيعك في غير مستحقه
فانها تجلب عليك سوا من فعل ذلك فان الاحسان يزكوا عند ذوي الاصول
ويندم عند السفهاء الاراذل ولا تضف ودك لليم فانك تطلب منفعته وهو يريد
هوى نفسه باذيتك وقد جينا من طابي فرسخ او اكثر الى خدمة رجل يرى اننا قد
قصدنا داره لملكه ودماج عنه ونحن من جملة خدمه وان نور العقل المجوهر بجوهر
الحس يمنعني من اتباع الجهل المظلم للجوائر وان نفسي تابا ذلك فالعز محله جليل
ومقامه نبيل والذل دنيل وصاحبه قليل وقد عولت على ان اسير الى هولا العرب
وانصر ملتهم فانها الملة الواضحة بالحق المويدة بالصدق فمن كان عليها امن في
معاده من الهول الاعظم فما انتم قايلون قالوا ايها الملك وكيف يطيب قلبك بترك
دينك وملكك وتتبع قوما لا افضل لهم عندهم ولا حلية تزينهم فقال
فليطانوس انما الحكمة البالغة عندهم مقرها وفي نفوسهم موطنها لان نور توحيدهم
وصفا اذهانهم ونور الباطنهم ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم المنبا بعلم الغيوب
لا ان معنا طبيس حكمته الربانية جذب جوهر عقولهم الى متابعته والاقتدا بشريعته

ومن اراد

ومن اراد ان يرقا الى عالم عليين فلا يقعد على صفحة ارض الجهل اما علمتم ان النور
انور من الظلمة والموت نهاية الحياة قال فلما سمعوا قوله قالوا له ايها
الملك نحن ما تبعناك لنطلب عز الاخرة الذل ونهايته الغلبة واذ كنت تطلب بنا
طريقا يودي الى البقاء وتذهب بالشقا فالاخرة اتباع الحق ونفي الباطل ونحن لك
وبين يديك قال فخذوا على انفسكم فاذا كان ليلة غد نزلنا كانا نطوف بالجيش ونطلب
جيش العرب قال ففعل القوم ذلك وانفضوا وافترقوا واخذ فليطانوس امواله
وذخايره وعول على ما ذكرناه قال حدثنا يونس بن عبد الاعلا
قراة عليه قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا معاوية يعني بن صالح عن ابي موسى
الاشعري قال لما عزم فليطانوس على المسير الى جيش المسلمين جاه يوقنا برسالة
من الملك هرقل فلما ادا الرسالة وهم بالخروج قال له فليطانوس من انت من حجاب
الملك قال انا يوقنا صاحب حلب قال وكيف تركت ملكك واستولت عليه
العرب فحدثه بحديثه فقال له فليطانوس ما الذي ظهر لك من هولا العرب قال
ايها الملك اني ما رجعت الى دينهم حتى طالعت امرهم وكشفت سترهم عرايب القوم
لا يتبعون الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون الليل من كثرة اجتهادهم ولا
يتكلمون بغير ذكر دينهم ينصفون المظلوم من ظالمه ويواسي غنيهم فقيرهم الامير منهم
في زي الفقرا والعزيز والذليل عندهم بالسوي فقال له فليطانوس فاذا وقفت
على سرهم ورايت فضلهم فما منعك ان تقيم بينهم قال يوقنا منعني من ذلك محبة

دبني وصحبه قومي لاني لم ارد فراقهم فقال فلبطانوس ان النفوس الزكية والالباب
الثاقبة اذا رات الحق جذبها جاذب اليقين الى محض طلب الخلاص من المعيشة
الذميمة الى ان ترقا الى اعلا عليين قال فخرج يوقنا وقد رسخ قول فلبطانوس
في قلبه وقال والله ما تكلم بشي الا وهو منقوش على صفحة صدري وكلامه يشهد
بقبول عقله لصحة دين الاسلام واقام على قلبي من ذلك حتى جن الليل ثم تسبب
على حال الخفا ودخل على فلبطانوس فوجده على نية الركوب الى ما ذكرناه فلما
وقف بين يديه صفع له فقال له فلبطانوس ترى باي حجاب حجب المضلين عن اتباع
سبل الموقنين الحق واضح لمن طلبه والباطل خفيف على من اتبعه فقال ايها
الملك ما معنا هذا الكلام الذي اشرت اليه قال له فلبطانوس لو
اني رايت بعين البصيرة ما رايت انك لما رجعت عن ملتهم ولا طلبت بدلا بغيرهم
وانما انت طلبت نعيما يؤول الى الزوال ويفضي بصاحبه الى النكال قال فسكت يوقنا
وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ووقف على طريق عسكر المسلمين فلما ركب فلبطانوس
وخرج من سرادقه وجد بني عمه قد اخذوا على انفسهم وهم وجوه قومه اربعة
الاف فارس وقدموا عزمهم وساروا يدا واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد
فارقوا ملكهم وتركوا عزهم فلما قربوا من جيش الموحدين ظهر لهم يوقنا ومعه بنوا
عمه المانيان فقال يوقنا ايها الملك عولت على انك تكبس جيش المسلمين قال لا والقديم
وانما انا قاصد لدينهم حتى اكون من جملتهم فمن نظر الى الدنيا بعين الفنا عمل للاخرة فما

الذي يمنعك

الذي يمنعك ان توافقنا على ما نحن عليه قد عولنا فقال يوقنا ايها الملك لقد
جذبك جاذب الحق عن طريق الضلالة ثم حدثه بحديثه وانه عازم على ان يغدر
بالروم فقال له فلبطانوس كيف تقدر على ذلك وما ارى معك الا نفر يسير من قومك
فقال يوقنا ايها الملك ان في داخل المدينة مائتان من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم بمقام عشرين الف فارس ولقد رايت ان تعود انت وقومك ولا تستعجل
ونبعث رجلا منا الى الامير ابي عبيدة ونخبره ما نحن عليه معولون فاذا كان غدا
فقف انت وجيشك حول الملك هرقل وادخل انا الى المدينة واخل المائتان من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومنا ولهم سلاحهم ويحمل جيش العرب كله وتحمل انت
وعسكرك على موكب هرقل وتقصد انت بنفسك فتقبض عليه فتكون قد جاهدت
ونشوا انا وبنوا عمي والمائتان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في داخل المدينة
فنملكها ان شا الله تعالى وان اردت ان ترجع لدار ملكك ويكون امرك مكتوما عن الروم و
قول امر جيشك لمن تشويه من قومك فقال فلبطانوس ما فعلت هذا ولي نية في
مملكة الدنيا واذا انقضا هذا الامر ونصرنا الاسلام واهله قصدت بيت المقدس
فاقمت فيه حتى اموت فمن ينهض الى العرب برسالتنا ويخبرهم بما عليه قد عولنا
فقال يوقنا اعلم ان لهم عندنا جواسيس من اهل حلب ممن هم تحت الذمة وانا
ابيتهم بالفضة ويعلمون ابا عبيدة بالامر قال فبينما هما في المحاورة تحت
ستور الليل واذا بشيخ قد قصد اليهما فلما قرب نظر يوقنا واذا هو عمرو بن امية

الضمري ساعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على يوقنا وعلى من معه وقال
ان الامير ابا عبيدة يقول لك جزاك الله خيرا عن دينك وانه قد راى الليلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحدثه بما كان من امر صاحب رومية وما تحدثت به مع قومه
وبما عزمتم عليه وبشره ان غدا نفتح انطاكية ان شا الله تعالى ويزول عن الروم منها ويخرج
هرقل عن ملكه قال اخبرنا ابو جعفر احمد بن عبيد بن ناصح قال حدثنا عن
جماعة حدثوا اما سمعوا او بلغهم من اخبار الشام وقد زاد بعضهم على بعض في الرواية
وكل قد قرب من رواية صاحبه قال الواقدي وحدثني جابر بن عامر عن جده
فياض بن مزاحم ان ابا عبيدة رضي الله عنه راى ليلة فتح انطاكية كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يا ابا عبيدة ابشر برضوان الله ورحمته لك وغدا نفتح المدينة على
يديك صلحا وان صاحب رومية الكبرى قد جرى من امره كذا وكذا وهم بالقرب من جيشك
فنفذ اليهم بانجاز الامر فاستيقظ ابو عبيدة وقص رؤياه على خالد رضي الله عنهما
ونفذ عمرو بن امية الضمري كما ذكرنا قال فلما سمع فليطانوس ذلك اقشعر بدنه
وارتعدت فرايصه وقال اشهد ان هذا هو الدين القويم ثم عادوا وطافوا بجيش
الملك كانهم يحرسونه قال فبينما يوقنا قد انفصل باصحابه من فليطانوس واذا الحاجب
الملك قد التقاه والمشاعل بين يديه وقد خرج من انطاكية وامامه ضرار بن الازور
ورفاعة بن زهير والمايتان اسيرا وقد عول الملك على قتلهم تلك الليلة فلما راهم
يوقنا قال للحاجب ما عول عليه الملك ان يصنع بهم قال قد عول على قتلهم ويطرح اعدا

روسهم الى المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك اظلمت الدنيا في عينيه وقال ايها الحاجب
الكبير انت تعلم ان المصاف غدا واقع بيننا وبين العرب فاذا انتم قتلتم هولاء وطرحتم
روسهم اليهم فلا يبقون على واحد منا الا قتلوه فاتق الله ولا تعجل وراجع الملك في امرهم
ودعهم عندي حتى ترى ما يؤول من امرهم قال فنزل الاسرى عند يوقنا ومضى الى
الملك وتحدث معه في معناهم فقال دعهم بيد الدمستق فرجع اليه برسالة الملك
الملك وقال احتفظ بهم فاخذهم يوقنا وسار بهم الى خيمته وصعب عليه اخراجهم
من انطاكية لانه كان قد عول ان يملك بهم المدينة فلما حصلوا عنده حلهم من وثاقهم
وسلم اليهم لامته جزاهم وحدثهم بما قد عزم عليه فليطانوس من القبض على الملك قال
ضرار والله لنرضين الرب غدا بجهادنا في سبيله قال ولم يدعهم يوقنا في سرادقه
بل فرقهم على بني عمه اعطا لكل رجل منهم رجلا قال حدثنا جماعة عن
ابن عبد الله بن مسعود ان الذي امر باخراج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من السجن لم يكن هرقل وانما امر باخراجهم للقتل باليس بن ديسوس مملوك الملك وكان الملك
تلك الليلة قد راى في منامه ان شخصا نزل من السماء واقلبه عن سريره وكان تاجه
قد طار عن راسه وكان الشخص يقول له قرب ما بعد من زوال ملكك من سوريه
وقد ذهبت دولة الشقاق وجا الله بمذهب الوفاق وكان الشخص قد نفخ في عسكره
فاشعل نارا فاستيقظ مرعوبا وفسر ذلك بزوال ملكه وكان قد عبا خزاينه وذخايره
وجميع ما يعتمد عليه والقا الكل في المراكب قبل نزول المسلمين عليه واكثر من

الزاد والعدة فلما راى في تلك الليلة ما راى في نومه بعث بابنته الى المركب وجميع
حرمه في الستر من ارباب دولته ودعا باهل دولته واعلمهم بما راى في النوم وحدثهم
بما عول عليه من الهزيمة وامرهم بخروجهم معه ثم دعا بمملوكه الخاص بالبس وكان
اشبه الخلق به والبسه منطقته وتوجه وقال كن غدا في موقفي فاني اريد ان اكيد
العرب واكمن خلفهم ثم ركب وخرج مع اهل بيته وركب في المراكب وسار وبعدها
امر البس باخراج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من امره ما ذكرنا قال
حدثنا بشر بن موسى قال ثنا سليمان بن عبد الواحد عن صفوان بن بشر عن عمرو بن
مدعور قال احدثني محمد بن ابي عدي عن شعبة عن قتادة عن ابي الصديق الناجي عن ابي
سعيد قال لم يخرج هرقل من انطاكية الا وهو مسلم وذلك انه كتب الى عمر رضي الله عنه
في السر من قومه ان بي صداعا لا يسكن فتنفذ لي بالدواء فنفذ اليه عمر رضي الله عنه
بقلنسوة فكان اذا وضعها على راسه سكن ما به واذا رفعها عن راسه عاد الصداع د
فتعجب من ذلك فامر بتفتيشها فاذا فيها رقعة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
فقال ما اكرم هذا الدين واعزه حيث شفاني الله منه باية واحدة ولما كان الغد
ركب جيش المسلمين وتقدم خالد ومن معه من جيش الزحف وركب ايضا جيش الكفر
عن اخره ودار المولى حول بالبس فمن راه ظن انه الملك ودار بالموكب عسكر فلنطاوس
وركب يوقنا ومن معه من بني عمه المابنان والاسرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم متنكرون تحت السلاح في موكب واحد منفرد ليس معهم سواهم فكان اول من

حمل خالد

حمل خالد بجيش الزحف واتبعه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمل من بعده
عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وحمل ذو الكلاع الحميري وحمل
الفضل بن العباس وحمل مالك النخعي وحمل عمرو بن معدي كرب وحمل ابو عبيدة
ببقية الجيش رضي الله عنهم واطبق الناس بعضهم على بعض فلما اشتبكت الحرب
قال وحمل يوقنا وبنو اعمامه وحمل ضرار بن الازور باصحابه فلله در ملقد
اعطى السيف حقه واخذ بثاره من الروم وكلما قتل قتيلا صاح وانا داف ضرار
وكان قصده لعسكر المتنصرة والمسلمون اصحابه لا يفارقونه ورفاعة بن زهير
الجهني يعظهم ويقول احملوا واياكم ان تولوا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف
وقد زخرفت قصورها واشرفت حورها واشرق بنيانها ومرحت ولدانها
وتجلت دنانها ثم صاح يا فتيان العرب ايكم يرغب في زواج الحور العين ايكم يجعل
بذل نفسه نقد المهور من يريد عروسا في الجنان من يحب ان يقوم على راسه
الولدان من يرغب فيما قال الملك الديان متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان ايكم يوافق بهمته شهداء بدر وحنين اين من يزيل عن قلبه حجاب
الغفلة والذين وافقوا قوما صارت همتهم الى قضاء ذلك الازل وانا خو احباب
من لم يزل فلما انكشف لهم عن هذه الاسرار اشتاقوا الى سكنى هذه الدار فقيل
لهم لن تصلوها الا ببذل النفوس في رضا القدوس ثم خلع عليهم خلع الرضوان
مرقوم عليها بقلم السر المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا

بل احيا عند ربهم يرزقون قال فبينما ضرار يحمل في الاعدا ويذيقهم شراب
كاس الردا اذ التقا بفارس يحطم الكتايب وهو يزعق واثارات ضرار بن الازور
فتامل الفارس واذا انها اخته خوله فقال لله درك يا بنت الازور انا والله اخوك
قال فاقبلت تسلم عليه وترامى اليه فقال لها اليك عني فان عنا الكفار افضل
من كلامك يا ابنة الام اقرني عنانك مع عناني وسنانك مع سناني وجاهدي في
سبيل الله قال فبينما هو يخاطبها اذ راى جيوش الروم قد تقهقرت وكانها
قد انهزمت وكان الاصل في ذلك ان فليطانوس لما راى الحرب اضطرمت نيرانها
وعلا قتامها حمل باصحابه وقبض على باليس وهو يظن انه الملك وصاح الصايح قد
قبض على الملك فليطس وغدره صاحب رومية فولت الروم الادبار وقتل المسلمون
منهم مقتلة عظيمة وقتل من المتنصرة ذهي على اثنى عشر الفا وطلب جبله وابنه
الهايم فلم يروا قالت الرواة انهما هربا ولبراقوهما الى جانب البحر
وركبوا في مراكب الملك فكان جملة من المتنصرة مع جبلة وابنه الهايم خمس مايه
فارس من ساداتهم واخذت السرادقات والخيام والديباج واسروا ثلاثين الفا
وقتل سبعون الفا وولت الروم والمتنصرة فمنهم من اخذ نحو درب انطاكيه ومنهم
من طلب قيساريه الى ابن الملك هرقل فلما وضعت الحرب اوزارها وخمدت
نارها جمعت الاموال والاحوال والاسارى بين يدي ابي عبيدة فلما نظر الى ذلك
سجد لله شكرا وبشر المسلمون بعضهم لبعض وجاء ضرار واصحابه ويوقنا وشواعه فسلم

المسلمون

المسلمون عليهم وفرحوا بخلاصهم وجا فليطانوس واصحابه فقام المسلمون للقايه
وتقدم للسلام عليه كبار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا سمعنا
نبينا صلى الله عليه وسلم يقول اذا اتاكم كبير قوم فاكرموه قال ونظر فليطانوس
الى المسلمين وتواضعهم وحسن سيرتهم وكثرة عبادتهم فقال هولا والله القوم
الذين بشر بهم المسيح ثم اسلم فليطانوس قال ونظر ابو عبيدة الى حصن انطاكية
ومن فيها من الامم فقال اللهم اجعل لنا اليها سبيلا وافتح لنا فتحا مبينا
قال محمد بن عمر الواقدي وكان على انطاكية من قبل الملك وال اسمه صليبا
وكان جاهلا في قومه فعزم على القتال من باطن سوره قال واجتمع الكبرا بالليل
الى البترك وقالوا اخرج الى هولا القوم وصالحهم على ما قدرت فخرج البترك الى ابي
عبيدة وتحدث معه في الصلح فاجابه الى ذلك وكان في جملة ما صالح عليه اهل
انطاكية ثلثمايه الف دينار فلما تقرر الصلح قال ابو عبيدة احلف لنا يمينا ان لا
تغدروا بنا فان مدينتكم مانعة كثيرة الجبال والوعر فقال خالد من يحلفه
ايها الامير قال يوقنا انا احلفه ثم وضع يده فوق يد البترك وقال قل والله والله
اربعين مرة والا قطعت زناري وكسرت صليبي ولعنت الشمامسة والرهبان
وخلعت دين النصرانية وذبحت الحمل في ما المعمودية ونجستها ببول مولود وقتلت
كل الشهود والاحرقت شدايد مريم وعصيت بطاركتي واذا ذبحت القسوس وصبغت
يديهم ثوب عروس والا جعلت في المذبح زعفران ولذبت بما جا في الانجيل والاجلت

المسيح ميتا لا يقوم والا حملت مريم ابنها والا طفيت قناديل الكنايس والا تزوجت
يهودية بطمنة حتى لا اتقا ابدا والا اغتسلت اثوابي صبيحة يوم الجمعة والا هدمت
الكنايس والبيع والا عبدت اللاهوت وجحدت الناسوت والا اكلت لحم الجمل
في عيد الشعانين والا صمت رمضان عاطشا ولنت للحم ما اشتهيا والا صلبت في
ثياب اليهود وقلت ان عيسى دابغ الجلود لا اغدر بكم ولا امن معكم وكان صلح انطاكية
لخمسة ايام خلون من شعبان سنة عشرين من الهجرة ودخلها ابو عبيدة في الايام المذكورة
وبين يديه القاري يقرا سورة الفتح وعن يمينه خالد بن الوليد وميسرة بن مسروق
رضي الله عنهم ولم يزل يسير حتى وصل الى باب الجنان فنزل هنالك وبنى في مكانه مسجدا
به يعرف الى وقتنا هذا لـ ميسرة بن مسروق فنظرنا الى بلد طيب الهوا كثير
الما والخيرات فما احد من المسلمين الا استطابه ووددنا لو اقمنا فيها شهرا نستريح
من تعبنا فما تركنا ابو عبيدة ان نقيم بها الا ثلثة ايام ثم كتب الى عمر رضي الله عنه كتاب
الفتح بسم الله الرحمن الرحيم من ابي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني احمد
الله الذي لا اله الا هو على ما رزقنا من الفتح والغنيمة والنصر اعلمك يا امير المومنين ان الله
عز وجل فتح على المسلمين كرسي النصرانية وقتلت ابطالها وكسرت عساكرهم ونصرنا الله عليهم
وهرب هرقل في البحر واني لم اقم بها لطيبها واني خشيت على المسلمين ان يوافقهم حسن
هواها وان يغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم ذلك عن طاعة ربهم واني معول المسير
الى حلب والى منتظر امرك فان امرتني ان اسير الى داخل الدروب فعلت وان امرتني

بالمقام اقمت

بالمقام اقمت واعلم يا امير المومنين ان العرب الطغام قد نظروا الى اولاد ودعتهم
انفسهم الى الزواج فمنعتهم من ذلك واني اخشى عليهم الفتنة الا من عصمه الله وشرح
صدره فعجل بامرك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ثم طوى الكتاب وختمه وقال
معاشر المسلمين من يسير بكتاب الفتح الى امير المومنين عمر بن الخطاب فاسرع بالاجابة
زيد بن وهب مولى لعمير بن سعيد مولى بني عمرو بن عوف وقال انا لها الامير انا اوصله
ان شا الله تعالى فقال ابو عبيدة يا زيد انك لست مالك امرك وانما انت مملوك فان
اردت المسير فاستاذن مولاك عميرا قال فاسرع زيد الى مولاه عمير وانكب على (فاستاذن ح)
راسه فقبله فمنعه عمير ان يفعل ذلك وذلك ان عمير بن سعيد كان رجلا زاهدا
في الدنيا راغبا في الاخرة وما يملك من الدنيا الا سيفا ورمحا وفرسا وبعيرا ومزادة
وقصعة ومصحفا وكان يصيبه سهم من المغنم فلا يدخر منه شيا ولا ياخذ منه الا
ما ينفق به وكان يفرقه على اهله وقرابته ويبعث بالباقي الى عمر رضي الله عنه ويقول
فرقه على فقرا المهاجرين والانصار فلما اقبل زيد بن وهب ليقبل راسه منعه من
ذلك وقال له ما الذي تريد قال يا مولاي تاذن لي ان اكون رسولا للمسلمين بالبشارة
الى عمر فقال عمير بن سعيد تريد ان تكون بشيرا للمسلمين وامنعك من ذلك اني اذا للئيم
امض حيث اردت فانت حر لوجه الله تعالى وارجو بعتقك ان يحرمني ربي على النار
ففرح زيد بذلك واخذ الكتاب من يد ابي عبيدة بعد ان حدثه بما يريد ثم استوى
في ظهر نجيب دفعه اليه ابو عبيدة من نجب اليمن وكان سابقا فجعل زيد يسير ويطلب

اقرب طريق قال زيد فقدمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بقي
من ذي القعدة خمسة ايام واذا بالمدينة منقلبة ولمن فيها ضجة عظيمة وهم يهرعون
الى باب البقيع فقلت ان لهم امرا اقتبعتهم لانظر ما شانهم وانا اقدر انهم يريدون
حربا او فتنا لا فسلمت على رجل من المسلمين لاساله فرد على السلام ونظر الي فعرفني
وقال زيد فقلت نعم قال الله اكبر ما ورا يا زيد من الاخبار قال زيد البشارة
والفتح والغنيمة فما فعل امير المومنين فقال ان عمر خارج من المدينة يريد الحج
الى بيت الله الحرام وقد اخرج ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يحج بهن والناس له
يشيعون قال زيد فنزلت عن النجيب وعقلته بفاضل زمامه واسرعت
حتى وقفت بين يدي عمر رضي الله عنه وهو يمشي راجلا ومن وراءه مولاه ارفا يسوق بعيره
وقد رحله بعباءة قطوانية وزاده وجفنته عليها والهوادج بين يديه سايرة وعن
يمينه علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعن يساره العباس بن عبد المطلب ومن وراءه
المهاجرين والانصار وهو يوصيهم بالمدينة قال زيد فلما رايته ناديت السلام عليك
يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من انت
فقلت يا امير المومنين انا زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد اتيت بشيرا قال
عمر بشرك الله بخير ما بشارتك قال هذا الكتاب من عاملك ابي عبيدة بن الجراح
يخبر ان الله قد فتح عليه انطاكية قال زيد فلما سمع عمر رضي الله عنه بذكر انطاكية
وان الله قد فتحها خر لله ساجدا يمرغ وجهه في التراب ثم رفع راسه من سجوده وقد

تترب وجهه وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر على نعمك السابغة ثم قال
هلم الكتاب رحمك الله قال فسلمت اليه الكتاب فلما قرى ما فيه بكى فقال له علي كرم
الله وجهه يا امير المومنين ما يبكيك قال علي ما صنع ابو عبيدة بالمسلمين وان النفس
لامارة بالسوء ثم دفع الكتاب الى علي رضي الله عنه فقراه الى اخره قال زيد ثم رايت
عمر بعد ان هدا من بكايه قد زاد فرحه ثم اقبل علي وقال يا زيد ان عدو الله عنت
في اكل تينها واعنابها فاحمد الله تعالى كثيرا فقلت يا امير المومنين ليس هو
زمانه قال فجلس عمر على التراب ودعا بدواة وبياض وكتب الى ابي عبيدة كتابا
يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام ابي
عبيدة سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واشكره على ما وهب من النصر
للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل بنا لطيفا معينا واما قولك انك لم
تقم بانطاكية لطيبها فان الله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين الذين
يعملون الصالحات لقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
فكان يجب عليك ان تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون في مطعمهم ويريحون
الابدان النصبة من قتال الكفار واما قولك انك تنتظر امري الذي امرتك به
ان تدخل خلف العدو وتفتح الدروب فانك شاهد وانا غايب وقد يرى الشاهد
ما لا يرى الغايب وانت بحضرة عدوك وعيونك ياتيك بالاخبار فان رايت ان
دخولك الى الدروب بالمسلمين صواب فابعث اليهم بالسرايا وضيق عليهم

المسالك وان طلبوا منك الصلح فصالحهم واوفِ بما تعدهم واما قولك ان العرب
ابصرت نسا الروم فرغبت في الزواج فمن احب ذلك فدعه ان لم يكن له اهل بالحجاز
ومن اراد ان يشتري له اما فدعه فان ذلك اصون لفروج المومنين والسلام عليك وعلى
من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه لزيد بعد ان ختمه بخاتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له انطلق به رحمك الله واشرك عمر
في ثوابك فاخذ زيد الكتاب من يد عمر وهم ان يسير فاقبل عليه عمر وقال
على رسلك حتى تزود شيئا من قوتي ثم ان عمر اناخ بعيره واخرج له صاعا من
تمر وصاعا من سويق وقال خذ واعذر عمر فهذا ما امكنه ثم قبل راسه
فبكا زيد وقال يا امير المومنين بلغ من قدري ان تقبل راسي وانت صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ختم الله بك الاربعين قال فبكا عمر رضي الله عنه وقال ارجوا
ان يغفر الله لعمر بشهادتك له قال زيد فاستويت في كور ناقتي وهممت
بالمسير فسمعته يقول اللهم احمله عليها واطوِ له البعيد وسهل له القريب
انك على ما تشا قدير قال زيد ففرحت بدعوة عمر وعلمت ان الله لا يرد دعوته
اذ كان لله طايعا ولنبيه صلى الله عليه وسلم سامعا وجعلت اسير والارض
تطوى تحت اخفاف مطيتي فكنت في اليوم الثالث عند ابي عبيدة وكان قد رحل
عن انطاكية ونزل على جارم قال زيد فلما اتيت عسكر المسلمين نظرت الى ضجة
عظيمة وجلبة هايلة قد ارتفعت فاقبلت على رجل من المسلمين وسالته ما سبب

هذه الضجة

هذه الضجة قال لي فرحا بما فتح الله على المسلمين وهذا خالد بن الوليد سرى الى
شاطي الفراة وقد غار بخيله ورجله على منبج وبزاعة وما لبس وقلعة نجم ومن جسر
منبج في العشر الاوسط من المحرم سنة ثمانية وعشرين من الهجرة صالح اهلها بعد
ردا اموالهم وغنايمهم والاسرى من رجالهم ونسايهم على مايه الف وخمسين الفا
وترك صاحبها جرفاش يسير باموالهم وانتقاله الى بلد الروم ففعل ذلك وولى
على منبج عباد بن رافع وعلى الحسن نجم بن مفرج وباسمه سميت وولى على بزاعة اوس
ابن جابر وعلى ما لبس مادر بن عون وبنا له قلعة وسماها باسمه ودعا خالد بالاموال
يوم قدوم زيد قال فاتيت فيه ابو عبيدة واذا هو جالس والى جانبه
خالد بن الوليد وقد قدم له مال الصلح فانخت الناقة وتقدمت الى ابي عبيدة
وسلمت عليه وعلى خالد وسلمت الى ابي عبيدة كتاب عمر رضي الله عنه واخبرته بمقالته
ففض الكتاب وقراه وفهمه ثم اعاد قراته على المسلمين فلما سمع المسلمون كتاب امير المومنين
قال ابو عبيدة معاشر المسلمين ان امير المومنين قد رد امر الدخول الى هذه الدروب
الي وقال انت الشاهد وانا الغايب وانا لا اعمل شيا الا من رايكم فما تشيرون رحمكم
الله فصمت المسلمون ولم يردوا جوابا قال واعاد ابو عبيدة القول وقال معاشر
المسلمين ان هذا الشام قد ملككم الله اياه واخرج عدوكم منه بالذلة والهوان
واورثكم ارضهم وديارهم كما ضمن لنا نبينا صلى الله عليه وسلم فما تشيرون به من
دخول هذه الدروب فسكت الناس ولم يردوا جوابا واعاد القول ثالثة وقال ما هذا

السكوت أفشل لحفلكم بعد الشجاعة ام كسل بعد النشاط ام قد اكتفيتم من الحسنات
ولم يبق عليكم سيئات وان الحسنات لكم كثيرة فالرغبة الى الله عز وجل ان
يعينكم على الجهاد فهو خير لكم من الدنيا وما فيها فكان اول من تكلم ميسرة بن
مسروق العبسي وقال ايها الامير انا لم نسكت لجزع لحقنا ولا لفزع ارهقنا وانما
ينتظر بعضنا بعضا واعلم ايها الامير انه ما لنا تجارة ولا عمل غير الجهاد لاعداء
الله وطلب ما عند الله ونحن لك وبين يديك فما امرت به فعلنا فمنك الامر ومنا
الطاعة لله ولرسوله واما انا فما املك الا نفسي فوجهني حيث شئت تجدني طائعا
مسارعا فقال ابو عبيدة معاشر المسلمين من له راي وحضرته مشورة فليقلها
فقال خالد ايها الامير والله ان اقامتنا عن طلب العدو وهن وعجز علينا وطعن
في ديننا وطلبتهم هي الغنيمة والنصر من الله عز وجل والذي اشير عليك ايها الامير
ان تبعث الجيوش من كل درب من هذه الدروب فذلك مما يوهن قلب عدوك
وتقوى به اعين المسلمين فجزاه ابو عبيدة خيرا وقال يا ابا سليمان اني قد رايت ان
اعقد لميسرة عقدا واسيره لانه اول من شارع في هذا الامر واشار به فيقتحم
الدروب ويغار على ما قرب من بلاد العدو ويرجع الينا ان شاء الله فيخبرنا خبر
البلاد ونعمل على ما [illegible] صبت الراي رحمك الله فاخذ ابو عبيدة
قناة تامة وعقد فيها راية [illegible] ت عليها ببياض لا اله الا الله محمد رسول
الله وهذه الراية في كفه وسلمها الى [illegible] ثم قال له يا ميسرة انك اول من اشار

على المسلمين

ميسرة بن م

على المسلمين بالمسير الى بلد الروم واقتحام الدروب فخذ هذه الراية وافتح لها
فتحا يكون لك به في الدنيا والاخرة ذخرا قال وانتخب ابو عبيدة من
قبائل اليمن واما العبيد فقد لبسوا الصبائغ الحمر وعلى رؤوسهم العمائم الصفر متنشحين
بالسيوف وبايديهم الحراب اللامعة وكل عبد منهم يقول انه يحمل على كتيبة
وحده فجعل ابو عبيدة على العبيد دامسا ابا الهول اميرا وجعله تحت راية ميسرة
وقال يا ابا الهول كن في اوائل هؤلاء العبيد فهم تحت طاعتك وانت تحت طاعة
ميسرة ولا تخالفه فيما اشار به عليك فانه مبارك المشورة ميمون الغرة قال دامس
حبا وكرامة وسمعا وطاعة واعتزل ابو الهول ومعه العبيد قال وانتدب
ابو عبيدة رجالا من عرب اليمن فاجابوا الا رجال من طي فانهم كرهوا المسير تحت
راية ميسرة بن مسروق فقال بعضهم لبعض كيف عقد ابو عبيدة راية لرجل من عبس وترك سادات
طي وملوك اليمن قال الواقدي رحمه الله وبلغ الخبر لابي عبيدة فدعاهم اليه وقال
يا آل طي انكم مشكورون عند المسلمين وقتالكم انما هو عن دين الاسلام فلا يدخلكم الكبر
فتهلكوا واعلموا انه لا نصر بكثرة عدد ولا بشدة جلد وانما نغلب بنصر الله وذكر قوله تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان اكرمكم عند الله اتقاكم ووالله ان ميسرة لاقدم
منكم سبقا الى الاسلام وهجرة الى دار النبي [illegible] عليه السلام قال
فسكتت طي عند ذلك واسرعوا حتى [illegible] ميسرة بن مسروق قال
تكاملوا للمسير اقبل ميسرة على ابي [illegible] قال ايها الامير انا جاهل بالطريق وهذه

الديار وما أعرف والله ابن ادخل والارض فانك لمن جهلها وان امير المومنين امرك
في كتابه ان تبعث معنا الادلا ولا بد لنا من دليل يدلنا ويرشدنا الى طريق
نسلكه قال ابو عبيدة لقد اذكرتني بما كنت ناسيا ولا بد لكم من الادلا ثم اعرض
ابو عبيدة على المعاهدين من كل مكان ممن كان في الذمة وعرف خيره وشره
فاختار منهم اربعة وضمن لهم الجعل وطرح عنهم الجزية واستشارهم في اي
درب يكون دخول المسلمين في طلب العدو فكل اشار عليه بالدروب وهو
الدرب الاعظم من بلد قودس وقالوا ايها الامير ان هذا الدرب لعين حمل
البلد الذي تقصدونه وهو شديد الحجر كثير الشجر وهو مضايق وشعاب فقال
اهل اليمن سر انت امامنا فانك ترى منا عجبا فعند ذلك هز ميسرة بن
مسروق الراية في يده وسار بها في اوايل قومه بعد ان ودع ابا عبيدة والمسلمين
وهم يضجون بالتكبير والقران قال عطا بن حجة الغساني وسرنا
نجد السير والدليل امامنا حتى اتانا بنا بقعة جندارس بعد ان عبرنا نهر
السلجون ثم اقتحمنا الدروب ولم نزل نسير في ارض وحشة واشجار مشتبكة
وامواه جارية ومضايق ليس للفارس فيها مجال الفرس فهالنا ما راينا من وحشة
ذلك المكان وصعوبته فقلت في نفسي ان طال بنا هذا الامر خشيت على المسلمين
ان يظفر بهم عدوهم قال وسارت الادلا امام المسلمين وتعلقوا بهم في جبال
شامخة الطول صعبة المسلك فعندها ترجل المسلمون عن خيولهم ولم يبق منهم

احد الا

احد الا قاد جواده من ورايه قال عبد الرحمن بن سمرة بن عبيد كنت مع ميسرة
ابن مسروق في سريته وقد اخترقنا الدروب فنظرت الى جبال شاهقة
وشجر متكاثف ودوح مشتبك قال عبد الرحمن وكان لي خفين من الاديم
فلما نزلت عن الجواد لبستهما وسرت فوالله ما كان الا قليلا حتى طارت نعلهما
وبقيت رجلاي تشخب دما ولم تزل الادلا بنا ونحن في اثرهم ثلثة ايام ما من يوم
نسير فيه الا والدليل يقول للمسلمين كونوا على حذر من عدوكم فانه ان اخذ عليكم
الطريق هلكتم فلما كان في اليوم الرابع خرجنا الى رهوة واسعة وكان دخولنا
الى بلد الروم في اول الصيف وما احد من المسلمين الا وقد نزع ما عليه من الثياب الصيف
فلما صرنا في تلك الارض رجع كل رجل من المسلمين يلبس ما كان يلبسه
في الشتا وانه ليطلب الدفا ونحن ننظر الى الثلج يلوح عن ايماننا وشمايلنا قال
وكان دامس قد دخل معنا عليه لامته ولم ياخذ معه الا ملبس خفيف فلما دخل
تلك الارض سفعه البرد الشديد واصابه القر فقال قبح الله هولاء العلوج
اذ هذا القر في بلدهم في الصيف فكيف يكون في الشتا اما يقتلهم الله بهذا
الثلج والبرد الشديد وجعل يرتعد فنظر اليه رجل من المسلمين فقال يا ابا الهول
ما لك ترتعد قال اخذني القر قال فما لك لا تلبس شيا قال ليس معي غير ما
علي قال فاخبر الرجل لميسرة بن مسروق بذلك فدفع اليه فروة كانت على جسده
فلما لبسها ابو الهول ودفي جسده قال يا مالك يا ميسرة كساك الله من قطف الجنة

فقال له الحلات على ما الجلل وهي لخشن من القطف قال الواقدي رحمه الله
وسار بهم الدليل والمسلمون في اثره ولم يزل المسلمون سائرون في بلد الروم الى ان
وصلوا الى ارض طيبة كثيرة المياه قليلة الشجر فامر ميسرة الجيش بالنزول
وذلك انهم لم يروا احدا من الروم في طريقهم فنزل الناس هنالك حتى تكامل
الجيش فلما تكامل رحل بهم ميسرة وسار يقدم الجيش والراية بيده ونحن لا
نرى احدا الا ان الروم حذرة منا قال سعيد بن عامر فوالله ما راينا
احدا منهم فلما كان في اليوم الخامس ونحن سائرون اذ لاح للمسلمين سواد في لحف
جبل فاسرعت الخيل نحو السواد فلما قربوا منه واذا هي قرية من قرايا الروم فلما
وصلوا اليها واذا بها فارغة من الناس ليس بها من اهلها احد الا انهم لما
سمعوا صوت الديك وثغا الغنم وليس فيها دافع ولا مانع قال سعيد فلما نظرنا
الى ذلك علمنا انهم قد هربوا فصاح ميسرة بنا وقال احذروا على انفسكم
فاني اظن القوم قد علموا بنا فتركوا اهرقنا قال وابتدر المسلمون الى القرية واخذوا
ما كان فيها من طعام واثاث وغير ذلك قال سعيد فنظرت الى ابي الهول
وهو قد حمل على عاتقه ثلثة اكسية وقطيفتين فقلت له يا ابا الهول ما هذا
معك قال يا سعيد لبرد هذه البلاد الملعونة قلت فعلام تحمل ما معك اما
يثقلك قال لا تخل عني فقد قتلني برد هذه البلاد فما انساه ابدا واخذ
المسلمون ما كان في القرية من طعام وغير ذلك ثم سار ميسرة والمسلمون معه

حتى اشرف

حتى اشرف بنا الدليل على مرج يقال له مرج القبايل وكان مرجا هايلا كثير الطول
فلما اشرفنا على المرج انبثت خيل المسلمين فيه يمينا وشمالا فنزل ميسرة هنالك
وهو مابر نفسه بالرجوع الى ابي عبيدة وذلك ان ابا عبيدة امره ان لا يتوغل في بلد
الروم وان يكون حذرا قال فبينا هو كذلك والخيل منبثة والناس امنون
اذا اقبل رجل من المسلمين ومعه علج يسوقه حتى مثله بين يدي ميسرة فقال له
ميسرة ما شان هذا قال ايها الامير اني سبقت اصحابي في السير فنظرت الى شخص
يلوح مرة ويختفي اخرى فاسرعت اليه فاخذته فدعا ميسرة برجل من المعاهدين
ممن صحبه فلما وقف بين يديه قال اسال هذا العلج اي شي عنده من اخبار الروم
فاقبل المعاهدي يسال العلج واطال معه الكلام والناس سكوت قال فلما
اطال المعاهدي معه الكلام قال له ميسرة يا ويلك ما الذي يقول هذا العلج قال
ايها الامير انه يقول ان الملك هرقل لما ركب البحر وقصد القسطنطينية بمن معه
من اهله وجيشه وقصدته الروم من كل موضع من المنهزمين وغيرهم وبلغه الخبر
ان انطاكية قد فتحت صلحا وقتل واليها صليبا فصعب ذلك عليه وبكا ثم قال
السلام عليك يا ارض سورية الى يوم القيامة ثم جمع بطارقته وحجابه وقال اني
اخاف من العرب ان يدخل في طلبنا ثم جهز ثلثين الفا مع ثلثة من البطارقة
يحفظون له الدروب فقال ميسرة كم بيننا وبينهم قال يذكر هذا الرومي ان بيننا
وبينهم فرسخين قال فلما سمع ميسرة ذلك اطرق الى الارض لا يرد جوابا واصفر لونه

فقال له رجل من آل سهم يقال له حذافة وكان من ابطال المسلمين وشجعانهم
له عمود من الحديد يقاتل به في الحرب لا يقله سواه وكان دميم الخلقة فقال
لميسرة ما لي اراك ايها الامير مطرقا الى الارض كاطراق الحيات لصلصلة
اللجام والرجل منا يقاتل الفا من الروم فقال والله ما اطرقت خوفا ولا جزعا
ولكني اخاف على المسلمين ان يصابوا تحت رايتي وهي اول راية دخلت الدروب
فيلومني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكل راع مسئول عن رعيته فقال
المسلمون والله ما نبالي بالموت ولا نفكر في الفوت لانا قد بعنا انفسنا واشتراها
الله ومن يعلم انه من دار الفنا الى دار البقا فلا يبالي بما وصل اليه من الكفار
ثم قال ميسرة ايها الناس اترون ان نلقاهم في موضعنا هذا او نسير اليهم فقالوا
اسال هذا العلج ان كان موضعنا هذا افسح من موضع القوم ثبتنا مكانا
المعاهدين للرومي فقال البتر بعد مرج عمورية اوسع من هذا المرج فان عولتم
على لقا الجيش فاثبتوا وان عدتم الى ورائكم كان خيرا لكم من قبل ان يشرف عليكم
عدوكم قال فاعرض عليه ميسرة الاسلام فابا فامر به فضربت عنقه وبينما الناس كذلك
اذ اشرفت عليهم صلبان الروم وراياتهم فنزلوا بالقرب من المسلمين فكانوا
كالجراد المنتشر واضرموا نيرانهم بالليل فلما اذن من الغد صلى ميسرة
بالمسلمين صلاة الفجر وانفتل من صلاته قام فيهم خطيبا وقال ايها الناس هذا
يوم له ما بعده لان رايتكم هذه اول راية دخلت الدروب واعلموا ان جيش اخوانكم

منطاولون

منطاولون لفعلكم واعلموا ان الدنيا دار ممر والاخرة دار مستقر واسمعوا
ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ولا ت
تنظرون الى قلتكم ولئن عدوكم فقد قال تعالى كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال المسلمون يا ميسرة اركب بنا الى
لقايهم فانا نرجو النصر عليهم فاستبشر لقولهم وركب لوقته وركب الجيش
لركوبه وانفصلت العبيد من العرب ووقف تحت رايه الى الهول والحارث العرب
تحت راية ميسرة وقد اخذوا على انفسهم لقتال عدوهم واستنصروا بالله عز وجل
فقال ميسرة ايها الناس اوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وكونوا كقوم
اشرف عليهم الموت فلم يجدوا منه مهربا ولاحت لهم الجنة ونظروا الى ما اعد
الله لهم فيها فاحبوا السرعة للدخول اليها وهذه الجنة امامكم وانتم اليوم جيش
الاسلام ثم عباهم ميمنة وميسرة وقلبا فجعل على الميمنة عبد الله بن حذافة السهمي
وعلى الميسرة سعد بن ابي سعد الحنفي وقدم العبيد امام القلب والراية بيد ابي
الهول فلم يسمع منه كلمة قال وركب جيش الروم عن اخره ومدوا صفوفهم ثلثة صفوف
في كل صف عشرة الاف وامامهم الصلبان وهم في عدة حسنة فلما استوت
الصفوف خرج من الروم رجل يفهم العربية وكان من متنصرة غسان فقرب من
عسكر المسلمين وقال ان الباغي ابدا يرديه بغيه اما كفاكم ما ملكتموه من الشام العظيم
حتى اقتحمتم هذه الجبال الينا وانما ساقكم المسيح الينا وهذه ثلثون الف عنان فيهم

المدبجة والملكية واصحاب الاسرة ومن قد حلف بالصليب انه لا ينهزم ابدا
حتى يقع ميتا فان اردتم ان يبقى عليكم فاستسلموا للاسر فنحملكم الى الملك
هرقل فيحكم فيكم بامره فخرج نحوه ابو الهول والراية بيده يهزها وقال
صدقت في قولك ان الباغي ابدا يرديه بغيه واما قولك انا نلقي بايدينا اليكم
تبقوا علينا فانتم اذا هم الباغون وها انا عبد من عبيد العرب لا قدر لي
عند ذوي الرتب فاقرب مني حتى اجدلك صريعا تخور في دمك ثم ان داميشا
قدم سنانه اليه وطعنه بها طعنة ارداه عن جواده قتيلا فلما ارداه فرح ابو
الهول بصنيعه وهز الراية بيده وقال الله اكبر فتح الله ونصر ثم جال
بعنانه ولوح رايته فنظرت الروم الى ابي الهول وقد قتل صاحبهم وفارسهم
فغضبت لذلك فخرج اليه اخر من علوج الروم فما تركه يقرب منه حتى طعنه
فارداه صريعا فهال الروم امره ونظروا اليه وقالوا هذا عبد من عبيدهم
قد فعل ما ترونه فلم يجسر احد ان يبارزه فعندها حمل عليهم ابو الهول
بالراية وكان راجلا فقتل واحدا من القلب ورجع عندها انحنت الروم بعضها
بعضا وعزموا بالحملة على المسلمين والمسلمون ايضا قد عجبوا من فعال داميس
فبينما هو يجول بين الصفين ويدعوا الى البراز ويخوف ويرعب اذ حمل عليه
صليب من الروم تحته عشرة الاف فارس ودهموه بالخيل ونظر المسلمون
الى المشركين وقد حملوا على فصاح مبشرة بن مسروق بالمسلمين وقال الحملة فحمل

المسلمون

المسلمون والتقى القوم فقال مبشرة فلله در العبيد لقد ابلوا بلاء حسنا
واستنقذوا ابا الهول من بين الحملة واخذوه الى حريمهم وهم يقولون نحن
عبيد لعباد الله وضربنا مثل الحريق في الله نقتل من يكفر بالله
قال ولم تزل الحرب بينهم وبين الروم يومهم اجمع لا يفترقون بعضهم من
بعض حتى قامت الشمس في قبة الفلك وحمي الحر واشتد الكرب والمسلمون
موقنون بالنصر والكفار موقنون بالخذلان وافترق الجمعان وقد قتل
من المشركين خلق كثير واسر من المسلمين عشرة منهم عامر بن طفيل وراشد بن زهير
ومالك بن حاتم وسالم بن مفرج ودادم بن صابر وعون بن قارب ومسعود
ابن حسان ومفرج بن عاصم ونبهان بن مرة وعدي بن شهاب وقتل خمسون رجلا
من السادات واسر من الروم تسع مائة وقتل زهي عن الفين ومائة فلما افترق
الجمعان افتقد المسلمون داميشا فلم يروه بينهم فحزنوا لذلك حزنا شديدا وبقي
المسلمون في قلق من اجله فافتقدوه في القتلى فلم يروه فانكسر المسلمون
ذلك فقال مبشرة ان كان ابا الهول قد قتل او اسر فقد اصيب به المسلمون
والى الله نشكوا ما اصابنا من فقد ابي الهول ومن اسر من المسلمين ثم قال مبشرة
معاشر المسلمين من منكم ينطلق ويطلب ابا الهول ومن قد اخذ معه من المسلمين
فلم يجبه احد على ذلك قال واعاد الروم الحملة على المسلمين واقتتلوا اقتتالا شديدا
حتى كان الرجل من المسلمين يجتمع عليه العشرة والمائة من الروم فيقتلونه او ياسرونه

وكان ميسرة في اربعة الاف من العرب ومواليهم والروم في ثلثين الفا ملبسين منهم
غير الحدق فعظم عليهم الحرب فلله در ميسرة بن مسروق فلقد جاهد في الله
حق جهاده وهو يصيح في خلال ذلك ايها الناس اذكروا الدار الاخرة واعلموا
انها اقرب لاحدكم من رجوعه الى اهله فاستقبلوا الاخرة استقبال الوالدة
لولدها ولا تدبروا عنها وتولوا كما تولى العزم من فزع الاسد فان اصاب
القوم خشيت ان يكون ذلك وهن منا وجراة منهم علينا ثم نادى بصوت عال احطموا
جفون سيوفكم واقبضوا على نصالها بايمانكم فذلك طريق النجاة قال
زيد بن وهب فلم يبق احد من المسلمين حين سمع كلام امينه الا وما حطم جفن سيفه
فلما نظرت الروم الى فعل المسلمين فعلوا كفعلهم وحطم كل واحد منهم جفن سيفه
فسميت تلك الوقعة باسمين وقعة مرج القبايل ووقعة الحطمة لاجل ما حطم
المسلمون من اغماد سيوفهم وكذلك الروم قال الواقدي واقتتلوا
بالسيوف حتى ظنوا انها لا تنقطع والمسلمون متوكلون على الله عز وجل والروم
تعج بكلمة الكفر وتقول مع ذلك غلب الصليب والمسلمون يطلبون فرجا
بابيهم قال والسودان تقاتل قتال الموت وكان شعار المسلمين يوميذ النصر النصر
وشعار السودان يا محمد يا محمد قال عطية بن ثابت فاني والله قد اخذني القلق
على المسلمين ونحن في كرب عظيم اذ سمعت للروم ضجة عظيمة فالتفت فاذا انا
بغبرة عظيمة فتاملتها واذا بها قد تقشعت من وراء الروم فقلت حبش قد

اقبل النصر لهم

اقبل النصر لهم قال عطية فاطلقت عنان فرسي واقتحمت الغبرة لانظر
ما هي فاذا بالروم في قتال شديد مع طايفة من المسلمين والزعقات منهم قد علت
وسمعت قايلا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فقلت هذه اصوات الملايكة
فتتبعت الصوت فاذا به صوت دامس ابي الهول وهو بارك تحت حجفته
ومن حوله عشرون من المسلمين قد جثوا على الركب والروم منكبة عليهم وما
يفكرون في قتالهم وابو الهول يجالدهم وحده يمنع عن اصحابه كلما
حملت عليهم كتيبة يضرب فيهم الضربة والضربتين وهو يبلبلهم قال
عطية بن ثابت وسمعته يقول هذه الابيات

نو تلقي الاعدا في الحديد وما جرى وستبلي المبيد
مهلك عاد وثمود اعانني بعونه الشديد
محمد الطاهر الرشيد نحل عني القيد والحديد
ذا الرسول الملك المجيد

فناديته يا دامس ما وراك واين كنت فقد اغتم المسلمون لفقدك والامير
ميسرة فقال كنت اسيرا وليس هذا وقت السوال قال فاسرعت الى الامير
ميسرة واذا به قد خضب الراية من دما المشركين فناديته ايها الامير البشارة
البشارة قال وما بشارتك هل اتتنا نجدة من اصحابنا فقلت لا ولكن
جاتنا النجدة من عند نبينا وقد خلص دامسا من وثاقه قال عطية بن ثابت

فبينما انا احاطب ميسرة بحيث واذا بابي الهول قد اقبل واصحابه وهم كانما سبحوا
في بحر من الدم قال واقترق الجيشان فوالله ما قتل منا اكثر من خمسين
رجلا وقتل من المشركين ثلثة الاف ونيف سوى ما قتل ابو الهول من الكتيبة التي
احدقت به فلما نظر اليه ميسرة هم ان يترجل عن فرسه ليسلم عليه فاقسم عليه
ابو الهول ان لا يفعل واقبل اليه وصافحه وقبل يده وقال يا ضرار كيف كان امرك
قال اعلم ايها الامير ان الروم اسرتني وغلتني في القيود وكذلك فعلوا باصحابي
وايسنا من الحياة فلما جن الليل نمت فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانه
يقول لا باس عليك يا ضرار واعلم ان منزلتك عند الله عظيمة ثم جر بيده الكريمة
على القيود فانحلت جميعها وعلى الاغلال فزالت وكذلك فعل باصحابي وقال ابشروا
بنصر الله فانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غاب عنا فاخذنا اسيافنا ووجدناها
بين القوم وحملنا عليهم فنصرنا الله ورسوله وهذا حديثنا قال فضج الناس
بالتهليل والتكبير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الواقدي وان بطريق القوم كان اسمه جارش بن مورق لما راى ما حل باصحابه جمعهم
اليه وقال وحق المسيح لقد خاب ملككم ان جاءتكم وان لم تقاتلوا اشد عزم والا
قتلتكم قبلهم واخبرت الملك بقصتكم قال فحلف القوم ان لا ينهزموا ابدا او
يقتلون فلما استوثق منهم امر بالنيران فاضرمت بالليل على الجبال والمراقب وبعث
يستنفر اهل تلك البلاد قال والروم تاتي من كل ناحية ومكان كالجراد المنتشر

فما مر كذلك

فما مر كذلك يومان حتى جاء من الروم والارمن عشرون الفا قال والمسلمون لم
يكن ثوابهم فلما كان من الغد صلى بهم ميسرة صلاة الخوف وهو اول من صلاها
قاطع الدروب فلما فرغ من صلاته قام في الناس خطيبا وقال ايها الناس اثبتوا انما
نزل بكم فالصبر عند نزول المصايب وهذه رحمة من الله لنا كبرت في صدور الاعداء
وقد دارنا جيش عظيم ونحن لا نقاتل الا بنصر الله وان الامير ابا عبيدة كان قد امرني
ان لا ابعد بكم وبيننا وبين الجيش سبعة ايام وما ظن الامير انا نلاقي مثل هذا الجيش
العرمرم فقال له سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه يا ميسرة ما الذي تريد
بهذا الكلام ان كنت تريد ان تحرضنا فنحن اشوق الى لقاء الله من الظمآن الى شرب الماء فيحض
البارد فقال ميسرة ما اردت بذلك الا مشاورتكم وقد رايت ان انفذ الى امين الامة
تنجدنا فقال سعيد نعم ما قلت قال فدعا برجل من المعاهدين ووعده بكل خير وقال
امض الى الامير ابي عبيدة وحدثه ان النفير من العدو قد لحقنا من الحصون وسائر
بلادهم وقد نزلوا بازائنا قال فلبس المعاهد زي الروم واختلس من عسكر المسلمين
على حين غفلة وسار يطلب عسكر ابي عبيدة واجهد نفسه في المسير ولم ياوي الى راحة
الى ان وصل الى ابي عبيدة وكان ابو عبيدة نازلا على حلب فقصد خيمة الامير حتى وقف
بين يديه فلما عاينه سقط الى الارض كالبغل الهرم من شدة ما اصابه من التعب والسير
فلما راه ابو عبيدة على تلك الحالة علم ان له امرا قد غاله فامر بشراب وطعام فاكل وقال له
وقال يا اخا الذمة اهلكت الكتيبة قال لا والله ايها الامير ولكن قد نفر اليهم العدو من

كل قلعة وبلد واحاطت بهم الجيوش من كل جانب ثم اشتد بالاذى لهم من الحرب
والقتال وكيف حطموا جفون اسيافهم واسرهم الى الهول وكيف انحل من وثاقه وما
هم فيه قال فقلق ابو عبيدة عند ذلك قلقا شديدا وقام مسرعا الى خيمة
خالد رضي الله عنه فوجده يصلح درعه ويتفقد زرده فلما عاينه قام له قائما وسلم عليه
وقال خيرا ايها الامير فاخذ بيده وسار الى رحله وقال للمعاهدي قم وحدثه بما
عاينت فقام المعاهدي واقبل يحدث خالدا الى ان اتى على اخر حديثه فقال خالد
ايها الامير سبحانه وتعالى لا يخذلنا فلله الحمد على ذلك وقد امرنا بالصبر على الشدايد
واما انا فقد جعلت نفسي حبيسا في سبيل الله ولا ابخل بنفسي على الله ورسوله فلعله يرزقني
الشهادة ثم اسرع الى خيمته ولبس لامته والقى قلنسوته المباركة على راسه وتقلد بسيفه
وركب جواده قال وندب ابو عبيدة اليه الخيل ودفع النفير في المسلمين فاقبلوا
سراعا يهرعون من كل مكان طوعا لله ولرسوله فلولا ان منعهم ابو عبيدة لكانوا قد ساروا
باجمعهم فانتخب منهم ثلثة الاف فارس واردفهم بعياض بن غنم في الف فارس قال
الواقدي حدثني احمد بن هاشم قال حدثني عياض بن ملك عن من حدثه قال لما سار خالد
بالجيش الى معاونة ميسرة بن مسروق قال اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا واطوي لنا
البعيد ولا تسلط علينا من لا يرحمنا قال وتوجهوا الدروب واما ميسرة بن
مسروق فانه دارت به الروم من كل جانب وكانوا يقتتلون كل يوم فلا يفترقون الا ان يقبل
الظلام وكل يوم يزيد عدد الروم والمسلمون يضعفون مما لحقهم من التعب والجراح من غير

قتل يقع

قتل يقع بهم كانهم قوم قد حجب عنهم الموت قال الواقدي حدثني معمر بن
راشد عن الزبيدي قال لما سار خالد بن الوليد الى ميسرة بن مسروق سجد ابو عبيدة
سجدة واطال فيها وقال اللهم اني اسالك بمن جعلت اسمه مع اسمك وعرفت فضله
للانبياء الا طويت لهم البعيد وسهلت عليهم الصعب الشديد والحقتهم باصحابنا
يا اله العالمين قال وميسرة ومن معه ينتظرون فرجا ياتيهم ونصرا
ينزل عليهم قال عبد الله بن الوليد الانصاري حدثني ثابت بن عجلان عن سليم
ابن عامر الانصاري قال كنت مع ميسرة بن مسروق في وقعة مرج القبايل ونحن
نباكر بالقتال ونروح رواحا قال سليمان بن عامر فخرج في يوم
من الايام الى القتال بطريق من بطارقة الروم وقد لبس درعين وعلى ساعديه
حديد وعلى راسه بيضة كانها الذهب تلمع ومن فوقها صليب من الجوهر وبيده
عمود من الحديد كانه ذراع بعير فجال بين الصفين ودعا الى البراز بلسانه وكان
ذلك احد البطارقة الذين بعث لهم هرقل وجعل يرطن بكلامه فقال ميسرة
للترجمان ما يقول هذا العلج قال انه يذكر انه بطريق كبير وهو يدعو الى البراز
ويقول اخرجوا الي شجعانكم وابطالكم فقال ميسرة معاشر المسلمين من
يبرز اليه ويلقى المسلمين امره فاسرع بالاجابة رجل من المسلمين من النخع عليه درع
من دروع الروم فلما برز الى البطريق قدر انه من بعض متنصرة العرب وقد اجاب الى
الاسلام وخرج يريد القتال فجعل العلج يكلمه ويظن انه يفهم كلامه فلما راه لا يفهم ما

يقول حمل عليه مصمما وضربه ضربة بالعمود فتراجع لها النخعي فوقع العمود في راس
جواده فانصرع براكبه ووثب النخعي على قدميه وهم ان يداخل العلج بضربة فاشفق
ميسرة على النخعي فناداه يا اخا النخع ارجع الى ورايك ولا تلقي بيدك الى التهلكة فرجع
القهقرى على عقبه والعلج يتبعه يريد ان يضربه فاسرع اليه عبد الله بن حذافة
وصاح به صيحة عظيمة دهش لها العلج والتفت اليه وسلم منه النخعي حتى دخل
عسكر المسلمين وحمل عبد الله بن حذافة على العلج وحمل العلج عليه وجالا في ميدان
الحرب وضعف بينهما المجال وكان عبد الله اذا ضرب العلج لا يعمل في
سلاحه شيا وكان العلج اذا ضرب عبد الله اخذ الضربة في جحفته فتوهنه من ثقل
الحديد وعظم ساعده قال فطال بينهما القتال والتقيا بضربتين فبادره عبد الله
بالضربة بجنب لحيته وطلب نحره فلحق سيفه ما لحق من الزرد الصغار ووصلت
الى عنقه فطار راسه عن بدنه وهم الفرس ان يرجع الى اصحابه من جيش الروم فاسرع
اليه عبد الله بن حذافة فاخذه ونزل على الكافر فاخذ سلبه ورجع به الى
المسلمين فعظم ذلك على الروم وكان البطريق له المنزلة العظيمة عند الملك هرقل
قال فبرز الثاني وقال هذا صاحب الملك قد قتل ولا بد لي من اخذ ثاره وها انا
خارج الى الذي قتل البطريق واسره واحمله الى الملك واقول له هذا قاتل بطريقك
فاصنع به ما تريد ثم انه لبس وتدرع وخرج على شهري عظيم الخلق واقبل حتى وقف
على البطريق المقتول وقد اخذ عبد الله سلبه وراسه طايح فبكا رحمة له وحلف

بالمسيح والصليب

بالمسيح والصليب انه ياخذ بثاره وجعل يسير حتى قرب من عسكر المسلمين وقال
بلسان فصيح يا معاشر المسلمين يوشك ان الله عز وجل سيهلككم ببغيكم علينا
ابرزوا الي قاتل البطريق حتى اخذ منه بالثار فلما سمع عبد الله هم بالخروج اليه
هذا ح
فمنعه ميسرة عن البراز لشفقته عليه لانه تعب من المبارزة وهم ميسرة ان
يلقيه بنفسه فقال له عبد الله بن حذافة ايها الامير يدعوا باسمي واتخلف
عن الخروج اني اذا العاجز غير حازم قال ميسرة اني اشفقت عليك من تعبك
قال عبد الله اتشفق علي من التعب في الدنيا ولا تشفق علي من حرارة نار
الاخرة وسعير جهنم وعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم لا برز اليه غيري ثم
خرج عبد الله بن حذافة وتحته فرس البطريق الذي قتله وما عليه من لامته شيا
وبيده سيفه وجحفته فلما خرج الى البطريق نظر العلج الى فرس صاحبه فعلم ان عبد الله
هو القاتل لصاحبه فما امهله ان يجول معه حتى حمل عليه البطريق كانه جبل الهدم
من علوه ونشبت به واقتلعه من سرجه واخذه اسيرا واتا به الى قومه فسلمه اليهم
ودعا رجالا من قومه وقال لهم اوثقوا هذا بالحديد واحملوه الى القسطنطينية
ودعا البطريق بعد ان قال لهم اوقفوه بين يدي الملك واعلموه ان هذا قتل فلنص
ابن جرج قال فكبل في الحديد وحمل على جبل البريد وعاد العلج الى مكانه
من الحرب وهو يفتخر بما قد صنع ودعا البراز فخرج اليه ثلاثة من المسلمين فقتلهم
فقال ميسرة لنفسه يا ابن مسروق اما تستحي من الله عز وجل ان تقف برايته

المسلمين وانت تفتخر عليهم وقد اسر عبد الله بن حذافه وقتل هذه الثلثة من
المسلمين وانت متخلف عن القتال فما عذرك عند الله عز وجل غدا ثم استدعا
بسعيد بن زيد وسلم اليه الرايه وقال له كن للراية لازما حتى اخرج الى هذا اللعين
فان قتلني فاجري على الله وان قتلته كان فدا لعبد الله بن حذافه فاخذ سعيد
ابن زيد الرايه وخرج ميسرة نحو البطريق كانه اسد فجال على البطريق وهو يقول

قد علم المهيمن الجبار بان قلبي قد كوي بالنار على الفتى القايم بالاستجار
ستعلم العلوج ذي الاشرار باني اخذ له بالثار

قال ثم حمل ميسرة
على العلج وجالا طويلا وعظم بينهما الامر ثم تدانيا وتقاربا وغابا تحت الغبره
فقال العلج لميسرة يا مسلم بحق دينك اخبرني ما هذه الرايه التي طلعت من
ورا عسكركم قال فلم يقبل ميسرة كلامه وقال وما ذلك على الله بعزيز فقال
وحق المسيح ما قلت لك الا حقا قال وهو يحلف كاذبا فالتفت ميسرة بحرصه
ان ياتي الله بالفرج للمسلمين وبطئ يحقق ما قد قاله العلج فحمل العلج عليه ومكن
يده منه ليا خذه اسيرا واذا قد طلعت الرايه وهي مشرقه بالانوار في يد خالد
ابن الوليد رضي الله عنه فنظر اليها المسلمون وكبروا باجمعهم فلعظم تكبيرهم
استرخت يد البطريق عن ميسرة والتفت ينظر ما حالهم فقبض عليه صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يقتلعه من سرجه فلم يجد الى ذلك من سبيل
لانه مزرد في الحديد فجعل يجذب بيده يروم ان يطرحه ونظر العلج الى رايه خالد

ابن الوليد وهي تقرب منه فعلم انه هالك لا محاله فرفع السيف يريد ان يضرب به ميسرة
فاخذ السيف على يد البطريق اليسرى فقطعها وارجع ميسرة في سرجه وانثنى
البطريق راجعا الى قومه ويده مقطوعه وهو باين مما وصل اليه من الالم فالتقاه
غلمانه وحجابه واخذوه على اعناقهم واتوا به مضربه ولفوا يده واما خالد فالتقى
بميسرة وسلم بعضهما على بعض وحدثه ميسرة بما تم له مع الروم وكيف
اسر عبد الله بن حذافه فصفق خالد بيد على يد وقال ايوسر مثل عبد الله بن حذافه
لا فارقتهم او اخلصه من ايديهم ان شا الله تعالى واقام خالد بقيه يومه فلما كان
من الغد نظروا واذا بشيخ قد خرج من جيش الروم وعليه المسوح فاقبل حتى وقف
بازايهم واومى بالسجود الى خالد فمنعه من ذلك وقال ما الذي تريد قال ان البطريق
يدعوكم بالطاعه وانه لما راى هذا الجيش الذي اقبل عليكم علم انه لا طاقه له بكم
ولا بقتالكم وانه يقول لكم هل لكم في صلحنا ونخلي اسيركم وندفع لكم ما تريدون من
من الاموال وترجعون من بلادنا فقال خالد اما ان نرجع عنكم فما نبرح الا عن انفصال
واما الاسير فان اطلقتموه طوعا والا اطلقتموه كرها قال الشيخ انت امير العرب
قال نعم قال ان رايت ان تؤخرنا يومنا هذا فافعل لندبر الراي بيننا ويهدى البطريق
من وجع يده ويخرج اليكم فيجيبكم الى ما تريدون قال قد اجبناكم الى ذلك فرجع الشيخ
الى قومه وقال للبطريق انه قد اجاب ووضعت الحرب اوزارها ونزل خالد والمسلمون في
اماكنهم فلما كان من الليل امر البطريق اصحابه ان يضرموا النيران على ابواب الخيام ويزيدوا

في وقيدها ففعلوا ذلك وحملوا اثقالهم ورحالهم وتركوا الخيام على حالها
والنيران مشعولة وساروا من ليلتهم فما اصبح لهم خبر يعرف فلما كان من الغد
ركب المسلمون وانتظروا ان يخرج اليهم احد من الروم فلم يروا احدا فعلم المسلمون
ان الروم قد ولت هربا فعض خالد على انامله غيظا عليهم وقال انا لله وانا
اليه راجعون على افلاتهم من يدي وهم ان يسير في طلبهم فمنعه ميسرة من ذلك قال
ايها الامير انها بلاد وعرة والصواب انا نرجع الى عسكر المسلمين قال فاخذوا
الخيام وما بقي من رحالهم ورجع الجيش منصورا وهم محزونون على عبد الله بن حذافة
حتى وصلوا الى ابي عبيدة فالتقاهم وفرح بهم واقبل ميسرة وسلم على ابي عبيدة وحدثه
بما كان من الروم ومن قتل من المسلمين وهم خمسون رجلا واسر عبد الله بن حذافة
فلما سمع ابو عبيدة باسر عبد الله بن حذافة صعب عليه ذلك وعظم لديه وقال
اللهم اجعل له من امره فرجا ومخرجا ثم كتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كتابا يخبره بامر السرية التي دخلت الدروب وما كان من المسلمين واسر
عبد الله بن حذافة وبعث الكتاب اليه فلما وصل كتاب ابي عبيدة الى عمر رضي الله عنهما
وقرا على المسلمين وفرح بما كان من المسلمين ونصرهم على عدوهم الا انه اغتم على اسر عبد الله
ابن حذافة لانه كان يحبه حبا شديدا وقال وعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعثه لاكتبن الى هرقل كتابا حتى ينفذ الي بعبد الله بن حذافة فان لم يفعل والا سرت
اليه بالجيوش والعساكر ثم كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب

العالمين

العالمين الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وصلى الله على محمد نبيه ورسوله المؤيد من عمر
ابن الخطاب امير المؤمنين اما بعد فاذا وصل اليك كتابي فابعث بالاسير الذي في يدك
وهو عبد الله بن حذافة فان فعلت ذلك رجوت لك الهداية وان ابيت ذلك بعثت
لك رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والسلام على من اتبع الهدى وطوى
الكتاب وبعث به الى ابي عبيدة وامره ان ينفذ به الى هرقل فلما وصل الكتاب الى ابي عبيدة
دعا برجل من المعاهدين وضمن له جعلا ودفع اليه الكتاب الذي لهرقل من امير المؤمنين
فسار المعاهدي بالكتاب الى القسطنطينية فلما وصل اعلم به الملك وقيل انه رسول من
العرب فقال ادخلوه ثم دعا بعبد الله بن حذافة قال عبد الله فادخلت عليه والتاج
على راسه والاساقفة والبطارقة من حوله قال فلما وقفت بين يديه قال لي من انت
فقلت انا رجل من قريش فقال انت من بيت نبيك فقلت لا بل انا ابن عمه فقال هل
لك ان تتبع ديننا وازوجك بابنة بطريق من بطارقتي واجعلك من اكابر اصحابي فقلت لا
افارق دين الاسلام وما جاء به محمد عليه السلام فقال الملك اجب الى ديني حتى اعطيك
من المال كذا وكذا قال عبد الله ودعا بسفط من الجوهر وقال ان دخلت في
ديني اعطيتك اياه فقلت والله لا افارق الاسلام واهله ابدا ولو اعطيتني ما تملكه
فقال ان لم ترجع الى ديني والا قتلتك شر قتلة فقلت لست افعل ذلك ابدا فاصنع
ما انت صانع قال فغضب من كلامي وقال اسجد لهذا الصليب سجدة واخليك فقلت لا
والله لا افعل ذلك قال فكل من لحم هذا الخنزير واخليك فقلت ما انت بالذي افعل

فقال اشرب من هذا الخمر كاسا واخليك قلت لا والله ابدا فقال وحق ديني
لناكلنه ولتشربن هذا الخمر ثم قال الغلمانه اجعلوه في بيت واجعلوا عنده لحم خنزير
وخمر فانه اذا ضربه الجوع اكله واذا عطش شرب الخمر قال ففعل الغلمان ما
امرهم به الملك وافردوا عبد الله في البيت ومعه لحم الخنزير والخمر وغلقوا عليه
الباب وتركوه قال حدثني عامر قال حدثني يوسف بن عمران قال
حدثني سفيان بن خالد عن من يثق اليه قال ان الملك هرقل كان قد مات بعد خروجه
من انطاكية تما حمل على قلبه من فراق ارض سورية ويقال انه مات مسلما والذي فعل
بعبد الله بن حذافة ما فعل كان ولده توشطينوس ولقبه على لقب ابيه هرقل فلما
كان في اليوم الرابع قال هرقل ما فعل الاسير قالوا ايها الملك على حاله قال وزيره ايها
الملك ان هذا الرجل شريف في قومه ولا يقول بالذل وكلما تفعل بهذا الاسير
تفعل المسلمون بمن ملكوا منا في ايديهم قال فاستدعى به اليه وقال ما فعل باللحم
والخمر قالوا ايها الملك هو على حاله فقال له الملك ما منعك ان تاكله قال
فزعا من الله ورسوله وايضا انه قد احل لي بعد ثلثة ايام ولكن لئلا يشمت بالمسلمين
قال وورد عليه كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب فلما قراه اعطا لعبد الله مالا
كثيرا وثيابا واعطاه لولوا كثيرا اهديه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعث
خيلا مع عبد الله الى نحو الدروب وعادوا عنه ووصل عبد الله الى ابي عبيدة ففرح
بقدومه وبعث معه خيلا الى المدينة فلما ورد على عمر وراه سجد شكرا لله تعالى

وهنا عبدالله

وهنا عبد الله بالسلامة واعطاه اللولوا فلما راه عمر اعرضه على تجار المدينة
فلم يعرفوا قيمته وقالوا يا امير المومنين ان الله قد حباك به فخذه اليك بارك الله تعالى
لك فيه قال فامر بالناس ان يجمعوا اليه فاجتمعوا حتى غص المسجد بالناس ثم
رقا المنبر خطيبا وحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس ان كلب الروم قد وجه الي بهذا
اللولوا وقد جعلني منها المسلمون في حل فما تقولون رحمكم الله قالوا خذه بارك الله
لك فيه يا امير المومنين فقال لا اله الا الله محمد رسول الله اذا كنتم قد جعلتموني منه
في حل فكيف اصنع بمن غاب من المسلمين ومن في البطون والاصلاب من اولاد المهاجرين
والانصار لا طاقة لعمر بمطالبتهم يوم القيامة ثم باعه وجعل ثمنه في بيت المال
حدثنا عمرو بن سالم قال اخبرنا عبد الله بن عامر قال اخبرنا ابو بكر بن عمر عن
عبد الرحمن بن عبد الله قالوا جميعا انه لما فتح ابو عبيدة انطاكية صلحا وكان من امر
ميسرة ما ذكرناه واقام ابو عبيدة بحلب ينتظر ما يكون من امر عمرو بن العاص
على قيسارية قال الواقدي ولقد بلغني من الثقات ان اهل المعرة وكفرطاب
وفامية وجبل ابي قبيس وما والاه من الحصون فتح المسلمون حصونهم ومدائنهم صلحا
وكان في جملة من سار مع عمرو بن العاص الى قيسارية خمسة الاف من المسلمين فيهم عبادة
ابن الصامت وعامر بن ربيعة وبلال بن حمامة وربيعة بن عامر قال شبيع بن
حمزة كنت مع عمرو بن العاص حين سار الى قيسارية قال لقد دخلنا قرية من قرى الشام
والبرد شديد فنظرنا الى كرمة في دار من دور القرية والكرمة فيها عناقيد مدلاة

اكبر ما يكون من العناقيد فاخذنا منه عنبا فاكلناه فبردنا ولحقنا البرد من شدة
برده فقلت قبح الله هولاء العلف بلدهم بارد وعنبهم بارد وماوهم بارد وانا نخاف
الهلاك من شدة برد بلادهم قال فسمعه رجل من نصارى الشام فاقبل
اليه يريد التقرب منه ليبقي عليه فقال يا اخا العرب ان كنت تجد البرد من العنب
فاشرب من مايه قال سبيع بن حمزة ودلنا على دن كبير فشربت انا وجماعة
من عرب اليمن واتينا عسكرنا نتمايل سكرا فاعلم عمرو وخبرنا فكتب الى ابي عبيدة يعلمه
بذلك فكتب اليه ابو عبيدة اما بعد من شربها فاجلده عليها واقم حدود الله كما
امرك ولا تخش لومة لايم فلما وصل الكتاب الى عمرو دعا بسبيع بن حمزة واصحابه
فجلدهم بالسياط قال سبيع فلما ضربني عمرو واوجعني قلت والله لاقتلن العلج
الذي دلني على الخمر حتى شربته فاخذت سيفي ودخلت القرية وطلبت العلج فلما وقفت
به جردت السيف وهممت بقتله فولى بين يدي هاربا وتبعته وهو يقول اي ذنب
اذنبت له فقلت يا ويلك دللتني على ما يغضب الرب وشربته فقال والله ما علمت
انه محرم عليكم قال سبيع وناداني عبادة بن الصامت يا سبيع اياك ان تقتله فانه
تحت الذمة قال فتركته فمضى واتاني بتين وجوز وقال كل من هذا فانه يدفيك
قال فاكلته فوجدته طيبا فقلت يحاك الله ان كنت اول مرة قبل ان اضرب بالسياط
قال الواقدي وان عمرا ارتحل بنا حتى نزلنا بموضع يقال له محل وبلغ
الخبر لقسطنطين بن هرقل وان من انهزم من عسكر ابيه ومن سائر الروم قد التجوا

اليه ومن البطارقة والمدبجة والسورية وغيرهم واكتمل حينئذ في ثمانين الفا وانه
دعا برجل من المتنصرة وقال له امض الى هذا الجيش وتجسس اولهم واخرهم قال فمضى
المتنصر كما امره الملك الى ان مر بقوم من عرب اليمن وهم يصطلون حول النار فاوى
اليهم وجلس بينهم يسمع حديثهم فلما اراد القيام عثر في ذيله فقال باسم الصليب
كلمة زلت على لسانه فلما سمعوا قوله علموا انه متنصر وجاسوس للروم فوثبوا
اليه فقتلوه ووقع الصايح في العسكر حتى سمع ضجة عظيمة فقال عمرو ما الخبر قيل
ان قوما من عرب اليمن وقعوا بجاسوس للروم فقتلوه فغضب عمرو لذلك واستدعا
بهم اليه وقال يا هولاء القوم ما حملكم على قتل الجاسوس هلا اتيتموني به لاستخبره
فكم من عين يكون علينا ثم يرجع الينا لان القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشا
ثم نادى في جيشه من وقع بغريب او جاسوس فلياتني به قال وان قسطنطين استبطا
جاسوسه فلما ابطا خبره عليه علم انه قد قتل فنفذ عينا ليأتيه بالاخبار فاشرف
الجاسوس على جيش المسلمين وحزره ثم عاد الى الملك قسطنطين وقال ايها الملك
اني اشرفت على جيش المسلمين وحزرته في خمسة الاف فارس الا انهم اسود ضراغم ونسور
قشاعم يرون الموت مغنما فلما سمع قسطنطين ذلك قال وحق المسيح لا بد لي من قتالهم
جهدي ولاقاتلنهم بشدة عزم فاما ان ابلغ المراد واما اموت صبرا ثم جمع بطارقته
واختار منهم عشرة الاف فارس وعقد راية على قصبة من القصب على راسها صليب من
الذهب الاحمر وسلمها الى بطريق يقال له مكلاكوز وهو صاحب جيشه ومقدمه

وقال قد وليتك على هولاء فسر بهم فانت طليعة لجيشي فاخذ البطريق الرابع وخرج
بالعشرة الالف فارس وسار من يومه ثم ان قسطنطين عقد صليبا اخر على قصبة
من الذهب وسلمها الى دمستق العسكر واسمه جرجس ابن بلقوس وضم اليه عشرة الالف
وامره ان يلحق بالبطريق الاول فخرج في اثره والملكان في اليوم الثاني خرج قسطنطين
في بقية الجيش ونزل على حفظ قيسارية ابن عمه قسطنطين بن بجنا ونزل معه
عشرين الفا قال بشار بن عوف فبينما نحن في محل اذا اشرف علينا
البطريق الاول في عشرة الالف فارس فلما قرب منا وراينا الجيش حزرناه عشرة
الالف قال فعرفنا وقلنا نحن خمسة الالف وعدونا عشرة الالف وكل رجل منا
يقاتل الاثنين من الروم قال فبينما نحن كذلك اذ طلع البطريق الثاني في عشرة
الالف فقال عمرو اعلموا انه من اراد الله واليوم الاخر فلا يرتاع لكثرة العدو
ولا تزايد المدد فان الجهاد اوفى متجر واعز قدرا واي نجاة لمن يقتل في صفوف
الكفار ويكون حيا ابدا يرتع في مروج الجنة وينال من الله سابغ المنة قال الله
سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
ولو ان الجاسوس الذي قتلتموه لم تعجلوا عليه لكان قد اخبرنا بمسير هذه الجيوش
ولكنا قد اخذنا على انفسنا بالاحوط ولكن الله لا يغالب ثم جمع اليه الابطال وقال
قد رايت ان انفذ الى الامير ابي عبيدة وتعلمه بما قد دفع الينا ولعله يمدنا بالنجدة
بيزيد بن ابي سفين وهو مما حاطر قنسرين فقال له ربيعة بن عامر يا عمرو الق

بنا العدو ونتوكل على الله عز وجل فان الذي نصرنا في مواطن كثيرة ونحن في
قلة سينصرنا على بقية الكافرين قال فاستقنع عمرو بنصيحة ربيعة بن عامر وقال والله
لقد صدقت ثم امر الناس بالتاهب الى لقاء العدو فركب المسلمون ورفعوا اصواتهم
بالتهليل والتكبير فاجابتهم الجبال والتلال والاوعار والاشجار قال
وارتاع المشركون عند سماع اصواتهم وكانما الارض [illegible] باهلها قال ونظر
قسطنطين الى جيش المسلمين فزاد في عينه فقال وحق ديني لما اشرفت على القوم
ما كانوا في اكثر من خمسة الاف فارس وقد زاد الان عددهم وكثر مددهم
ولا شك ان الله قد امدهم بالملايكة ولقد كان ابي على بصيرة من هولاء العرب وليس
جيشي باعظم من جيش ماهان الارمني لما لقيهم في اليرموك في الف الف ولقد ندمت على
خروجي اليهم واني سوف ادبر الحيلة على هولاء العرب ثم دعا بقس عظيم القدر
عندهم وهو قس قيسارية وعالمها وقال له اركب الى هولاء العرب وكلمهم بالتي هي احسن
وقل لهم ان الملك يريد ان تنفذوا له افصحكم لسانا واجلكم حسبا فابعثوه ولا يكون
من طغام العرب قال فركب القس وعليه ثوب من الديباج الاسود وعليه برنس من الشعر
وركب على بغلة شهباء واخذ بيده صليبا من الجوهر وسار حتى اشرف على جيش المسلمين
فوقف بحيث يسمعون كلامه وقال يا معاشر العرب اني رسول اليكم من الملك
الرحيم قسطنطين بن الملك هرقل وانه يريد صلحكم ولا يبغي قتالكم لانه عالم بدينه
بصير باموره وليس يحب سفك الدماء ولا فساد الصور فلا تبغوا علينا فالباغي مقهور

والبغا عليه منصور وقد قال لنا المسيح لا تقاتلوا الا من بغا عليكم وان الملك
يريد ان تبعثوا اليه رجلا من فصحائكم ولا يكون من طغام العرب ثم قال فلما سمع عمرو
كلام الراهب قال ايها الناس قد سمعتم ما قال هذا الاقلف فمن منكم يبادر
في مرضاة الله ورسوله وينظر ما يكلم به كلب الروم فقام بلال بن حمامة مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما اسود طويل في الرجال كالنخلة السحوق
براق السواد عيناه حمراوتان كانهما العلق جهوري الصوت فقال
يا عمرو انا اسير اليه فقال يا بلال قد حطك الحزن على رسول الله صلى الله عليه
وايضا انك من جنس الحبشة ولست من العرب لان العرب لهم كلام جزل والخطب
الصحيحة الفصيحة فقال بلال بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تركتني امضي اليه
قال عمرو وقد اقسمت علي بالعظيم اخرج واستعن بالله ولا تهابه في الخطاب وافصح في الجواب
وعظم شعاير الاسلام قال ستجدني ان شاء الله حيث تحب قال فخرج بلال رضي الله عنه نحوهم
وهو كالنخلة السحوق عريض المنكبين كانه من رجال شنوءة وكان من عظم خلقته اذا
نظر اليه احد خافه وهابه وكان يلبس يوميذ قميصا من كرابيس الشام وعلى
راسه عمامة صوف متقلد سيفه وبيده عكازه فلما برز بلال من عسكر المسلمين
ونظر اليه قس الروم انكره وقال ان القوم قد هنا عليهم اذ دعوناهم نخاطبهم
بعثوا الينا بعبد من عبيدهم لصغرنا في اعينهم ثم قال ايها العبد ابلغ مولاك
وقل له ان الملك يريد اميرا منكم حتى يخاطبه بما يريد فقال له بلال ايها الرجل

انا بلال

انا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلست بعاجز عن جواب صاحبكم فقال
له القس قف مكانك حتى اعلم الملك بامرك ثم عاد القس ووقف بين يدي قسطنطين
وقال ايها الملك ان القوم قد بعثوا اليك بعبد من عبيدهم ليخاطبك وما
ذاك الا لاجل انا قد هنا على القوم وصغرنا في اعينهم وهو عبد اسود طويل
عظيم الخلقة وجعل يصف له بلالا ويفخم امره حتى داخله الرعب من فزعه فقال
له قسطنطين ارجع اليهم وقل لهم بعث اليكم ابن ملك النصرانية يريد منكم من
يخاطبه تبعثون له بعبد من عبيدكم فرجع القس الى بلال وقال يا اسود ان الملك
يقول لسنا نريد ان نخاطب العبيد بل نخاطب صاحب جيشكم والمومر عليكم
فرجع بلال وهو منكسر فاخبر عمرا بذلك قال شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا امضي اليه فقال عمرو واياي دعا وانا امضي اليه فقال له شرحبيل
يا عمرو فاذا مضيت انت من تدع على المسلمين قال عمرو والله لطيف بعباده وهو راحم
لخلقه ولكن خذ الراية واخلفني في موضعي فان غدر القوم فالله الخليفة عليكم قال
فاخذ شرحبيل الراية ووقف في مقام عمرو وخرج عمرو نحو القوم وعليه من فوق درعه
جبة صوف وعلى راسه عمامة من صبغ اليمن مصبوغة صفرا قد ادارها على راسه وارخا
لها عذبة وفي وسطه منطقة سيور وتقلد سيفه واعتقل رمحه وسار عمرو رضي الله
عنه حتى وقف بازاء القس الذي ارسله قسطنطين فلما راه القس ضحك فقال عمرو وما
يضحكك يا اخا النصرانية قال من دناوة زيك وحملك لهذا السلاح ما الذي كنت تصنع حاله

معك وما نريد حربا قال عمرو ان العرب حمل السلاح شعارها وهو وطاها ودثارها
وانما حملت السلاح استظهارا لعلي ان القى عدوا لم حربا فيكون السلاح حصنا لي من عدوي
واحامي به عن نفسي ان كان منكم غدرا فقال القس انا لسنا من اهل الغدر فكن مطمين
القلب ثم عطف الترجمان الى قسطنطين حين سمع ما قاله عمرو وقال ايها الملك ان امير
العرب قد قدم اليك وعليه من اللباس كذي وكذي ومن السلاح كذي وكذي فتبسم الملك
من قول القس وقال قل له يتقدم على ما هو ثم اخذ الملك بالتاهب لقدوم عمرو وزين مملكته
ووقف البطارقه والمدبحه عن يمينه وشماله والحجاب بين يديه واقبل القس على عمرو رضي الله
عنه وقال يا اخا العرب سر فقد اذن لك الملك فسار عمرو على جواده وجيش قيساريه
يعجب من زيه الى ان وقف الى باب قبة الملك ثم ترجل قال ومشت الحجاب امامه حتى وقعت
عينه على عين قسطنطين فسلم بتحية العرب فقربه الملك وادناه ورحب به وقال مرحبا
باميرقومه واراد ان يجلسه على السرير فامتنع عمرو من ذلك وقال بساط الله اطهر من بساطك
لان الله جعل الارض مهادا واباحنا اياها فنحن فيها سوى وما اريد ان اجلس الا على ما اباحه الله
تعالى لنا ثم جلس عمرو على الارض جاثيا على ركبتيه وترك رمحه امامه وسيفه على فخذه وقال
لقسطنطين قل ما تشا يا عظيم قومه واسال عما تريد فقال له قسطنطين ما اسمك قال
اسمي عمرو وانا من العرب الكرام ارباب الحرم المعظمين في القدم قال قسطنطين انك لعربي كريم
من عرب كرام يا عمرو ان كنت من العرب فنحن من الروم وبيننا قرابه ورحم متصل ونحن وانتم في
النسب متصلين فمن يكونوا متصلين في النسب فما لهم يسفكون دما بعضهم بعضا فقال له عمرو

ان انسابنا

ان انسابنا لا حقه بين ابائنا ونسبنا الا علاهو دين الاسلام والاخ اذا اختلف مع اخيه
في دين الاسلام حلالا له قتل اخيه وقد انقطع النسب بيننا وبينكم وقد ذكرت ان
نسبك لاحق بانسابنا فكيف يكون نسبك ونسبنا واحد ونحن من قريش الكرام وانتم
من الروم قال يا عمرو اوليس ابونا ادم ثم نوح ثم ابراهيم ثم اسحق ابو العيص واسحق اخو
اسمعيل وكلاهما اولاد ابراهيم ولا يجب للاخ ان يبغي على اخيه ويجور عليه في قسمته
التي قسمها اباوه الاقدمون قال عمرو انك صادق في القول الذي قلته وان
العيص ولد اسحق واسمعيل عم العيص ونحن بنوا اب واحد وابونا نوح صلوات الله
عليهم اجمعين وان كان نوح قسم الارض بين ولده فانه قسم لهم شططا حين غضب على ولده
حام واعلم ان ولد نوح لم يرضوا بها فاقتتلوا عليها زمانا وغلب بعضهم بعضا وهذه
الارض التي انتم فيها فانها ليست لكم هي ارض العمالقه من قبلكم لان نوحا قسم الارض
بين اولاده الثلثه سام وحام ويافث فاعطا ولده سام من قحطان الى اليمن وحضرموت
الى عمان الى الشام والعرب كلهم من ولد سام وهم قحطان وطسم وجديس وعملاق وهو
ابو العمالبق حيث كانوا من البلاد ومنهم الجبابره الذين كانوا بالشام وهذه العرب العاربه
لان لسانهم الذي بنوا عليه العربيه واقطع حام ارض الغرب والسواحل ونزل يافث فيما
بين المشرق والمغرب وان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبه للمتقين ونريد
ان نزيل هذه القسمة ونجعلها قسمة معتدله فناخذ ما في ايديكم من البلاد والعماره
والانهار والثمار وتاخذوا ما في ايدينا من الشوك والحجاره والبلد القفر فلما سمع قسطنطين

كلام عمرو بن العاصي علم انه رجل مكين فقال له صدقت في قولك الا ان القسمة قد جرت
وان لم ترضوا بها كنتم باغين علينا ونعلم انه انما حملكم على ذلك واخرجكم من بلادكم
الا الجهد العظيم فقال له عمرو ايها الملك اما ما زعمت ان الجهد اخرجنا
من بلادنا فنعم وكنا ناكل خبز الشعير والذرة فلما ذقنا طعامكم واكلناه استحسنا
ذلك فلن نبارحكم حتى ناخذ البلاد من ايديكم وتصيرون لنا عبيدا ونستظل تحت اصول
هذه الشجر العالية والفروع المورقة الاغصان الطيبة الثمار فان منعتمونا ما ذقناه
في بلدكم من لذيذ العيش فما يقوم الادجال اشوق الى حربكم من حبكم الحياة قال فاحجم
قسطنطين عن جوابه ورفع راسه الى قومه وقال اعلموا ان هذا العربي صادق في قوله ووحق
الحايز والقربان والمسيح والصلبان ما لنا معهم ثبات قال عمرو فوجدت الى وعظهم السبيل
فقلت اعلموا يا معشر الروم ان الله عز وجل قد قرب عليكم ما تطلبون ان كنتم تريدون بلادكم
وبلادكم لكم فادخلوا في ديننا وقولوا بمقالة نبينا فان الدين عند الله الاسلام وقولوا لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال قسطنطين يا عمرو انا لا نفارق ديننا
وعليه مات اباؤنا واجدادنا قال عمرو فان كرهتم الاسلام فاعطونا الجزية منك ومن قومك
وانتم صاغرون قال قسطنطين ما اجيب الى ذلك لان الروم ما تطاوعني على اداء الجزية ولقد
قال لهم ابي من قبل فارادوا قتله فقال عمرو وهذا ما عندي من الاعذار والانذار وقد
حذرتكم ما استطعت ولم يبق الا السيف حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين والله يعلم
انا دعوناكم الى امر لكم فيه النجاة فعصيتم عنه كما عصى ابوكم عيص على امه فخرج من الرحم

قبل اخيه

عزوجل ثم

قبل اخيه يعقوب وانتم تزعمون انكم منا اقرب في النسب وانا نبرا الى الله منكم ومن قرابتكم
اذ انتم تكفرون بالرحمن وانتم من ولد العيص بن اسحق ونحن من ولد اسمعيل عليه السلام
وان الله عز وجل اختار لنبينا الانساب من لدن ادم الى ان خرج من صلب ابيه عبد الله فجعل
خير النابت ولد اسمعيل والهم اسمعيل ان يتكلم بالعربية وترك اسحق على لسان ابيه
فولد اسمعيل العرب ثم جعل خير العرب كنانة ثم جعل خير كنانة قريشا ثم جعل خير
قريش بني هاشم ثم جعل خير بني هاشم بني عبد المطلب ثم جعل خير بني عبد المطلب نبينا صلى
الله عليه وسلم فبعثه رسولا واتخذه نبيا واهبط عليه جبريل بالوحي والتنزيل وقال له قد
طفت المشرق والمغرب فلم ار افضل منك يا محمد قال فخضعت جوارح القوم حين
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجفت قلوبهم وداخلت الهيبة قلب قسطنطين حين
سمع كلام عمرو وقال له صدقت في قولك ان الانبيا تبعث من خير قومها فاخبرني هل في
اصحابك مثلك بين الكلام افاتكلم سريع الجواب اذا سيل فقال عمرو ايها الملك انا اكل
اصحابي لسانا وفيهم من لو كلمته لعلمت اني لا اقاس به قال الملك ما اظن ان يكون في اصحابك
مثلك قال عمرو بلى والله وان احب الملك انفذهم اليه ليقف على صحة كلامي ثم وثب وسار
الى جواده وركب واخذ نحو المسلمين فحمد المسلمون الله على سلامته وباتوا يحترسون فلما طلع
الفجر صلى عمرو بالمسلمين صلاة الصبح وامرهم بالركوب الى قتال عدوهم قال فاسرعوا الى
ذلك واستووا في متن خيولهم واصطفوا للحرب والقتال قال الواقدي حدثني
فروة بن زبيد عن موسى مولى الحضرمي عن موسى بن عمران بن مياح قال لما كان يوم الحرب

صف قسطنطين حليشة ثلث صفوف ورتب الميمنة والميسرة ورفع الصليب وتقدم امام
الجيش قال ونظر عمرو الى قسطنطين وقد رتب حليشة وعزم على الحرب عبا
المسلمون وصفهم صفا واحدا وجعل في الميمنة الحامية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعهم شرحبيل بن حسنة وضابر بن حماسة الليثي عن شماله وكان احد فرسان المسلمين
فبينما الناس كذلك اذ خرج فارس من المشركين وعليه لامة حربه وفي عنقه صليب من الذهب
فحمل حتى خلط برمحه من الميمنة الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة ثم وقف بازا الجيش
المسلمين واخذ القوس بيده وفوق سهما ورما رجلا في الميمنة فاثبت السهم فيه فجرحه
ورمى اخر في الميسرة فقتله قال فنظر عمرو الى ما صنع فصاح بالمسلمين اما ترون الى
هذا العلج اللعين وما يصنع بقوسه فمن يكفنا امره ويرده عن المسلمين شره فخرج اليه رجل
من ثقيف وعليه فروة دنسة وعمامة رثة وبيده قوس قد فوق فيه نبله وخرج نحو العلج قال
ونظر العلج الى الثقفي وليس عليه شي من الحديد يستتر به الا ما ذكرنا وما معه من السلاح
الا قوسه فازدرى به وبنبله فانطلق نحوه سهما من كبد قوسه فوقع السهم في صدره
فاشتبك في الفروة ووقع غير صايب وكان اللعين ارمى اهل زمانه قل ما ارمى شيا الا
نفذ فيه فغضب من ذلك وهم ان يرميه بسهم اخر فاغتنط الثقفي نبلة ورمى بها نحوه
فلم يرها لصغرها وخفي موقعها فاشتكت النبلة في حلقه خرجت من قفاه فسقط
صريعا فاسرع الثقفي الى جواده فاخذه واستوى في متنه وجعل يجنب المشرك على
راسه وجعل يستحث به نحو جيش المسلمين فاستقبله ابن عم له فلم يجبه من فرحه بما صنع

فقال له

فقال له يا اخي اهلكك ولا تحنني فانه من بعض اولاد قيصر فاقبل الثقفي بسلاح العلج الى
عمرو فاعطاه اياه ونظر المشركون الى فعل الثقفي فاغاضهم ذلك ولم يدروا كيف
قتله فجعلوا يشيرون الى السماء فعلم المسلمون انهم يقولون ان الملايكة قتلت صاحبهم
قال ونظر قسطنطين الى ذلك فعظم عليه وقال لبعض بطارقته اخرج الى هولاء
العرب وحامي عن الصليب فخرج العلج وعليه ديباجة حمرا من تحتها درع ومن تحت الدرع
جوشن وفي عنقه صليب من الذهب ومعه غلام من ورايه ومعه جنيب وعليه سيفه
ودرقته فخرج حتى وقف بين الصفين وجعل يسال القتال فلما نظر المسلمون اليه
جعل لا يخرج اليه احد فقال عمرو معاشر المسلمين من يخرج ويهب نفسه لله تعالى
فخرج اليه رجل من العرب وهو يقول انا الون ذلك فقال عمرو بارك الله فيك
قال ثم حمل مصمما نحو العلج واستقبله البطريق وجعلا يتجاولا ساعة الى ان حققت
لهما ضربتان فسبقه البطريق بالضربة فاثبتها في الدرقة فقدها نصفين وكانت جلد
بعير ولم يصل اليه شي وضربه المسلم ضربة في اثرها فقطعت البيضة فتقهقر البطريق
الى ورايه ولم يصل اليه اذا فلما رجع ردعه اليه حمل على المسلم وضربه ضربة جرحه بها
جرحا فانجا فرجع المسلم الى المسلمين فصاح به رجل من قومه وقال يا ويحك من وهب
نفسه لله يرجع بين يدي عدو فقال له الرجل اما كفاك هذا الجرح الذي في
حتى توبخني ان الله لم يامرني ان القي بيدي الى التهلكة ثم شد جرحه ورجع الى الحرب
وقد عظم عليه ما قال ابن عمه فلما خرج قال له صاحبه الذي خاطبه ارجع فجد هذه

البيضة فانزلها على راسك فقال الصدقني بالله اعظم من تقى بجد بكنانك ثم رجع
نحو البطريق وهو يقول — يقول لي عند الخروج الى اللقا
دونك هذا الترس فاجعله وقا — اقسمت بالله يمينا صادقا
لا انزل البيضة فوق المرتقا — بل احتسب الطعن بريب خلقا وادخل الجنة ذات العشقا
مجاورا لاحمد في الرفقا — قال فدعا له المسلمون بالنصر وقال اللهم اعطه
ما تمناه قال وحمل على البطريق وضربه ضربة واصلة فوقعت على عاتقه فخرج
السيف يلمع من علايقه فوقع لام راسه ميتا وحمل على المشركين فقتل رجالا ولم
يزل كذلك حتى قتل رحمه الله فقال عمرو هذا رجل اشترى الجنة من الله بنفسه
اللهم اعطه ما تمنا فيقال انه طلب بين القتلى بعد الحرب فلم يوجد قال
الواقدي وكان هرقل حين نفذ ولده قسطنطين الى قيسارية كان قد نفذ معه
بطريقا من البطارقة يقال انه خال الملك وكان اسمه قيدمون وكان من اعرس الروم
واشدهم وكان قد لقي عساكر العرس وعساكر الترك والجرامقة وكان اللعين يحفظ
بسائر الالسن فقال لقسطنطين لابد لي من قتال هولاء العرب فالجهاد على
مفترض فلم يقدر قسطنطين ان يمنعه فلبس قيدمون من الديباج الاطلس والقى
عليه جوشنا مذهبا والقى على بدنه درعا وعلى راسه بيضة وركب شهريا سابقا
واخذ الاسنة بالقربان فاكل منه وشرب الخمر ثم ودع الملك قسطنطين بعد
ان وضع بين يديه صليب من الذهب الاحمر وخرج مبادرا فلما راه المسلمون قد خرج

كانه جبل

كانه جبل وكلما عليه يلمع من بريق الجواهر فضج المسلمون بقول لا اله الا الله محمد رسول الله
فلما وقف في الميدان اقبل يطمطم بلغته ويطلب البراز وكان يحفظ بلغة العرب
واقبلت العرب يهرعون اليه من جوانب عسكرهم كل يريد قتاله لاجل ما عليه
فقال عمرو ثواب الله خير لكم مما عليه فلا يخرج احد لطلب ما عليه فيكون خروجه
لاجل ذلك وان قتل ما هو في سبيل الله اخرج يطلبه فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته
الى ما هاجر اليه قال فخرج اليه غلام من اهل اليمن لا نبات بعارضيه
اسمه عامر بن قاسط وكان قد خرج من اليمن ومعه امه واخته يريدون الشام
واخته تقول له يا ابن ام جد بنا في المسير حتى نصل الى بلاد الخصب والخير وناكل
من خيرات الشام فقال يا اخية لا يكن طلبك لنعيم يفنى فان نعيم الدنيا يفنى
ونعيم الجنة يبقى فلما كان عند خروجه الى البطريق قالت له امه طلبا لرضى الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم والحياة السرمدية وقد سمعت معاذ بن جبل صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهدا احيا عند ربهم يرزقون فقالت اخته
كيف يرزقون وهم موتى قال سمعت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله تبارك وتعالى يجعل ارواحهم في حواصل طيور من طيور الجنة تاكل من ثمار
الطيور من ثمار الجنة وتشرب من انهارها فتستقر ارواحهم في حواصل تلك
الطيور فهو الرزق الذي جعله الله لهم فلما كان يوم قتال جيش قيسارية خرج الغلام

الى القتال بعد ان ودع امه واخذ وداع الموت وقال لهما اجتماعنا عند حوض
المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم خرج وبيده قناة موصولة لين العقب ومن تحته
جواد مجنب فلما خرج الغلام حمل على البطريق وطعنه بسنانه قال فانتشب السنان في
درع البطريق فلم يقدر الغلام على انتزاعه منه فضرب البطريق قناة الغلام فقطعها
وحمل عليه وضربه على هامته فشطرها ووقع الغلام ميتا رحمه الله وجال فيدمون
على مصرعه وطلب البراز فخرج اليه بشر بن وداع اليربوعي فقتله فخرج اليه اسامة
ابن رقيم فقتله فلما نظر شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل
يعتب نفسه ويقول لها يا ويلك انت تتفرجين على قتل المسلمين فما عذرك غدا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم خرج اليه والراية بيده فلما راه عمرو وقد
عول على الخروج قال يا عبد الله اترك الراية لئلا تشغلك قال فركزها شرحبيل فوقفت
كالنخلة وغاصت في حجر كانما هي منه فتفاءلوا بالنصر وخرج الى القاء فيدمون والمسلمون
يدعون له بالنصر على عدوه فلما راه البطريق تحلحل من زينه وكان له صوت كالرعد وهو
ضخم من الرجال وشرحبيل رضي الله عنه نحيف البدن من كثرة صيامه وقيامه فلما
تساوى البطريق في ميدانه حمل كل واحد منهما على صاحبه واستبقا بضربتين وكان
السابق شرحبيل بن حسنة فلم يعمل سيفه في عدو الله شيئا ونبا السيف عنه ما ضرب
به ووقع سيف فيدمون على شرحبيل فشجه ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه قال
سعد بن روح وكان ذلك اليوم كثير البرد والسحاب فبينما هما في المعركة اذ وقع المطر

كافواه القرب قال وسقطا على الارض وجعلا يتعاركان في الطين وان عدو الله حمل
على شرحبيل وضرب بيده على مراق بطنه واقتلعه من الارض ودحا به على ظهره
ثم استوى على صدره وهم بنحره فنادى شرحبيل يا غياث المستغيثين
فما استتم كلامه حتى خرج فارس من عسكر الروم وعليه لامة مذهبة
ومن تحته جواد من عتاق الخيل فقصد نحو شرحبيل والبطريق فظن
الكفار الذي خرج منهم انه يعين صاحبهم فلما قرب منهما ترجل ومال على البطريق
ودحرجه برجله عن صدر شرحبيل وقال يا عبد الله قم فقد اتاك
الفرج من غياث المستغيثين فوثب شرحبيل ينظر اليه متعجبا من قوله وفعله
وكان ملثما وقد ضرب البطريق بسيفه فقطع راسه فقال يا عبد الله خذ
سلبه قال شرحبيل والله ما رايت اعجب من امرك فانك جئت من نحو عسكر
المشركين فقال انا الشقي المبعود انا طليحة بن خويلد الاسدي الذي ادعيت
النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعمت ان الوحي كان ينزل
علي من السماء فقلت له يا اخي ان رحمة الله وسعت كل شيء ومن تاب واقلع واناب
قبل الله توبته وغفر له ما كان منه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال التوبة تجب ما
قبلها اما علمت يا ابن خويلد ان الله سبحانه وتعالى لما انزل على نبيه صلى
الله عليه وسلم ورحمتي وسعت كل شيء طمع فيها كل احد حتى ابليس فلما نزل قوله تعالى
فساكتبها للذين يتقون يئس منها ابليس وطمع فيها اليهود وقالوا نحن نتقي الله

فلما نزل قوله عز وجل ويؤتون الزكاة قالت اليهود ونحن نؤتي الزكاة ونتصدق
فلما نزل قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون قالت اليهود نحن نؤمن بما
انزل الله في الصحف والتوراة فاراد الله سبحانه وتعالى ان يعلمهم انها لامة
محمد صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي الامي فقال
طليحة والله ما لي وجه ارجع به الى الاسلام وهم ان يسير على وجهه فمنعه شرحبيل
وقال يا طليحة لبس ادرك او ترجع معي الى عسكر المسلمين فقال انما يمنعني من
المسير معك الا الفظ الغليظ خالد بن الوليد فاني اخاف ان يقتلني فقلت له
يا اخي انه ليس معنا وهذا الجيش لعمرو بن العاص قال فرجع معي فلما قربنا
من المسلمين بادروا الينا وقالوا يا ابا عبد الله من ذا معك فلقد صنع معك جميلا
قال ولم يعرفوه لانه ملثم بفاضل عمامته فقلت هذا طليحة بن خويلد الاسدي
فقالوا او تاب ورجع الى الله عز وجل فقال انا احمد الله تائبا قال شرحبيل
فاتيت به عمرو بن العاص فسلم عليه ورحب به قال حدثني سالم بن عمرو
المرندي قال اخبرنا صالح بن عون قال حدثنا حسان بن عمران عن جده قال بلغني ان
طليحة لما كان من امره ما كان وادعى النبوة وجرى له من الحرب مع خالد ما جرى سمع ان
خالدا قد قتل مسيلمة الكذاب وسجاح التي ادعت النبوة وقتل الاسود العنسي
ايضا لانه ادعى النبوة فلما سمع طليحة ذلك خاف على نفسه فهرب بالليل مع زوجته
الى الشام واستجار برجل من آل كلب وكان مؤمنا فاجاره وجلس عنده الى ان استخبره

عن حاله

عن حاله فحدثه طليحة بجميع امره مع خالد بن الوليد ووقايعه وكيف ادعى النبوة
فغضب الكلبي من كلامه وقال والله ما فعلت ذلك الا شحا على الاموال
فسلبك الله اياها ولقد كان من الواجب على الاغنياء ان يواسوا بما معهم للفقراء
فان ذلك من مكارم الاخلاق ثم طرده من جواره فاقام طليحة بالشام وقد تاب
من امره فلما بلغه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قد قبض فقال ذهب من حردت
السيف في وجهه فمن ولي بعده قالوا عمر بن الخطاب فقال الفظ الغليظ قال وهاب
عمر ان يمضي اليه وفزع من خالد ان يراه بالشام فبعثه فقصد قيسارية ليركب في
مركب ويطرح نفسه في بعض الجزاير فلما نظر الى جيش قسطنطين قد خرج الى قتال
المسلمين قال اسير مع هذا الجيش فلعلي القيه بنكبة اغتسل بها شيئا
من اوزاري ويكون لي قربة الى الله عز وجل والى المسلمين فلما نظر الى شرحبيل في يد قيدمون
حقيرا قال لا صبر لي عنه وخرج اليه واستنقذه كما ذكرناه فلما وقف بين يدي
عمرو شكر له فعله وبشره بالتوبة فقال يا عمرو اني اخاف من خالد ان يراني فيقتلني
قال عمرو فانا اشير عليك بشيء تصنعه وتامن به على نفسك من خالد وغيره قال ما هو
قال اكتب معك كتابا بما صنعت وشهادة المسلمين به وتنطلق الى امير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فادفعه اليه واظهر له التوبة فانه يقبلها منك ويستبد بك
الى الفتوح وقتال المشركين فتمحو به سالف خطاياك فاجابه طليحة الى ذلك فكتب له
شهادة المسلمين فاخذها طليحة ومضى بها الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم

بجد في المدينة وقبال هو بمكة فمضى حتى وردها فوجد عمر وهو متعلق باستار الكعبة فتعلق
به وقال يا امير المومنين انا تايب الى الله عز وجل رب هذا البيت مما كان مني فقال عمر ومن انت
قال انا طليحة بن خويلد قال ففر منه عمر وقال يا ويلك ان انا اعفو عنك فكيف نصنع غدا بين
يدي الله عز وجل بدم عكاشة بن محصن الاسدي قال طليحة يا امير المومنين ان عكاشة رجل
اسعده الله على يدي وشقيت انا بسببه وارجوا ان يغفر الله لي ذلك بما عملته قال عمر وما
الذي عملت فاخرج له الكتاب الذي من عند عمرو بن العاص رضي الله عنه فلما قراه فهم ما فيه فرح
وقال البشر فان الله غفور رحيم ولم ير عمر ان يقيم معه بمكة حتى يرجع الى المدينة فاقام معه ايام
فلما رجع عمر رضي الله عنه الى المدينة وجه به الى قتال اهل فارس قال الواقدي ورجعنا
الى الحديث وذلك انه لما قتل الله البطريق توفيدمون على يدي طليحة وجاء شرحبيل ما كان قد
جمعه ورجعا جميعا الى عمرو وكان المطر شديدا والبرد عظيم فقطع الناس عن القتال ولحق
المسلمون منه الاذى لانه كان اكثرهم بلا بيوت ولا خيام فالتجوا الى الجابية واستتروا بجدرانها
وكان من رحمة الله تعالى بالمسلمين اذ وقع في قلب قسطنطين الفزع والرعب فاوهن لما قتل البطريق
توفيدمون وكان ركنه ودعامته فشاور اصحابه في الرجوع الى قيسارية فقال يا معاشر الروم
انتم تعلمون ان جيوش اليرموك ما ثبتت لها ولا القوم وان هرقل قد ولى الى القسطنطينية
من خوفه وقد ملكوا الشام جميعه وما بقي لهم غير هذا الساحل واني اخاف ان يدهمونا من قبل ان يملكون
قيسارية والرحيل اوفق من المقام هاهنا فاجابوه الى ذلك فلما كان بالليل ارتحل القوم والمطر
ينزل قال سعد بن جابر الاوسي وكان ذلك كله رحمة من الله لنا قال فلما كان في اليوم الرابع وارتفع

المطر

المطر وطلعت الشمس فخرجنا من الجابية نطلب قتال الروم فلم نر لهم اثرا فوالله لقد فرحنا
بطلوع الشمس اكثر من رحيل الروم عنا فكتب عمرو بذلك كتابا الى ابي عبيدة الى حلب يقول
بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن العاص الى امير جيوش المسلمين بالشام ابي عبيدة عامر
ابن الجراح سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واشكره على ما منحنا من نصره اما
بعد يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قسطنطين بن هرقل خرج الى لقائنا في
ثمانين الفا وكان لقانا على الجابية واحد شرحبيل بن حسنة وكان البطريق ملكا اسمه توفيدمون
ابن خال هرقل ثم خلصه الله على يد طليحة بن خويلد فقتل توفيدمون وقد وجهته بكتابي الى امير المومنين
عمر بن الخطاب وقد انهزم عدو الله قسطنطين وانا منتظر جوابك والسلام وبعث الكتاب
مع جابر بن سعد الحضرمي فلما قرا ابو عبيدة الكتاب فرح بسلامة المسلمين وانهزام العدو عنهم
فكتب الى عمرو اما بعد فقد وصلني كتابك وقد حمدت الله على سلامة المسلمين فاذا قرات الجواب فانزل
على قيسارية وانا في اثر الكتاب معول على المسير الى صور وعكا وطرابلس والسلام ثم سلم الكتاب الى
جابر بن سعد وامره بالرجوع وعول ابو عبيدة بالنهوض الى الساحل فقام اليه عبد الله يوقنا
وقال ايها الامير اعلم ان الله قد اباد المشركين ورفع علم الموحدين واني اريد ان اسير قبلك الى
الساحل فلعلي افوز من القوم بغرة فقال يا عبد الله ان انت فعلت شيئا توكل الى الله سبحانه وتعالى
تجده بين يدي الله تعالى فوثب يوقنا واخذ اصحابه وكان قد انضاف اليه من كان يخدمه بحلب وكلهم
رجعوا الى دين الاسلام وحلا في قلوبهم وكانوا يقاتلون بهمة وعزم وكانوا اربعة الاف فارس قال
حدثنا يحيى وكان في عسكر المسلمين ايضا من البطارقة ممن اسلم ما يزيد على الثلاثة الاف غير اصحاب يوقنا

قال حدثنا ابو جعفر احمد بن عبيد بن ناصح قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عمرو السلمي قال حدثنا
ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسلم قالوا جميعا والله اعلم انه لما انهزم قسطنطين بن هرقل الى
قيسارية وتحصن بها بعث اليه اهل طرابلس ان ينفذ لهم نجدة فنفذ اليهم بثلاثة الاف
فارس من البطارقة والمعتمدة وجعل مقدمهم جرجناس بن صليبا وسار يطلبون طرابلس ومن
معهم فلما كان بالقرب منها نزلوا في مرج ليعلقوا على خيلهم وليلبسوا السلاح لكي يظهروا زينتهم
لاهل طرابلس فبينما هم كذلك اذا اشرف عليهم يوقنا واصحابه وكان قد صحبهم فليطانوس
صاحب دمشق واصحابه وكانوا معولين على زيارة بيت المقدس والمقام به فلما اشرفوا على
المرج وهم بزيهم ما غيروا منه شيئا فلما نظرهم جرجناس بن صليبا ركب بنفسه ليستخبرهم
عن حالهم فلما قرب منهم سلم عليهم ورحب بهم وقال لهم من انتم فقال يوقنا نحن الذين التجانا الى
هولاء العرب واستكفينا شرهم وظننا انهم على شيء اذا هم طغاة لا دين لهم نهبوا بلادنا
ونحن اصحاب قنسرين وحلب واعزاز وعم وارتاح ونحن قاصدون الى الملك قسطنطين لنكون في
جنابه فلما سمع جرجاس ذلك من القوم انس اليهم ورحب بهم وقال انزلوا عندنا لكي تستريحوا
ساعة من التعب فلا شك انكم قد سرتم الليل والنهار وخافت نفوسكم من العرب فقال يوقنا واين
انتم سائرون قالوا بعثنا الملك قسطنطين الى اهل طرابلس نجدة فقال يوقنا كونوا مستيقظين
فان امير العرب الذي يقال له ابو عبيدة قد تركناه في نية القدوم الى ارض الساحل فقال جرجناس
وما الذي ينفع حذرنا ودولتنا قد اضمحلت وايامنا قد زالت ولست ارى ان الصليب يغني عن
اهله شيئا قال الواقدي فنزلوا عندهم ساعة وقدموا لهم من زادهم فاكلوا ثم ودعوهم وركبوا

وهم جرجاس

وهم جرجناس ان يركب ان يركب لركوبهم هو ومن معه فقال له يوقنا اشتغل باصحابك والبسهم
افخر اللباس واحسنه فان ذلك مما يطرح الرعب في قلوب اعدائكم قال حدثنا سليم بن عامر
عن نوفل بن عبد الله عن جريج بن البكا وكان اعرف الناس بفتوح الشام قال دخل يوقنا الى
ساحل البحر حتى انفق الجبلة وذلك انه اخذ طريقه على وادي ابن الاحمر وكان في صلح المسلمين وكان
قد نزل فيه الحارث بن سليم بن عم مالك بن نويرة في سرية لم يرعوا ابلهم وكانوا مائتي فارس
باهلهم فغار عليهم يوقنا فاخذهم وشدهم بالكتاف ودخل بهم بلاد الساحل فلما جن الليل
قال لهم يوقنا وقد جمعهم اليه في البيت لا تظنون اني رجعت عن الاسلام لا والله وانما فعلت
بكم ذلك كي يسمع الروم في سواحلها اني غزوت على العرب واخذتهم فاطمئنوا الى الامة وقالوا ان
كنت تريد اقامة دين الله فاقدم ينصرك وبلا عدا يظفرك قال وكل رجلا يسوق الاموال قالوا انما
اطلق جرجناس الى يوقنا واطلق اصحابه اذا دار معهم الاسرى من العرب والجمال والاغنام قال فلما
وركب يوقنا واصحابه ادراهم طالبون ساحل البحر ثم طلبوا طريق طرابلس واكمنوا بالليل في طريق
القوم قال وان جرجناس فرق الخزانة التي كانت معه على اصحابه وقعد حتى جن الليل واكلت الخيل
علايقها ثم استقاموا على الطريق فلما توسطوا الكمين اطبق عليهم يوقنا واصحابه وفليطانوس
ومن معهما وداراهم ولم يمهلوهم الى القتال فاخذوهم قبضا باليد وانتشرت الخيل في تلك
الارض ليلا لا يفلت منهم احد فلما حصلوا في قبضتهم وتحت ذلهم ارادوا ان
يطلقوا الحارث بن سليم واصحابه فقال الحارث انا نرى لكم من الراي ان تتركونا على حالنا
فان ثواب الله به قد حصل واصحبوا بنا بلاد القوم فانكم لن تشرفوا على بلد من بلاد السواحل

الا فتح لكم قال يوقنا اصبتم الراى ثم انه امر اصحابه ان يستوثقوا من الاسرى ولمن الفين من
اصحابه واصحاب فليطانوس مع الاسرى الثلثة لاف وقال اذا جاءكم دستالتى فاقدموا بهم لطرابلس
واصحابه زى اهل قيسارية الذين اخذهم وساروا فلما وصلوا اخرج كل واحد من البلد الى ه
لقائهم وكان كتاب قسطنطين قد وصل اليهم انه قد نفذ اليهم ثلاثة الاف فارس مع خوفنا س
ابن صليبا ودخل يوقنا باصحابه حتى استقر قراره بدار الامارة دخل عليه شيوخ اهل ه
طرابلس والبطارقة واهل الحشمة منهم فلما حصلوا عنده امر بهم فقبض عليهم وقال يا اهل
طرابلس ان الله سبحانه وتعالى قد نصر الاسلام واهله وقد كنا نخبط فى غشوم مظلمة نسجد
للصلبان ونعظم الصور والقربان ونجعل لله زوجة وولدا حتى بعث الله عز وجل الناس هنا
القوم فهدانا بهم وجمعنا ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو النبى المبعوث المنعوت فى
الانجيل الذى بشر به المسيح عيسى بن مريم وان الاسلام حق وقوله الصدق واهله يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وينطقون بالحق ويتبعون الصدق
ويوحدون الله تعالى وينزهونه عن الصاحبة والولد ويجاهدون فى سبيله باموالهم
وانفسهم وهذا الدين الذى امر الله به انبياءه ورسله فاما ان ترجعوا الى دين الله او تؤدون الجزية
والا يعتقكم العبيد للعرب وهذا ما عندى والسلام قال فلما سمع القوم قوله علموا ان يوقنا
احتال عليهم واخذ اصحاب الملك فى الطريق فقالوا ايها الامير نحن نفعل ما امرتنا به فمنهم من
اسلم ومنهم من رضى باداء الجزية وعمل يوقنا فيهم وبعث الى اصحابه المكمنين فجاءوا بالاسرى فعرض
عليهم الاسلام فابوا فامر بحبسهم وبعث الى ابى عبيدة بالخبر وما جرى له وبعث الكتاب مع الحارث

ابن سليم

فقال
ابن سليم الذى اخذه من وادى ابن الاحمر وقال يا عبد الله كن للامير بشيرا بهذا الفتح
سافعل ذلك ان شاء الله تعالى وسار بالكتاب حتى وصل الى ابى عبيدة وسلمه اليه فلما قراه وعرف
معناه فرح وقال للحارث يا ابن سليم الم تستاذنى فى المسير الى وادى ابن الاحمر انت والاد عكل
افمن اوصلك الى طرابلس قال اوصلنى القضا والقدر وذلك ان يوقنا عبر علينا واخذنا اسرى
وحدثه بحديثهم فتعجب من ذلك ابو عبيدة وقال اللهم ثبتهم على دينك وايدهم بنصرك قال
الواقدى حدثنا علقمة بن اوس قال اخبرنا صالح بن سالم قال حدثنا موسى بن ملك قال
ان عمرو بن العاص رضى الله عنه لما رفع المطر قلع من الجابية ونزل على باب قيسارية ومالما كان
من امر يوقنا فانه لما ملك طرابلس واحتوى عليها واستوثق من سورها وابوابها ترك اصحابه
على الابواب وقال لا تدعون احدا يخرج من المدينة وكان فى الميناء مراكب كثيرة فاخذها
ورفعها اليه كل ذلك حتى لا يعلم احد من اهل الساحل بما صنع قال وبعد ايام جاءت مراكب كثيرة
نزها على خمسين مركبا فتركهم يوقنا حتى نزل اكثرهم الى المدينة وامر فاتوا بهم اليه فاستخبرهم عن
احوالهم وقال من اين جئتم قالوا جئنا من جزيرة قبرص ومن جزيرة اقريطش بنزلاون قال فما
معكم قالوا معنا العدد والسلاح والطعام خدمة للملك قسطنطين بن هرقل فاودهم
الفرح وخلع عليهم وقال انى اريد ان اسير معكم ثم امرهم الى دار الضيافة ووكل بهم وبعث الى قياد
المراكب فانزلهم وقدم لهم الطعام فلما اكلوا قال انى اريد ان اسير معكم براد وعلوفة وعدد وسلاح
الى خدمة الملك ولكن تصبرون على ثلثة ايام فقالوا ايها البطريق انا على عجل من امورنا فان الهم
حتى انعموا له فقال اريد ان تنزلوا بالشراعات والمقاذيف لتكون فى المدينة فيطمئن قلبى

وكان فتح لاذقية الله تبارك ... [illegible]

بذلك ففعلوا واصعدوا المراكب بالصور ونزل كل من في المراكب وما بقا في كل مركب الا ثلاث
رجال فلما دبر هذا التدبير قبض على الكل فلما كان من الليل سلم طرابلس لبني عم الحارث بن سليم
والقليطانوس وعمر المراكب برجاله وهم بالمسير واذا عند مغيب الشمس قد اقبل خالد بن الوليد
رضي الله عنه في الف فارس من اصحابه فلما راهم يوقنا سجد لله شكرا وسلم المدينة لخالد وحدثه بما
جرى له وما قد عزم عليه فقال نصرك الله وايدك ثم ان يوقنا ركب من ليلته وسار من معه الى صور
وكان على صور دمستق جيش قسطنطين وهو ارمونيل بن قسطه ومعه اربعة الاف فارس فما اصبح
يوقنا الا وهو في مينا صور فامر بالبوقات فضربت والرايات فنشرت ووقف الدمستق واصحابه
على باب البحر وصعد على السور عوام البلد وبعث الدمستق يستخبرهم فنادى صاحب البحر اليه وقال
هولاء اهل قبرص وجزيرة اقريطش بن كادون قد اقبلوا بالعدد والعلوفات والطعام يريدون قيسارية
خدمة للملك ففرح اهل صور بهم وامرهم بالنزول فنزلوا اصحاب يوقنا ومن قد استخلصهم لنفسه وصنع
لهم الدمستق طعاما عظيما وحمل لعبادهم الخلع والدراهم ويوقنا ينتظر الليل ليثور باصحابه وكان جملة
من نزل معه تسع مايه من قومه وترك الباقي في المراكب وقال ان لم يتم لنا على القوم ما نريد ولم نظفر بهم فلا
تبرحون من المركب وتفدوا الى الامير خالد بن الوليد واعلموه بالقصة قال الواقدي ولم اسمع
باعجب من هذه القصة ولقد حدثني يوقنا نصر بن مزاحم عن الارقم بن عامر عن عمار بن اسد قال لما
حصل يوقنا والتسع مايه بمدينة صور واكلوا سماط الدمستق وخلع على كبرايهم اقبل اليه في السر رجل
من بني عم يوقنا ممن تحكم الضلال على قلبه فاقبل الى الدمستق وحدثه بامر يوقنا وما قد عزم عليه
وانه مسلم وهو يقاتل مع العرب وهو الذي فتح طرابلس واخذ من الطريق جرفناس بن صليبا صاحب الملك

فلما سمع

فلما سمع الدمستق ذلك من الرجل لم يكذب دون ان ركب في اصحابه وقبض على يوقنا واصحابه وعلا الصياح
ولكثر الضجيج وسمع بذلك اصحاب يوقنا فعلموا انه من سبب اصحابه وانه قد قبض عليهم فاغتموا لذلك
واخذوا على انفسهم العدد ويقبل اليهم واستوثق الدمستق من يوقنا واصحابه ووكل بهم الف
فارس وقال لا تسيروا بهم الى الملك يفعل بهم ما اراد واقبل يعنف يوقنا واصحابه ويقول لهم ما الذي
دانيتم في دين العرب حتى تبعتموهم وتركتم دينكم ودين ابايكم لقد طردكم المسيح عن بابه وابعدكم
عن جنابه فلما هموا ان يسيروا وقع الصياح من الابواب ونفر اهل القرى من كل مكان فسالهم عن اخبارهم
قالوا لقد وردت العرب اليكم قال الواقدي وكان عمرو بن العاص لما نزل على قيسارية وجه
يزيد بن ابي سفيان في الفي فارس الى صور ليحاصرها فلما سمع الدمستق بذلك امر بالابواب فغلقت وصعد
الرجال على الاسوار ونصبوا العرادات والمناجنيق قال ودخل الدمستق بيوقنا واصحابه الى صور
واستوثقوا منهم وبات القوم يحرسون واضرموا نيرانهم على السور واقبلوا ايضا يرقصون طول ليلتهم
فلما كان من الغد اشرف الدمستق على عسكر يزيد بن ابي سفيان فلما راه قليلا استخف بهم وطمع فيهم وقال
وحق المسيح لا بد لي من الخروج اليهم وهلاكهم الا شرذمة يسيرة ثم البس الدمستق اصحابه وامرهم بالخروج
ونزل على حفظ يوقنا واصحابه ابن عمه باسيل بن ميخائيل وكان باسيل ممن قرا الكتب السالفة والاخبار
الماضية وكان قد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دير بحيرا الراهب وكان باسيل قد مضى لزيارته
فلما قدمت عير قريش وجمال خديجة ابنة خويلد رضي الله عنها وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بحيرا
الى القافلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في وسطها والغمامة تظله من حر الشمس قال هذا والله صفة
النبي الذي يبعث من تهامة ثم نظر واذا بالقافلة قد نزلت ونزل وحده تحت شجرة يابسة فاستند

اليها فاورقت في الحال ببركته صلى الله عليه وسلم فلما عاين بحيرا ذلك صنع طعاما لقريش واستدعا
لهم فدخلوا الدير وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما نظر بحيرا لم ير في جملتهم قال يا قريش
بقي منكم احد قالوا نعم بقي غلام هو احدث القوم سنا قال اما اسمه قالوا محمد بن عبد الله قال اهل مات
ابوه وامه قالوا نعم وكفله جده وعمه قالوا نعم قال يا قريش بجلوه وعظموه فهو والله سيدكم وبه يعظم في الدنيا
والاخرة فخركم قالوا من اين علمت ذلك قال لما اشرفتم علي لم يبق شجر ولا مدر الا خر ساجدا لله
قال الواقدي فبقي باسيل في حيرة من امره وكتم ذلك وعلم ان بحيرا لا يتكلم الا بالحق فلما
دفع يوقنا واصحابه ووكله الدمستق على حفظهم قال والله ان الاسلام هو الدين الحق وقد بشر به
المسيح وبحيرا الراهب ولعل الله ان يغفر لي اذا حللت هولاء القوم قال الواقدي وكان من حسن تدبير الله
تعالى لعباده المومنين ان الدمستق لما خرج الى لقا يزيد بن ابي سفيان لم يدع من شباب المدينة ولم
يبق في المدينة صغير ولا كبير الا وقد خرج مع الدمستق وبقية العوام على الاسوار ينظرون ما
يكون بين صاحبهم وبين المسلمين قال فلما نظر باسيل الى المدينة وخلوها واشتغال اهلها اجمع
رايه على خلاص يوقنا واصحابه فاقبل اليهم والتفت الى يوقنا وقال ايها البطريق الكبير كيف تركت
دين ابائك واجدادك من قبل وعدت الى دين هولاء العرب وما الذي رايته من الحق حتى تبعته وقد كانت
الروم تتخذك لها عونا وعضدا فقال له يوقنا يا باسيل ظهر لي ما ظهر لك من الحق وعرفته فقال له
باسيل ومن اين تعلم ان الحق ظهر لي حتى تقول هذا فقال يوقنا قد هتف بي الليلة هاتف يقول
لي ابشر فان الله قد هدى باسيل الى دين الاسلام وبشرني بالخلاص على يديه فلما سمع ذلك باسيل
زاد يقينه وحقق ايمانه وتهلل وجهه وقال يا يوقنا لقد انطق الله على لسانك بالصدق ولقد تبعت

طريق

طريق الحق وان الله تعالى قد كشف حجاب الغفلة عن قلبي وقد رايت في هولاء القوم بدير بحيرا
وهو في قافلة لاهل مكة ورايت من دلايله انه لا يبقى على الارض الا الشجر تنشر اليه والسحاب
تظله واستند الى شجرة يابسة فاورقت من ساعتها وقد انباني بحيرا انه وجد في العلم ان جماعة
من الانبيا قد استندوا اليها وجلسوا تحتها فلم تورق فلما استند بظهره اليها اورقت اغصا نها
فعجبت من ذلك وسمعت بحيرا يقول هذا والله الذي بشر به المسيح فطوبى لمن تبعه وامن به وصدقه
فلما عدت من زيارة بحيرا سافرت الى القسطنطينية بتجارة وتغلغلت في بلاد الروم واتيت ما
شا الله ثم اني عدت الى قيسارية ورايت الروم في هرج ومرج فسالت عن احوالهم فقيل لي قد ظهر نبي
بالحجاز اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والان فقد عزمت على حلك وثاقك ايها البطريق
دوناك واصحابك وتثور على اهل المدينة وتملكها ان شا الله تعالى فقال له يوقنا ان يرد الله بك خيرا
فانت تفعل ذلك قال ففعل باسيل وثاق يوقنا واصحابه واخذوا اهبتهم للقتال ولم يزالوا
سايرين من دار امارة الدمستق حتى قبضوا على اهل المدينة ومن على السور من العوام فصاحوا
الامان وبقوا في حيرة وتاهت عقولهم وانزعجت قلوبهم على اولادهم ومن كان في منزله لم يجسر
ان يخرج وسمع يزيد بن ابي سفيان الضجة فعلم ان يوقنا واصحابه قد افلتوا من الاسر وهم الذين فعلوا
ذلك فكبر وكبر المسلمون وهللوا الواحد وسمع الدمستق واصحابه الضجة في المدينة فوقع الرعب في
قلوبهم ونظروا الى النيران قد اشتعلت في عسكر المسلمين وقد تاهبوا للحملة عليهم فلم يبق
لهم قلب لان قلوبهم قد انقطعت لاجل اموالهم واولادهم في داخل المدينة وقيسارية مجاورة
وليس لهم مدد من الملك هرقل فولوا الادبار وتبع المسلمون اثارهم وملكوا اخيامهم وما كان

فيها فلما اصبح الله بالصباح فتح يوقنا باب المدينة ودخل يزيد بن ابي سفين ومن معه من
المسلمين واحتووا على اموال الروم ونادى من كان على السور الغوث الغوث الامان
الامان فامنهم المسلمون عن اجمعهم فقال لهم يزيد اعلموا ان الله سبحانه وتعالى قد
فتح على ايدينا مدينتكم هذه عنوة وانتم الان عبيد لنا وما شينا حكمنا فيكم ولكن
نحن قوم اذا عاهدنا اوفينا واذا قلنا صدقنا وقد قطعنا لكم الدمام من انفسنا
ولكن نأخذ الجزية ممن لا يدخل في ديننا ومن اسلم منكم فله ما لنا وعليه ما علينا فاجاب
القوم الى ذلك واسلم اكثرهم وبلغ الخبر الى قسطنطين بن هرقل باخذ طرابلس
واخذ صور فعلم انه لا بقا له مع العرب فانهزم وانتهز الفرصة واخذ خزائنه وامواله
وذخايره وحرمه واهل بيته واركبهم في المراكب بالليل واقلع يريد اللحوق بابيه
بالقسطنطينية فلما نظر اهل قيسارية الى ذلك خرج اهلها الى عمرو بن العاص رضي الله عنه
وصالحوه على ان يسلموا اليه المدينة فصالحهم على مايتي الف درهم وكل ما ترك الملك من
خزاينه ورحاله فاجابوه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح فعند ذلك دخل عمرو الى قيسارية
واخذ بقية ما ترك الملك وضرب الجزية عليهم من السنة الاتية على كل رجل اربعة دنانير
وبذلك كتب امرهم عمر رضي الله عنه وبعث عمرو الى صور يوقنا بن عوف بن مسلم وكان شيخا
كبيرا قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وقتل اخوه يوم حنين مالك
ابن عوف النضري فبعثه عمرو الى صور ومعه مايه رجل من اصحابه قال حدثني شا[illegible]
مولى عروة بن نعيم اليشكري قال لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه قيسارية صلحا على مايتي
الف

الف درهم وما ترك قسطنطين ودخلها يوم الاربعا في العشر الاوسط من رجب الفرد
سنة تسعة عشر من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعمر في الخلافة اربعة اعوام
وستة شهور وبلغ الخبر الى اهل عكا والرملة ويافا وعسقلان وغزة ونابلس
[illegible] فاعقدوا لهم صلحا مع المسلمين وكذلك اهل بيروت وجبلة واللاذقية
[illegible] المسلمين الشام كله ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الفتوح
[illegible] بحمد الله تعالى ومنه وصلواته على خير خلقه محمد واله وصحبه وازواجه
وذريته وعترته الطيبين الطاهرين والكل وسائر الصالحين
على يد اضعف عباده واحوجهم الى العفو والغفران
عثمان بن حضر بن مصلح بن عبد العزيز
ابن منصور الداري
موذن حرم سيدنا
الخليل عليه
افضل الصلاة
والسلام

حسبنا الله ونعم الوكيل برسم خزانة المقر الكريم العالي المولوي القضاي العمادي ناظر الجيش
[illegible] المحروسة اسبغ الله ظلاله وختم بالصالحات اعماله ولد المقر
العالي المولوي القضاي الفخري ابن المنذر مدبر المملكة الصفدية المحروسة ضاعف الله نعمه عليه